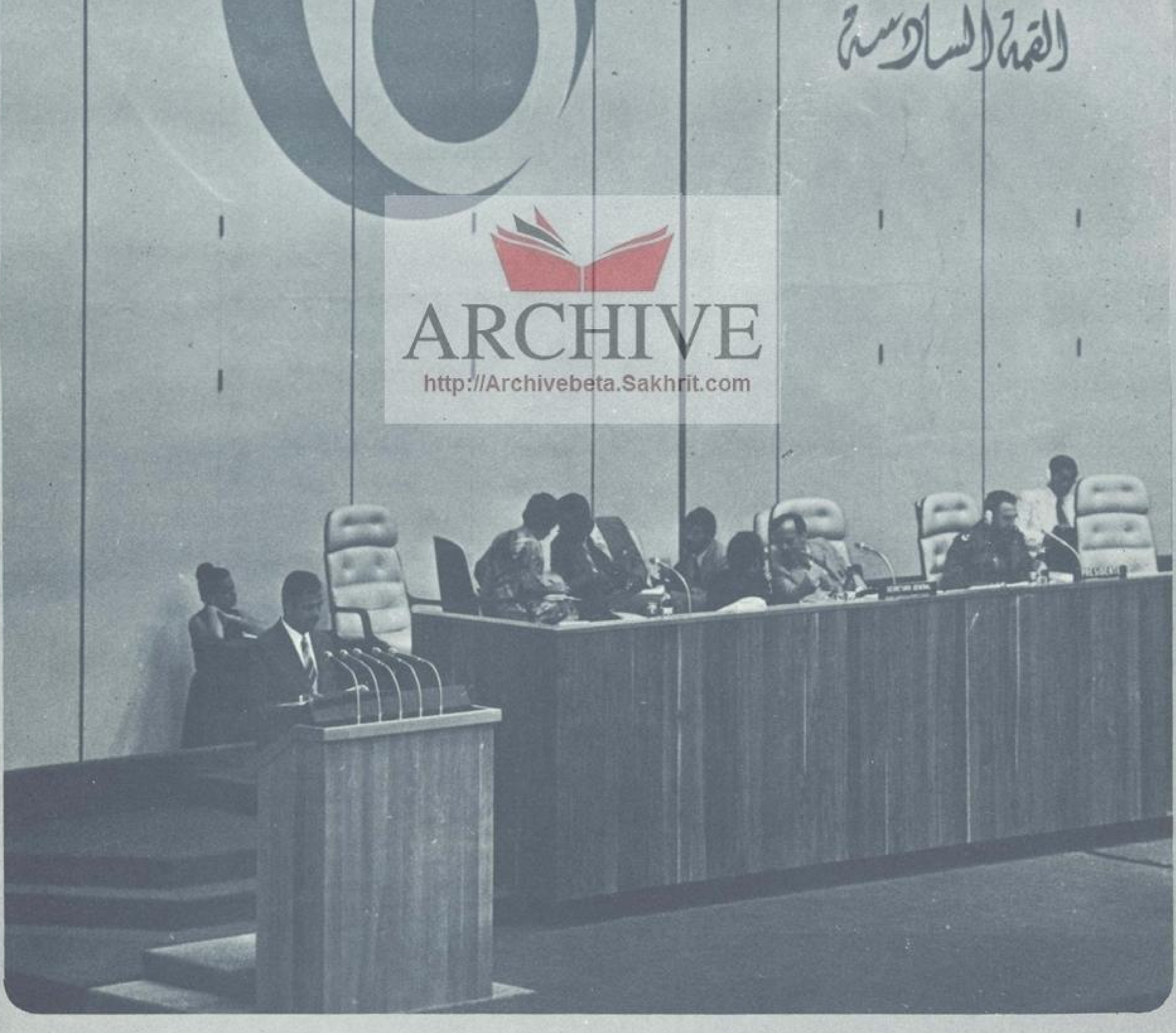


ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ملف آفاق عربية

# قمة عدم الانحياز

# تعميق الوحدة الكفاحية للحركة وتطوير المضامين التقدمية

# الرئيس القائد صدام حسين

# دور قومي وانساني بارز وفعال

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# الحضور العراقي

## تجسيد لأرادة الأمة العربية وروح قمة بغداد

في يقين البشرية ان اية تظاهرة عالمية تحتكم الى منطق الخير والعدل والحق لابد ان تؤثر على سياسة حافة الحرب ، خاصة اذا امتلك قادتها وسائل الردع المناسبة واسلحة المجابهة وروح التضامن الكفاحي .

والذين ذهبوا الى ( هافانا ) كان يستبقهم الامل والثقة بالموقف الانساني ، وتتشبعهم حماسة الحياة ، فقادة الدول والمراقبون الذين زادوا على المائة ، لم تغب عن بالهم مأساة الحرب الكونية الثانية ، وحاضر الصراع الدولي ، وسباق التسلح ، والمخاطر التي تواجه عالم اليوم والغد ..

فالماضي كان شاخصا ، رغم انه لم يناقش كموضوع ، ولكنه ضغط كقوانين .. كما ان الحاضر جمع نفسه وتناقضاته في صور شتى ، هي مجموع ما يواجه الاسرة الدولية وما تعاني منه البشرية ..

ولم يغب عن بال الذين ذهبوا ، وقد تغيرت وجوه كثيرة ، وانظمة ، وسياسات دول ، ورجالات ، ان « باندونغ » اللقاء التاريخي في 17 نيسان 1955 ، كان الاشارة الاولى بمثله ونقاطه وقيمه .. وان تيتو ونهرو وناصر وسوكارنو .. حين التقوا باندونيسيا لم يفكروا بمشاعر مستقلة عن الاسرة الدولية التي تسعى الى العدل والسلام .

كذلك .. نظر الجميع الى الشيخ « تيتو » القائد الوحيد من مجموعة « باندونغ » الذي ظل حيا ، على انه الرمز ، لانبثاق وتطور هذه الحركة التي اتسعت ـ بفعل قوة الشعوب ـ واصبحت في « هافانا » تضم هذا العدد الكبير من قادة الدول ..

ووفاء لذكرى الذين رحلوا وقف الجميع حدادا على روح هواري بومدين العربي الذي استضافت بلاده الجزائر القمة الرابعة عام 1973 (بحضور 97 دولة بين عضو ومراقب) والفاصل بين المؤتمر الاول الذي عقد عام 1961 في بلغراد بمشاركة 25 بلدا عضوا وثلاث دول بصفة مراقب ، ثم المؤتمر الثاني (القاهرة بعد ثلاث سنوات) بمشاركة ( 47 بلدا ) و (10) دول بصفة مراقب اضافة الى امين عام الجامعة العربية وسكرتير منظمة الوحدة الافريقية ، والثالث في العاصمة الزامبية لوساكا (1970) (55 بلدا و 9 بصفة مراقب ) ..

وبين الخامس في كولومبو ( عاصمة سري لانكا ) ( 1976 بحضور 86 بلدا بصفة عضو و 20 دولة بصفة مراقب ) .. والسادس في هافانا .. مسافة للتقدم الذي تحقق عبر هذا الشوط المثابر من النضال الكفاحي لشعوب العالم ، وخاصة بلدان العالم الثالث ، تعميقا لنهجها الاستقلالي وخصوصية تجاربها .. هذا الشوط جعل حتى اعمال « القمة السادسة » لا تنتهي في الايام المحددة لها بل تمتد ليومين اضافيين ، ويحضرها اربعة آلاف شخص ، ويترأسها الرئيس الكوبي فيديل كاسترو الذي سيبقى رئيسا لهذه الدورة حتى انعقاد « القمة السابعة » في بغداد الثورة عام 1982 ، ليس لان « عضوية كمبوديا » و « تعليق عضوية نظام مصر » كانا عقبتين أمام « وحدة القرار » و « جماعيته » في تقاليد « عدم الانحياز » ، بل لان الاسس التي نهضت عليها الحركة في البدء ، لم تعد تستوعب معطيات عصرنا ، ولم تعد تركيبة الدول المشاركة ( كانظمة متفاوتة الاتجاهات والمصالح ) تسمح بسهولة اتخاذ القرار او الصيغة الشاملة بالبساطة التي كان عليها الامر قبل ثمانية عشر عاما .

من هنا ، لم يكن خطاب السيد كاسترو الذي افتتح به المؤتمر خطاب مجاملة ، بل خطاب القيم الجديدة التي تتعمق يوما بعد يوم لمضمون هذه الحركة.. كون سياسة عدم الانحياز بذاتها اصبحت موضع نقاش اذ لم تتساهل ازاء مضمونها التقدمي ، وبالتالي فهي لا تتساهل ازاء دورها المستقل ، ولان « القمة السادسة » ناقشت قضايا دولية مختلفة ومعقدة منها الوضع في القارة الافريقية ( وخاصة افريقيا الجنوبية وقضية زمبابوي وناميبيا ووسائل دعم دول المواجهة الافريقية وقضية الصحراء الغربية وجزيرة مايوت ) كذلك ناقشت « القمة السادسة » الوضع في المنطقة العربية والقضية الفلسطينية وآثار اتفاقيات كمب ديفيد الخيانية التي وقعها حاكم مصر انور السادات مع العدو الصهيوني ، كذلك ناقش المؤتمرون الوضع في جنوب شرقي آسيا وايران وسبل جعل المحيط الهندي منطقة سلام ، والمسالة الكورية ، ومختلف القضايا التي تهم اميركا اللاتينية والمسالة القبرصية ، اضافة الى مواضيع التعايش السلمي والانفراج والامن الدولي وسبل تحقيق سلام وأمن دولي عن طريق الاسراع في نزع السلاح وخاصة السلاح النووي .

وعلى الصعيد الاقتصادي ناقش المؤتمرون عددا من الموضوعات الملتهبة التي تهم دول الحركة والدول النامية وسبل انجاح المفاوضات من اجل اقامة نظام اقتصادي دولي جديد ، وحق الدول النامية في تنمية وتطوير اقتصادياتها اضافة الى تقييم عدد من المؤتمرات الدولية ونشاطات الشركات الاحتكارية متعددة الجنسية وآثار هذه الشركات والنشاطات على اقتصاديات الدول النامية ، والمشاكل النقدية والمالية ومشاكل الغذاء والبحث عن ستراتيجية جديدة للتنمية والتعاون الاقتصادي والتقني بين البلدان غير المنحازة وغيرها من البلدان النامية .

الى جانب قضايا المرأة ودورها في التنمية وقضايا ثنائية وجانبية على هامش المؤتمر ، فان الموقف الذي يتجلى في الخطب والكلمات لم يعد يقبل المجاملة والتورية .

**من هنا انبرى الرئيس القائد السيد صدام حسين للرد على ممثل النظام المصري الذي حاول**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

**تشويه الحقائق في رده على خطاب الافتتاح الذي القاه الرئيس الكوبي.. والذي اعتمد كوثيقة من وثائق المؤتمر ..**

**حيث قال السيد الرئيس صدام حسين :**

**« انه ليس الا الانتصار للحق الذي يجمعنا في هذا المؤتمر .. » .**

ولان الوفد العراقي الذي ترأسه السيد الرئيس القائد صدام حسين ، شكل ثقلا متميزا في المؤتمر ، وبذل جهودا مكثفة كي يظهر روح قمة بغداد ومقرراتها ، ومقررات وزراء الخارجية والاقتصاد العرب التي بلورت وحدة الصف العربي ، وحيث يجري العمل منذ قمة بغداد على تنسيق المواقف مع الدول الاعضاء في الحركة على طرد نظام السادات من حركة عدم الانحياز او تعليق عضويته ومعاقبته وادانته ، بعد دخوله في حلف خياني مع الصهيونية والامبريالية الاميركية نتيجة توقيعه على اتفاقيات كامب ديفيد ومعاهدة الاستسلام الخيانية ، فقد وزع الوفد العراقي لاجتماعات وزراء خارجية بلدان عدم الانحياز ورقة عمل تؤكد ان الفقرة الخامسة من المادة السادسة من معاهدة التسوية الخيانية تعتبر انتهاكا لمبادىء حركة عدم الانحياز ، ودعت الورقة الى تعليق عضوية مصر ، لان نص الفقرة ( 5 ) من المادة السادسة لمعاهدة الخيانة تتعارض مع شروط العضوية التي اقرها مؤتمر قمة بلدان عدم الانحياز الثاني عام 1964 والخاصة بدعم حركات التحرر الوطني ، واشارت الى ان نص الفقرة المذكورة يلغي ، وبدون مناقشة التزامات الحكومة المصرية لنصرة القضية الفلسطينية طبقا لما قررته حركة عدم الانحياز ، فان السيد الرئيس صدام حسين ، حين رد على ممثل النظام المصري ، عمق المحتوى التقدمي لمضمون حركة عدم الانحياز ، ومهد لخطابه التاريخي الذي وضع صياغة مثلى لسياسة الحركة ، ( نص الخطاب في هذا الملف ) .. فان السيد الرئيس صدام حسين اكد على قيم الحق والعدالة حين قال :

**« لقد حاول ممثل الحكومة المصرية ان يستخدم التاريخ المشرق للشعب المصري المناضل المكافح البطل ، لكي يحقق قدرا من التداخل ، ظنا منه بان بامكانه ان ينطلي على اعضاء هذا المؤتمر .**

**التاريخ الذي تحدث عنه ، عن مصر ، هو تاريخ صحيح ومعروف لدينا جميعا ، ولكن هذا التاريخ المكافح ضد الامبريالية وضد الصهيونية وضد الاستغلال لم يكن بقيادة انور السادات ، وانما كان بقيادة المناضل جمال عبدالناصر الذي خانه السادات وخان كل تاريخه ، وزور كل وثائق النضال لشعبنا المصري المناضل المكافح .. » .**

**كذلك « لقد خان السادات نضال وتضامن شعوب بلدان العالم الثالث .. لقد خان تضامن ونضال وقادة شعوب افريقيا الذين اعلنوا عن تضامنهم مع نضال الشعب العربي ..**

**هل فكر السادات وممثل مصر الذي تكلم في هذه القاعة بحقوق افريقيا وبحقوق شعوب بلدان العالم الثالث .. وبحقوق شعوب بلدان العالم جميعا التي اعلنت التضامن والاسناد لشعب مصر في كفاحه ضد الامبريالية والصهيونية ؟.**

**لم يفكروا في هذا .. ولكنهم اختاروا طريقا آخر ، طريق الانحدار ايضا ..**

**ايها السادة .. ليس طريقا اراديا بل طريق تدهور الارادة . لذلك ليس مستغربا ان نجد حاكم مصر الآن لا يحضر في هذه القاعة لدول عدم الانحياز ، وانما يفتش عن مكان آخر يحضره مع ( قادة اسرائيل ) ..»**

**« هل يظن ممثل حكومة مصر ان الدولة المضيفة ينبغي عليها ان تطوق بكلام غير صحيح لكي لا تقول الحق ؟.. » .**

**« لنعد الى ما حققه انور السادات .. كل الذي حصل من الناحية القانونية والفعلية ، ايها السادة ، هو ان السادات حتى الآن وعد او استرجع جزءا من سيناء فخرج هذا الجزء من الناحية الفعلية من سيطرة ( اسرائيل ) العسكرية لكي يوضع تحت سيطرة امريكا عسكريا لكي تعطى التسهيلات للقواعد الامريكية في سيناء من اجل استخدامها ضد ارادة الشعوب في افريقيا وفي آسيا » ..**

وحين طالب السيد الرئيس في نهاية كلمته بانزال العقوبة بنظام مصر وحاكمه ، اشاد في ذات الوقت بنضال شعب مصر .. وهذا الموقف الذي اعلنه الرئيس القائد صدام حسين ، جسد ارادة الامة العربية وروح قمة بغداد .

كما ان مجمل الانشطة والاتصالات المكثفة التي قام بها الرفيق صدام حسين والوفد العراقي ، جاءت لتجسد الدور القومي والانساني البارز والفعال الذي اخذه العراق على عاتقه ثورة وحزبا وجماهير واعية ..وذلك يرجع ، أساسا ، الى ايمان حزب البعث العربي الاشتراكي الراسخ بسياسة عدم الانحياز منذ نشوئه في 7 نيسان 1947 فقد نصت المادة الاولى من دستور الحزب في باب السياسة الخارجية على ما يلي :

« تستوحى السياسة الخارجية للدول العربية من المصلحة القومية العليا ، ومن رسالة العرب الخالدة التي ترمي الى المساهمة مع الامم الاخرى في ايجاد عالم منسجم حر آمن يسير في سبيل التقدم الدائم » .. كذلك تضمنت وثائق المؤتمرات القومية كلها تقريبا ، اشارات صريحة الى تبني الحزب لسياسة عدم الانحياز في موقفه من العلاقات الدولية ، وانسجاما مع نفس النهج جاء التقرير السياسي للمؤتمر القطري الثامن المنعقد في بغداد في كانون الثاني 1974 ليؤكد من جديد على موقف الحزب المبدئي من سياسة عدم الانحياز اذ « اعتبر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# إن السادات لم ينصب نفسه كممثل عن مصر خطأ ،

حزب البعث العربي الاشتراكي ـ ومنذ تأسيسه ـ سياسة الحياد الايجابي وعدم الانحياز ركنا اساسيا في موقفه من العلاقات الدولية ، ولكنه اكد وبصورة مبدئية حازمة مضمونها التحرري والتقدمي والديمقراطي المعادي للامبريالية بكل اشكالها ، ولسياسات الالحاق والتمييز بين الامم بسبب كبرها وصغرها او لاي سبب آخر » .

لذا فان الرئيس القائد السيد صدام حسين ، حين اكد على اعتزاز « كل عربي بمصر شعبا ونضالا » فانما ميز بين « الحاكم » الذي يخون شعبه وامته وينحاز للامبريالية والصهيونية ، وبين الشعب المكافح النبيل ..

ففي الاجتماع المغلق الذي ضم رؤساء ثلاث عشرة دولة عربية وافريقية والذي عقد في مقر اقامة الرئيس الزامبي كينث كاوندا في هافانا قال السيد الرئيس صدام حسين :

**« ان السادات لم يقم بعملية انتحار ذاتي وانما وجه النيران ضد الآخرين .. ضد الفلسطينيين والسوريين والاردنيين وضد كل عربي في الوطن العربي » .**

وحذر الرئيس القائد في الاجتماع الذي عقد لبحث تعليق عضوية النظام المصري في حركة عدم الانحياز من الآثار السلبية التي تتركها سياسة السادات على كثير من الامور ، وقال سيادته :

**«ان السادات لم ينصب نفسه كممثل عن مصر خطا ، بل نصب نفسه كممثل عن الامة العربية والفلسطينيين خطا » ..**

وقال السيد الرئيس :

**« سمعنا بان بعض الاخوة الافارقة لديه لبس في فهم القضية وفي معالجتها .. يتصورها البعض بانها عقوبة ضد مصر بتاريخها وشعبها ، وانتم تعرفون بان كل عربي يعتز بمصر شعبا ونضالا ولذلك فان الصيغة موجهة ضد تصرف يضر بالنضال العربي وبالامة العربية »..**

**واوضح السيد الرئيس ان العرب حرصوا على ان يعقد مثل هذا اللقاء مع الاخوة الافارقة حرصا على تجنب وقوع اي ضرر في مسيرة النضال المشترك وعلى هذا الاساس كانت الرغبة في هذا اللقاء حيث استمعتم الى مفتاح الحديث وانتم ترون بان بيننا من هو رئيس دولة او ملك او مناضل يقاتل من اجل القضية او رئيس ممن ليس لديه مشكلة مباشرة مع السادات ، وقسم منا ممن ليس لديه ارض اقليمية محتلة ، فالجزائر ليس لديها ارض محتلة لكنها تطلب العقوبة لاعتبارات قومية ، وكذلك العراق .**

**واكد سيادته قائلا : ان بين العرب التقدمي والمحافظ ، لكن الجميع متفقون على عقوبة النظام المصري ، وعلى القضية المركزية ..**

**« اذن فان هذا الاتفاق وهذا الاجماع يوضح لنا مقدار الخطورة والضرر الذي سيلحق بنا جراء اتفاقات حاكم مصر مع الكيان الصهيوني » .**

لذا فان مشروع القرار الذي قدمه الوفد العراقي الى اللجنة السياسية لقمة هافانا حول فلسطين والمتكون من (11) مادة جاء منسجما مع نظرة حزب البعث العربي الاشتراكي الى القضية الفلسطينية كقضية مركزية ، فقد اكد العراق ان الاحتلال الصهيوني واغتصاب فلسطين والاستيلاء على حقوق الشعب العربي الفلسطيني هو جوهر الصراع في الشرق الاوسط ، لان حل هذا النزاع مستحيل بدون ممارسة الشعب الفلسطيني لحقوقه الوطنية الثابتة بما فيها حق العودة وتقرير المصير واقامة دولته المستقلة في فلسطين .

وادان المشروع بشدة سياسة الولايات المتحدة الامريكية واكد بانها تعادي تلك الحقوق ودور منظمة التحرير الفلسطينية بوصفها الممثل الشرعي والوحيد للشعب العربي الفلسطيني .

واكد ان سياسة الولايات المتحدة الامريكية هذه تهدف الى تصفية قضية فلسطين من خلال تشجيع الحلول الجزئية والاتفاقيات الاستسلامية .

كما ادان المشروع اتفاقيتي كامب ديفيد والمعاهدة المصرية ـ الصهيونية ، وجميع الاطراف المشاركة في هذه الحلول والاتفاقيات ، واكد حق منظمة التحرير الفلسطينية في رفضها لاي اتفاق او مشروع او قرار يهدف الى تصفية قضية فلسطين او يهدد الحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني ، وادان خطوات ضم مدينة القدس العربية وتهويدها . كما ادان المشروع السياسة التوسعية للكيان الصهيوني وتصاعد اعماله العدوانية على الجنوب اللبناني ، وطالب المشروع دول عدم الانحياز الى مقاطعة الكيان الصهيوني ودعا دول وشعوب العالم الى الامتناع عن مد الكيان الصهيوني بالمساعدات والاسلحة ووسائل القتل والتدمير .

كما اكد المشروع على تأييد دول عدم الانحياز لوحدة لبنان ارضا وشعبا ولاستقلاله وسيادته ..

ومن المعروف ان القضية الفلسطينية لم تأخذ هذا الحجم من الاهتمام الا بعد نضال متواصل خاضته جماهير الامة العربية بقيادة فصائلها القومية ، وفي طليعتها حزب البعث العربي الاشتراكي حزب الثورة العربية .

« فلقد كانت الدول الافرو آسيوية ـ مثلا ـ في ايام انعقاد مؤتمرها في باندونغ سنة 1955 تنظر الى القضية الفلسطينية عبر ما اقر من قرارات الامم المتحدة بشأن التقسيم ، وعبر المناداة بتحقيق تسوية سلمية وعادلة لقضية اللاجئين الفلسطينيين دونما اية اشارة تدل على فهم لابعاد هذه القضية وملابساتها .

ومن المعروف ان الظروف الدولية السابقة كانت وراء اتخاذ تلك الدول لتلك المواقف ، مقارنة بالمواقف اللاحقة التي اتخذتها كتلة عدم الانحياز من القضية الفلسطينية والتطورات التي شهدتها القضية ذاتها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من تصاعد حركة الكفاح المسلح ضد الاحتلال الصهيوني ، والحضور المستمر لهذا الكفاح النضالي للفت انظار شعوب العالم المتقدم منه ، والشعوب التي تخوض نضالا قوميا ضد السيطرة الاستعمارية . فالكثير من البلدان وحركات التحرر في افريقيا - مثلا - لم تحصل على استقلالها كبلدان ذات سيادة الا في الاعوام الاولى من عقد الستينات حتى اطلق على تلك السنوات « باعوام تحرر افريقيا » .

فبالنسبة الى القرارات الصادرة عن مؤتمر قمة عدم الانحياز الاول في بلغراد عام 1961 والثاني في القاهرة ، تناولت القضية الفلسطينية ضمن القرارات التي تعالج الوضع في المنطقة العربية ، اضافة الى التاكيد على القرارات الصادرة عن الامم المتحدة بخصوص تسوية القضية الفلسطينية .

وتعتبر الاشارة التي صدرت عن الاجتماع الاستشاري للممثلين في بلغراد في تموز 1969 أول تعبير رسمي عن موقف دول عدم الانحياز بشأن الاحتلال الصهيوني للاراضي العربية فقد جاء في ذلك الاجتماع :

**« ان المشتركين يعتبرون ان الاحتلال المستمر لاراضي ثلاث دول اعضاء في هذه المجموعة ، يشكل انتهاكا لمبادىء الامم المتحدة ، وتحديا لاهداف عدم الانحياز ، وتهديدا خطيرا للسلام ، وبالتالي فانهم يؤكدون عدم جواز اكتساب اراض عن طريق الحرب ، ويطالبون بانسحاب القوات الاجنبية من جميع الاراضي العربية المحتلة منذ 5 حزيران1967 وفقا لقرار مجلس الامن رقم 242 الصادر في 22 نوفمبر 1967 » .**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في حين أصدر مؤتمر القمة السادس لحركة دول عدم الانحياز قرارا بشأن الوضع في المنطقة العربية هذا نصه :

**« يؤكد المؤتمر مجددا بان الوضع في الشرق الاوسط يستمر في خلق تهديد خطير للسلام والامن العالميين بسبب ازدياد احتمالات تجدد حرب جديدة جراء تصميم ( اسرائيل ) على مواصلة سياسة عدوانية توسعية وبناء المستعمرات الاستيطانية في الاراضي المحتلة بدعم من الولايات المتحدة الامريكية. ان هذا الدعم يشجع ( اسرائيل ) في رفضها بالاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني والانسحاب من جميع الاراضي العربية المحتلة انتهاكا لجميع القرارات ذات العلاقة والتي تبنتها الامم المتحدة وحركة عدم الانحياز .**

ولذلك فان المؤتمر يعتبر ان من الضروري التاكيد على جميع المبادىء والقرارات المتخذة من قبل حركة عدم الانحياز حول القضية الفلسطينية والوضع في الشرق الاوسط وخاصة منذ العدوان « الاسرائيلي » عام 1967 ، ويجدد المؤتمر التاكيد بان اي حل للمشكلة لا يمكن التوصل اليه ، ولا يمكن توطيد السلام في المنطقة دون تطبيق جميع المبادىء الاساسية التالية :

**ا - ان القضية الفلسطينية هي جوهر المشكلة في الشرق الاوسط والسبب الاساس للنزاع العربي -**

● الرئيس القائد صدام حسين مع الرئيس الكوبي فيديل كاسترو
● الرئيس القائد صدام حسين مع الرئيس تيتو

# اننا نتطلع بثقة الى أن يكون مؤتمرنا السادس هذا خطوة نوعية اخرى في مسيرة

**( الاسرائيلى ) .**

**ب ـ ان القضية الفلسطينية ومشكلة الشرق الاوسط تشكلان وحدة كاملة سواء في طرحهما او في ايجاد حلول جزئية او مقتصرة على بعض اسباب النزاع للقضية الفلسطينية كما انه من المستحيل الوصول الى سلام يكون شاملا ويضم جميع الاطراف ويزيل اسباب النزاع ويجب ان يكون عادلا .**

**ج ـ يدين المؤتمر بشدة الاتفاقيات الجزئية والمعاهدات المنفردة التى تشكل خرقا فاضحا لحقوق الامة العربية والشعب الفلسطينى ، ومبادىء منظمة الوحدة الافريقية وميثاق الامم المتحدة ، ولجميع القرارات المتخذة في مختلف الاجتماعات الدولية حول القضية الفلسطينية والتي تحول امام امانى الشعب الفلسطينى في العودة الى ارضه وحقه في تقرير المصير وممارسة سيادته الكاملة على ارضه.**

**وبينما تعتبر اتفاقيات كامب ديفيد والمعاهدة المصرية ـ (( الاسرائيلية )) الموقعة في آذار 1979 اتفاقيات جزئية ومنفصلة تعني التخلي التام عن قضية الاقطار العربية وهي بمثابة مشاركة في تعزيز احتلال الاراضي العربية وانتهاك للحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى فان المؤتمر يدين اتفاقيتي كامب ديفيد والمعاهدة بين مصر و (اسرائيل) .**

**وفي هذا الاطار درس رؤساء الدول والحكومات المقترح بتعليق عضوية حكومة مصر في حركة عدم الانحياز لانتهاكها مبادىء الحركة وقراراتها ، وقرر المؤتمر تخويل مكتب التنسيق للعمل كلجنة خاصة لدراسة الاضرار التي لحقت بالاقطار العربية وخاصة الشعب العربي الفلسطيني جراء تصرف الحكومة المصرية بعد توقيع اتفاقيتي كامب ديفيد ومعاهدة السلام المصرية ( الاسرائيلية ) .وستقدم اللجنة الخاصة تقريرا حول هذه القضية الى الاجتماع الوزاري المقبل الذي سيعقد في نيودلهي لاتخاذ قرار يتعلق بمستقبل عضوية مصر في الحركة )) .**

ولان التصور البعثي لحركة عدم الانحياز ، مفهوما ، وسياسة ومضامين يتجلى بضرورة تعميق وحدتها الكفاحية وتطوير مضامينها التقدمية ، انطلاقا من ضرورات تأكيد (( دور الارادة الحرة )) لشعوب العالم الثالث في رفض كافة اشكال وانماط الهيمنة الاستعمارية واستغلال الشعوب والتمييز العنصري وكل الوان التسلط المقيت، ومن اجل سلام عادل وأمن دائم في العالم ..

فقد لعب العراق دورا بارزا في المؤتمر ، للوصول الى قرارات تؤكد ما شخصه الرئيس القائد في خطابه بمؤتمر القمة من ان حركة عدم الانحياز نشات في العصر الحديث (( تعبيرا عن حاجة اصيلة وقوية لدى شعوب العالم التي عانت فترات طويلة من السيطرة والتهديد الاستعماريين لحريتها ، وثرواتها ، وشخصيتها القومية ، وتراثها الثقافي القومي ، ومن شتى اشكال النهب والابتزاز الاستعماري ، فلقد كانت حركة عدم الانحياز تجسيدا لتطلع هذه الشعوب الى الاستقلال الكامل ، ولرغبتها في صيانة هذا الاستقلال من التاثيرات المتعددة ذات الطابع السياسي او الاقتصادي او الثقافي )) .

ومن ان المدى المستقبلي لهذه الحركة يتعمق في مجرى النضال اليومي والعادل في سياق حركة النهوض الكبير الذي حققته وتحققه البشرية التقدمية في عدائها التقليدي والمتصاعد للمعسكر الامبريالي وكل اعوانه وصنائعه ، ومن اجل تصفيته كليا وتصفية مصالحه الاقتصادية ونفوذه العسكري على الارض .

لذا فان ثورة السابع عشر ـ الثلاثين من تموز اسهمت من خلال وفدها العراقي بقيادة السيد الرئيس صدام حسين ، بتحرك مكثف وتنسيق عال ، قبل المؤتمر وابان انعقاده ، وقدمت المقترحات الكفيلة بتعزيز مكانة حركة (( عدم الانحياز )) في الحاضر والمستقبل ..

وكما اشار السيد الرئيس في خطابه :

**(( اننا نتطلع بثقة الى ان يكون مؤتمرنا السادس هذا خطوة نوعية اخرى في مسيرة حركتنا المناضلة وان نؤكد فيه ما نؤمن به من مبادىء ومانطمح اليه من الاهداف ، وان ننطلق بعده في نشاط واسع وفعال في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والاعلامية وغيرها من المجالات ، لتاكيد خصائص حركتنا ، وتعزيز دورها الدولي ، وتوثيق العلاقات بين دولنا )) .**

من هنا كانت موضوعة (( وحدة حركة عدم الانحياز )) شرطا حاسما لمواجهة تحديات القوى الامبريالية ، وتاكيد القيم النبيلة والمبادىء العظيمة التي تجسد نضالنا ، اساسا موضوعيا وقاعدة مبدئية ثابتة للتحرك الفعال في مضمار تعميق مضمون الحركة ، بقواها الصاعدة تاريخيا ، والمتقدمة بالنضال الانسانى المتواصل دوما الى امام .

لذلك فقد لعب وفدنا العراقي ، وهو الذي سيقود اعمال المؤتمر القادم ، دورا بارزا وملحوظا على كافة المستويات الدبلوماسية والسياسية ، والاصعدة الاخرى ، واستطاع ان يتميز بدقة مشاريع القرارات التي قدمها وصوابها ومعالجتها الموضوعية لجميع القضايا التي تهم بلدان حركة عدم الانحياز سواء على الصعيد الاقتصادي ام السياسي ام غيرها .

**ولقد شهد المؤتمر السادس انتصار الدبلوماسية العربية واثبتت الوفود العربية في المؤتمر فعالية قرارات مؤتمر القمة العربي في بغداد التي اكدت على ضرورة تنسيق المواقف في جميع المحافل الدولية ، وكذلك العمل على فضح سياسة حاكم مصر انور السادات والاتفاقيات الخيانية التي وقعها مع العدو الصهيونى باشراف الولايات المتحدة الامريكية . وقد تجسد ذلك في القرارات التي صدرت بادانة اتفاقيتي كامب ديفيد وسواها ، وبخاصة في البيان الختامي الذي اكد فيه المؤتمر ان السياسة العدوانية التي ينتهجها الكيان الصهيوني**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حركتنا المناضلة ، وأن نؤكد فيه ما نؤمن به من مبادئ وما نطمح اليه من أهداف .

صدام حسين

**تشكل احد اسباب التوتر في منطقة البحر المتوسط.**

**اذ صادق المؤتمر على قرارات مؤتمر القمة الخامس حول جعل منطقة البحر المتوسط منطقة سلام وتعاون ودعا الى تطبيق قرارات الامم المتحدة الخاصة بازالة اسباب التوتر في المنطقة .**

كما حيا المؤتمر ، في بيانه الختامي ، النصر الذي احرزه شعب ايران بعد سني الكفاح البطولي الطويلة على نظام من اشد النظم قسوة. واعرب عن ارتياحه لانسحاب ايران وباكستان من حلف ( السنتو ) . ورحب المؤتمر في بيانه الختامي بايقاف تزويد النظامين العنصريين الصهيوني وجنوب افريقيا بالنفط الايراني وقطع كل العلاقات معهما بما في ذلك العلاقات الدبلوماسية . كما رحب باعتراف ايران بكفاح الشعب العربي الفلسطيني وبمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي وحيد .

— كما دعت دول عدم الانحياز بلدان جنوب شرقي آسيا الى تسوية النزاعات والمشاكل المعلقة عن طريق التفاوض ، واعرب رؤساء الدول وحكومات عدم الانحياز في بيان مؤتمر قمتهم السادس عن الامل في ان تتجسد المطامح الحقيقية لبلدان المنطقة بالسلام والاستقرار وتسوية مشاكلها دون تدخل اجنبي ، وطبقا لمبادىء حركة عدم الانحياز .

— وعبر الرؤساء عن املهم في استمرار المشاورات بين دول المنطقة لجعل منطقة جنوب شرقي آسيا منطقة سلام حرة ومحايدة .

— واعرب رؤساء دول وحكومات بلدان عدم الانحياز عن تأييدهم الكامل لاعلان منطقة المحيط الهندي منطقة سلام والذي تبنته الجمعية العامة للامم المتحدة ، واكد المؤتمر تصميم اعضائه على تطبيق المبادىء والاهداف التي وردت في اعلان الامم المتحدة .

— وعبروا عن قلقهم تجاه استمرار التوسع في بناء القواعد والمنشآت العسكرية وخزن الاسلحة النووية واسلحة التدمير الشامل والوجود العسكري والاجنبي في منطقة المحيط الهندي .

— وندد المؤتمر بوجود قاعدتي « سيمونستاون وسلفومابن » العسكريتين في جنوب افريقيا ، وبالتعاون العسكري القائم بين نظام بريتوريا العنصري والكيان الصهيوني وبعض الدول الغربية في المنطقة .

— كما اكد مؤتمر القمة السادس لحركة عدم الانحياز التزام الدول الاعضاء في الحركة بمبدأ نزع السلاح العام والشامل وخاصة السلاح النووي . ولاحظ المؤتمر ان الاستمرار في سباق التسلح وخاصة بين الدول النووية ، يؤدي الى توتر العلاقات الدولية ويهدد السلام والامن في العالم .

— واشار المؤتمر الى الدور الايجابي والمتزايد الذي تلعبه الدول غير المنحازة في سبيل تحقيق نزع السلاح .

— وسجل مؤتمر القمة السادس لدول عدم الانحياز اهتمامه بان كوريا ما زالت منقسمة رغم تعطش شعبها الى توحيد بلده سلميا ، وان الوضع المتوتر ما فتيء يهدد السلم .

— ورفض المؤتمر في بيانه الختامي كل المحاولات الرامية الى تقسيم كوريا الى قسمين لانه امر يعاكس آمال الشعب الكوري. وابدى رؤساء الدول والحكومات ارتياحهم الى ان الشعب الكوري يواصل بذل جهوده لضمان استقلال بلاده وتوحيدها سلميا دون تدخل اجنبي طبقا لمبادىء الاستقلال والتوحيد السلمي في الوحدة الوطنية الكبرى التي نص عليها التصريح المشترك بين الشمال والجنوب في الرابع من تموز عام 1972 .

— كما اكدت دول عدم الانحياز على حق شعب تيمور الشرقية في تقرير المصير وفقا لقرارات الجمعية العامة للامم المتحدة ، كما ورحب المؤتمر بالجهود التي تبذلها الدول الاوربية لتقوية علاقاتها واقامة تعاون متساو مشترك ، ولاحظ المؤتمر ان التعاون المثمر والفعال الذي تحقق بين دول عدم الانحياز والدول الاوربية المحايدة سيساعد على تعزيز العلاقات بين الجانبين.

— واكد ان الوفاق والامن الاوربيين لا يمكن ان يستمرا بدون ان يشملا مناطق اخرى .

— كما قرر المؤتمر تشكيل لجنة خاصة من بين الدول الاعضاء في مكتب التنسيق لدراسة مستقبل عضوية كمبوديا على ان تقدم تقريرا بذلك الى المكتب في اول اجتماع تعقده .

— واعلن المؤتمر دعمه المطلق للجبهة الوطنية لتحرير زيمبابوي في كفاحها المسلح ضد حكومة ابيل موزوريوا غير الشرعية ورحب بانضمام الجبهة كعضو كامل في حركة عدم الانحياز .

— كما ادان المؤتمر ، في بيانه الختامي ، النظام العنصري في جنوب افريقيا لرفضه الانسحاب من اقليم ( ناميبيا ) وعدم استجابته للحقوق المشروعة لشعب ناميبيا في الاستقلال والسيادة ..

■

**وهكذا تنتهي ولا تنتهي اعمال قمة عدم الانحياز السادسة . ليس لانها ليست مشروطة بايام المؤتمر ، كتحرك ، بل ولانها حركة ذات امتداد جذري ونوعي ودائم في الحاضر والمستقبل ..**

**ولانها تزداد هيبة وقوة وتعاظما ، كلما حققت من نتائج باهرة على مستوى تحقيق الاهداف وتطبيق المبادىء ، وتحويل القرارات الى مواد تطبيقية في الحياة والواقع ، فان حركة عدم الانحياز بحجمها النوعي الجديد ، وبزيادة هذا الحجم والدور المتنامي لها ، ستستقبل قمتها السابعة في بغداد عام 1982 بحماسة متجددة ، وبانتصارات كبرى فالحق والعدل دائما مع الشعوب ومع ارادتها الحرة .. كما اكد الرئيس القائد صدام حسين.**

**« آفاق عربية »**

●

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# خطاب الرئيس القائد صدام حسين في مؤتمر القمة السادس لدول عدم الانحياز

# هي الخط المركزي لمضمون سياسة عدم الانحياز

السيد الرئيس :
ايها السادة :

يسعدني بأسم وفد الجمهورية العراقية ان اقدم اخلص التهاني للرئيس فيدل كاسترو ، رئيس مجلس الدولة في جمهورية كوبا الصديقة ،لانتخابه رئيسا لمؤتمرنا ، وان احيي شعب كوبا المناضل، الذي يكن له شعبنا المحبة والتقدير ، وان اشكره على حسن ضيافته لهذا المؤتمر الكبير ،، واغتنم هذه المناسبة للاعراب عن اعتزازنا البالغ بعلاقات الصداقة والتعاون القائمة بين العراق وكوبا ،، هذه العلاقات التي بنيت على اساس المبادىء المشتركة في الحرية والاستقلال والتقدم ،، وعلى اساس مبادىء حركتنا المناضلة ،،حركة عدم الانحياز .

وان عقد اجتماعنا الحالي في هافانا ، يعبر عن تقدير شعوبنا وحركتنا للدور الايجابي الذي تؤديه كوبا في حركة عدم الانحياز ،كما يعبر عن التقدير للنضال الباسل الذي خاضه الشعب الكوبي ضد الاستعمار من اجل صيانة حريته واستقلاله. كما ان عقد الاجتماع في كوبا يكتسب اهمية مضافة ،لانه اول مؤتمر يعقد في قارة امريكا اللاتينية ، هذه القارة التي تمتلك تاريخا طويلا وحافلا في النضال ضد الاستعمار بكافه اشكاله واساليبه ، وفي الدفاع عن الاستقلال الوطني والكرامة الوطنية لشعوبها .

وبهذه المناسبة اود ان اعبر عن الترحيب البالغ بالاعضاء الجدد الذين انتموا الى حركتنا المناضلة وهم الباكستان وايران وغرانادا وسورينام وبوليفيا ونيكاراغوا والجبهة الوطنية ونتطلع بثقة الى مشاركتهم الفعالة في هذه الحركة ،،والعمل المشترك معنا لصيانة واحترام مبادئها المركزية ،،وان هذا الازدياد المطرد في عضوية الحركة يعتبر مظهرا من مظاهر قوتها ، ودليلا على الشعور المتنامي لدى شعوب الارض بالحاجة اليها.

## عدم الانحياز .. وتجسيد تطلعات الشعوب

ايها الاصدقاء :

لقد نشات حركة عدم الانحياز في العصر الحديث تعبيرا عن حاجة اصيلة وقوية لدى شعوب العالم التي عانت فترات طويلة من السيطرة والتهديد الاستعماريين لحريتها ،وثرواتها ، وشخصيتها القومية ، وتراثها الثقافي القومي ،، ومن شتى اشكال النهب والابتزاز الاستعماري،،فلقد كانت حركة عدم الانحياز تجسيدا لتطلع هذه الشعوب الى الاستقلال الكامل ، ولرغبتها في صيانة هذا الاستقلال من التاثيرات المتعددة ذات الطابع السياسي او الاقتصادي او الثقافي ،، كما كانت تعبيرا عن رغبة هذه الشعوب في اقامة رابطة من العلاقات النزيهة والمتكافئة فيما بينها وفي كافة الحقول ، وللاسهام الفعال والايجابي في الحياة الدولية ، بما يضمن الحق والعدل ويحقق السلام والاستقرار ولمواجهة التكتلات الدولية ذات الامكانات العسكرية والاقتصادية والاعلامية الكبيرة وذات الاتجاهات الخطرة والمنحرفة في نظرتها الى استقلال الشعوب وحريتها ، والتي تحجب الدور المشروع لكثير من شعوب العالم بسبب افتقار هذه الشعوب الى الامكانيات ذات الحجم الكبير،لا لانها لا تمتلك المؤهلات الطبيعية لها ، ولكن لانها تعرضت للسيطرة والابتزاز الاستعماريين لفترة طويلة من الزمن بما انعكس بالضعف على قدراتها وطاقاتها .

وقد تعرضت حركة عدم الانحياز الى اشكال متعددة من الاخطار والتهديدات من قبل الدول الاستعمارية عبر الحقب الماضية ولكن ارادة الشعوب المتحررة كانت من القوة بحيث استطاعت ان تثبت اركان حركة عدم الانحياز ، وتجعلها حقيقة واقعة في الحياة الدولية لا يمكن ضربها ، ولا يمكن تجاهلها ،وان تؤكد رفض اغلبية شعوب الارض تقسيم العالم الى مراكز محددة للقوى ، لا خيار لهذه الشعوب سوى الانحياز الى اي منها بغض النظر عن توافق او عدم توافق مصالحها الوطنية مع هذا الموقف .

## الصفات الجوهرية لعدم الانحياز

لقد حرصت الغالبية العظمى من شعوب البلدان المتحررة طيلة الحقب الماضية على ان تؤكد المضمون المعادي للامبريالية والتبعية والتسلط لحركة عدم الانحياز وتجعل هذا المضمون الخط المركزي في سياسة عدم الانحياز ، كما حرصت على تاكيد محتواها التقدمي المناهض لكل اشكال الاضطهاد والاستغلال والعدوان والتمييز العنصري .

ان هذه الصفات من الاركان الجوهرية بالنسبة لحركتنا ، لان شعوبنا انما اختارت هذا الطريق في الحياة الدولية انطلاقا من كونها شعوبا عانت طويلا من الظلم والعدوان والتمييز العرقي ، ومن الاستغلال والابتزاز ، لذلك فان التاكيد المستمر على المضمون المعادي للامبريالية والتبعية والتسلط وعلى المضمون التقدمي لحركتنا ، ليس اجتهادا من الاجتهادات ، وانما نعتبره ركنا اساسيا من اركان الحركة ، واجبنا ان نحرص عليه ، لان فيه حماية للمكتسبات التحررية والتقدمية والانسانية التي حققتها شعوبنا عبر النضال الطويل ، والتضحيات الجسيمة .

ان العراق ، اذ يؤكد هذه المبادىء والاسس لحركة عدم الانحياز ، انما ينطلق من حاجة عميقة لهذه المبادىء ، ومن تجربة وطنية وقومية طويلة بهذا الاتجاه ، ففي غياب هذه المبادىء او الاسس، او عندما تصاب بالضعف تتعرض بلادنا ،، ووطننا العربي الى تهديدات جدية وخطيرة ، تنال من استقلالنا ، ومن حقوقنا ومصالحنا الوطنية والقومية .

## حركة عدم الانحياز سند قوي لنضالنا

ان النضال العادل الذي تخوضه الامة العربية ضد العدوان الصهيوني يجد له السند القوي في حركة عدم الانحياز ، وفي اهدافها التحررية والتقدمية المناهضة للامبريالية والعنصرية ،التي تعتبر الصهيونية وكيانها

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# العراق يؤكد الضرورة القصوى لازالة كل أنواع الاستغلال والتمييز على الصعيد

في فلسطين المحتلة من اخطر بؤرها العدوانية في العالم ،، كما ان نضال الاقطار العربية من اجل الحفاظ على استقلالها ،،وعلى ارادتها الحرة في التصرف بثرواتها الطبيعية على اساس عادل ومتوازن يتعرض الى التهديد من قبل القوى الاستعمارية والتكتلات الدولية ،، وان السند الاساس لهذا النضال ، في تقديرنا ، بالاضافة الى الارادة الذاتية ، هو في التأكيد العميق على المبادىء الاساسية لحركة عدم الانحياز ، وعلى دورها العالمي الفعال في الميادين السياسية والاقتصادية وغيرها من الميادين المهمة ·

هذا ، ايها السادة ، ما نلمسه من خلال مبادئنا ،، ومن خلال تجربتنا الوطنية والقومية ، ومن خلال مصالحنا العادلة والمشروعة ،، لذلك فان العراق ، كان ، وسيبقى حريصا اشد الحرص على حركة عدم الانحياز ،، وعلى تأكيد خصائصها التحررية والتقدمية والانسانية الاصيلة ، كما انه كان وسيبقى ، يبذل كل المجهودات، ويقدم كل التضحيات المطلوبة من أجل صيانة حركتنا ، وتطوير فاعليتها ، ونشر مبادئها الانسانية العظيمة ·

## بغية الانطلاق في نشاط واسع وفعال

**ايها الاصدقاء :**

اننا نتطلع بثقة الى ان يكون مؤتمرنا السادس هذا ، خطوة نوعية اخرى في مسيرة حركتنا المناضلة ،، وان نؤكد فيه ما نؤمن به من المبادىء وما نطمح اليه من الاهداف ،، وان ننطلق بعده في نشاط واسع وفعال في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والاعلامية وغيرها من المجالات ، لتأكيد خصائص حركتنا ، وتعزيز دورها الدولي ، وتوثيق العلاقات بين دولنا ·

ان الاوساط المعادية لحركتنا، تشكك في قدرتنا على انجاز هذه المهمات ، بسبب كثرة عدد البلدان المنضمة الى الحركة ، وتنوع خصائصها ،واتساع المسافات فيما بينها ، وبسبب الخلافات والنزاعات التي تقوم بين البعض منها ،، اننا مع فهمنا لهذه الظروف ،نجد ان امامنا آفاقا واسعة وجدية للعمل الفعال والنشيط ،،واننا نعتقد بان الجهود النشيطة التي نبذلها في هذا المجال ، والتضحيات التي تترتب علينا بسببها لن تذهب سدى ،، اذ لابد لكي نعزز استقلالنا ، ونطور دور بلداننا ، وحركتنا على الصعيد الدولي من النشاط ومن التضحيات ، حتى ولو لم يأت ذلك بنتائج سريعة ، اذ لا يمكن دائما الوصول الى نتائج او منافع سريعة وبخاصة في ميدان حفظ الاستقلال وتعزيز السيادة · ان مسؤوليتنا تتطلب منا عملا على اساس برنامج طويل الامد ، وعلى هذا الاساس يمكن لنا ان نصل الى اهدافنا ، ونحقق ما نطمح اليه من نتائج ومنافع ضمن المجرى الطويل والمثابر لنشاطنا ومجهوداتنا ·

## العراق يطرح اقتراحا محددا ··

وبهذه المناسبة فان وفد الجمهورية العراقية سيقدم الى مؤتمركم الجليل ،اقتراحا محددا ، يرمي الى انشاء فريق عمل ، مهمته تثبيت مبادىء حركة عدم الانحياز واهدافها ، وتقديم توصيات ترمي الى تطوير طرق العمل والوسائل الخاصة لمؤتمرات الحركة تحقيقا لفاعليتها اكثر فاكثر ،ونرجو ان يحظى هذا الاقتراح بموافقة المؤتمر ·

**السيد الرئيس**

**ايها السادة :**

ان المشكلات ، والعلاقات الاقتصادية تحتل موقعا مهما في نضال شعوبنا من اجل الحرية والتقدم ، واستحصال الحقوق والمصالح المشروعة · وبالرغم من الجهود الصادقة والمضنية التي بذلتها دول عدم الانحياز والدول النامية الاخرى في المحافل الدولية المختلفة ، من اجل احداث تغييرات جذرية في هيكل العلاقات الاقتصادية ، من خلال المفاوضات مع مجموعة الدول الصناعية المتقدمة ،، من اجل اقامة نظام اقتصادي عادل في العالم ، بالرغم من ذلك ، فان المفاوضات لم تصل الى نتائج ايجابية ،لان البلدان الصناعية الكبيرة تفتقر الى الرغبة وربما الى الارادة السياسية لتحقيق مثل هذه التغييرات ، والوصول الى نظام اقتصادي عالمي عادل ·

ان العراق يؤكد الضرورة القصوى لازالة كل انواع الاستغلال او التمييز على الصعيد الاقتصادي ، ويدعو الى العمل الحثيث من اجل الوصول الى النظام الاقتصادي العادل ،، وهو يؤكد ضرورة تعزيز دور حركة عدم الانحياز في قيادة الدول النامية في المفاوضات والمجهودات الاقتصادية الدولية الرامية الى تحقيق هذا الهدف · كما ان العراق يؤمن ايمانا عميقا وحاسما بحق الشعوب في السيطرة الكاملة والفعالة على ثرواتها الطبيعية ، بما في ذلك حقها في تأميم هذه الثروات واستثمار مواردها لصالح التنمية المستقلة لشعوبها ، وانهاء سيطرة الشركات متعددة الجنسية ، التي تمثل الاستعمار الجديد في عملية نهب ثروات الدول النامية ،، وهذا ما فعله العراق بنفسه عندما أقدم على تأميم كامل ثروته التي كانت نهبا للشركات والدول الاستعمارية وفي مقدمة الثروة التي أممها العراق ثروته النفطية ·

## من اجل قوة فعلية لمواجهة الاحتكارات

كما يدعو العراق الى انشاء الاتحادات النوعية وجمعيات منتجي المواد الاولية للدول النامية وتقوية الموجود منها ، وذلك لغرض مواجهة الاحتكارات التابعة للدول الصناعية المتقدمة ، وايجاد قوة فعلية مترافقة مع الارادة السياسية لمواجهة تلك الاحتكارات ،، ويؤمن العراق بضرورة حصول الدول النامية على عائدات عادلة ومجزية لصادراتها من المواد الاولية ،والعمل على المحافظة على القوة الشرائية لهذه العائدات، وتحسينها عن طريق ايجاد الوسائل الفعالة لايقاف تدهور شروط التبادل التجاري مع الدول النامية ·

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# الاقتصادي ويدعو الى العمل الحثيث من اجل الوصول الى النظام الاقتصادي العادل

كما يدعو العراق الى ايجاد الوسائل الفعالة لمكافحة آثار التضخم المصدر الى الدول النامية من قبل الدول الصناعية المتقدمة ، والذي يعتبر من أهم الاسباب التي تؤثر على اقتصاديات الدول النامية تأثيرا سلبيا ، وتعرقل عملية التنمية الاقتصادية فيها ، حيث تبلغ الخسائر التي تصيبها جراء ذلك اضعاف ما يعطى لها من مساعدات . ولمعالجة جانب مهم من هذه المسألة ، فقد اقترح العراق انشاء صندوق عالمي طويل الامد لمساعدة الاقطار النامية ضد آثار التضخم ، على اساس أن تقوم الدول الصناعية المتقدمة ، بغض النظر عن طبيعة نظمها السياسية والاقتصادية ، بالمساهمة في هذا الصندوق بمقدار التضخم السنوي الذي تصدره الى الدول النامية ، كما تساهم فيه الدول النامية المصدرة للنفط . ان هذا المشروع العملي في رأينا ، كفيل ، في حالة تطبيقه ، بحل جانب مهم وأساس من هذه الحالة الجائرة في العلاقات الاقتصادية التي تربط اقتصاديات الدول الصناعية المتقدمة باقتصاديات الدول النامية ، ويشكل ركنا اساسيا في تحقيق النظام الاقتصادي الدولي الجديد .

ان العراق يدعو دول حركة عدم الانحياز الى تبني ومساندة الصيغ العملية لاخراج هذا المقترح الى حيز التنفيذ .

وان حكومة الجمهورية العراقية ادراكا منها لحقيقة الاوضاع الاقتصادية التي تمر بها البلدان النامية الفقيرة ، وتقديراً للعلاقات المصيرية التي تربط العراق بدول العالم الثالث ، قررت تعويض الدول النامية الفقيرة التي ترتبط حاليا مع العراق بعقود نفطية مباشرة عن أية علاوات تضاف الى الاسعار الرسمية للنفط العراقي ، من ١-٦-١٩٧٩ ، والى نهاية هذا العام ، وذلك بواسطة تقديم قروض طويلة الاجل ، وبدون فوائد الى هذه الاقطار، تعادل مبلغ العلاوات التي تضاف الى اسعار النفط وعلى أمل الوصول الى بداية حل جدي وعادل لهذا الموضوع

## الحقيقة الاكيدة

السيد الرئيس :

اننا نحذر من المحاولات والدعايات التي تقوم بها الدول الصناعية المتقدمة والاوساط الاستعمارية والاحتكارية ، لشق وحدة صف الدول النامية ، واشاعة التفسير المزور لظاهرة عدم التوازن في العلاقات الاقتصادية الدولية عن طريق القول بأن بعض الدول النامية ، هو المسؤول عن الاضرار الاقتصادية التي تلحق بالبعض الاخر منها . ان الحقيقة الاكيدة هي ان الغالبية العظمى من المشكلات والازمات الاقتصادية العالمية والاضرار التي تلحق باقتصاديات الدول النامية ، تتحمل مسؤوليتها الدول الصناعية المتقدمة ، والاوساط الاحتكارية والاستعمارية .

اننا نؤمن بأن مسألة الطاقة هي من المسائل الاساسية في الحياة الدولية ، وان اي نظام اقتصادي عالمي جديد يقوم على العدل ، لابد أن يتناولها بالتنظيم ، ولكن علينا ان نؤكد بأن قضية الطاقة ليست هي القضية الوحيدة ،، فالأمر الصحيح هو اعتبارها واحدة من القضايا الاقتصادية الكبيرة ، التي يجب ان تبحث في اطار السعي لاقامة نظام اقتصادي عالمي جديد ، يقوم على أسس العدل .. وهذا مانرى ان يبحث في اطار حوار الشمال والجنوب ، وفي اطار الامم المتحدة وفي اجتماعات حركة عدم الانحياز وبصورة شمولية . كذلك فان مسألة الطاقة لا ينبغي ان ينظر لها نظرة احادية بقدر صلتها بالدول المصدرة وانما ينبغي النظر اليها على اساس مايتوجب ان تتحمله الدول الصناعية المستهلكة من تنظيم استهلاكها وتنويع مصادر الطاقة لتلبية احتياجاتها وان تكون احتياجاتها محسوبة على اساس نظرة شمولية لحاجة الانسانية وليس على اساس تمتع الدول الصناعية بما ترغب به بغض النظر عن حاجة العالم الى الطاقة وما يلحق به من اضرار من الاستهلاك غير المنظم .

ان الدول الاستعمارية التي اعتادت على نهب ثروات الشعوب بأسعار بخسة تصور لشعوبها بأن ازماتها الاقتصادية الداخلية ناتجة عن موقف البلدان المصدرة للخامات والمصادر الاولية للطاقة ، وهي بذلك ، تزور الحقيقة ،، لكي تبرر استخدام الوسائل العدوانية ضد شعوب العالم التي تتصرف بثرواتها تصرفا حرا ، اننا نقول للدول الاستعمارية وللشركات الاحتكارية ، ان التهديدات التي تطلق من قبل الاوساط الاستعمارية باحتلال منابع النفط لا يمكن ان تنال من عزيمتنا في النضال من اجل تاكيد واستحصال حقوقنا المشروعة ،، وان على هذه الدول والاوساط ان تفهم بان عصر القرصنة الاستعمارية قد ولى الى الابد ،، وان الشعوب قادرة على الدفاع عن سيادتها دفاعا بطوليا ،، ولن تسمح ، في حالة تعرضها للعدوان ، بأن تعيش هي تحت ظل الحراب الاستعمارية والفقر والجوع ، بينما ينعم الاخرون ، بدون حق ، بالرفاهية والازدهار .

## ضرورة ترسيخ التعاون وتنفيذ القرارات

السيد الرئيس :

ايها الاصدقاء

لقد اعتمد مؤتمر قمة كولومبو برنامج عمل للتعاون الاقتصادي بين دول الحركة ، الا اننا نلاحظ ان العديد من القرارات التي اتخذت في هذا البرنامج بقيت دون تنفيذ اننا نعتقد بأن المشاركة الفعالة والجدية لدول الحركة في الاجتماعات التي تبحث المواضيع المتخصصة في برامج العمل المتعددة ، ومساهمتها في التوصل الى الصيغ العملية في ترسيخ التعاون الاقتصادي فيما بينها، تعتبر عاملا مهما في تحقيق وتنفيذ القرارات المتخذة .

وفي هذا الصدد ، نود ان نشير باعتزاز الى استضافة العراق لمؤتمر دور المرأة في التنمية لدول عدم الانحياز والدول النامية الاخرى ، الذي انعقد في بغداد خلال الفترة ٦-١٣ مايس ١٩٧٩ .

ان هذا المؤتمر استطاع ، نتيجة للجهود المشتركة

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

# العراق يؤمن ايماناً عميقاً وحاسماً بحق الشعوب في السيطرة الكاملة والفعالة على

للمشاركين فيه ، ان يحقق نجاحا كبيرا في اتخاذه للعديد من القرارات التي تتناول تعزيز دور المرأة في التنمية ٠

## اسناد نضال شعوب القارة الافريقية

**السيد الرئيس ٠٠ ايها السادة :**

ان الانتصارات العديدة التي حققتها شعوب الارض من اجل الحرية والاستقلال ،كانت علامة بارزة من علامات عصرنا الراهن ، ولكن ما تزال هنالك شعوب عديدة تناضل من أجل الحرية والاستقلال ،، وتناضل للتخلص من نير التميز العنصري ٠ ان شعبنا في العراق يتابع باهتمام وتضامن النضال الذي تخوضه شعوب عديدة في افريقيا ضد الاستعمار والعنصرية ،، ومن البديهي القول أن القوى الاستعمارية والعنصرية التي تهدد حرية وكرامة الشعوب الافريقية هي السند والحليف للعنصرية الصهيونية التي تهدد حرية وحقوق الشعب العربي والتي تتحمل مسؤولية تشريد الشعب العربي الفلسطيني من أرضه ٠

ان العراق قدم ، وسيظل يقدم ، كل انواع الاسناد المادي والمعنوي لشعوب القارة الافريقيه وشعوب امريكا اللاتينية المناضلة من اجل الحرية والاستقلال ،، كما أن العراق يؤيد بقوة نضال شعب زيمبابوي من اجل الحصول على كامل حقوقه المشروعة تحت قيادة الجبهة الوطنية ٠ كما يؤيد نضال شعب ناميبيا من اجل الاستقلال التام والناجز الذي تحول دونه حتى الآن القاعدة العنصرية في جنوب افريقيا ٠

اننا نساند نضال هذا الشعب بقيادة منظمة جنوب غربي افريقيا ( سوابو ) ،ونستنكر العدوان المستمر على شعوب ودول خط المواجهة في افريقيا ، التي تقف في الصف الاول لاسناد حركات التحرر ضد الاستعمار والانظمة العنصرية ،، وندعو الى اسناد مواقف هذه الدول ، لان نضالها يعتبر من الواجبات الرئيسية لحركة عدم الانحياز ، ولانه يعبر عن حقيقة مبادىء عدم الانحياز في الحرية والمساواة بين الشعوب ٠

## تواطؤ النظام المصري مع الكيان الصهيوني والامبريالية الامريكية

**ايها السادة :**

ان نضال الامة العربية من اجل الحرية والاستقلال ، ومواجهة العدوان الاستعماري والصهيوني ، كان دائما في مقدمة القضايا الاساسية التي لقيت التاييد والاسناد من بلدان عدم الانحياز وحركتها المناضلة عبر الحقب الماضية ٠

وكان هذا التاييد والاسناد عاملا اساسيا في تمكين الامة العربية من التصدي للعدوان الاستعماري الصهيوني عليها ، وكانت قضية النضال العادل للشعب العربي الفلسطيني ، من الاهتمامات المركزية لحركتنا ، وقد لقيت التفهم والاسناد الفعال من قبل بلدان الحركة ومؤتمراتها وهيئاتها ٠

وكانت المناقشات والقرارات التي تتخذها الحركة بهذا الخصوص ، مؤشرا واضحا للمناقشات والقرارات التي تجري في الجمعية العامة ،وغيرها من المنظمات والمحافل الدولية ٠

اننا ، ايها الاخوة ،نواجه اليوم موقفا معقدا وخطيرا ، فلقد كان ممثلو الاقطار العربية جميعا ، ياتون في اغلب الاحيان ، الى مؤتمرات الحركة واجتماعاتها بموقف موحد ،طالبين من اخوانهم فيها نصرة قضية الشعب العربي الفلسطيني ، ومواجهة الاحتلال الصهيوني للاراضي العربية ،،وكنا نلقى منكم جميعا اسنادا وتفهما على مستوى عميق وفعال ،، غير اننا اليوم ، نشعر بالاسى . لاننا مضطرون لان نشغل مؤتمركم هذا بالحديث عن خلاف جوهري، بسبب الموقف الذي اتخذته الحكومة المصرية من حقوق الشعب العربي الفلسطيني ،، ومن الاحتلال الصهيوني للاراضي العربية بوجه عام ، فبدلا من ان توحد الحكومة المصرية جهودها مع جهود الاسرة العربية ضد الاحتلال والعدوان الصهيوني ، وفي نصرة نضال الشعب العربي الفلسطيني ، عمدت هذه الحكومة الى التواطؤ مع الكيان الصهيوني ،والامبريالية الامريكية وعقدت اتفاقية للصلح ، رفضتها الغالبية العظمى من الدول العربية كما رفضها الشعب العربي وقواه الوطنية ، واعتبرتها منافية للمصالح الاساسية للامة العربية وتهديدا خطيرا للحقوق التاريخية للشعب العربي الفلسطيني ٠ لقد اتخذ مؤتمر القمة العربي الذي انعقد في بغداد في عام ١٩٧٨ ، والذي مثل الغالبية الساحقة للاقطار العربية ، قرارات واضحة برفض وادانة اتفاقيات كامب ديفيد ،، ثم اتخذ ممثلو هذه الدول في اجتماعهم الذي عقد في بغداد على مستوى وزراء الخارجية والاقتصاد قرارات عادلة بأدانة الحكومة المصرية ، لتوقيعها معاهدة الصلح ،، كما اتخذوا اجراءات ضدها ، من اهمها تعليق عضويتها في الجامعة العربية ٠

## من اجل نصرة المبادىء ، وصيانة الحقوق

اننا ، اذ نعرض هذه المسالة امامكم ، نؤكد بصدق وأخلاص ، انها ليست مسالة خلاف بين مجموعة واخرى من البلدان العربيه ،، فلايجوز ان تعامل المسالة على هذا الاساس ، انها مسالة مبادىء ،، ومسالة حقوق ، لذلك ، فاننا ندعو مؤتمركم الى اتخاذ موقف ينصر المبادىء ، ويصون الحق ، وليس موقفا لصالح مجموعة ضد مجموعة اخرى ٠٠٠ وانما هو موقف من شانه ان يؤكد المبادىء الاساسية والجوهرية لعدم الانحياز وينتصر للحق ولايسكت على الباطل والظلم ٠

اننا ، عندما نطالب مؤتمركم بالوقوف ضد تدابير الحكومة المصرية وعدم الاعتراف بهذه التدابير الجائرة ومعاقبة هذه الحكومة ادبيا وفعليا على التواطؤ الذي قامت به ضد الاسرة العربية ،فاننا في هذا لا نقف موقفا معاديا لمصر ،، فمصر كقطر عربي ، تحتل موقعا عزيزا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثرواتها الطبيعية بما في ذلك حقها في تأميم هذه الثروات.

بالنسبة للامة العربية ،، ولكننا مضطرون لهذه الدعوة لكي نمنع تفشي اتجاهات التواطؤ والخيانة ضد مصالح الشعوب وحقوقها الاساسية والخرق الفاضح لمبادىء التضامن القومي العادل وخرق جوهر مبادىء التضامن لعدم الانحياز ،، ان سكوتنا على ما قامت به الحكومة المصرية ، يعني السكوت على اي تصرف قد تقوم به اية دولة ضد مصالح الشعوب المناضلة في حركتنا ، وحقوقها المشروعة ،، فكيف نتصور عند ذلك مستقبل حركتنا في مثل هذه الحالة ؟..

ان كل المبادىء التي ناضلنا من اجلها ، وكل القيم التي حرصنا على احترامها وتاكيدها ستصاب بضربة في الصميم .

ان الحكومة المصرية قد أهدرت بشكل علني ، حقوق الشعب العربي الفلسطيني لصالح الكيان الصهيوني، وهي تتفاوض مع هذا الكيان على مستقبل شعب فلسطين وأرض فلسطين ، دون ان يكون لها أي حق في ذلك ،، فالشعب الفلسطيني تمثله منظمة التحرير الفلسطينية التي اعترفتم جميعا بشرعية تمثيلها له ،، فهل يجوز لنا ان نسكت على هذا التزوير ،، وهذا العدوان ؟

انها ، ايها الاخوة ، مسالة مبدأ ، وهي كما قلت تشكل بادرة خطيرة ، اذا سكتنا عنها ، فعلينا ان نتوقع انتشار مثل هذا الموقف في حركتنا ، وعلى الصعيد الدولي.

## اتفاقية كامب ديفيد مؤامرة دولية خطيرة

ان اتفاقية كامب ديفيد وما تمخضت عنها من اتفاقيات بين الحكومة المصرية والكيان الصهيوني المعتدى على الامة العربية ، وبمساعدة واشراف الامبريالية الامريكية ، تشكل محاولة خطيرة جدا لالغاء حقوق الشعب العربي الفلسطيني في أرضه ووطنه ، كما تشكل تهديدا استعماريا خطيرا للوطن العربي كله ،، بالاضافة الى ما تشكله من تهديد خطير للسلام في منطقتنا ،، وان كل الادعاءات بانها خطوة على طريق السلام، انما هي ادعاءات باطلة ،، وخير دليل على ذلك ان التوتر قد ازداد بعد هذه الاتفاقية ، وان الكيان الصهيوني قد صعد من عملياته العدوانية ضد البلدان العربية المجاورة .. وازدادت غطرسته وبخاصة في جنوب لبنان ، حيث يتعرض هذا الجزء من الوطن العربي ،، كما يتعرض ابناء الشعب العربي الفلسطيني الى التدمير والافناء من قبل القوات الصهيونية الغازية .

ان المغزى الحقيقي لاتفاقيتي كامب ديفيد ومعاهدة الصلح المنفردة هو تقوية الكيان الصهيوني العنصري العدواني، وترسيخ احتلاله ، وتمكينه من جني ثمار عدوانه ، وفتح الابواب واسعة امام الامبريالية الامريكية لبسط نفوذها واستغلالها للمنطقة العربية ،، وان هذا لن يؤدي الا الى تصاعد مستمر في التوتر ، وتصعيد في الصراع في هذه المنطقة الستراتيجية ، مما ينعكس بآثار سلبية خطيرة جدا على أمن العالم ، وسلامه ، ورفاهيته ، خاصة مع تصاعد مظاهر سياسة الابتزاز النووي التي يمارسها الكيان الصهيوني باساليب معروفة ومكشوفة للجميع .

## الاتفاقات الخيانية ، خرق لمبادئ عدم الانحياز

ان الاتفاقيات التي عقدت بين مصر والكيان الصهيوني ، قد خرقت مبادىء حركة عدم الانحياز وقراراتها .

لقد ساندت حركة نضال الشعب الفلسطيني ، وادانت الكيان الصهيوني العنصري ، والمؤامرات الامبريالية ضد هذا النضال ، وأتت اتفاقيتا كامب ديفيد والاتفاقات الاخرى اللاحقة لتطعن هذا النضال ، وتزكي الكيان الصهيوني وتثبت الوجود الامبريالي في قلب الوطن العربي .

لقد أدانت حركة عدم الانحياز السياسة الصهيونية وطبيعتها العنصرية العدوانية التوسعية ، وأتت اتفاقيتا كامب ديفيد والاتفاقات الخيانية الاخرى لتنسف كل هذا ، وتشوه هذه القرارات ، وتبارك الصهيونية ، وتضفي الشرعية على اعمالها الاجرامية .

ان غض النظر عما جرى ، والتسامح عن كل هذا لن يخدم الحركة باي حال من الاحوال ، بل من شانه توجيه طعنة كبيرة الى الحركة وقراراتها ومؤتمراتها . ان الشعوب تتطلع الى مؤتمر القمة هذا كعامل فعال في نصرة نضالها ، وسلاح اساس في معركة التصدي للاستعمار والعنصرية وحلفائهما ، ونامل ان تتجاوب الحركة مع هذه الآمال المشروعة .

اننا عندما نطالب بأدانة اتفاقيتي كامب ديفيد والاتفاقات المنبثقة عنها وعندما نطالب بمعاقبة النظام المصري ، لا نطلب ذلك من اجل الانتقام والعقاب ، ولكن من اجل فضح التواطؤ والخيانة وتزوير الحقائق . اننا نطالب بالادانة من اجل العودة للطريق السليم في معالجة هذه المشكلة ، هذا الطريق الذي سبق ورسمته القرارات العديدة لحركة عدم الانحياز في أسناد النضال العادل للشعب الفلسطيني وحقوقه الثابتة ، وفي رفض وادانة السياسات العنصرية والامبريالية التي تحاول فرضها الولايات المتحدة الامريكية والكيان الصهيوني ، والنظام المصري .

## الثقة والايمان بالمستقبل

**السيد الرئيس ، ايها السادة الاصدقاء**

وفي ختام كلمتي ، أود ان اجدد الشكر والتقدير لسيادتكم ، كما أشكر السادة الحاضرين على حسن استماعهم ،، وأؤكد الثقة والايمان بمستقبل حركتنا المناضلة ، والآفاق الواسعة التي تنتظر شعوبنا تحت ظلها ،، وانني اذ اكرر الشكر للشعب الكوبي الصديق وحكومته على استضافة مؤتمرنا هذا ، في مدينة هافانا الجميلة يسعدني باسم شعب وحكومة الجمهورية العراقية ان تكون عاصمتنا التاريخية **بغداد على موعد** لتحمل شرف استضافتكم في اللقاء القادم لمؤتمرنا ،، وستكون مناسبة سعيدة لشعبنا ، لكي يؤكد ايمانه العميق بحركة عدم الانحياز ، وحبه لكل الشعوب المناضلة المنضوية تحت لوائها ، واستعداده اللامحدود لنصرتها في نضالها العادل ، من اجل الحرية والاستقلال والتقدم .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# بنو كعب ودورهم في الخليج العربي

## في القرن الثامن عشر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تقارير شركة الهند الشرقية الانكليزية عن نشاط بني كعب في الخليج العربي وأسرهم للسفن الانكليزية

● / د. علاء موسى كاظم نورس

**ان اهم ما يميز تاريخ الخليج العربي في القرن الثامن عشر ، ظهور تشكيلات سياسية عربية مستقرة على السواحل الغربية والشرقية من الخليج ، ذلك ان انهيار النفوذ البرتغالي في الخليج العربي اتاح المجال للقوى العربية لكي تؤكد لنفسها زعامة المنطقة .**

ومن ابرز هذه القوى التي لعبت دورا بارزا في ميدان السياسة والتجارة في الخليج العربي ، بنو كعب الذين يرجعون باصولهم الى نجد ولكنهم توجهوا في السنوات الاخيرة من القرن السابع عشر الى اقصى بقعة تقع في شمال الخليج العربي، واستقروا في الجزء الجنوبي الغربي من حوض نهر كارون(1) ، في محل يعرف ب ( قوبان )(2) ، وهي اكبر مواطنهم الاولى التي كانت تابعة للبصرة في ذلك الوقت . وبلغت قوتهم شأنا عظيما في منتصف القرن الثامن عشر ، اذ اصبحوا قوة يعتد بها في شرق شط العرب وغربه .

وكان قد تولى زعامتهم حوالي سنة 1737 م ، الشيخ سلمان الذي امتاز بكونه قائدا محنكا ذا فكر ثاقب ، امتدت شهرته الى البلاد الاوربية نتيجة لصراعه مع الانكليز ، واستيلاء الاسطول الكعبي على بعض سفن شركة الهند الشرقية الانكليزية. وقد استفاد الشيخ سلمان من الاوضاع المضطربة التي سادت بلاد فارس عقب مقتل نادر شاه سنة 1747(3)، ومن ضعف قوة العثمانيين البحرية في البصرة وعجزها عن مجابهته(4)، فبدأ بالتوسع في جهة الشمال والشرق باتجاه نهر الجراحي(5) ، واخذ يضغط على الاتراك الافشار ، القبيلة السائدة في هذه البقاع من عربستان(6) ، والذين كانت قوتهم قد ضعفت ، وبمعونة من امير الحويزة العربي تمكنت كعب من الاستيلاء على مركزهم الرئيس الدورق(7) ( فلاحية الآن) التي اتخذ منها الشيخ سلمان مقرا ثانيا له الى جانب مقره في قوبان(8) .

وقد واصل الشيخ سلمان استيلاءه على مناطق اخرى ، فاصبح حاكما على مناطق تدعي الدولة الفارسية تبعيتها لها ، وبعد ان وطد نفوذه في الجانب الشرقي من شط العرب ، اخذ يتجه نحو الغرب وبدأ في التوسع على حساب العثمانيين ، فأستولى على جزر البصرة الواقعة في شط العرب ، ثم عبر الى الضفة الغربية واستولى على منطقة الدواسر(9) وعلى عدة قرى ، واخذ يقوم بعرقلة الملاحة في شط العرب(10) .

ولما كانت الاماكن التي استولى عليها الشيخ سلمان يتنازعها العثمانيون والفرس ، فقد ادعى كل منهما حق السيادة عليه باعتباره من رعاياهم ، وطالبه كل منهم بدفع الجزية اعترافا منه بسيادتهم عليه ، غير ان الشيخ نجح في الحفاظ على استقلال بني كعب ، دون ان يدفع جزية لاي من الفريقين ، كما لم يحترمهما(11) ، وبلغت قوة كعب العربية الى الدرجة التي اقلقت الدولة العثمانية واخافت الفرس .

**ويقول الرحالة الدنماركي كارستن نيبور الذي كان موجودا في البصرة سنة 1765 ، والذي ترك لنا وصفا ممتعا للاحداث في الخليج العربي حينذاك ، انه اذا طلب كريم خان حاكم بلاد فارس رسوما من الشيخ سلمان ، اعتذر عن ذلك شاكيا مضايقة حكومة بغداد له ، واخذها الاموال منه. اما اذا طلب باشا بغداد الرسوم منه ، فانه كان يشكو له امر الفرس معه . ويضيف نيبور قائلا ، « وكان يعرف جيدا كيف يجتذب الى صفه بالاموال انبل اعيان مدينة البصرة ، وبذلك كانوا يتركونه يستولي على قراها الواحدة تلو الاخرى »(12) .**

وكان الشيخ سلمان حريصا على ان يظل في علاقات طيبة مع كل الوجهاء العرب فيما جاور البصرة ، وكان يدفع لهم في بعض الاحيان الاموال ليحدثوا شغبا يشغلون به الباشا العثماني(13) .

غير ان تزايد قوة الشيخ سلمان ، والمكانة التي اصبحت عليها كعب ، بعد ان امتد سلطانها الى الانهار الصالحة للملاحة ، جعل من الصعب على العثمانيين والفرس التغاضي عنه ، لذا اندفع كل منهما لمحاربته والقضاء عليه ، واصبحت بلاده هدفا لكل منهما . كما ان الانكليز كانوا يرون في قوة كعب تهديدا لمصالحهم التجارية في البصرة ، وخطرا على حرية الملاحة التجارية الانكليزية في الخليج العربي ، الذي كان يهمهم ان يبقى منطقة امان لسفنهم ، ومن ثم فقد شاركوا العثمانيين في حملاتهم على بني كعب .

وفي سنة 1757 شن الفرس هجوما على بني كعب بقصد اخضاعهم وكسر شوكة النفوذ العربي في الاحواز ، الا ان انباء مثيرة للقلق عن حدوث اضطرابات في اجزاء مختلفة من بلاد فارس ، اضطرت كريم خان زند الذي كان يقود الحملة بنفسه الى الانسحاب(14) ، وكل ما حصل عليه من نتائج كان فرض اتاوة عليهم(15) .

كما قام العثمانيون ـ اسوة بالفرس ـ في سنة 1761 بمهاجمة كعب ، واشتركت معهم سفن شركة الهند الشرقية الانكليزية ، فقد اصدر الكسندر دوجلاس الوكيل الانكليزي في بندر عباس ، اوامره الى بعض سفن الشركة بأن تشترك مع السفن العثمانية في مهاجمة السفن الكعبية المسلحة التي كانت ترسو في خور موسى(16) . غير ان الشيخ سلمان عندما ايقن انه لن يستطيع الاستمرار في مقاومتهم ، اشترى صلحا سهلا بارساله الهدايا الى باشا بغداد ، وعندئذ انسحبت القوات العثمانية من عربستان وعادت الى البصرة(17) .

ولكن كعبا سرعان ما قامت باغلاق شط العرب في وجه السفن الصاعدة والهابطة معا ، وشنت هجوما على منطقة الدواسر الكائنة على الجانب الغربي من شط العرب ، الامر الذي اثار فزع السلطات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العثمانية في البصرة ، وغضب شركة الهند الشرقية حيث كانت لهـــا مصالح في تمور هذه المنطقة ، فقررت الوكالة الانكليزية في البصرة ارسال سفن مسلحة تتصدى لهم . وفي نفس الوقت وصل الى جوار البصرة والي بغداد علي باشا على رأس قوة عسكرية ، وعندئذ بـــدات كعب الانسحاب من الدواسر ، غير ان السفن الانكليزية كانت قد تحركت لتامين التمور المطلوبة . كما ان والي بغداد كان مصمما على تحطيم قوة هذه العشيرة التي اصبحت تسيطر على المناطق الاستراتيجية المطلة على شط العرب(18) ، وقد بعث برسالة الى وليم اندرو بريس الذي كان مسؤولا عن الوكالة الانكليزية في البصرة ، يقول فيها ،

**« انني علمت مما رواه لي متسلمي بدقة انه يبدو ان الشيخ سلمان يتصرف تجاه الامور جميعا بكل ما يملك من وقاحة ، واعتقد انه من الواجب ان نرده الى صوابه ،.**

**.. لقد رسمت بطريقتك في العمل حـــدود الصداقة التي تقوم بين السلطان والامة البريطانية، والتي على اساس منها لن اترك فرصة تمضي من جانبي دون ان انتهزها لتاكيد صداقتي الودية لك. وانني آمل بناء على التقارير التي ارسلها لي متسلمي عن الاعمال العدائية للشيخ سلمان ، ان تستميت في المساعدة بسفنك دون اي عذر لن يلقى بالتأكيد رضاء مني ، كما انه بالتالي لن يلقى قبولا من السلطان الذي لن يفوتني ان اخبره بالامر .. ورغبتي ، وفي نفس الوقت هي رغبة حكومتي ، ان اسير بجيش عن طريق البر ، وترسل انت سفنك لمحاصرة مصب النهر ، ولك الحرية المطلقة في ان تاخذ وتحرق وتحطم ما قد يقابلك ممـــا يخص الكعبيين .. ان تقويض صرح كعب لا يعد مفخرة لي بقدر ما يعد مفخرة لامتك ، وارجو ان تثق بان مساعدتكم الفعالة هذه ستلقى من السلطان كـــل اعتراف وتعويض ، وعليك الآن بمجرد ان تصلك رسالتي ان تبعث بالسفن ، وتاكد ان نجاح هـــذا الامر كله يعتمد على مهارتك وصداقتـــــــك واخلاصك »(19) .**

وعلى اثر هذه الرسالة ، بدات السفن الانكليزيـــة تشتبك مع الاسطول الكعبي(20) ، وبعث وليم بريس برسالة الى علي باشا والي بغداد جاء فيها :

**« ما ان فهمت رغبة فخامتكم في الحاجـــة الى مساعدة سفن الشركة حتى وجدت ان هذا يتوايم وهدوء هذه الحكومة ، وبالتالي سيكون مفيـــدا للتجارة . ونظرا للصداقة الوطيدة المعقودة بيـــن الامة البريطانية والباب العالي ، فقد بعثت بالسفن الى المكان المعين ، ولم يقف الامر عند هذا فحسب، بل انني ، حرصا على بيان مدى رغبتي في تنفيـــذ اوامركم ، افرغت حمولة احدى السفن التي كانت قد شحنت واستعدت للابحار الى الهند ، وذلك لاجل ان ارسلها في هذه الحملة ..»(21) .**

ولكن الشيخ سلمان آثر الصلح مرة اخرى ، وارسل من يتفاوض مع السلطات العثمانية ، متعهدا بتقديم ما عليه من رسوم ، فتوقفت العمليات الحربية دون تسوية نهائية(22) .

وكانت السلطات العثمانية في العراق تكتفي في تعاملها مع القوى العشائرية القوية ، بقبول الاموال السنوية من رؤسائها او التعهـــد بدفعها بانتظام ، باعتبار ان ذلك دليلا على الولاء لها ، وهو ما ادركته كعب ، فقدمت الاموال الى العثمانيين كما قدمتها للفرس الذين كانوا يكتفون ايضا بذلك .

ولقد استطاعت كعب بهذا الاسلوب ان تتخلص من محاولة فرض السيطرة عليها سواء من قبل العثمانيين او الفرس ، وفي نفس الوقت استمرت في تعزيز قوتها تدريجيا ، حتى اصبحت فعلا قوة لها وزنها في المنطقة(23) . وفي سنة 1765 كانت في حوزتها « 10 غلافات(24) و 70 سفينة صغيرة »(25) . وفي هذه السنة تعرضت كعب لهجوم من قبل الفرس ، حيث قاد كريم خان زند حملة اخرى ضدهـــا بهدف اخضاعها . ولكن عند اقتراب القوات الفارسية من منطقة كعب ، اخذ الشيخ سلمان يتنقل بسفنه من جزيرة الى اخرى في شط العرب ، ولم يترك لهم الا مدنا وقرى خالية حتى وصل ســـالما الى الارض العثمانية على البر الغربي لشط العرب(26) .

وهنا عرض كريم خان على سلطات البصرة أن تتعاون معه للقضاء عليه وتقليص نفوذ بني كعب ، فوعدوه بالمساعدة(27) ، وتم استدعاء فرقة مشاة من بغداد ، وصدرت الاوامر الى الاســـطول العثماني في البصرة بأن يكون على اهبة الاستعداد(28) .

غير ان تدابير السلطات العثمانية استغرقت وقتا طويلا جدا(29)، وكان متسلم البصرة(30) يبلغ كريم خان من وقت لآخر بانه ينتظر رجالا وسفنا اكثر من بغداد(31) . وعندما شعر كريم خان بأن العثمانيين غير جادين في مساعدته ، بعث بخطاب الى متسلم البصرة يعبر فيه عن استيائه الشديد لهذا الموقف ، الذي افسد الخطة برمتها ، ويبلغه بانه قد قرر ايقاف القتال والانسحاب(32) .

غير ان الفرس دمروا في حملتهم هذه ( الدورق ) عاصمة بني كعب التي وجدوها مهجورة(33) ، كما قاموا بتدمير السداد المقامة على ضفاف نهر الكارون عند موقع السابلة ، مؤثرين بذلك رخاء ( قوبان ) ، التي كانت تروى من قناتين تستمدان المياه من نهر الكارون ، وبسبب ذلك انتقلت كعب الى ( الفلاحية ) واتخذ منها مقرا لها(34) .

ويعلل الرحالة نيبور عملية انسحاب كريم خان بانه لم يجد لديه ما يكفي من السفن التي تمكنه من ملاحقة الشيخ سلمان وتوجيه الضربة اليه ، كما انه لو ترك قوة احتلال في منطقة بني كعب ، فان نفقـــات تموينها ستكون باهظة ، وهذا سيجعله في حالة حرب مستمرة لا تعود عليه باية فائدة(35) .

ومن ناحية اخرى ، فان كريم خان كان يواجه في نفس الوقت خطر الزعيم العربي مير مهنا حاكم بندريـــق(36) الذي رفض الولاء له ، وسخر من مبعوثه الذي جاء يطالبه بالاتاوة ، وعامله بازدراء ، الامر

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الذي اغاظ الخان ، فارسل في مايس 1765 قسما من قواته ، التي كانت تقوم بعمليات حربية ضد بني كعب ، لقتال مير مهنا(37) .

وفيما يتعلق بعدم مشاركة العثمانيين للفرس في حملتهم على بني كعب ، فان ذلك يمكن أن يعزى الى ضعف قوة البصرة البحرية ، وهذا ما يؤكده نيبور حيث يقول : « كانت قوة متسلم البصرة تتناقص سنة بعد اخرى ، وقد بلغ خلال مكوثي هناك حدا من الضعف جعله لا يقوى على الوقوف حتى امام هذا الشيخ الصغير »(38) ، كما ان الوضع العام في العراق كان لا يسمح بامداد متسلم البصرة بالقوات العسكرية ، بسبب انشغال حكومة بغداد بالثورات العشائرية ، ففي الوقت الذي كان فيه كريم خان يشن هجومه على بني كعب ، كان والي بغداد عمر باشا يقود حملة ضدعشيرة الخزاعل ، وقد واجه مشكلة في نفاد ذخيرته(39) .

اما العثمانيون ، فقد اعلنوا انه كان في استطاعتهم استعادة كل ما اخذه منهم الشيخ سلمان ، وانه كان في امكانهم القضاء عليه بسهولة، لو انهم قاموا بمهاجمته بالاتفاق مع الفرس ، ولكن ذلك كان ضد مبدأ حماية من يلتجيء اليهم ولذلك كانوا له ولقواته ملاذا(40) .

وبالرغم من ايقاف الفرس لعملياتهم الحربية ضد بني كعب ، فان سلمان لم ينسحب من منطقة البصرة ، واخذ يتعرض للملاحة في شط العرب ، الامر الذي حال دون وصول الكثير من السفن التجارية الى ميناء البصرة ، مما أثر تاثيرا بالغا في تجارتها . ويذكر نيبور ان البصرة في سنة 1765 كانت غاية في التعاسة ، حيث كانت التجارة فيها ضعيفة الى ابعد الحدود ، حتى انه لم يتجمع فيها تجار بشكل كاف يسمح بتكوين قافلة كبيرة ، وانه ياتي اليها عادة في الخريف حوالي خمسين ( ترانكي ) من موانيء عمان ، تحمل كلها البن من مخا والحديدة ، وعند بدء وصول اول دفعة منها اضطرت الى دفع رسوم مرور كبيرة للشيخ سلمان وعند عودتها كان عليها ان تشتري التمر منه ، وقد كان ذلك في نظر العثمانيين وقاحة كبيرة(41) .

لذلك قام العثمانيون في مايس 1765 بتوجيه حملة ضد الشيخ سلمان ، كانت مؤلفة من قوة برية تعدادها حوالي خمسة آلاف جندي، وقوة بحرية تضم ( 11 تكنة )(42) و ( غلافة ) واحدة ، بالاضافة الى عدد من السفن الصغيرة المحملة بالذخيرة والرجال ، وسفينة انكليزية استاجرها المتسلم من الوكيل الانكليزي في البصرة ، كما استعان بملاحين انكليز لقيادة اثنتين من ( تكناته )(43) .

وعندما بدات العمليات الحربية ضد بني كعب ، استطاع الاسطول الكعبي مباغتة السفن العثمانية والاستيلاء على ثلاث منها ، ثم قام بمهاجمة عدة قرى بجوار مدينة البصرة ، واستولى على بعض قوارب النقل الصغيرة . ولكن الشيخ سلمان لم يكن يرغب في مواصلة الحرب مع العثمانيين ، الذين ادخلت هذه العملية الرعب في قلوبهم لذا تم عقد الصلح بينهما ، وعادت القوات العثمانية الى البصرة بعد ان قضت في الميدان حوالي ثلاثة اسابيع(44) .

ويبدو ان ايقاف الشيخ سلمان للعمليات الحربية ، يرجع الى الموقف الصعب الذي كان يواجه مير مهنا حاكم بندريق ، اذ كان يواجه هجوما فارسيا انكليزيا(45) فأراد الاسراع في نجدته ، ويقول نيبور الذي شاهد هذه الحرب بنفسه « انه في العاشر من تموز شاهدنا بالقرب من شاطيء الخليج الشرقي ، 10 غلافات وبعض السفن الصغيرة، وقد علمنا ان قسما منها يعود لمير مهنا ، والقسم الآخر للشيخ سلمان الكعبي ، مما يدل على ان العدوين المشتركين لكريم خان كانا قد جمعا قواتهما البحرية »(46) .

وفي الثامن عشر من تموز 1765 هاجمت كعب ـ مستخدمة 6 غلافات ـ سفينة تابعة لشركة الهند الشرقية الانكليزية ، كانت قد وصلت شط العرب في طريقها الى البصرة قادمة من مدراس في الهند، واستولت عليها ، كما استولت في اليوم التالي على يخت الشركة ، الذي كان في طريقه الى البصرة قادما من بوشهر ، وبصحبته سفينة بنغالية تجارية كبيرة كان يقوم بحراستها ، وتم الاستيلاء عليها ايضا(47) .

وكان الشيخ سلمان قد اعلن بأن صلحه مع العثمانيين لا يعني ابدا اسقاط حقه في الانتقام لنفسه من الانكليز(48) ، الذين لعبوا دورا فعالا في مساعدة سلطات البصرة ضده .

**وعلى اثر هذا الحادث ، قام وكيل شركة الهند الشرقية الانكليزية في البصرة ( بطرس الوين رينش) بمقابلة متسلم البصرة لمناقشة الموقف ، مبينا له انه لما كان الانكليز يتاجرون في البصرة تحت حمايته ولما كانت كعب من رعايا السلطان ، فانه لا يستطيع ان يتقدم بطلب الى كعب لاعادة السفن الا عن طريقه، وقد اكد المتسلم له انه سيبذل كل ما في وسعه لاجابة طلبه ، وارسل على الفور خطابا الى كعب ، وصحب المبعوث الذي حمل هذا الخطاب شخص من الوكالة الانكليزية في البصرة، غير ان كعب رفضت الاذعان(49) .**

وعندئذ طالب وكيل الشركة حكومة البصرة بالتعويض عن السفن، وبعث بخطاب الى حكومة بومباي ، اشار فيه الى الاخطار التي تتعرض لها تجارة الشركة ، وذكر انه سيكون امرا بالغ الصعوبة لاي سفينة من سفن التجار ان تتابع سيرها في شط العرب ان لم يوقف الشيخ سلمان عند حده سريعا ، وان تدمير كعب هو اقصى ما تنشده التجارة في هذا المكان ، وهو امر لا يستطيع أن يتكفل به العثمانيون بدون مساعدتنا ، واوصى الوكيل بارسال قوة بحرية لمهاجمة كعب واستخلاص السفن من قبضتها ، وقال ان هذا الامر يجد هوى لدى حكومة البصرة التي اعلنت انها ستقوم بمهاجمة كعب برا اذا قام الانكليز بمهاجمتها بحرا(50) .

وبالنظر لخطورة الموقف ، جهزت حكومة بومباي على جناح السرعة اكبر حملة بحرية توجهها الى الخليج العربي من الهند(51) ، وذكرت في الخطاب الذي بعثته الى وكيل الشركة في البصرة ، انها تريد بهذه الحملة انقاذ تجارتها في الخليج من اية اعتداءات عليها في المستقبل، ولرد كعب الى حظيرة الطاعة(52) .

وعند وصول القوة البحرية الى مياه شط العرب ، تقدم الوكيل ـ بناء على تعليمات من حكومة بومباي ـ بعدة مطالب الى الشيخ سلمان، تضمنت اعادة السفن الانكليزية مع شحناتها والتعويض المناسب عن مدة حجزها وعن التكاليف التي تكبدتها شركة الهند الشرقية الانكليزية في ارسال الحملة البحرية(53) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

**وورد في تعليمات حكومة بومباي انه في حالة موافقة الشيخ سلمان على هذه المطالب فان على الوكيل ان يرتبط معه بتعهد نيابة عنها ، مفاده الا تتدخل الشركة في اي نزاع بينه وبين جيرانه ، على ان يتعهد من جانبه بعدم التعرض الى تجارة الشركة في المستقبل . وعند التوقيع على مثل هذا التعهد، فان الوكيل سوف يخبر السلطات العثمانية في البصرة بشكل حاسم انهم طالما ليسوا بالقدرة التي يعوضون بها الشركة عن الخسائر التي تكبدتها جراء تدخلها في مشاجراتهم ، فيجب الا يتوقعوا تدخلها مرة اخرى الى جانبهم(54) .**

ولكن الوكيل فشل في التوصل الى حل سلمي مع الشيخ سلمان الذي رفض جميع المطالب ، وعندئذ بدأت الحرب بين الانكليز والعثمانيين من جهة وكعب من جهة اخرى ، وارسل الوكيل خطابا الى كريم خان يرجوه فيه ان لا يؤوي اي لاجيء كعبي ، ولكنه لم يتلق ردا(55) .

غير ان بني كعب استطاعوا خلال العمليات الحربية التي دارت خلال اشهر صيف سنة 1766 أن يحرقوا 9 سفن عثمانية ، من بينها سفينة القيادة ، وقتلوا الرجال الذين كانوا عليها ، كما احرقوا السفينتين الانكليزيتين اللتين كانوا قد استولوا عليهما ، بعد ان قام الانكليز بمحاولة فاشلة لاستردادها(56) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعندئذ شن الانكليز هجوما لاقتحام استحكامات بني كعب في خور موسى ، ولكنهم ردوا على اعقابهم بعد ان تكبدوا خسائر فادحة(57) .

ولم تتوقف العمليات الحربية الا بعد ان تدخل كريم خان ، الذي ارسل مبعوثا الى العثمانيين والانكليز يطلب منهم الانسحاب من ارض بني كعب ، مدعيا انها اراض فارسية ، وان بني كعب من رعاياه(58).

وقد ابلغت السلطات العثمانية وكيل شركة الهند الشرقية الانكليزية في البصرة ، بانها مضطرة الى الاستجابة لمطلب كريم خان ، خشية ان تنشب حرب بينهم وبين الفرس(59) . وعلى هذا ، فقد انسحبت القوات العثمانية من منطقة ( قوبان ) واكتفى الانكليزبضرب حصار بحري على كعب(60) .

وخلال فترة الحصار ، التي استمرت مدة سنتين (1766–1768) تمكن بنو كعب من بناء مواقع حربية على جانبي شط العرب ، حيث كان العثمانيون عاجزين عن منعهم . ويقول ( هنري مور ) وكيل شركة الهند الشرقية في البصرة : « انها لظروف مريرة أن نرى سفن كعب تحت انف طراداتنا ، ولا نجرؤ على مسهم ، والتفكير في ذلك يعتبر جنونا ، بالنظر الى العلاقات الحالية بين كعب والعثمانيين ، والى مركزنا الحالي »(61) .

واخيرا اضطر الانكليز الى رفع الحصار عن كعب دون ان يحققوا شيئا ، وهددوا باشا بغداد بانهم سوف يتخلون عن حماية البصرة ويسحبون اسطولهم الراسي في شط العرب ، اذا لم يعوضهم عما لحق بهم من خسائر في حربهم مع كعب(62) ، وقد قبل الباشا ان يتحمل كافة نفقات الاسطول ، فاخذ يدفع مبلغ الف تومان شهريا(63) .

وكان الانكليز على يقين من ان باشا بغداد مستعد لهذا التعويض، فليست لديه – بدونهم – امكانية الدفاع عن البصرة وحماية الملاحة في شط العرب .

وقد ظلت كعب قوة مهابة وقادرة على التصدي للقوى المجاورة(64)، وبقيت مسألة تبعيتها موضع صراع عنيف بين الدولتين العثمانية والفارسية ، بل كانت احدى المشاكل المعقدة التي واجهت الدولتين في القرن التاسع عشر .

ويعتبر هنري مور وكيل شركة الهند الشرقية في البصرة اول من حاول تحديد تبعية كعب ، فقد ذكر في خطاب بعثه الى مجلس المديرين: في كعب :

**« ان كعب تعد في الاصل من رعايا العثمانيين ، ولسنوات طويلة كانت تملك اراض واسعة ضمن حدود الامبراطورية العثمانية المحاذية للامبراطورية الفارسية ، الامر الذي كان يضطرها الى ان تدفع سنويا مبلغا كبيرا من المال الى خزينة هذه الامبراطورية ، وقد دفعت بالفعل هذا المبلغ لعدة سنوات . وبعد عدة سنين من وفاة نادر شاه ، قامت كعب منتهزة ما تبع ذلك من اضطرابات بوضع يدها على اراض تابعة للسيطرة الفارسية . وهكذا اصبحت من رعايا كلا الدولتين العثمانية والفارسية، فمنطقة قوبان واحياؤها هي من اراضي العثمانيين، ودورق في الجانب الفارسي . ولما كانت كعب قد استولت على أراض كثيرة ، فانها لم تعد تدفع الاتاوة المعتادة لاي من القوتين . وطبقا للسياسة العامة التي كان العثمانيون ينتهجونها في هذه الاجزاء ، وبسبب المتاعب التي اخذت الامبراطورية الفارسية تتعرض بسببها للاضطرابات من الداخل ، فان كعبا راحت تزداد قوة وتنمو مستقلة عن كلتا القوتين ، وسرعان ما اصبحت غنية الموارد بما امتلكته من الايرادات التي كانت تدرها الاراضي تلك »(65) .**

ويستند العثمانيون في قولهم بتبعية كعب الى ان الفرمانات القديمة والمستندات تثبت أن قوبان ونهر مهاوية والحفار(66) وجزيرة خضر(67) والمحمرة(68) وتوابعها انما تعود جميعها للبصرة ، وانه لا يوجد حق فارسي بتبعية هذه الاماكن لهم(69) . فضلا عن ذلك ، فان ولاة بغداد والبصرة بادروا عند قدوم بني كعب من نجد باسكانهم في المحل المسمى ( السابلة ) الذي يبعد مسافة ثلاث ساعات الى الجهة الشرقية من المحمرة ، وان رؤساءهم كانوا يدفعون الضرائب الى خزينة البصرة، كما ان قيود طابو البصرة تثبت تبعية هذه الاراضي الى الدولة العثمانية(70) .

**وكانت امارة كعب قد قامت على انقاض امارة الحويزة(71) » التي كانت قد ضعفت اواخر القرن السابع عشر ، بعد ان ازداد ضغط القبائل العربية عليها ، وغزاها بنو لام وبنو كعب(72) . وقدنصت معاهدة 1727 التي عقدت بين العثمانيين والزعيم**

**الافغاني مير اشرف خان ، على دخول الحويزة في اطار الدولة العثمانية(73) .**

اما الادعاء الفارسي فياتي من ان كعبا بتوسعها في جهة الشمال والشرق باتجاه نهر جراص ، وطردها الافشار من دورق ، وهي نواحي فارسية اكتسبت الرعوية الفارسية . غير ان العثمانيين كانوا يعتبرون ذلك مجرد نمو للعشيرة لم يغير من حقيقة تبعيتها للسلطان ، حيث انها ظلت تستغل الاراضي الواقعة على طول شط العرب والحفار وهي اراض تابعة للبصرة(74) ، وكانت تدفع الضرائب السنوية لخزانة البصرة(75) .

وقد ازداد تعقد مشكلة عشائر كعب بعد تشييد المحمرة(76) على يمين مصب نهر كارون في شط العرب سنة 1812 من قبل عشيرة المحيسن ـ احدى عشائر كعب ـ وتدخل الدول الاوربية فيما بين الدولتين العثمانية والفارسية .

**الحواشي :**

1 ـ ينبع نهر كارون من الجبل الملون ( كوهرنك ) في منطقة البختيارية ، ويصب في شط العرب عند مدينة المحمرة .

كي لسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، بغداد 1954 ، ص 267 ، لوريمر ، دليل الخليج ( القسم الجغرافي ) ، ج 3 ، ترجمة مكتب الترجمة بديوان حاكم قطر ، بيروت 1970 ، ص 1548 .

2 - Curzon, George. : Persia and the Persian Question, Vol. II, (London, 1892), p. 322.

ان معالم قوبان قد انطمست الآن ، ويبدو انها كانت واقعة على راس خوركنكه احد فروع خور موسى .

Lorimer, J. G. : Gazetteer of the Persian Gulf, Oman, and Central Arabia, Vol. I, Part. II, Calcutta 1915, p. 1627.

3 - Malcolm, J. : The History of Persia, Vol. II, London 1815, p. 75; Ainsuorth W.:A personal Narrative of the Euphrates Expedition, Vol. II, London 1888, p. 208.

4 ـ عبدالامير محمد امين ، القوى البحرية في الخليج العربي، بغداد 1966، ص 41 .

5 ـ ينبع نهر جراحي من جبال مارجون في منطقة البختيارية حوالي اربعة عشر ميلا شمال شرق مدينة بهبهان ، ويدخل عربستان ثم يتجه جنوب الجنوب الغربي حتى الفلاحية واخيرا يلتقي بقناة من نهر الكارون عند السابلة ليضيع بعدها في المستنقعات .

عبدالمجيد اسماعيل ، الوضع القانوني لاقليم عربستان ، القاهرة 1974 ، ص 12 ـ13 .

6 - Curzon, G. : Op. cit., Vol. II, p. 322;

Ainsworth, W. : Op. Cit., Vol. II, pp. 208-9.

وعربستان تقع على راس الخليج العربي من الشرق ، واغلب قبائلها عربية باستثناء البختيارية واللور ، وقد اسماها الفرس بخوزستان منذ ايام البهلوي رضا شاه .

انظر : لوريمر ، دليل الخليج ، القسم الجغرافي ، ج1 ، ص 167 ، لسترنج ، المصدر السابق ، ص 267 .

7 - Lorimer, J.: Op. Cit., Vol. I, Part, II,p. 1628.

وانظر : مصطفى عبدالقادر النجار ، التاريخ السياسي لامارة عربستان العربية ، القاهرة 1971 ، ص 42 .

8 ـ عبدالامير امين ، المصدر السابق ، ص 41 .

9 ـ تمتد منطقة الدواسر لمسافة كبيرة على طول الشاطىء الايمن لشط العرب بين شيهان والدورة . لوريمر ، المصدر السابق ، القسم الجغرافي ، ج1 ، ص 573 .

10- Niebuhr, C. : Description de L'Arabie, Amsterdam 1774, p. 276; See Also Same auther, Voyage en Arabie, Tome, II, Amsterdam 1776, p. 186;

عبدالامير امين ، المصدر السابق ، ص 41 .

11ـ لونكريك ، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر الخياط ، ط 4 ، بغداد 1968 ، ص 205 .

12- Niebuhr, C. : Voyage en Arabie, II, p. 186.

13- Lorimer, J. : op . cit., vol. I, part. IB, p. 1217.

14ـ ارنولد ولسون ، الخليج العربي ، ترجمة د. عبدالقادر يوسف ، الكويت 1970 ، ص 311 ،

Lorimer, J. : op. cit., vol. I, part. II, pp. 1628-9.

15- Malcolm, J. : op. cit., vol II, p. 76.

16ـ خور موسى ، مدخل ممتاز على البحر حيث يترك الخليج في نهايته الشمالية ناحية شرق شط العرب ، لوريمر ، المصدر السابق ، القسم الجغرافي ، ج 4 ، ص 2215 .

17- Lorimer, J. : op. cit., vol. I, part. IB, pp. 1217 - 8.

18- Ibid. p. 1218.

19- Letter from Ali Bashaw, to Andrew Price, received the 18th October 1763(Selections trom state papers p. 170).

20ـ يذكر لونكريك ان مصالح الشركة نفسها هي التي اقنعت الوكيل الانكليزي بارسال سفينتين هما (Tartar) , (Swallow) ( اربعة قرون ، ص 207 ) .

21- Letter from William Andrew Price, Esq., to Ali Bashaw of Baghdad, dated the 19th

October 1763 (Selections from state papers, p. 171).

22- رسول الكركوكلي ، دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الوزراء ، ترجمة موسى كاظم نورس ، بيروت 1963 ، ص ص 134 – 135 .

23- عبدالعزيز نوار ، العلاقات العراقية الايرانية ( دراسة في دبلوماسية المؤتمرات ) ، القاهرة 1974 ، ص 47 .

24- الغلافات : سفن حربية ، تتحرك بالمجاذيف عادة ، وتتميز بأنها تستطيع السير في مياه قليلة العمق ، وقد لعب هذا النوع من السفن دورا مهما في الخليج العربي خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر .
عبدالامير امين ، المصدر السابق ، ص 56 .

25- Niebuhr, C. : Description de L'Arabie, p. 276.

اما ارنولد ولسون فيقول ان الاسطول الكعبي كان يتكون من حوالي اثنتي عشرة سفينة حربية بالاضافة الى عدد كبير من السفن التجارية.
( ولسون ، المصدر السابق ، ص 311 ) .

26- Niebuhr, C. : Voyage en Arabie, II, p. 187.

وانظر : ولسون ، المصدر السابق ، ص 311 ،

Lorimer, J. : of cit., vol. I, part. IB, p. 1219.

27- Niebuhr, C. : Voyage en Arabie, II, p. 187.

28- Lorimer, J. : op. cit., vol. I, part. IB, p.1219.

29- عبدالامير امين ، المصدر السابق ، ص 44 .

30- كان المتسلم في هذه الفترة هو سليمان اغا ، وقد تولى في سنة 1780 م باشوية بغداد وعرف بـ « سليمان باشا الكبير » .

31- Niebuhr, C. : Voyage en Arabie, II, p. 187.

32- Selections from state papers,p. 192; Lorimer, J. : op. cit., vol. I, part. IB, 1219.

33- ولسون ، المصدر السابق ، ص 311 ،

Lorimer, J. : op. cit., vol. I, part. IA,p. 140.

34- Layard, A. : A description of the province of Khuzistan" the Journal of the Royal Geographical Society of London, vol.XVI part. I, 1846, p. 55.

ويذكر لوريمر ان كريم خان اباد فيما يبدو السابلة ايضا التي لم يسمع عنها شيء في التاريخ التالي لقبيلة كعب .

Lorimer, J. : op. cit., vol. I,part. II, p. 1630.

35- Niebuhr, C.: Description de L'Arabie, p.277; Voyage en Arabie, II, pp. 187-8.

36- بندر ريق : ميناء صغير يقع الى الشمال الغربي من بوشهر ، اما مير مهنا فانه ينتمي الى عرب عمان الى قبيلة بني صعب ، وقد لعب دورا بارزا في تاريخ الخليج العربي خلال الفترة ( 1753 – 1769 ) ، حارب خلالها الهولنديين والفرس والانكليز على التوالي .

Niebuhr, C. : Description de L'Arabie, p. 274.

للتفاصيل عن حروب مير مهنا انظر :

Lorimer, J. : op. cit., vol. I, part. II, pp. 1784 - 1800.

37- Niebuhr, C. : Description de L'Arabie,p.275 Voyage en Arabie, II, pp. 151-2, 187.

38- Niebuhr, C. : Voyage en Arabie, II, p. 187.

39- الكركوكلي ، المصدر السابق ، ص ص 139 – 140 .

40- Niebuhr, C. : Voyage en Arabie, II, p. 188. Ibid, pp. 192-3.

41- Ibid, pp. 192 - 3 .

ويذكر نيبور انه عندما وصلت الى مسقط انباء تعرض بني كعب للسفن التجارية ، افرغ البن الذي كان في السفن الصغيرة وتم شحنه في سفينة حربية ، ولكن عند وصول هذه السفينة الى بوشهر ( ميناء على الخليج العربي ) لم تجرؤ على مواصلة رحلتها الى البصرة ، ووضعت كل حمولتها في جزيرة خارج ( على بعد 35 ميلا شمال غربي ميناء بوشهر ) .

42- الكتة : نوع من السفن المسلحة ، مسطحة القعر ومطلية بالقار .
انظر :

Lorimer, J. : op. cit., vol. I, part. IB, p. 1219.

43- Niebuhr, C. : Voyage en Arabie, II, pp. 188-9.

44- Ibid, p. 189; Lorimer, J. : op. cit., vol. I, part. I, p. 1219; part. II, p. 1631.

45- من هذا الهجوم انظر :

Lorimer, J. : op. cit., vol. I, part. II, pp. 1784-1788.

46- Niebuhr, C. : Voyage en Arabie, II, p.159.

47- Selections from state papers, pp. 193-4.
وانظر :
Curzon, G. : op. cit., vol. II, p. 323.

48- Niebuhr, C. : Voyage en Arabie, II, p. 189.

49- Selections from state papers, p. 193.

50- Ibid, pp. 193 - 4; Lorimer, J. : op. cit., vol. I, part. II, p. 1632.

51- ولسون ، المصدر السابق ، ص 311 ،

Lorimer, J. : op. cit., vol. I, part. IA, p. 140.

كانت الحملة مؤلفة من ست سفن مع خمسين جندي من جنود المشاة وخمسة عشر رجلا من رجال المدفعية ومائة وخمسين جنديا هنديا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وخمسة وعشرين بحارا .

Selections from state papers, p. 195.

(52) Ibid.

53- Copy of a letter from the Agent to shaik Solyman Chaub dated the 27th March 1766 (Factory Records, persia and the persian Gulf, vol. 16, dispatch No.918).

وهي محفوظة في المكتبة المركزية ـ جامعة بغداد .

54- Selections from state papers, p. 195.

55- Ibid, p. 203; Lorimer, J. : op. cit., vol. I, part. II, p. 1635.

عبد الامير امين ، المصدر السابق ، ص 47 .

56- Selections from state papers, p. 208.

وانظر : لونكريك ، المصدر السابق ، ص 210 .

57ـ ولسون ، المصدر السابق ، ص 311 ،

Lorimer, J. : op. cit., vol. I, part. IA, p. 140; Ainsworth, W. : op. cit., vol. II, p. 209.

58- Selections from state papers, p. 211.

وانظر : ولسون ، المصدر السابق ، ص 312 .

59- Ibid, p. 209.

60ـ ولسون ، المصدر السابق ، ص 312 ،

Lorimer, J. : op. cit., vol. I, part. II, p. 1639.

61- Ibid, pp. 1640 - 2.

62- Copy of a letter from the Aqent to the pasha of Baghdad dated 5th May 1766 (F. R. P. P. G., vol. 16).

63ـ عبدالامير امين ، المصدر السابق ، ص 50 ،

Lorimer, J. : Op . cit., vol. I, part. II, p. 1635.

التومان عملة فارسية فضية ، كان يساوي ما يقرب من باونين استرلينيين ـ

64- Lonimer, J. : Op. cit., vol. I, part. II, P.1646.

ومما يجدر ذكره هنا ان السلطات البريطانية كثيرا ما اوصت ممثليها في الخليج العربي بتجنب كعب وعدمالتورط معها بأي شكل من الاشكال انظر :

عبدالامير أمين ، « اضواء جديدة على تاريخ الخليج العربي الحديث » ، المجلة التاريخية ، العدد الاول ، السنة الاولى ، بغداد 1970 ،ص97.

65- Agent and Council, Basrah to the Hon'Ble Court of Directors, 9th April, 1767(Selections from state papers, pp. 215-218).

66ـ جاء في تقرير درويش باشا رئيس لجنة تحديد الحدود الفارسيةالعثمانية ان الفرمان الصادر بتاريخ 1160هـ ـ 1747 م باسم السلطان محمود الاول المتضمن توجيه سائر اقسام مقاطعة الحفار الى بعض الاشخاص المنتسبين الى الطريقة النقشبندية ، انما يثبت تبعية هذه الجهات للبصرة .

انظر : تقرير درويش باشا رئيس لجنة تحديد الحدود الفارسية العثمانية قدمه سنة 1853 (1269هـ ) ، استانبول 1321 . ترجمة وزارة الخارجية العراقية ( بغداد 1953 ) ، البند الثاني .

67ـ تقع جزيرة الخضر « عبادان » على الضفة المقابلة للمحمرة ، ويحدها من الشمال نهر الكارون ، ومن الشرق نهر بهمشير ( أحد فروع نهر الكارون)، ومن الغرب شط العرب ، ومن الجنوب الخليج العربي . وقد دارت حول هذه الجزيرة مناقشات كثيرة خلال مفاوضات تحديد الحدود بين الدولتين العثمانية والفارسية في الاربعينات من القرن التاسع عشر . انظر : تقرير درويش بشاا ، بند رقم (6) .

68ـ تقع المحمرة على يمين نهر كارون عند مصبه ، في الجانب الشرقي من شط العرب ، وهي تبعد عن البصرة نحو 38كم ، وقد شيدتها عشيرة المحيسن ـ احدى العشائر الكعبية ـ في عهد شيخها يوسف بن مرداو، وذلك حوالي سنة 1812 م .

Lorimer, J. : op. cit., vol. I, part. II, pp. 1648-9.

69ـ نصت معاهدة زهاب المعقودة في سنة 1639 م على ان تكون البصرة وتوابعها تحت سيطرة الدولة العثمانية ، ولا يجوز أن يقوم الشاه بأي تعرض لها .

انظر : تاريخ نعيما ، جـ 3 ، ص 430 ، معاهدات عمومية مجموعةسي جـ2 ، ص‌ص 210 ـ 312 .

70ـ تقرير درويش باشا ، وثيقة ـ1ـ ، بند رقم 3 و 4 .

71ـ وهي امارة المشعشعين العربية التي اتخذت من الحويزة مقرا لها منذ سنة 1440م ـ 844هـ ومؤسس هذه الامارة محمد بن فلاح .

72ـ عبدالكريم غرايبة ، مقدمة تاريخ العرب الحديث ، جـ 1 ، ص 106 ، 212 .

73ـ معاهدات عمومية مجموعة سي ، جـ2 ، ص‌ص 312 ـ 315 .

74ـ كان نطاق كعب قد اتسع على طول الضفة الغربية لشط العرب ، وقد اقامت قواعد لها في هذه الضفة ووضعت فيها قوات ثابتة .
انظر :

Lorimer, J. : op. cit., vol. I, part. II, pp. 1645.-6

75ـ انظر : تقرير درويش باشا ، بند 4 ، نوار ، تاريخ العراق ، ص71

76ـ كان انشاء المحمرة بناء على اوامر شيخ كعب غيث بن سلطان لتكون مركزا حربيا ضد العثمانيين ، ثم اخذت تنمو من مجرد موقع استراتيجي الى ان اصبحت ميناء مهما في المنطقة ، وغدت في سنة 1830 م مركزا تجاريا ذا اهمية كبيرة .

Curzon, G. : op. cit., vol. II, p. 323.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

# تصنيف العلوم

## مفاتيح العلوم

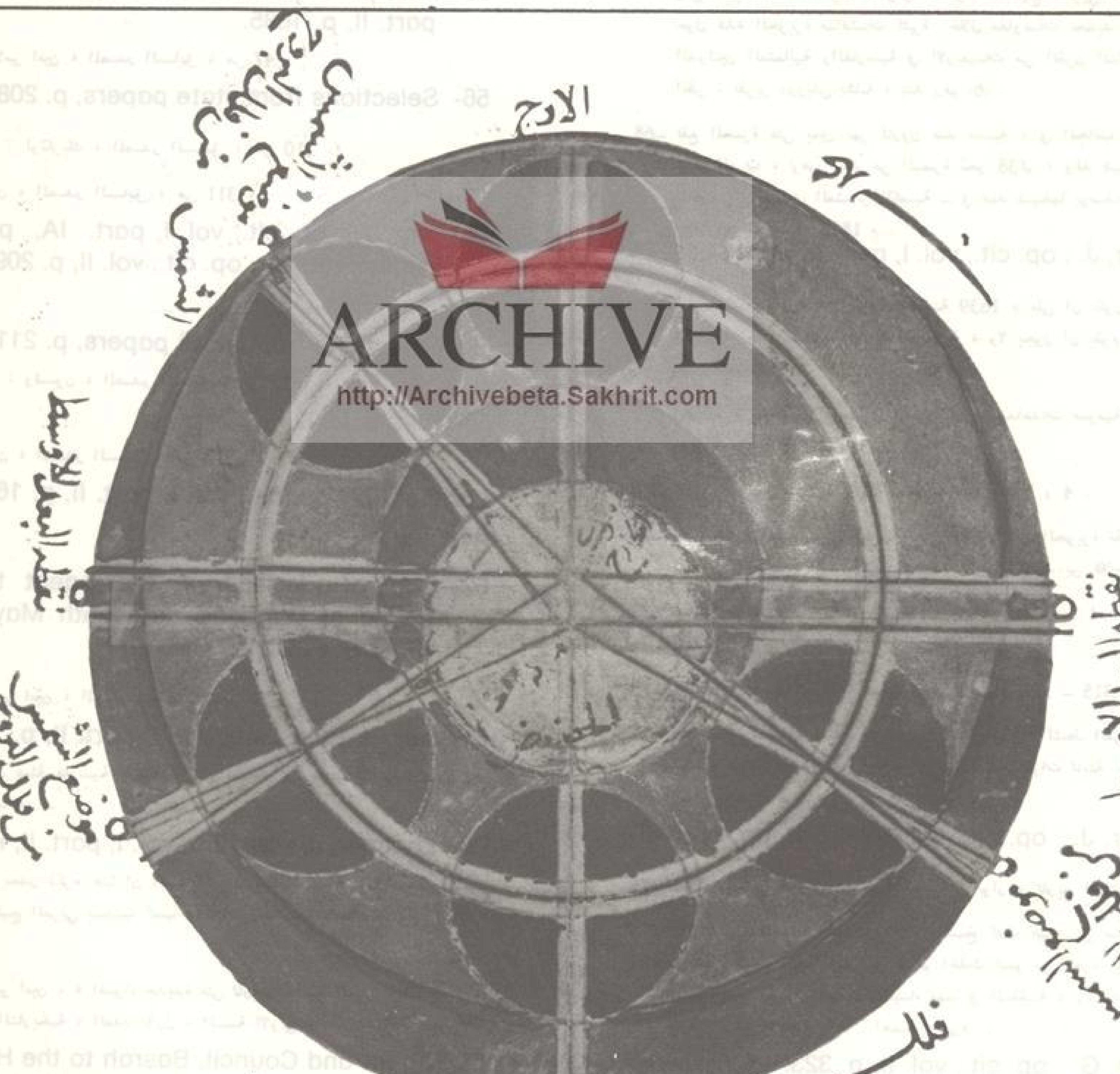


يمثل • أسدى العرب في بحثهم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# عند العرب

# للخوارزمي

زاهدة ابراهيم

**نبذة عن الخوارزمي :**

**هو ابو عبدالله محمد بن احمد بن يوسف وقد عاش في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري . عاش في بلاط ابن العتبي في نيسابور وكتابه ذو منزلة كبيرة وعظيم النفع في اظهار مواضيع متباينة حيث تناولها بدقة واحكام وقد حقق الكتاب المستشرق فان فلوتن في ليدن سنة 1895 ويعتبر من اقدم الكتاب المسلمين الذين الفوا كتبا موسوعية . ويظهر الكتاب جانبا مهما من جوانب المعرفة وهو تصنيف العلوم حيث تناول العلماء العرب المسلمون تصنيف المعرفة بشكل يدل على دراسة ودقة وبحث لذا فان من الواجب علينا نحن المكتبيين ان نظهر هذا الجانب المهم في دراستنا ونبين فضل العرب والاسلام على المعرفة وتطويرها . وآمل أن يكون هذا المقال جزءا يسيرا من الفائدة العظمى لهؤلاء العلماء وما اسدوه للانسان من خدمة في هذا الحقل .**

لقد قسم الخوارزمي كتابه الى مقالتين مهمتين :

المقالة الاولى : الشريعة الاسلامية وما يتصل بها من علوم كالفقه والكلام والعروض والتاريخ .

المقالة الثانية : العلوم عند العجم من اليونانيين وغيرهم كالفلسفة والمنطق والطب والحساب والهندسة والفلك والموسيقى والكيمياء والخيل .

هذا وسنحاول تصنيف المعرفة حسب الترتيب الذي ذكره الخوارزمي في كتابه .

**المقالة الاولى**

**علوم الشريعة**

الباب الاول : الفقه

ويتالف من 11 فصلا

**الفصل الاول : اصول الفقه**

ويستند على ثلاثة اشياء

(أ) المتفق فيها

(1) الكتاب

(2) السنة

(3) الاجماع

(ب) المختلف فيها

(1) القياس

(2) الاستحسان

(3) الاستصلاح

**الفصل الثاني : الطهارة**

وتتكون من : الماء المضاف ، الماء المستعمل ، سؤر الكلب ، الاستنشاق ، الاستجمار .

**الفصل الثالث : الصلاة والآذان**

التثويب ، الترجيع ، التحريم ، التشهد

**الفصل الرابع : الصوم**

## الجاد خدمة كبيرة للأنسانية في حقل العلوم و المعرفة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

قنسرين في غالبيتهم قيسية اما حمص فكانت غالبا يمانية وكانت كلب وجذام غالبة على دمشق(2) . وقد نجحت هذه السياسة في بلاد الشام وابعدت القبائل العربية الى فترة ما من الحزازات والصراعات القبلية وسهلت على الخلفاء الامويين الاوائل ان يحفظوا التوازن بينها .

وقد كانت السلطة المركزية تدعو المقاتلة من اقاليم مختلفة عند الحاجة او الضرورة لقمع تمرد داخلي او لمواجهة خارجية ، وبقي اصطلاح ( الاجناد ) يستعمل للدلالة على هؤلاء المقاتلة ، ولكن ظهرت اصطلاحات جديدة ذات دلالات مترادفة مثل الجيش والعسكر . وكانت نفس التنظيمات القبلية تحفظ اثناء القتال ، ففي رواية تاريخية :

« وقد دعا عدي اهل البصرة فبعث على خمس من اخماسها رجلا ، فبعث على خمس الازد المغيرة بن زياد العتكي وعلى خمس بني تميم محرز بن حمران السعدي وعلى خمس بكر بن وائل عمران بن عامر .. ودعا مالك بن الجارود فعقد له على عبد القيس ودعا عبد الاعلى بن عبدالله فعقد له على اهل العالية .. »(3) .

ولما كانت القبيلة تلعب دورها في تعبئة المقاتلة فمن الطبيعي ان اهم عامل لتحقيق النصر على الاعداء هو مهارة القائد وحذقه في ترتيب الجند وتنظيمهم في ساحة المعركة ، ذلك ان العصبية القبلية كانت تعمل عملها بين الجند ، واذا ارتكب القائد خطأ ستراتيجيا ، كان وضع قبيلة ما في المقدمة لتتحمل وحدها ضربات العدو ويقع عبء المعركة عليها ، بينما تبقى قبيلة اخرى في الجناح او المؤخرة لتنقض في نهاية المطاف وتقتطف ثمرات النصر وتدعي انها هي التي حققته .. اذا ارتكب القائد مثل هذا الخطأ فقد يفقد سيطرته على الجند .

ومن اجل ضمان عدم الوقوع في مثل هذه الاخطاء كان القائد يعتمد على رجل ذي خبرة ، معروف بحنكته في التعبئة وله تجارب في هذا الباب . وفي مصادرنا روايات تاريخية تشير الى هؤلاء تقول احداها مثلا :

« وكان عبدالرحمن بن اصبح اذا نزل الامر العظيم في الحرب لم يكن لاحد مثل رايه وكان عبيد الله بن حبيب على تعبئة القتال ، وكان رجال من الموالي مثل هؤلاء في الراي والمشورة والعلم بالحرب فمنهم الافضل بن بسام مولى بني ليث وعبدالله بن ابي عبدالله مولى بني سليم والبختري ابن مجاهد مولى بني شيبان »(4) .

وهناك العديد من المقاتلة الذين تصفهم المصادر بعبارة « صاحب راي في الحرب » ولا شك فهو يختص بوضع الاستراتيجية ويقابل مدبر الحركات العسكرية .

## مزايا المقاتل العربي :

وكان المقاتل العربي يتمتع بمزايا وصفات حققت له انتصارات فذة ومن هذه المزايا(5) :

اولا ـ روح الجماعة والاصرة التي تربط المقاتلة ببعضهم وخاصة اثناء تعرضهم لخطر خارجي على الحدود الشرقية او الشمالية .

ثانيا ـ الثقة بقابلياتهم والاعتداد بشجاعتهم فقد كان عدد العرب مجتمعين اقل بكثير من عدد سكان اي اقليم من الاقاليم المفتوحة . واذا كان سكان البلاد المفتوحة قد فاقوا العرب بالعدد فان العرب فاقوهم بالكيفية والقدرة القتالية . لقد كان العربي فارسا يشار اليه بالبنان يرمي وهو على ظهر فرسه . لقد امتلك العربي روح البداوة بكل ما فيها من جراة واقدام وعنف واعتماد شديد على النفس .

ثالثا ـ كان المقاتل العربي يتمتع بروح قتالية عالية وفذة ، بينما كانت هذه الروح قد خبت منذ زمن بين سكان البلاد المفتوحة الذين استخدموا المرتزقة والعبيد للقتال بدلهم وكانت الدنيا ومتاعها والتعلق بالحياة ولذاتها شغلهم الشاغل .

رابعا ـ اعتقاد العربي بأن الله معه في قضيته العادلة وانه سينصره على عدوه وهذا اعطاه ثقة متزايدة بالنصر .

خامسا ـ كانت القوة العربية تتكون من قبائل خفيفة الحركة ، اكثر خفة من الاعداء . وقد حافظت الدولة الاموية على هذه الصفة طالما بقيت سياستها هجومية توسعية ونجحت في توسيع حدود الدولة وفي مجابهة الاعداء وخاصة الترك على الحدود الشرقية في بلاد ما وراء النهر .

## الموالي والقتال :

لقد غالى بعض المستشرقين ومن اتبع رايهم من المؤرخين(6) في تصوير التمايز الاجتماعي بين العرب وغير العرب من سكان البلاد المفتوحة ووقعوا في تفاسير عنصرية ليست من مفاهيم العصر الذي ظهر فيه الاسلام . واذا كان هناك بعض الحالات الاستثنائية التي تدل على التنافر فان هناك امثلة عديدة على الامتزاج والتعاون والاشراك في السلطة . وليس يهمنا في هذا المجال ان نفصل في الامثلة ولكننا نقول بقدر ما يتعلق الامر بالجند بان السلطة العربية اشركت مقاتلة من المرتزقة من الموالي فهناك البربر في افريقيا والارمن في ارمينية والفراغنة والبخارية والسمرقندية والاشروسنية في الساحة الشرقية ، ففي رواية عن الطبري ان هناك ما لا يقل عن 20 الفا من سكان الاقاليم الشرقية استخدمهم نصر بن سيار في حملاته في الجبهة الشرقية(7) ، وقد وصل بعض هؤلاء الى مراتب عالية في القيادة .

كما كان الامويون يستخدمون الرقيق في القتال ، هذا مع تأكيدنا بان القوة الضاربة والرئيسة كانت تتكون من المقاتلة العرب .

## وحدات شبه نظامية :

رغم اعتماد الامويين على المقاتلة العرب من القبائل المختلفة باعتبارهم جند الدولة فقد برزت بوادر وحدات نظامية دائمية . فاذا استثنينا الشرطة ، التي تعتبر خارج نطاق هذا البحث ، ابتدع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

معاوية بن ابي سفيان نظام الحرس وهى كتيبة خاصة بحماية الخليفة وحذا حذوه امراء الاقاليم . وكان قائد هذه الوحدة يسمى ( صاحب الحرس ) واطلق معاوية على كتيبته اسم الغمامة .

ولم يكن صاحب الحرس شخصا عسكريا بالدرجة الاولى بل قد تناط به واجبات اخرى مثل الحجابة او ديوان الرسائل او الخاتم(8).

وكان هناك وحدات شبه نظامية اخرى مثل حاميات الثغور وكذلك الروابط على الحدود التي تعتبر وحدات متحركة وخفيفة من الخيالة . كما نظم الامويون المسالح في الداخل وخاصة في المدن غير المستقرة او المهمة من الناحية الاستراتيجية مثل مسلحة واسط في العراق ومسلحة الحيرة التي تسيطر على الكوفة . وكانت هذه المسالح تحت قيادة ( صاحب المسلحة )(9) .

**المقاتلة العرب :**

وفيما عدا الحرس ووحدات الثغور والروابط والمسالح التي لم تكن باعداد كبيرة وتقوم بواجبات محددة، فان القوة العسكرية الرئيسة في الدولة الاموية كانت منوطة بالمقاتلة العرب من القبائل الشامية والعراقية والمقاتلة العرب من اهل خراسان .

وقد اشرنا فيما مضى بان هؤلاء المقاتلة العرب كانوا يعيشون في وقت السلم حياة عادية يزرعون اراضيهم او يتاجرون ببضائعهم او يمتهنون حرفة معينة وقد زاد ولعهم بالتجارة والمهن بعد ان اختلطوا بسكان البلاد المفتوحة . ولكن ما ان تحدث ازمة داخلية او خطر خارجي حتى ينفر الجميع للحرب وعليهم يعتمد الخليفة الاموي في درء الخطر .

ان هذا الوضع الذي كان عليه الجند في العصر الاموي يحتوي دون شك على نقاط ضعف رئيسة نذكر منها(10) :

1 – فقدان عنصر الضبط والربط والنظام بين صفوف المقاتلة تلك الصفات العسكرية التي تعلم المقاتل الطاعة لرؤسائه . ان فقدان هذا العنصر كان يعني عدم وجود تلك الروابط التي تعلم الطاعة والولاء والمسؤولية تجاه الخليفة الاموي باعتباره رأس الدولة.

2 – كان المقاتلة مشدودين بروابط القبلية ولذلك لم يكن لديهم حافز محرك واحد للقتال بل كان المحرك يختلف من فئة مقاتلة الى اخرى فمنهم من يقاتل مندفعا بعوامل دينية ومنهم من يقاتل من اجل الغنائم او لاسباب سياسية او قبلية كما وان قتالهم ضد الاعداء الخارجيين كان للدفاع عن انفسهم وحمايتها. وفي كل الحالات كانوا يتوقعون من الدولة ان تدفع لهم عطاءا جيدا مقابل القتال .

3 – في كل المعارك التي خاضها المقاتلة العرب في العصر الاموي لم يقاتلوا كجند للدولة بل كافراد في قبائل . ومعنى ذلك ان وحدة الهدف او الغاية كانت تنقصهم . بل تحكمت احيانا المصالح الخاصة بالقبائل او زعماء القبائل في الاشتراك بالقتال او عدمه.

4 – لم يكن هناك من رادع يمنع المقاتلة من الاشتراك في الصراع السياسي الداخلي ومعنى ذلك الاشتراك في ثورات او تمردات سياسية ضد الدولة او التناحر بين القبائل نفسها . وكان لهذا دون شك آثاره السلبية على الحياة العسكرية والاستعداد الحربي الذي كانت الدولة تريده من المقاتلة . وفي مثل هذه الظروف فقد لا يواجه الخليفة صعوبة في قيادة المقاتلة ضد عدو خارجي ولكن في حالة حدوث تمرد داخلي فان المقاتلة من القبائل المختلفة ينشقون على انفسهم بين مؤيد للدولة ومعارض لها. والمقاتلة في كلا المعسكرين لهم نفس التدريب والاستعداد والسلاح والتكتيك .

وكان حسن تصرف الخليفة واستغلاله لمثل هذه الحالة يعتمد على قابليته وذكائه فقد ارسل عبدالملك بن مروان الى الحجاج الثقفي رسالة يقول فيها(11) :

**« .. فانما امير المؤمنين امين الله وسيان عنده منع حق واعطاء باطل وسيأتيك من امير المؤمنين امران : لين وشدة فلا يؤنسك الا الطاعة ، ولا يوحشنك الا المعصية » .**

ان الامر الاخير الوارد في الرسالة آنفة الذكر يعتبر اكثر اهمية والحاحا . فقد استطاع الخليفة الاموي ان يربط مصلحة القبائل العربية في بلاد الشام بمصلحة الدولة ولذلك فقد كانت الثقة متبادلة بين الطرفين . ولكن في الاقاليم الاخرى البعيدة عن مركز الدولة فان نجاح السلطة المركزية كان يعتمد الى حد كبير على خلق وضع يكون مفيدا لاكبر عدد ممكن من المقاتلة من اجل ضمان مساعدتهم لسياسة الدولة الاموية . وكان على الوالي الاموي ان يجامل ويداهن شيوخ القبائل والمتنفذين فيها والذين يتحكمون بولاء القبائل وبيدهم زمام قيادتها وتوجيهها . ففي رواية للطبري ان ابن هبيرة سال يوما من سيد قيس ؟ قالوا الامير ، قال :

**« دعوا هذا ، سيد قيس الكوثر بن زفر لو بوّق بليل لوافاه عشرون الفا لا يقولون لم دعوتنا ولا يسالونه .. »(12)**

ولا شك فان هذه الرواية توضح نفوذ رؤساء القبائل . وقد كان في الاقاليم اكثر من واحد من امثال الكوثر بن زفر !!

**محاولات للاصلاح :**

وازاء هذا الوضع حاول بعض الخلفاء او الولاة محاولات جادة لتغيير الوضع واصلاحه وذلك عن طريق مزج القبائل وربطها برابطة جديدة اكثر قوة من رابطة القبلية . ففي سنة 107هـ/725م حاول اسد القسري نقل الجند من البروقات الى بلخ . وقد كان الجند في الاولى منقسمين الى اخماس ، اما في بلخ فقد خلطهم واسكنهم دون اخذ التقسيم القبلي بنظر الاعتبار(13) . كما حاول الخليفة هشام بن عبدالملك ان يخفف من اثر النفوذ القبلي بأن اختار نصر بن سيار وهو حيادي ليس له نفوذ قبلي في خراسان واليا على اقليم خراسان. واتخذ نفس الخليفة موقفا عمليا حين امر واليه الجنيد بن عبدالرحمن بأن يسقط من الديوان ( العطاء ) اسماء المقاتلة الذين يرفضون الجهاد وأمره بالا يضغط عليهم لانه سيرسل له مقاتلة جددا ممن يرغبون في القتال . ان هذا الموقف من السلطة المركزية يدل على ادراك الخليفة بأن هناك بعض المقاتلة لا يرغبون بالاستمرار في القتال ولا يمكن للسلطة الاموية ان تجبرهم على ذلك(14) .

الا ان ارسال عناصر عربية جديدة من البصرة والكوفة او ارسال

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# الجيش العباسي في عصره الأول 132 – 218 هـ

**تمهيد :**

في صدر الاسلام كانت الامة كلها مقاتلة مستعدة للجهاد تنفر للحرب اذادعت الضرورة ذلك ، ولم يتغير الحال كثيرا في العصر الاموي حيث كان العرب المستقرون في الامصار يزاولون اعمالهم وحرفهم في اوقات السلم وينفرون للحرب حين تعلن الدولة النفير العام لقمع حركة داخلية او مواجهة عدو خارجي .

والذي يبحث في اسباب سقوط دولة الامويين سنة 132هـ 749 م يجد ان السبب الرئيس هو فشل الخلفاء الامويين في انشاء جيش نظامي ثابت واستمرار اعتماد الدولة الاموية على مبدأ الامة المقاتلة . فلما ضعف المقاتلة وضعف تماسكهم من جراء العصبية القبلية او المطامع الشخصية او غيرها وفقدت رابطة الهدف المشترك الذي يربطهم بالدولة انهارت الدولة الاموية .

لقد استغلت الدعوة السرية العباسية في خراسان اسباب تذمر المقاتلة العرب من اهل خراسان من سياسة التجمير الاموية التي تقضي ابقاء المقاتلةعلى الحدود شتاء وعدم السماح لهم بالرجوع الىالامصار. هذا من جهة ، ومن جهة اخرى كان للعرب من أهل خراسان مقاتلة او مستقرين اسبابا اخرى للتذمر من السياسة الاموية التي كانت تقطع اعطياتهم احيانا او تسلبهم فينهم وغنيمتهم او تقتطع نسبة اكبر مما تستحقه من هذه الغنائم بينما كان الواجب ان تأخذ الدولة الخمس وتترك الباقي يوزع على المقاتلة .

وقد زاد من اسباب استياء العرب من اهل خراسان في اواخر العصر الاموي هو ارسال ربع خراسان من الضرائب الى بيت المال المركزي في الشام بينما طالب اهل خراسان بضرورة صرفه على اقليم خراسان نفسه . واكثر من ذلك كان الوالي الاموي يسلط احيانا الدهاقين انفرس على المستقرين العرب لجباية الضرائب منهم وتقرير نسبتها . وهكذا استطاعت الحركة العباسية ( الهاشمية ) ان تجذب اليها الكثير من هؤلاء العرب المتذمرين في خراسان وغيرها .

**اول جيش نظامي :**

وحين انتصرت الثورة العباسية كان هؤلاء المقاتلة العرب من اهل خراسان جند العقيدة العباسية اول جند للدولة الجديدة .

الجند السوري ادى الى حدوث شقاق وتصادم بين القادمين الجدد وبين العرب القدماء من اهل خراسان . وبرزت كتلتان : المقاتلة من اصحاب الامتيازات والنفوذ السياسي والمستقرين المحرومين ولم يكن في مقدور السلطة الا ان تعتمد على المقاتلة من اصحاب السلطة والنفوذ .

لقد ادت هذه الحالة الى استمرار الحركات المعارضة للدولة وابانت اكثر من اي وقت مضى مدى حاجة الدولة الاموية الى جيش نظامي دائم قوي . ذلك لان الثوار رغم قلة عدد المنخرطين تحت لوائهم استطاعوا تحدي الدولة وتمكنوا من مطاولتها مدة ليست بالقصيرة لا بسبب ضعف الدولة بل بسبب عدم اعتمادها على جيش دائم ومنظم . ولعل في حركة يزيد بن المهلب(15) في خلافة يزيد الثاني ما يوضح ذلك احسن توضيح .

تشير مصادرنا التاريخية بأن يزيد بن المهلب حين بدأ حركته لم يكن معه اكثر من سبعين شخصا ، وقد امر والي البصرة عدي بن ارطاة المقاتلة من الاخماس بالخروج للتصدي ليزيد بن المهلب ولكن ازد البصرة انشقوا عن الوالي الاموي والتحقوا بيزيد بن المهلب لان المهالبة من اليمانية والازد من اليمن كذلك . على ان عدي بن ارطاة ربما توقع ذلك ، الا انه لم يتوقع الموقف الذي وقفته تميم وعبد القيس وهما من مضر . ذلك انهما انتهزتا الفرصة وقررتا الطلب من الوالي زيادة العطاء الذي كان 60 درهما شهريا . ولما امتنع الوالي من اجابة هذه المطاليب بحجة ان زيادة العطاء من اختصاص الخليفة امتنعت القبيلتان عن مساعدة الوالي في محنته هذه .

ولم يبق أمام الوالي الاموي الا الاعتماد على الشرطة وبعض الموالي للدفاع عن البصرة ولكن مقاومته لم تستمر واجبر على الاستسلام. وقد استولى يزيد بن المهلب على بيت المال في البصرة حيث كان فيه 9 ملايين درهم استطاع بها ان يجمع عددا كبيرا من الاتباع ولم تخمد حركته الا بعد ان ارسلت السلطة المركزية في دمشق 80 الفا من المقاتلة من بلاد الشام .

ان حركة يزيد بن المهلب لم تكن حالة استثنائية او معزولة بل ان حالات مشابهة لها حدثت المرة تلو الاخرى وفي كل مرة يقف الوالي مكتوف اليدين ويظهر عجزه عن التصدي لها حتى تسعفه السلطة المركزية بارسال القبائل السورية الموالية لها .

**الخاتمة :**

ان عدم قدرة الخليفة على خلق جيش نظامي دائم مرتبط بالدولة وموال لها ومدافع عن قضيتها ، كان من اهم نقاط الضعف في الخلافة الاموية بحيث جعل السلطة المركزية عرضة لاهواء وميول شيوخ القبائل والمتنفذين في اقاليم الدولة الواسعة .

ان الازمة التي حدثت في خراسان في اواخر العصر الاموي(16) كشفت عن نقاط الضعف هذه بوضوح ولم يكن هناك من شيء يمكن عمله لانقاذ الموقف ، فكان الخليفة مروان بن محمد ، رغم قابلياته الفذة ، الضحية . وبسقوطه سقطت دولة الامويين .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد استفاد العباسيون من اخطاء الامويين ولذلك سجلوا هؤلاء المقاتلة في ( ديوان شيعة بني العباس ) حسب قراهم ومدنهم واقاليمهم التي عاشوا فيها بخراسان لا حسب قبائلهم وانسابهم .

ان هذا الاجراء الذي اتبعه العباسيون يعتبر منعطفا جديدا مهما في تاريخ الجيش العربي الاسلامي في العصر الوسيط ، ذلك ان الدولة العباسية ارادت ان تزيل كافة العوامل التي نخرت في كيان الجند الاموي حتى غدا قوة منهكة لا يمكن الاعتماد عليها . لقد شعرت الدولة العباسية باهمية وجود الترابط القوي بين المقاتلة الذين يدعمون نظام الحكم الجديد يكونون كتلة واحدة صلدة وراء الدولة الجديدة . ومن هذا المنطلق فاننا نعتبر الجيش العباسي اول جيش منظم في تاريخ الدولة العربية الاسلامية . فالجند الهاشمية كانوا نواة اول جند نظامي بالمعنى المتعارف عليه في التنظيمات العسكرية لانهم كانوا ينتظمون كأفراد لا كقبائل وكان ولاؤهم للدولة التي تعنى بتدريبهم وتموينهم المستمر وتجهزهم شهريا بعطائهم .

ورغم ابقاء الدولة العباسية على اهل خراسان ، وغالبيتهم من العرب ، في وحدة عسكرية واحدة ترتبط بالولاء للدولة التي كانت تسمى بدولة اهل خراسان ، فانها نظمت تشكيلات عسكرية اخرى تستند على القبائل فكان هناك فرق قبلية يمانية ومضرية وربيعية ، وهذا يشير بوضوح الى ان الجيش العباسي في عصره الاول كان جيشا عربيا ـ لا كما يقال فارسيا ـ كما وان قيادة الجيش ظلت في ايدي عربية .

وحين بنى الخليفة المؤسس ابو جعفر المنصور ( 136هـ/754- 158هـ/775 ) مدينته المدورة بغداد كان هدفه الرئيس ايجاد مركز اداري وعسكري جديد ولذلك كانت مدينة السلام في بدايتها وكأنها قلعة عسكرية دائرية يسهل الدفاع عنها . ولم يسمح بالسكنى فيها وما حولها الا للشيعة العباسية من جند خراسان من المقاتلة . ثم بنى الرصافة على الجانب الشرقي لدجلة ووضع فيها حامية عسكرية تحت قيادة ولي عهده المهدي يساعده في ذلك بعض القادة العرب . وكان لهذا التدبير براعة سياسية وعسكرية ، وذلك لغرض ضرب احد المعسكرين في حالة تمرد المعسكر الآخر .

## عناصر الجيش العباسي :

حين تكلم الجاحظ(17) عن تنظيمات الجيش العباسي قسمه الى العناصر التالية :

1ـ العرب 2ـ الخراسانية 3ـ الموالي 4ـ الاتراك 5ـ الابناء .

ورغم ان الجاحظ عاش في اواخر العصر العباسي الاول ( القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ) فان تقسيمه هذا يصدق الى حد كبير على جيش المنصور وخلفائه .

ويتفق المؤرخون الآخرون(18) مع الجاحظ في تقسيمه هذا ويضيفون وحدات عسكرية جديدة مثل : الغلمان ، الشاكرية ، المغاربة ، الصعاليك . والملاحظ ان هذه الوحدات الجديدة لم تكن وحدات رئيسة .

وفي أواخر العصر العباسي الاول اعيد تشكيل الجيش العباسي فقد جعل الترك وحدة عسكرية منفصلة عن الموالي . وادمجت السلطة العباسية وحدات من الازد والارمن والزواقيل والصعاليك والابناء ضمن فرقة الموالي وجعلها تحت قيادة واحدة(19) .

وليس يهمنا ان نتتبع تطور الجيش العباسي عبر العصور وانما سنركز في هذا البحث على الجيش العباسي في عصره الاول ، وفي اعتقادنا ان الجيش العباسي في عصر الخلفاء الاوائل كان يتكون من الوحدات التالية :

### 1 ـ العرب :

لقد بانت اهمية العرب للعباسيين منذ ايام الثورة وزادت اهميتهم أثناء الحروب التي خاضها الجيش العباسي ضد الجند الشامي في العراق . فخلال تقدمه في العراق ساعدت عناصر قبلية مختلفة الجيش الخراساني . ثم ان سقوط الكوفة وواسط والموصل والبصرة ودمشق كان نتيجة مساعدة شيوخ القبائل الذين انضموا الى العباسيين .

وتورد الروايات التاريخية(20) المتفرقة الكثير من الامثلة الاستدلالية فقد عملت افخاذ من طي كدليل للقوة الخراسانية المتقدمة نحو الكوفة حيث دلتها على احسن الطرق واسلمها . والمعروف ان الكوفة سقطت على يد محمد بن خالد القسري زعيم اليمانية الذي احتلها باسم الجيش العباسي قبل ان يدخل هذا الجيش المدينة . كما وان محاولة القائد الاموي مؤثرة استعادة الكوفة فشلت بسبب انسحاب اليمانية من صفوف جنده وخاصة بجيلة وبجدل . كما وسقطت مدينة الموصل بيد الخراسانيين نتيجة تعاون زعماء القبائل في المدينة مع الخراسانيين حيث اغلقوا الابواب في وجه مروان وجنده . وقد اجبر يزيد بن هبيرة والي العراق الاموي على طلب الامان بعد ان ضعفت مقاومته بسبب تخاذل العناصر اليمانية في جيشه حيث اغراهم ابو جعفر المنصور قائلا : « السلطان سلطانكم والدولة دولتكم »(21) ويعود فشل العباسيين في احتلال البصرة في البداية الى كون والي البصرة الاموي سلم بن قتيبة الباهلي كان يتمتع بنفوذ كبير في المدينة لكثرة اتباعه وانصاره من القبائل . اما دمشق فلم يفلح عبدالله بن علي العباسي بدخولها الا بعد وقوع الفتنة بين اليمانية انصار العباسيين وبين المضرية انصار الامويين حيث استغاث عبدالله العباسي باليمانية قائلا: « انكم واخوتكم من ربيعة كنتم بخراسان شيعتنا وانصارنا وانتم دفعتم الينا مدينة دمشق وقتلتم الوليد بن معاوية وانتم منا وبكم قوام امرنا فانصرفوا وخلوا بيننا وبين مضر »(22) .

ان الحوادث الفاصلة التي وقعت في بداية نشوء الدولة العباسية تشهد على الاهمية الكبرى والدور الفاصل الذي لعبته القبائل العربية . فالطبري يشير الى ان هذه القبائل كانت تشكل اغلبية الجيش العباسي الذي كان يتكون من مضر واليمن والخراسانية وربيعة. ولذلك كان اكثرية قادة الجيش في تلك الفترة من العرب الذين لم يقودوا الحملات فقط ضد الثوار ولكنهم لعبوا ايضا دورا مهما في الصراع السياسي وبصورة خاصة فيما يتعلق بمشكلة ولاية العهد .

ولقد ادرك العباسيون مدى التاثير البالغ الذي يمارسه شيوخ القبائل على قبائلهم ولذلك عاملوهم معاملة طيبة ومحترمة . وكان الاحترام والود يتناسب مع عدد اتباع الشيخ . فقد رفض ابو العباس معاقبة اسحق بن مسلم العقيلي بحجة ان ذلك سيسيء الى قيس.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« اترى قيسا ترضى بأن نضرب سيدها حدا ، لو دعوته بالبينة لجاء مئة من قيس يشهدون ان القول قوله » . وقد منح نفس الخليفة الامان الى سلم بن عقبة الباهلي رغم انه تحدى العباسيين في البصرة ولم يطلب العفو . وقد كان سلم الباهلي طرفا في نزاع حدث في البصرة الا ان الوالي سليمان بن علي العباسي سامحه نظرا لنفوذه القبلي قائلا : « ما كان سلم ليقول شيئا الا شهد له الف نزاري »(23) .

ومن المهم ان نلاحظ ان المنصور ترك في الهاشمية حازم بن خزيمة التميمي نائبا عنه ومسؤولا عن الجيش والميرة حينما حج سنة 144/761–762 م .

على ان رواية ابن عساكر تظهر مقدار القوة التي لم تزل كامنة في ايدي شيوخ القبائل حتى زمن المأمون العباسي . وفي الرواية يتهم عبدالله بن طاهر احد شيوخ القبائل محمد بن صالح بن بيهس لتفاخره بمساعدة المأمون وكان اصبح مساويا لطاهر بن الحسين ولكن محمد بن صالح اجاب قائلا : « لقد حارب طاهر من اجل سلطان امير المؤمنين بمال امير المؤمنين ورجاله ، اما انا فقد حاربت بمالي ورجالي !! » .

وعلى الرغم من ان الدولة حاولت منذ عهد الامويين ان تنمي بين القبائل العربية شعور الولاء والاخلاص للدولة لا للقبيلة ، فان هذه المحاولات زادت في الصدر الاول من عهد العباسيين. فالمنصور مثلا اكد على الولاء للنظام العباسي اكثر من تأكيده على الولاء القبلي ، ومع ذلك فان الضرورة السياسية جعلته يضرب التكتلات القبلية الكبيرة بعضها بالبعض الآخر مستهدفا في ذلك تحقيق اهداف سياسية ليس الا . ولقد شهد عهده الكثير من هذه المناورات . وقد نجح المنصور بكسر الحلف القديم بين ربيعة واليمن وذلك بتحريض والي اليمن معن بن زائدة الشيباني بالتشديد على اهل اليمن المتمردين ثم شجع نفس الخليفة والي اليمامة والبحرين عقبة بن مسلم الهنائي للثأر من ربيعة ( قبيلة معن الشيباني ) التي كانت تكون جزءا كبيرا من سكان اليمامة والبحرين .

## 2 ـ اهل خراسان :

ليس لدينا في هذا المقام مجال لمناقشة طبيعة القوة الضاربة الخراسانية التي حققت النصر العباسي والتي كانت تتكون بصورة رئيسة من العرب من ( اهل خراسان ) . على اننا يجب ان نشير الى ان هؤلاء العرب الخراسانية الذين عاشوا في خراسان لفترة طويلة تكلموا الفارسية اضافة الى العربية وتزوجوا نساء فارسيات ولبسوا الملابس الفارسية وتكيفوا للبيئة الفارسية بتقاليدها العريقة واحتفلوا بالاعياد الفارسية .

ان ( اهل خراسان ) ، بعد زحفهم الى العراق خلال الثورة ، مروا بعملية ( تعريب ) جديدة خاصة وان الخلفاء العباسيين الاوائل كانوا انفسهم يشجعون الثقافة العربية والروح العربية في البلاط والمجتمع .

كانت الفرقة ( الخراسانية ) واحدة من اربع فرق في جيش المنصور . اما الثلاثة الباقية فهي : ربيعة ومضر واليمن . وهذه دلالة واضحة على نسبة العرب الكبيرة في الجيش العباسي في الصدر الاول من الدولة . وحين يتكلم الجاحظ(24) عن فترة أبعد قليلا عن عهد المنصور يصنف الجيش كالآتي :

1 ـ الخراسانية .

2 ـ الترك .

3 ـ الموالي .

4 ـ العرب

5 ـ الابناء .

ويظهر من ذلك انه حتى في فترة الجاحظ كان العرب والخراسانية والابناء الذين « استعربوا » لا يزالون موجودين في الجيش . والواقع ان عملية ادخال الاتراك في الجيش من قبل الخليفة المعتصم لاقت معارضة قوية من العرب والخراسانية .

لقد حافظ العباسيون على وحدة الفرقة الخراسانية . ويلاحظ بأن الخراسانية منذ الايام الاولى للدعوة سجلوا حسب قراهم ومدنهم لا حسب قبائلهم وهذا مما يؤكد حرص العباسيين على الابقاء على تماسك الفرقة الخراسانية وعدم السماح للعصبية القبلية بتفكيك وحدتهم . ويصف ابن المقفع الخراسانية فيقول : « فمن الامور التي يذكر بها امير المؤمنين امر هذا الجند من اهل خراسان فانه جند لم يدرك مثلهم في الاسلام وفيهم صفة بها يتم فضلهم انشاء الله . اما هم فاهل بصر بالطاعة وفضل عند الناس وكف عن الفساد وذل للولاة . فهذا حال لا نعلمها توجد عند احد غيرهم » . ويذكر ابن المقفع الخليفة بضرورة ضبط امر جند خراسان ورعايتهم ويشير الى الانتباه الى الامور التالية :

1 ـ تنظيم امور الضبط والربط والنظام عن طريق اصدار الخليفة لمنشور يعين فيه واجبات القادة ومسؤولياتهم وواجبات الجند وحقوقهم . «.. ومن كان انما يصول على الناس يقوم لا يعرف منهم الموافقة في الراي والقول والسيرة فهو كراكب الاسد الذي يوجل من رآه والراكب اشد وجلا . فلو أن امير المؤمنين كتب امانا معروفا محيطا بكل شيء يحفظه رؤساؤهم ويقودوا به دهماءهم »(25) .

ويشير ابن المقفع بصراحة الى اصل اهل خراسان العربي من اهل العراق وارتباطهم المتين بأهل الكوفة والبصرة فيقول : « ويذكر امير المؤمنين بأهل هذين المصرين( البصرة والكوفة) فانهم بعد اهل خراسان اقرب الناس الى أن يكونوا شيعته وحقيبته مع اختلاطهم با خراسان وانهم منهم عامتهم »(26) .

2 ـ على الدولة الا تسلم القادة العسكريين امورا مالية كجباية الخراج لان ذلك يفسدهم ويلهيهم عن واجبهم الاصلي . « واذا اريد صلاح هذا الجند فيجب الا يولى احدا منهم شيئا من الخراج . فان الخراج مفسدة للمقاتلة . وان جبوا الدراهم اجترأوا عليها واذا وقعوا في الخيانة صار كل امرهم مدخولا . مع ان ولاية الخراج داعية الى ذلة وحقرية وهوان وانما منزلة المقاتل منزلة الكرامة واللطف .

3 ـ الاستعانة بذوي القدرة والكفاءة والنزاهة منهم . « ومما ينظر في امرهم ان منهم من المجهولين من هو افضل من بعض قادتهم فلو التمسوا واصطنعوا كانوا اعمدة وقوة . وكان ذلك صلاحا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لمن فوقهم من القادة ومن دونهم من العامة » .

4 ـ وان يعتنى بتثقيفهم بتعليمهم الكتاب والسنة ليتجنبوا الاهواء والمعاصي والفرقة .

5 ـ ان يكون الخليفة مثلا اعلى لهم في تجنب الترف والاسراف والمغالاة في الملبس والعطر والنساء والظهور بمظهر المتواضع المعتدل .

6 ـ ضرورة تعيين وقت ثابت لارزاقهم كل ثلاثة او اربعة اشهر . وتسجيل اسمائهم في السجلات والقضاء على اسباب شكواهم ، وربما كان من الاحسن ان يكون نصف رزقهم عينا والنصف الآخر نقدا .

7 ـ على الخليفة ان يستقصي اخبارهم ويستعين بالثقاة في معرفتها. « وان لا يخفى ( عن الخليفة ) شيء من اخبارهم وحالاتهم وباطن امرهم بخراسان والعسكر والاطراف . وان يحتقر في ذلك النفقة ولا يستعين فيه الا بالثقاة النصاح فان ترك ذلك واشباهه احزم بتاركه عن الاستعانة فيه بغير الثقة فتصير مغبته للجهالة والكذب » .

ولقد دافع الخراسانية في فترات الازمات الحادة عن النظام العباسي ضد الثوار . كما وان العباسيين اعتادوا ارسال قوات خراسانية لمدد طويلة او قصيرة في المناطق المضطربة او التي كانت معروفة بميولها المضادة للعباسيين مثل البصرة والموصل وكذلك الشام وافريقيا . كما واشترك الخراسانية في الجهاد ضد البيزنطيين . واستغل الخلفاء اسم اهل خراسان ووقوفهم باخلاص وراء الخلافة العباسية في سبيل تنفيذ مآربهم او مشاريعهم وخاصة فيما يتعلق بولاية العهد . ونذكر في هذا الصدد ما قاله المنصور لعيسى بن موسى حين حثه عن التنازل لولاية العهد الاولى الى محمد المهدي « ليعلم انصارنا من اهل خراسان انك اسرع الى ما رجوا »(27). وحينما اراد المهدي من عيسى ان يتنازل عن ولاية العهد اخبره بان هذا الطلب نابع من اجماع « اهل بيته وشيعته وقواده وانصاره وغيرهم من اهل خراسان »(28) . وحين خطط الهادي لتنحية اخيه هارون الرشيد ساعده بعض القواد فخلعوا هارون وبايعوا لجعفر « ودسوا الى الشيعة فتكلموا في امره وتنقصوه في مجلس الجماعة»(29) .

على ان الخراسانية لم يكونوا الفرقة الوحيدة في الجيش العباسي فقد شكل العباسيون وحدات اخرى ـ كما ذكرنا ذلك ـ على اسس قبلية . وكذلك اشركوا القبائل في حملاتهم العسكرية . وعلى هذا فان الخلفاء طبقوا الاسس القبلية فيما يخص الفرقة الخراسانية . فسياسة عدم الاعتراف بالقبيلة ضمن تشكيلات الخراسانية كانت موافقة تماما لفترة الدعوة العباسية ، وما ان حقق العباسيون النصر حتى وجدوا من الضرورة ضرب القبائل ببعضها البعض . وعلى هذا نظم العباسيون فرقا جديدة على اسس قبلية . ثم ان العباسيين ، رغم ثقتهم بالخراسانية واهتمامهم برعاية امتيازات هذه الفرقة ، فقد وضعوا امامهم احتمال حدوث تمرد او انحراف من جانبها وبهذا شكلوا فرقا جديدة لتأمين جانبهم من هذه الناحية . يقول الطبري بان تمرد الراوندية سنة 141هـ ـ758م اشعر المنصور بضرورة تقسيم جيشه الى قسمين ووضع بعضه في بغداد والآخر في الرصافة. وبهذا يستطيع ان يضرب احدهما بالآخر في حالة حدوث تمرد من جانب ما(30) .

لقد استعمل المنصور البارزين من اهل خراسان في مناصب عالية، وكان يحرص على الاحتفاظ بولائهم للنظام السياسي . وفي رأينا فان تعيين المنصور لخازم بن خزيمة التميمي المروزي الخراساني نائبا عنه في الهاشمية على « العسكر والميرة »(31) حينما ذهب للحج سنة 144هـ له دلالته الكبيرة من حيث ثقة الخليفة بأهل خراسان . فقد استغاث المنصور بهم في اثناء ثورة الحسنيين الخطرة « يا اهل خراسان انتم شيعتنا وانصارنا واهل دعوتنا » . واوصى ابنه المهدي بهم خيرا حيث قال ،

« واوصيك باهل خراسان خيرا فانهم انصارك وشيعتك الذين بذلوا اموالهم في دولتك ودماءهم دونك ومن لا تخرج محبتك من قلوبهم ان تحسن اليهم وتتجاوز عن مسيئهم وتكافئهم على ما كان منهم وتخلف من مات منهم في اهله وولده » .

وحين حضرت المنصور الوفاة دعا بني هاشم والشيعة من اهل خراسان ان يتحدوا وراء المهدي ولي العهد ويساعدوه على تسيير امور الدولة . « واسال الله ان لا يفتنكم بعدي ولا يلبسكم شيعا ولا يذيق بعضكم بأس بعض يا بني هاشم ويا اهل خراسان ثم اخذ في وصيتهم بالمهدي واذكارهم البيعة له وحضهم على القيام بدولته والوفاء بعهده » .

على ان قلة استعمال اصطلاح « اهل خراسان » في المصادر التاريخية بعد الانتصار العباسي قد يدعو الى استنتاج خاطيء فيما يتعلق بدورهم ككتلة سياسية في البلاط العباسي . فالاعتقاد بضعف قوتهم او تلاشيها ليس له صحة ذلك لاننا يجب ان نلاحظ بأن اصطلاح ( اهل خراسان ) لم يكن الاصطلاح الوحيد الذي عرفت به هذه الكتلة السياسية ، فقد كان يطلق عليهم اسم ( الشيعة ) و ( انصار الدولة ) و ( رؤساء الشيعة ) و ( القواد ) . وبما انهم سجلوا منذ البداية باسماء مدنهم وقراهم ولذلك كان يطلق عليهم كذلك اسم ( المروزية ) و ( البضيين ) و ( اهل بلخ ) و ( اهل بخاري ) و ( اهل فرغانة ) والى آخره .

وعلى ذلك فان الكثير من ابرز رجالات اهل خراسان لم يكونوا يعرفون باسم الخراسانية بل باسم قراهم او مناطقهم التي عاشوا فيها . والامثلة على ذلك كثيرة ومتفرقة في الروايات التاريخية منها :

خازم التميمي ( المروزي )

قحطبة الطائي ( الجرجاني ) .

الفضل التميمي ( الطوسي ) .

جديع الازدي ( الجرجاني ) .

عبدالملك العتكي ( الجرجاني ) .

ومن هذا المنطلق يمكن الاستنتاج بانه من غير المعقول ولا من الدقة في شيء ان ننعت المروزية اتباع خازم التميمي او الجرجانية اتباع عبدالملك العتكي بانهم فرس .

وهناك امثلة كثيرة اخرى في مصادرنا التاريخية لتأثير ( اهل خراسان ) في سياسة الدولة وكذلك في مشكلة ولاية العهد . فقد تعذر المنصور باهل خراسان حين كتب الى عيسى بن موسى سنة 147هـ 764م يسأله التنازل لولاية العهد الاولى لمحمد المهدي . « ليعلم انصارنا من اهل خراسان وغيرهم انك اسرع الى ما احبوا مما عليه رايهم في صلاحهم منهم الى ذلك من انفسهم » .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد حصل الخراسانية ، افرادا وجماعات ، على ارباض واراض داخل المدينة المدورة وفي ضواحيها، وقد سكن نسبة كبيرة منهم في الشمال من بغداد وخاصة في الحربية حيث استقروا تبعا للمدن والمناطق التي قدموا منها في خراسان . وبمعنى آخر كان سكناهم على اساس اقليمي لا عنصري .

### 3 ـ الموالي :

ان اصطلاح « المولى » مثل غيره من الاصطلاحات في هذه الفترة ، اصطلاح مرن وغير محدود ، وعلى الرغم من ان « الولاء » كان علاقة اجتماعية وقانونية فان موالي الخليفة تمتعوا بمنزلة خاصة في علاقتهم بالخليفة الذي خدموه ضمن اختصاصات مختلفة .

ولقد كان بين « الموالي » نسبة كبيرة من العبيد المحررين من مختلف العناصر والاجناس . كما وان عددا من « الموالي » كانوا عربا اسروا في الحرب .

ليس من اختصاص هذا البحث ان يتعقب تطور محتوى اصطلاح « الموالي » ولا يهمنا ما هية الاعمال المتنوعة التي كان يقوم بها الموالي في المجتمع الاسلامي ، على ان ما قصدناه من اصطلاح الموالى في هذه الدراسة لا يشير الى كتلة عنصرية مكونة في الاغلب من الفرس ولكنه مزيجة من اجناس عديدة يربطها بالخليفة ولاء الاخلاص الذي تضعه فوق كل اعتبار ، كما وان ارتباطها بالبلاط العباسي كان اقوى من اي ارتباط آخر .

لقد شعر المنصور منذ بداية حكمه بالحاجة الى مثل هذا السند سواء في البلاط او في الادارة او في الجيش . وقد عزم على خطة من شانها جمع هذه العناصر المختلفة ، التي جلبت بطريق الحرب او التجارة وانها جذبت انتباه الخليفة بطريقة او باخرى ، في جسم صلب واحد يستطيع ان يعتمد عليه كليا . وحالما دخل الموالي في معية الخليفة اصبحوا مرتبطين به كليا وبالتالي مطيعين له طاعة عمياء .

يقول الجاحظ : « وكان المنصور ومحمد بن علي وعلي بن عبيد الله يخصون مواليهم بالمواكلة والبسط والايناس لا يبهرجون الاسود لسواده ولا الدميم لدمامته .. ويوصون بحفظهم اكابر اولادهم ويجعلون لكثير من موتاهم الصلاة على جنائزهم وذلك بحضوة من العمومة وبين الاعمام والاخوة »(32) .

وقد اعتنى المنصور بتدريب البعض من « احداث مواليه » على السلاح وتطورت هذه الكتلة فأصبحت وحدة كبيرة في الجيش .

ويؤكد ابن خلدون في ان البيت والشرف للموالي واهل الاصطناع انما هو بمواليهم لا بانسابهم فيقول : « فاذا اصطنع اهل العصبية قوما من غير نسبهم واسترقوا العبدان والموالي والتحموا بهم كما قلناه ضرب معهم اولئك الموالي والمصطفون بنسبهم في تلك العصبية ولبسوا جلدتها كأنها عصبيتهم وحصل لهم من الانتظام في العصبية مساهمة في نسبها كما قال رسول الله (ص) « مولى القوم منهم » ، وسواء كان مولى رق او مولى اصطناع او حلف(33) ، ولقد ظهر في الدولة العباسية نوع جديد من الولاء سمي « بولاء الاصطناع » ، ويعني هذا اختيار الخليفة لافراد او جماعات بغض النظر عن اصلهم العنصري حيث يمنحهم الخلع والرتب ويعهد اليهم بالاعمال المهمة . وعلى هذا فيلاحظ ظهور شخصيات متنوعة في اصلها ولكنها تحس بنفسها ككتلة منفصلة عن غيرها وتجمعها مصالحها واهدافها المشتركة ، كما وان المهم في الامر ان الخليفة نفسه كان يعود الى هذه الكتلة حيث لم يكن الكثير من الخلفاء العباسيين يرجعون الى اصول عربية من جهة الام .

ومما لا شك فيه فان كتلة الموالي في الدولة العباسية اعتبرت نفسها كتلة مستقلة ومختلفة عن كل من العرب وغير العرب . ويقول الجاحظ في هذا الخصوص بأن الموالي ادعوا بانهم افضل من العرب بسبب اصلهم الاعجمي وانهم افضل من العجم بسبب روابطهم الجديدة بالعرب . ان مضمون مقالة الجاحظ واضح فالموالي كانوا كتلة ممتزجة من عرب وغير العرب تجمعهم صفة واحدة الا وهي انهم اعتبروا انفسهم كتلة معينة تختلف عن العرب والعجم . وقد وصف الجاحظ منزلة الموالي بالمقارنة مع العرب والعجم واظهر ، وهذا امر مهم ، دعواهم بانهم افضل من العرب والعجم . ان هذه النظرة الى الموالي يؤيدها اشارة الجاحظ الى ان كتابة ( العرب والموالي) تختلف عن كتابة ( العرب والعجم ) . وحين يدافع الجاحظ عن نفسه تجاه احد نقاده الذين اتهموه بالتكرار فيقول بأن الفروق بين العرب وغير العرب هي ليست كالفروق بين العرب والموالي . من المحتمل ان الجاحظ يشير هنا الى تلك الكتلة من الموالي الذين طغت روابطهم بالخليفة على الرابطة العنصرية ( الجنسية ) اذا كان هناك رابطة جنسية ذات بال في تلك الفترة المبكرة من عهد العباسيين ، كما وان منزلتهم ـ اي الموالي ـ في البلاط والادارة والجيش ميزتهم تماما عن كل من العرب والعجم الذين كانوا منافسيهم في كسب رضا الخليفة والحصول على المراكز الحيوية .

على ان الجاحظ يعترف بأن الموالي حصلوا على تلك المنزلة الرفيعة بسبب رعاية الخلفاء العباسيين الذين امهاتهم غير عربيات على الاغلب، وادركوا مدى الاستجابة القومية والرابطة المشتركة التي تربطهم بكتلة الموالي من السكان . وبهذا فالجاحظ يرفض رفضا باتا فكرة العنصر كمعيار لتصنيف المجتمع ويعتبر البيئة والثقافة عوامل رئيسة في قياس الشخص وفي تهيئته . ومن هذا المنطلق فان الموالي ثقافيا ولغويا وبيئيا كانوا عربا كما يمثلهم الجاحظ .

يشير الجاحظ واليعقوبي بأن الخليفة المنصور كان اول خليفة عباسي استعمل مواليه وغلمانه في اعماله . على ان المسعودي والمقريزي يدعيان بأن المنصور لم يستخدمهم فقط بل فضلهم على العرب ايضا . ويظهر ان الراي الاخير راي اعتباطي لا يسنده دليل ثابت . واذا كان الخليفة قد وثق بمواليه وقدمهم فان ذلك لم يكن بالتاكيد على حساب العرب الذين استمروا يحتفظون بمراكز رئيسة وخطيرة . ويمكن القول بأن ادعاء المسعودي والمقريزي ينطبق على فترة متاخرة ( في حوالي منتصف القرن الثالث الهجري ) من العصر العباسي ويؤيد ذلك المؤرخ الناقد ابن خلدون الذي يظهر بوضوح نفوذ العنصر العربي خلال العصر العباسي الاول دون ادنى شك . ويحدد ابن خلدون بدقة الى ان العرب فقدوا السلطة حين تسلم ابناء الرشيد العرش وانهارت العصبية العربية في عهد المعتصم . وينظر ابن خلدون في تحليله لهذه الفترة المتقدمة من التاريخ الاسلامي ، الى ان القضية كلها قضية عربية تحمل فيها العنصر العربي المسؤولية على عاتقه حتى بدات تفلت من يديه بصورة تدريجية .

لقد بدأ ( الموالي ) بالنمو من حيث الاهمية في البلاط والادارة منذ عهد الخليفة المنصور . ويجهزنا اليعقوبي بقائمة من اسماء الموالى الذين اختصهم المنصور ووثق بهم ، ومن بينهم : عمارة بن حمزة ، مرزوق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ابي الخصيب ، واضح ، منارة ، العلاء والربيع بن يونس . ويقول ابن قتيبة بأن المنصور غضب غضبا شديدا لما سمع ان والي البصرة سلم بن قتيبة الباهلي عاقب احد موالي الخليفة واعتبر ذلك تجاوزا على الخليفة نفسه كما وان المنصور اوصى ولي عهده المهدي بالموالي قائلا انه ترك له ثلاثة اشياء مهمة هي : المال ، الموالي ، ومدينة السلام .

ولم يقف الامر عند هذا الحد بل ان هذه الرابطة القوية والولاء استمر فشمل الجيل الثاني من الموالي . فقد قيل عن حاتم بن هرثمة بن اعين مولى الرشيد « فانه ممن لا يعرف الا بالطاعة ولا يدين الا بها بما قد من الله مما قدم له من حال ابيه المحمود عند الخلفاء »(34) .

ويظهر ان تأثير الموالي قد تعدى الحدود في عهد الخليفة المهدي ، فقد حذر عبدالصمد بن علي ، خال المهدي ، الخليفة – على ما يذكره الطبري – بأن علاقته الودية بالموالي سوف تبعد اهل خراسان عنه . ولكن المهدي اجاب بأن الموالي يستحقون كل هذا التقدير ذلك لانهم يضطلعون بأي عمل سيطلبه منهم مهما كان ذلك العمل لا يتناسب مع منزلتهم او قد يعتبر تحقيرا لهم ، بينما يعترض الآخرون من غير الموالي على مثل هذه الطلبات من قبل الخليفة متعذرين باصلهم ومنزلتهم وسابقتهم في الدعوة العباسية .

وفي رواية للخطيب البغدادي عن الربيع بن يونس ان المهدي حين تبوأ الخلافة وزع محتويات أحد خزانات بيت المال بين « مواليه وغلمانه وخدمه »(35) .

ويقول الجهشياري بأن المهدي اظهر احتراما كبيرا لعمارة بن حمزة لدرجة ان القرشيين الذين كانوا يزورون البلاط في ذلك الحين استغربوا من شخصية القادم ، فاجاب المهدي « انه عمارة بن حمزة مولاي » . وتذكر المصادر التاريخية الموالي جنبا الى جنب مع العباسيين واقرباء الخليفة المقربين في قوائم الهبات والهدايا التي يعطيها الخليفة . كما وان اهمية الموالي تظهر من الرواية التي تشير بأن المهدي حين رحل الى جرجان سنة 169هـ–785م ترك مولاه الربيع ابن يونس لينوب عنه في بغداد .

ولقد كان عدد الموالي الذين تقلدوا مناصب سياسية وعسكرية او اظهروا براعة في المجال السياسي في عهد المهدي اولاده الذين خلفوه كبيرا ، على ان بعض المؤرخين الذين اعتبروا الموالي كتلة عنصرية ( جنسية ) لا كتلة اجتماعية سياسية ، يدعون بأن اختيار الخلفاء العباسيين لوزرائهم من ( الفرس ) كان خطة مدروسة ومصممة تصميما جيدا من قبل الخلفاء كدليل على ان العهد العباسي الجديد شركة بين العرب والفرس . ونستطيع ان نؤكد بأن ليس هناك في مصادرنا التاريخية ما يشير الى ان المناصب في الدولة العباسية في عصرها الاول كانت توزع حسب اعتبارات او مقاييس عنصرية . وقد اظهرنا سابقا بأن الموالي لم يعتبروا انفسهم فرسا كما وانهم لم ينظر اليهم كفرس من قبل الآخرين . وكان وزراء العصر العباسي الاول اما ذوي اصول غامضة غير معروفة تماما ترعرعوا في البلاط العباسي او موالي جربوا لمدة طويلة فكانوا موضع ثقة واثبتوا كفاءة عالية . وقد عينوا في مناصبهم العالية بسبب مهارتهم الادارية وولائهم السياسي للعباسيين. ويجب ان نضيف بأن الخليفة كان بوسعه دون اية صعوبة ان يقصيهم من مناصبهم اما لشكه فيهم او لاعتبارات يعتقد انها ضرورية .

وفي المدينة المدورة استوطن الموالي قطاعا خاصا بهم سمي ( درب الموالي ) ، كما وان موالي آخرين منحوا قطائع اما افرادا او على شكل جماعات مثل عباد الفرغاني والفرغانية، حسن الشروي والشروية، والربيع بن يونس ، سليمان وسويد والخ .. على اننا يجب ان نشير بأن الشروية هم موالي محمد بن علي ابن عبدالله العباسي ثم موالي للخلفاء العباسيين من بعده ، وكان للموالي ديوان خاص بهم في بغداد يسمى « ديوان الموالي والغلمان » .

## 4 – الابناء :

في اواخر عهد المهدي وفي ايام الهادي وهارون الرشيد بدأ يظهر اصطلاح جديد بين كتل البلاط وفي تشكيلات الجيش العباسي الا وهو ( الابناء ) ويذكرهم ابن سعد في طبقاته باسم ( ابناء اهل خراسان ) حيث يشير الى ابي نصر التمار على انه من ابناء اهل خراسان من نسا. وتؤكد رواية اخرى الاصل الخراساني لكتلة الابناء هذه في مناقشة بين الرشيد واحدهم الذي قال يتحدث عن نفسه بأنه « من ابناء هذه الدولة ، أصله من مرو وولادته في بغداد » . و [illegible] الدينوري [illegible] الرشيد حين زار سنة 180هـ مدينة الهاشمية التي [illegible] عباس قرب الانبار ، وجد فيها عددا من « ابناء خراسان » [illegible] يزالون يقطنونها . ويشير الدينوري نفسه الى ان ثورة رافع بن ليث الليثي في خراسان كان سببها سياسة الوالي علي بن عيسى بن ماهان التعسفية تجاه اهل خراسان ، كما وان فشلها يعود الى انحياز « ابناء الشيعة » الذين كانوا مع رافع الليثي مثل عجيف بن عنبسة والاحوس بن مهاجر الى الجيش العباسي . وفي رواية للطبري يسمي مثل هذه الكتلة « معشر الابناء واهل السبق الى الهدى » والهدى هنا معناه الانضمام الى الدعوة العباسية . كل هذه الروايات التاريخية تؤكد دون شك الاصل الخراساني للابناء . وبمعنى آخر ان الابناء هم ابناء واحفاد اهل خراسان جند العقيدة العباسية الذين ثاروا في وجه السلطان الاموي وزحفوا نحو العراق والشام فحطموا الدولة الاموية واقاموا الدولة العباسية سنة 132هـ–750م .

وفي العراق مركز السلطة العباسية الجديد استوطن اهل خراسان محافظين على وحدتهم غير متناسين اصلهم ولذلك برزت كتلة الابناء من كتلة اهل خراسان كتلة واحدة منسجمة تأثرت بالتطورات الجديدة السياسية والثقافية والحضارية الا انها لم تنس اقليم آبائها الاول حيث ولدت الدعوة العباسية وتفجرت .

وكما ان اهل خراسان كانوا عربا وعجما فالابناء دون شك سيكونون مزيجا من الجنسين ولذلك يصدق ابن طيفور حين يسميهم « ابناء خراسان المولدون » . فمن ابرز العرب من الابناء هو عبدالله بن حميد بن قحطبة الطائي حيث يشير اليه الخليفة وداود بن عيسى بن موسى الخراساني ومحمد بن ابي خالد المروزي .

اما ابرز العجم من الابناء فهو يحيى بن خالد البرمكي الذي يشار اليه كواحد من « ابناء الشيعة واهل الدولة » .

ومما يدل على الصلة القوية والترابط الوثيق بين (اهل خراسان) و ( الابناء ) هو اشارة الروايات التاريخية لهم جنبا الى جنب ، فيذكر الجاحظ على لسان الخراساني « اننا النقباء وابناء النقباء » ويدعي البنوي الاصل الخراساني دائما فاصله في خراسان وفرعه في بغداد حيث لا يزال هناك بقايا رجال الشيعة . ويؤكد الجاحظ في مناسبة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اخرى في مناقب الترك بأن « البنوي خراساني » . يقول البنوي « انا اصلي خراسان وهي مخرج الدولة ومطلع الدعوة .. وفرعي بغداد وهي مستقر الخلافة والقرار بعد الحولة وفيها بقية رجال الدعوة وابناء الشيعة وهي خراسان العراق وبيت الخلافة وموضع السادة»(36) .

ويستطرد البنوي فيفخر بنفسه قائلا : « وانا اعرق في هذا الامر من ابي واكثر ترددا فيه من جدي واحق في هذا الفضل من المولى والعربي . ولنا بعد في انفسنا ما لا ينكر من الصبر تحت ظلال السيوف القصار والرماح الطوال .. ولنا الصبر على الجراح وعلى جر السلاح اذا طار قلب الاعرابي وساء ظن الخراساني(37) .

وقد اثبتت التجارب السياسية وقوف الابناء الى جانب اهل خراسان في فترات الشدة والازمات . فقد وقف الابناء مع اهل خراسان ضد اهل الشام كما وقف الابناء مع الجرمية ( وهم من خراسان ) ضد اجراءات المعتصم بادخال الترك في الجيش العباسي .

ولكن الابناء لم يكونوا قوة كبيرة في عهد الخلفاء العباسيين الاوائل ويزداد ذكرهم في عهد الرشيد ثم لعبوا دورا مهما في النزاع بين الامين والمأمون .

وسكن الابناء في بغداد الارباض وكانوا يسمون ( اهل الارباض ) او ( ابناء الارباض ) . على ان الفرق بين الابناء واهل خراسان هو ان اهل خراسان من العرب تأثروا بالبيئة الفارسية وتقاليد حضارتها لاستقرارهم هناك ردحا من الزمن اما الابناء فتأثروا بتقاليد الخلافة العباسية في العراق الذي كانت بيئته تختلف تماما عن بيئة خراسان الاعجمية .

## 5 ـ السودان والزنوج والعبيد :

لقد تقربت الدعوة العباسية الى المستضعفين في المجتمع الاسلامي فدعت العبيد الى الانخراط في صفوف الثوار وعتق كل عبد ينضم اليها . ولم يكن وجود العبيد في الجيش العباسي شيئا مبتدعا فقد كان العبيد يرافقون الحملات العسكرية منذ العهد الاموي .

وتذكر المصادر التاريخية وجود العبيد والزنوج كتشكيلة في الجيش العباسي فكان هناك وحدة مكونة من 4 آلاف زنجي في جيش يحيى بن محمد العباسي والي الموصل حين وصوله سنة 133هـ ـ 751 م كما ورافق السودان الجيش العباسي الذي ارسله المنصور الى البصرة لاخماد ثورة ابراهيم الحسني . والمعروف انه كان يوجد في بغداد دار خاصة بالرقيق تسمى ( دار الرقيق )(38) . وكان الرقيق يستوردون من مصادر مختلفة منها الشراء أو السبي او هدايا او جزء من ضرائب اقليم من الاقاليم .

## 6 ـ الاعراب :

ولقد كان من عادة قادة الجيش العباسي من اصحاب النفوذ القبلي امثال خازم بن خزيمة التميمي ومعن بن زائدة الشيباني وعقبة بن مسلم الهنائي وعبدالله بن شهاب المسمعي ويزيد بن مزيد التميمي ان يصطحبوا جزءا من قبائلهم مع الجيش المنظم عند انتدابهم للغزو او لقمع ثورة وبهذا يستطيع القائد ان يعتمد على تفانيهم له في فترات القتال الحرجة ثم انهم سينتفعون بالغنائم والاسلاب ويتيسر للسلطة اشغالهم لفترة مع الزمن . وقد استعمل ابو جعفر ( المنصور ) نفس هذه السياسة مع قبائل الجزيرة حين كان واليا عليها في خلافة اخيه ابي العباس .

## 7 ـ الشاكرية :

المعروف ان اصطلاح شاكرية يعني بالفارسية الخدم . وهؤلاء من المرتزقة المرتبطين بالوالي او القائد ويعتبرون جزءا من مواليه وغلمانه . وكانت الشاكرية في الجيش تستخدم في الخدمات بالدرجة الاولى والحراسة . وقد ربطوا في اواخر العصر العباسي الاول بالمؤسسة العسكرية فسجلوا في ديوان واحد مع الجند سمي ديوان الجند والشاكرية(39) .

## 8 ـ الصعاليك :

وتعني كلمة « صعلوك » الفقير الضعيف الحال وان انخراطهم في الجيش العباسي في اواخر العصر الاول يعني دخول عناصر من الطبقات الضعيفة والكادحة في الجيش . ولا شك فان قبول هؤلاء في الجيش يدل على سياسة حكيمة للدولة العباسية فقد انضم هؤلاء الفقراء والمحرومون الى حركات التمرد ضد السلطة وسببوا قلاقل كثيرة في اقاليم عديدة مثل اذربيجان وارمينية وغيرها فكان حلا معقولا من قبل الدولة ان تقبلهم في الجيش فقضت بذلك على اسباب تذمرهم وحلت مشكلة بطالتهم . وكان الصعاليك يتواجدون بين الجند المرابط في الثغور .

## 9 ـ الزواقيل :

يرد هذا الاصطلاح عند الكلام عن النزاع بين الامين والمأمون . وكان الزواقيل كجماعة وقفت الى جانب الامين ، وغالبية هذه الكتلة تتجمع من اقليمي الشام والجزيرة وتذكر المصادر بعض زعمائهم امثال نصر بن شبث العقيلي والعباس بن زفر الهلالي وقد حار المؤرخون في تمييز هذه الجماعة(40) ، ونحن نعتقد بأن الزواقيل في غالبيتهم عرب من القبائل القيسية المستوطنة في بلاد الشام والجزيرة. يشير الطبري الى ان الخليفة هارون الرشيد ارسل جعفر البرمكي سنة 180هـ ـ 797م لوضع حد للعصبيات القبلية بين القيسية واليمانية « وقتل زواقيلهم ولتصصتهم » وقد اشرنا بأن زعماءهم كانوا عربا .

ولهذا نرى بأن الزواقيل عرب قيسية نصروا الامين وبقوا بعد انتصار المأمون ضد السلطة العباسية ولذلك نعتتهم السلطة « باللصوصية » وكان لهذا النعت ما يبرره لان هؤلاء البدو كانوا محرومين من العطاء وربما عمدوا الى النهب لاقامة اودهم وبمرور الزمن اصبح اصطلاح الزواقيل اصطلاحا اجتماعيا يدل على الضعفاء من البدو العرب وخاصة من القيسية .

وكما ادخلت السلطة العباسية الصعاليك في الجيش ضمت كذلك الزواقيل لضبطهم وحل مشكلتهم المعاشية وايجاد عمل مفيد لهم

## 10 ـ عناصر اخرى :

وقد انضم الى الجيش العباسي بمرور الزمن عناصر اخرى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وخاصة في اواخر العصر الاول(41) مثل المغاربة الذين جلبوا من مصر والسودان وشمالي افريقيا والفراغنة والزط والارمن وغيرهم على ان اغلب هذه العناصر لم تتبلور في فرق عسكرية في الفترة موضوعة البحث وربما دخلت ضمن المتطوعة والقوات النظامية .

## الهوامش :

1 ــ البلاذري ، فتوح البلدان ، جـ1 ص 202 ــ اليعقوبي ، تاريخ ، جـ2 ص 176 ، طبعة ليدن .

2 ــ دنيت : مروان بن محمد ( اطروحة دكتوراه ) جامعة هارفرد 1939 ، ص 123 .

3 ــ الطبري ، تاريخ ، الطبعة الاوربية ، القسم الثاني ، 1381ــ1382 .
4 ــ المصدر السابق ، ص 1544 .
5 ــ راجع دنيت ، المصدر السابق ، ص 133 ، فما بعد .
6 ــ فان فلوتن ، السيادة العربية ، القاهرة 1934 ــ ولهاوزن ، الدولة العربية القاهرة 1958 ، جرجي زيدان التمدن الاسلامي، جـ2ص18ــ28 د. عبدالامير دكسن الخلافة الاموية 101 ــ 104 ( بالانكليزية ) .
7 ــ الطبري ، تاريخ ، ص 1690 .
8 ــ المصدر السابق ، ص 1649 ، 1650 .
9 ــ دنيت ، المصدر السابق ، ص 136 .
10ــ المصدر السابق ، ص 139 .
11ــ المسعودي ، مروج الذهب ، جـ 5 ص 276 ، وقد خطب الحجاج الثقفي في المقاتلة فقال : « .. وان امير المؤمنين امرني اعطاءكم اعطياتكم واشخاصكم الى محاربة عدوكم ( الخوارج ) مع المهلب وقد امرتكم بذلك واجلت لكم ثلاثا واعطيت الله عهدا يواخذني به ويستوفيه مني ان لا اجد احدا من بعث المهلب بعدها الا ضربت عنقه وانهبت ماله » . مروج الذهب ، القاهرة جـ 3 ، ص 135 .

12ــ الطبري ، تاريخ ، ص 1455 .
13ــ المصدر السابق ، ص 1490 .
14ــ د . فاروق عمر فوزي ، العباسيون الاوائل ، الجزء الاول ، بيروت 1970 .

15ــ الطبري ، ص 1379 .
16ــ د. فاروق عمر ، طبيعة الدعوة العباسية ، بيروت 1970 .
17ــ الجاحظ ، الترك ( في ثلاث رسائل ) 1903 ص 8 .
18ــ الطبري ، تاريخ القسم الثالث ، 1380 ــ 1384، 1400 ، 1431 ــ الكامل لابن الاثير جـ 7 ص 29 ، 44 ، 64 ــ المسعودي ، مروج الذهب ، جـ 7 ص 258 ، 273 ــ 277 .

19ــ مياه ، عصر المتوكل ، اطروحة دكتوراه ( بالانكليزية ) ، جامعة لندن 1963 .

20ــ راجع د . فاروق عمر ، العباسيون الاوائل ، جـ 2 الفصل الاول ، دمشق ، 1973 .

21ــ راجع مقالنا :
The Composition of Abbasid Support
في مجلة كلية الاداب سنة 1968 ففيه معلومات اكثر عن مصادرنا الاصلية والحديثة .

22ــ الازدي ، تاريخ الموصل ، ص 124 .
23ــ د. فاروق عمر ، العباسيون الاوائل ، جـ2 ص 38 .
24ــ الجاحظ ، الترك ، 1903 ص 8 .
25ــ ابن المقفع ، رسالة في الصحابة ، ص 119 فما بعد .
26ــ المصدر السابق ، ص 124 .
27ــ الطبري ، تاريخ ، القسم الثالث ، ص 338 ــ 341 ، اليعقوبي ، التاريخ جـ 2 ، 456 ــ 457 .

28ــ الطبري ، ص 471 ــ 476 ( القسم الثالث ) .
29ــ المصدر السابق ، ص 572 ــ الجهشياري ، الوزراء والكتاب 174 ، اليعقوبي ، تاريخ 489 ــ 490 .

30ــ الطبري ، ص 600 ــ 601 ، اليعقوبي ، تاريخ ، ص 490 .
31ــ الطبري ، ص 143 ( القسم الثالث ) الطبعة الاوربية .
32ــ الجاحظ ، رسائل ، ( مناقب الترك ) تحقيق عبدالسلام هارون ، ص 23 ــ 24 .

33ــ ابن خلدون ، مقدمة ، جـ2 ص 433 ــ 434 .
34ــ الطبري ، تاريخ ، ص 766 .
35ــ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، جـ 5 ص 393 .
36ــ الجاحظ ، رسائل ( مناقب الترك ) ، ص 29 .
37ــ المصدر السابق ، ص 26 .
38ــ المقريزي ، المقفى ورقة 91 ب .
39ــ الكوفي ، الفتوح ورقة 235ب ــ الطبري القسم الثالث ص 439 ــ تاريخي طبرستان جـ 2 ص 118 .

40ــ راجع ، فاروق عمر ، الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية ، الطبعة الثانية ، بيروت 1978 ( المقدمة ) .
(41) Miah The Reign of al - Mutawakkil, ph. D., Thesis, 1965. London.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# أهداف تربوية

مما لا شك فيه ان الحضارة العالمية تجتاز في القرن العشرين دور تحول وانتقال وهي في ذلك تشبه من بعض الوجوه الحضارة الاغريقية في دور انتقالها من الافكار والاراء المؤسسة على التقاليد والمعتقدات الى الافكار والاراء المؤسسة على المعرفة المجربة كما تشبه من وجوه اخرى الحضارة العربية عندما اتصلت اتصالها الوثيق بالحضارات الرومانية واليونانية والفارسية والهندية في العصر العباسي لتزيد عناصرها تنوعا ومذاهبها فرقا وشيعا .

ومنشا ذلك كله تطور في مقومات الحضارة بلغ حدا من التفاوت والاختلاف جعل بعض عناصرها غير منسجم مع البعض الاخر فتنفك وحدتها وشخصيتها ويختل توازنها وتضطرب سيطرة الانسان على نفسه ومحيطه لتكون نتيجة ذلك تقلقلا واضطرابا اجتماعيا وتبلبلا في الافكار والاراء وفوضى في القيم والمقاييس الخلقية كالتي تسود مجتمعاتنا وامتنا اليوم فنقلق لها اشد القلق ونفزع منها اشد الفزع ونشعر بالحاجة الملحة الى وجوب عمل شيء تجاهها ينقذنا من هذا الوضع فنستبين بواسطته السبيل الذي يحقق لنا الاستقرار ويؤدي بنا الى النجاح .

والعالم العربي الاسلامي الذي اخذت ثقافته تؤثر وتتاثر بالثقافات الغربية والشرقية بقوة منذ بداية هذا القرن يتمخض عن نفس الازمات والثورات الداخلية والخارجية التي يتمخض عنها العالم اليوم . فلا بد وسط هذه الحالة من التغير السريع وما يصحب ذلك من التبلبل والحيرة الشاملة من التثبت من معرفة الاهداف الصحيحة والمقاييس الخلقية الدقيقة والطرق الواضحة والنظم الاجتماعية الملائمة التي تضمن لامتنا غدها الناجح ومستقبلها الامين السعيد .

وكما ان العالم قد مر بمثل هذه الادوار الصعبة التي وهنت فيها قواه الادبية وبدا فيها تحكمه بالقوى الطبيعية والآلة المحيطة به هزيلا مما اضعف الايمان وزعزع الثقة في الامكانيات الواسعة لصلاح الانسان للتقدم الذي لا نهاية له نقول كما ان العالم قد مر بمثل هذه الادوار فقد مر كذلك بادوار كثيرة استطاعت فيها الانسانية ان تتحكم بمصيرها وتملي ارادتها على الحياة فتقرر مستقبلها وتعمل على الابداع والانشاء والاعمار الضرورية للاستقرار والتقدم والرقي . واذا ما رجعنا الى التاريخ وجدنا امثال هذه العصور الزاهرة في التقدم والاستقرارمتمثلة في عصر بركليس الاغريقي وعصر الرشيد والمامون وعهد ( الرنيسانس ) او النهضة الاوربية وعهد الحركة العقلية في انكلترا وفرنسا وغيرهما من البلدان الاوروبية في القرن التاسع عشر ولكن قبل ان تتحول هذه الحركة الى الراسمالية الجشعة وما نشا عن ذلك من تطاحن عنصري واستعماري لا زال العالم يشكو آثاره السيئة حتى اليوم .

ان من اهم المشاكل التي يتعين على التربية معالجتها هي التوحيد الشامل في سلوك الافراد وفلسفتهم الاجتماعية ونظرتهم الى الكون والوجود التي تخلق منهم افرادا مستقلي التفكير متزنين في شخصياتهم منسجمين في احكامهم وسلوكهم باعتمادهم على مبدا او مثل اعلى يسترشدون به ويزنون سلوكهم بحسب مقاييسه فلا ياتون بالاعمال المتضاربة ولا يجمعون في انفسهم المتناقضات .

وهذا هو المفتاح لهذا الاتجاه الذي سيفسر تاكيدنا خلال هذا البحث على وجوب الاخذ بمبدا التوحيد والانسجام في السلوك وفي المناهج التعليمية وفي الحياة الاجتماعية على اساس فلسفة واضحة .

ولما كانت عملية التربية والتعليم متصلة بالنظام الاجتماعي القائم او الحضارة الراهنة ومتاثرة بها وكان من وظائفها الاساسية مساعدة ابناء الامة على تكوين اتجاهات ونزعات فكرية وعاطفية صحيحة نحو الكون والمجتمع ولما كان من واجبات المدرسة المهمة التعرف على العناصر المرغوب فيها في المجتمع وتوجيه الناشئة توجيها صحيحا لفهمها وتقديرها وتحقيقها لتستطيع بذلك خلق مواطنين صالحين فان مهمة التربية والمدارس في التوجيه الاجتماعي وانقاذ الموقف الحاضر مهمة اساسية .

والحق ان المؤسسات الاجتماعية الاخرى ـ على اهميتها ـ لا تضاهي المدارس في عمق تاثيرها ومدى نجاحها في هذا السبيل . .

والنتيجة الطبيعية المترتبة على ما تقدم تتلخص في وجوب المام المعلمين والمربين في العالم العربي عامة الالمام العميق بكافة العناصر والمقومات التي تكون حضارة او ثقافة امتنا العربية الاسلامية وتحليلها تحليلا يساعد على اكتشاف مواطن القوة والضعف فيها ليستطيعوا بذلك ارشاد الجيل الجديد الى الكنوز والقيم الغالية الموجودة في تراثنا وحضارتنا والى معالجة مواطن الضعف فيها واستدراكها . وبذلك وحده نمكن ابناءنا من فهمها وتقديرها والاعتزاز بها والدفاع عنها والتضحية في سبيلها والتعبئة التامة للعناصر والعوامل النافعة الحية فيها لخدمة الامة والعالم اجمع ، ومن اولى واجبات جامعاتنا العربية بعث واحياء التراث العربي والاسلامي الاصليين الى جانب الواجبات العلمية الاخرى وقد هالني لدى اطلاعي على بعض هذه الكنوز ، والرجوع الى بعض المصادر عظيم الخسارة التي منينا بها في هذا السبيل من جراء ذلك الاهمال .

# واجتماعية

د.خالد الهاشمي

ولا بد من الاشارة الى اننا نستعمل الثقافة بمعناها (الانثروبولوجي) الذي يشمل :ـ

اولا ـ حضارة الامة المادية التي تتضمن كافة وسائل الانتاج والتوزيع فيها وبكلمة اخرى نظامها الاقتصادي .

ثانيا ـ المؤسسات الاجتماعية كالعائلة والحكومة وثم الصناعة والتجارة والمطبوعات والاذاعة ووسائل النقل الاخرى والمعابد والمدارس والاندية والجمعيات ثم العادات والتقاليد واللغة القومية والتعداد والمقاييس والفنون المختلفة .

ثالثا ـ نفسية القوم وما تتضمنه من معرفة الدوافع والحالات او الاوضاع النفسية واثرها في تقديم الافكار والاراء اذ انه بمعرفة هذه الدوافع وما يحب الافراد وما يكرهون بصورة عامة يمكن التنبؤ بوجهة سلوكهم .

وان القسم الذي سيدور حوله البحث سيتناول الدور الذي تلعبه الفلسفة التربوية في تعيين الاهداف التربوية والاجتماعية الصحيحة ولذلك فقد تقتصر فائدته على المعنيين بشئون التربية والتعليم اكثر من غيرهم .

ولما كان عنصر الانتقال والتحول الذي نعيش فيه يجابهنا بمشكلات عديدة تحتاج للمعالجة وكانت الحلول المقترحة تختلف باختلاف وجهات النظر والقيم التي تسيطر على احكامنا بين قديمة وجديدة أصبح التفاوت والاختلاف بينهما كبيرا ولما كانت التربية متاثرة بالحياة عامة وبالنظام الاجتماعي بوجه خاص فهي عرضة للتاثر بنفس الخصائص التي تتميز بها الحياة العامة ولذلك نجد الحيرة والتضارب في الافكار والاراء متمكسة عليها ايضا .

ويبدو ان هذه الظاهرة ليست جديدة بالنسبة للتربية بل تكاد تكون مشكلة مزمنة فقد كتب ارسطو منذ حوالي 2500 سنة ما ياتي : يتبين من الوضع الراهن ان الناس غير متفقين مطلقا حول الامور التي يجب تعلمها فهل نعنى بغرس الفضيلة ؟ أم ننشد افضل ما في الحياة ؟ كذلك يبدو انه ليس واضحا ما اذا كانت التربية يجب ان تعنى بالفضائل العقلية أم بالفضائل الخلقية ؟ اما التطبيق فامره محير ولا من احد يعرف على أي مبدأ من المبادىء يجب ان نسير ؟ هل نبني هدفنا التعليمي على اساس المعرفة النفعية أم على اساس الفضيلة أم على أساس المعرفة العليا ( الامور المتعلقة في بحث الالهيات ) ؟ اذ ان هذه الاغراض الثلاثة متبعة . وهناك اختلاف حول الوسائل المقترحة ايضا اذ ما دام الاشخاص المختلفون يبداون بآراء مختلفة حول طبيعة الفضيلة فلا بد ان يختلفوا بصورة طبيعية حول تطبيقها ايضا وهكذا نجد ان ارسطو ومعاصريه من مفكري الاغريق لم يقفوا على الحلول المناسبة المقترحة للتربية الصالحة لابنائهم ايضا لان الاحوال الاجتماعية كانت سريعة التبدل والتغير وفي دور تحول وانتقال فالمؤسسات السياسية كانت تتحول من الوضع الارستقراطي الى الوضع الديمقراطي وازدهار الاقتصاد التجاري كان يحل اليونان في مركز القيادة في شرق البحر المتوسط لاول مرة والتفوق القومي اقترن بمشكلات دولية ادت بالتالي الى حروب دولية اما التجارة الخارجية والحروب والنزاع السياسي الداخلي فقد ساعدت بصورة مجتمعة على نشوء وانتشار الافكار والآراء الجديدة التي لم تكن موجودة من قبل ففي حقل التربية والتعليم اصبح عليهم ان يقرروا ما اذا كانت الاهداف التربوية ما زالت صالحة أم انها يجب ان تغير ويعاد بناؤها من جديد .

والوضعية العامة في القرن العشرين شديدة الشبه بذلك العصر فالكيان السياسي اصبح مائعا غير ثابت والمؤسسات الارستقراطية قد تحولت الى مؤسسات ديمقراطية ثم تبع ذلك ظهور مؤسسات متضاربة وقد اجتاحت الاقتصاديات الصناعية الاقتصاديات الزراعية وقد وضعت الحروب الدولية في حربين عامتين ضروسين المؤسسات البشرية العقائدية على المحك والاختبار وقد ساعد التقدم المدهش في العلوم على توليد الافكار وعزز انتشارها وهكذا نجد الناس في هذه الايام مثلهم قبل الفين وخمسمائة سنة ما زالوا يتساءلون عن افضل انواع التربية التي تصلح وتوائم الشروط الاجتماعية الديناميكية التي يحيون في ظلها .

ويختلف الاجتهاد حول الامور باختلاف النظريات والفلسفات المعتمد عليها من طبيعية وبراغماتية الى واقعية ومثالية فالبعض يرى ان الطريقة الوحيدة التي تفي بالاعداد والتوجيه بالاوقات الحاضرة المتغيرة هي مقابلتها بتربية تقدمية تعتمد على النظرية القائلة بان هدف التربية يجب ان يكون التجديد المستمر لبنية الخبرة بينما يرى البعض الاخر ان الاعداد الفعال لهذه الاوقات العصيبة يجب ان ياتي عن طريق الدراسات الكلاسيكية المحافظة التي تختار وتنتخب على اساس ما تتضمنه من قيم دائمية ثابتة تتخطى حدود الزمان والمكان مما تفسح المجال لحالة من الثبات والاستقرار النسبي بالنسبة للتغير المستمر .



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتدعي التربية البراغماتية اننا ان اردنا ان نجاري التغير فلا بد ان نعيد النظر في المناهج بصورة مستمرة حتى تتفق هي وحاجات العصر وازماته المختلفة بينما يقترح ذوو الفلسفة المحافظة انه متى بني المنهج الدراسي على اساس اعتماده على الموضوعات ذات القيم الثابتة أصبح ثابتا ولم يعد عرضة للتغير والتبديل المستمرين .

ومما يجدر الانتباه اليه انه كما لاحظ ارسطو من قبل ان الاختلاف في وجهات النظر التربوية لا يقتصر على ما يتعلق بالنفع العلمي للموضوعات المختلفة من حيث ارتباطها بالحياة مباشرة ام لا ولا من حيث ارتباطها بالقيم الحقيقية الاساسية التي يجب ان تحويها هذه الدروس او بالوسائل المختلفة المتبعة بل تتعدى ذلك الى امور مهمة تشتمل على الاختلافات التي تتناول الاسس العامة والاهداف والوسائل والحرية والضبط وهنا تظهر الحاجة الماسة الى الاعتماد على المبادىء التربوية الصحيحة والفلسفات الواضحة التي هي أشبه شيء بالمقامات الموحدة العامة في الكسور او القواسم المشتركة العظمى التي تجمع شتات المسائل والتفصيلات في واحد كل او مبدأ أعلى موجه يتضمن بعض القيم والتوجيهات العامة التي يعتمد عليها في ازالة الغموض وفي فض المشكلات والتمييز بين ما هو مفيد وغير مفيد .

وان البحث عن هذه المبادىء والاسس العامة الموجهة والقيم الشاملة هو السبيل الذي يجرنا حتما الى الدراسات الفلسفية بوجه عام ولعلنا نقرب ذلك الى الذهن عندما نرجع الى الاسلوب البديهي الآني الذي يعتمد عليه المعلمون في حل ما يعترضهم من مشكلات تستلزم حلولا آنية سريعة .

ان هذا الاسلوب الذي يرجعون اليه في الغالب هو الاسلوب الطبيعي الذي يعتمد على الحس البدهي والتصريف السليم للامور المؤسسة على الخبرة الشخصية والعملية في الحياة وقد يكون هذا الاساس نفسه هو الذي يكون في الحقيقة الفلسفة الخاصة لكل معلم او كل شخص من حيث حكمه على الامور والقيم التي يقدرها للاشياء والاساليب التي يجابه بها الظروف الطارئة على اساس من تلك الخبرات والتجاريب الخاصة ومع ان هذه الاجتهادات الشخصية قد تصلح في حل المشكلات الانية الطارءة الا اننا ان اردنا تنظيم سياسة تربوية طويلة الامد بعيدة الاثر فلا يمكننا الاعتماد فيها على وجهات نظرنا الخاصة او اجتهاداتنا الشخصية وحدها بل لا بد ان نعتمد في ذلك على المنطق ومن الواضح ان طالب التربية الممتهن يجب ان يذهب الى اكثر من الاعتماد على مجرد الحكم البدهي الذي يعتمد عليه الهواة عادة وذلك باخضاع هذه الاجتهادات والاحكام الشخصية الى التمحيص والتجريب من الاساليب التي هي اكثر دقة وضبطا وذلك بجمع حقائق ومشاهدات واسانيد اضافية ليستطيع التوصل الى احكام صائبة يعول على نتائجها بالنسبة لاطول وقت واكبر عدد ممكن من الاشخاص والظروف .

وهناك طريقتان لتمحيص الاحكام والاجتهادات الشخصية العملية احداهما علمية والاخرى فلسفية فالطريقة التي يعتمد عليها العالم معروفة جيدا فانه ينتخب مشكلة تربوية محدودة للتجريب يمكن تحديدها وتعريفها بصورة مضبوطة متقنة اي انه ينتخب مشكلة تكون العوامل المتغيرة فيها محدودة جدا ليصبح بالامكان عزلها عن بقية العوامل المتصلة بها والسبب لهذا التحديد والانتخاب الدقيق هو السيطرة على العوامل المتغيرة فاذا كانت التجربة تتناول جماعات من الطلبة متجانسين من حيث القدرات فيجب ان يتاكد العالم ان المعلم والجنس والمجتمعات الصغيرة الخاصة التي ينتمي اليها الطلبة وحجم الصف وامثالها من العوامل المماثلة لا تتغير لدرجة تؤثر على التجانس السائد على الجماعة التي يدرسها وهكذا فان سمح لعامل من امثال هذه العوامل ان يخرج عن سيطرته فسوف لا يعرف ما اذا كان التحسن في النتائج التي يحصل عليها الطلبة في الاختبارات جاءت نتيجة للتجانس المفترض ام جاءت النتائج نتيجة لعامل آخر لم ينتبه له ولم ياخذه بنظر الاعتبار ثم ان العالم ليشجع غيره ان يقوم بنفس تجربته فاذا جاءت النتائج متماثلة في الحالات كافة امكنه ان يدعي ان نتائجه ليست موثوقة فحسب بل موضوعية والوثوق والموضوعية صفتان اساسيتان للطريقة العلمية المعتمدة .. ولا شك انه باعتماد العلم على هذه الاساليب المتقنة في البحث والتجريب استطاع ان يكسب الاعتماد الواسع الذي يتمتع به في العصر الحاضر وان يقوم بالدور المهم الذي يقوم به في مضمار التقدم والرقي .

اما الطريقة الفلسفية من حيث تحسينها للاجتهادات الشخصية البدهية فتسير في اتجاهات تختلف عن الاسلوب الذي تتبعه الطريقة العلمية فهي لا تحاول ايجاد الحلول للعوامل المتغيرة المحدودة ضمن المشكلة التربوية التي يمكن السيطرة عليها بطريقة تجريبية بل تحاول ايجاد الحلول للعوامل التي ترتبط بالمشكلة كافة سواء أكانت متغيرة أم غير متغيرة وسواء أجاءت بطريقة مباشرة أم غير مباشرة ففي الدراسة السابقة لمقدرات الطلبة على اساس التجانس في المقدرة نجد ان الطريقة الفلسفية لا تقتصر في معالجتها على اساس العوامل الخاضعة للتجربة العلمية حسب بل تحاول بالاضافة الى ترقية نتائج الطلبة الاختبارية ان تعنى ايضا بما يحدثه تصنيف الطلبة الى متفوقين وغير متفوقين من آثار واتجاهات ومشاعر جيدة او غير جيدة داخل المدرسة وخارجها ثم ما تحمله هذه الدراسات عامة من مغاز واعتبارات بالنسبة لوجهة النظر الديمقراطية ثم لنضرب في الفرق بين الطريقتين مثالا آخر من حقل التربية الخلقية فكل منا يسلم اننا نحبذ غرس الصفات الخلقية الاتية من شجاعة وولاء وثبات او مثابرة وطاعة وما شابه ذلك من صفات ولكننا عندما ناخذ كل صفة من هذه الصفات على انفراد نجد ان عصابات المجرمين قد تغرس وتقوى مثل هذه الصفات في نفوس افرادها ايضا ، وعلى هذا فلا نستطيع ان نؤكد بملء الثقة ان تكون كل صفة من هذه الصفات بقطع النظر عن الظروف التي تحيط بها على انها تمثل هدفا قيما للتربية الا متى ربطنا هذه الصفات بهدف تربوي او مبدأ أعلى موجه واوضحنا علاقتها بنوع النظام الاجتماعي الذي نعيش فيه او نرغب العيش فيه لتكتسب امثال هذه الصفات الاهمية التي تستحقها ضمن الاطار الاجتماعي العام .. وهكذا نجد ان الدراسة الفلسفية الجدية لهذه المشكلة قد تصبح معقدة وواسعة اذ ان الاسانيد التي تعتمد عليها فلسفة التربية لتكوين الراي الايجابي تستنتج من مصادر متنوعة فالفلسفة لا تعتمد على افضل الاجتهادات العلمية الشخصية والتقاليد الاكثر تمحيصا فقط بل تخضعها لجملة من العلوم الايجابية والتاريخية كالعلوم البايولوجية والنفسية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية .

وتعنى الفلسفة بتكوين راي صحيح منسجم بالاعتماد ايضا على الاحكام والاجتهادات التاريخية السائدة ثم على الاسانيد الدينية والخلقية وهكذا ففي دراستها الشاملة للعوامل المختلفة باوسع نطاق ممكن تحاول الطريقة الفلسفية توحيد الاسانيد على اساس تنظيم أعلى منطقي موحد ومنسجم . وبعد هذا سنبحث في الهدف وطبيعته بايجاز .

ولا شك ان العمل المبني على ذكاء وتفكير وخطة سابقة مدروسة لا بد ان تعين اغراضه واهدافه وتتوضح الوسائل والسبل المؤدية الى تحقيقه وتحقيق نتائجه ( وخاصة اذا كان العمل المذكور واسعا ومركبا وتضمن تسلسلا مترابطا من الخطوات والفعاليات آخذا بعضها برقاب البعض الاخر ومتوقفا نجاح بعضها على نجاح البعض الآخر ) والا تبددت الجهود واضطربت

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاتجاهات واختلطت وتشوشت الوسائل والغايات وتعذر الحصول على النتائج المرضية المتوخاة .

يتبين مما سبق ان العمل ذا الهدف او القصد الواضح هو العمل المبني على الذكاء وما العقل الا تلك الفعالية المقصودة ذات الهدف التي قد سيطر وهيمن على ما اتصل بها من حقائق بمعرفتها وادراك علاقاتها بعضها ببعض وهكذا يتبين بوضوح ان الهدف « هو ما لكل عملية طبيعية من نتيجة نضعها نصب العين ونتخذها عاملا في تعيين مجرى ملاحظتنا الحاضرة وتحديد ما نتخيره من اساليب العمل فهو الذي يدلنا على ان العمل قد غدا سائرا على هدى وبصيرة » . وزيادة في التحديد نقول ان معنى الهدف هو تدبر النتائج المختلفة التي تترتب على العمل في وضع معين وباساليب مختلفة واستغلال هذا التدبر في توجيه الملاحظة والتجربة . ومما يجدر الانتباه اليه ان الهدف من حيث هو غاية نتدبرها يوجه العمل توجيها ويرتبط بالوسائل المحققة له ارتباطا وثيقا بل يتالف ويتحد معها ويشترط المربون التقدميون ثلاثة معايير للهدف الصالح :

أولا – يجب ان يكون الهدف وليد الظروف الراهنة ذا جذور عميقة متصلة بالتربة التي نشا فيها وان يكون مبنيا على المشاكل والامور القائمة فعلا وعلى ما في الوضع من وسائل وصعاب وليس هدفا غريبا او دخيلا مسلطا من الخارج باساليب مصطنعة لا تمت الى الاوضاع الجارية بنسب فيصبح أشبه شيء بالنبات الغريب الذي يحاول غرسه في تربة ومناخ غير صالحين مما لا يوفر له عناصر الحياة والنمو ..

ثانيا – ليس بالامكان تكوين اهداف كاملة ومطلقة ونهائية قبل محاولة تحقيقها اذ يجب اعتبار الهدف في مبدا ظهوره شيئا نسبيا او فرضية تقريبية خاضعة للتجربة . ولما كانت الظروف الخاصة والنظرة الديناميكية الى المجتمع تضطرنا الى تحرير الهدف ينبغي ان يكون الهدف مرنا متطورا قابلا للتغير حتى يلائم الظروف والاحوال الراهنة .

ثالثا – ينبغي ان يمثل الهدف دائما اطلاق فعاليات الانسان الاصيلة وتحريرها وليس حبسها او قمعها وشلها عن الحركة والنشاط وذلك تسهيلا للتعاون بين الاغراض الاجتماعية المرغوب فيها ودوافع الانسان الطبيعية .

وبالنسبة الى المعايير والاعتبارات السابقة عن الاهداف الصالحة بوجه عام يقترح المربون ان تتميز الاهداف التربوية الصالحة عامة ايضا بما ياتي :

أولا – يجب ان يبنى هدف التربية على الفعاليات الذاتية للفرد المربي وعلى حاجاته بما في ذلك دوافعه الفطرية وعاداته المكتسبة اذ ان الاهداف المغلوطة تميل بنا الى اغفال واهمال القوى والقابليات الاصلية في التعليم .

ثانيا – ينبغي ان يكون الهدف قابلا للتحول الى طريقة للتعاون مع فعاليات المتعلمين أي ينبغي ان يشعرنا بنوع البيئة اللازمة لتحرير استعداداتهم وتنظيمها وهنا تبرز الضرورة ثانية للانسجام والتوحيد بين الوسائل والاهداف .

ثالثا – ينبغي للمربين ان يحذروا الاهداف التي يزعم انها مطلقة او نهائية.

وهناك في الحقيقة اهداف تربوية عامة أو شاملة يعتقد انه بالامكان تطبيقها على عدد كثير من الناس ولزمن طويل نسبيا كما يمكن الاسترشاد باحكامها عندما تبدو الاهداف المحدودة أو المعينة غامضة ومتضاربة وهناك اهداف محدودة ومعينة تنطبق احكامها على افراد معينين او على مرحلة معينة من مراحل الدراسة ويمكن الاستفادة منها في الاعداد لحرفة او مهنة معينة والظاهر ان مدى الشمول والتحديد في الاهداف امر نسبي يتاثر ويتغير بتغير الزمان والمكان كما ان التغير في الاهداف بالنسبة لتغير الظروف التاريخية ليثير عدة اسئلة تتصل بكيفية نشوء الاهداف التربوية وتطورها ومدى الاعتماد على صحتها بالرغم من تغير الزمان والمكان .

وتدعي بعض المدارس التربوية ان هناك خطلا في الراي القائل بوجوب ايجاد هدف نهائي واحد للتربية يهيمن ويسيطر على بقية الاهداف كافة وقد راينا ان الهدف العام ان هو الا وجهة نظر شاملة تهدف لتقدير الظروف العامة ومعرفة الامكانيات المتصلة بها ومن الممكن ان تتكون لدينا اهداف عديدة ينسجم بعضها مع البعض الاخر او لا ينسجم . ولقد وجدت لدينا في الواقع اهداف عديدة في الماضي .. وكان لجميع هذه الاهداف اهميتها المحلية الكبيرة المرهونة بالظروف التي اوجدتها او قامت عليها ونحن نؤكد في الغالب على الامور التي تحتاج الى تاكيد عندما يعتور سير الحياة المعاصرة بعض النقص وتعترضها بعض الحاجات والمشكلات ففي الاوقات التي يسودها الحكم المطلق تظهر الحاجة الى التاكيد على الحريات الفردية وفي الاوقات التي يضطرب فيها حبل الامن وتختل او تطغى النزعات والفعاليات الفردية يؤكد على وجوب التنظيم والسيطرة الاجتماعية كهدف للتربية وهكذا .

وقد وجدنا من استعراضنا لتاريخ التربية ان التاكيد في الماضي تناول الاهداف التربوية الاتية : الحياة الكاملة . التاكيد على النواحي العملية وليس النظرية في التعليم . الكفاءة الاجتماعية . تربية الشخصية الكاملة. المعرفة الواسعة . ارهاف العقل والجسم والروح او الترويض العقلي . تربية الذوق وتقدير الجمال . النفع المادي او التكسب وغيرها من الاهداف المماثلة فما هي الاهداف الصالحة لنا ، الاهداف التي تتصل بحاضرنا وماضينا والتي تعيننا على ايجاد مستقبل افضل .

لما كانت التربية متصلة بالحياة الاجتماعية وبالنظام الاجتماعي القائم ومتاثرة بهما ولما كانت ذات ارتباط وثيق بالموقع الجغرافي وبالثقافة القائمة فهي أذن معينة ومحددة وقومية او ذات صفة وطنية وهي حركية او ديناميكية وليست بكليتها عامة وعالمية وثابتة لا تتغير بتغير الزمان والمكان وليست صالحة لجميع الاحوال والاوقات والظروف .

والتربية وظيفة لمجتمع معين بالذات في زمان ومكان معينين في التاريخ وهي ذات روابط وصلات قوية بالثقافة التي تنتمي لها وهي المعبرة عن فلسفة تلك الثقافة وحاجاتها المعترف بها .

أما من يعتبر التربية كونية او عالمية ، واحدة وثابتة فيستند فيما يستند عليه على طبيعة الانسان الاصلية او على ميراث الانسان البيولوجي الذي يمكن اعتباره عاملا او مقوما ثابتا نسبيا والذي يكسب التربية شيئا من الصفات العامة المشتركة ولكن التربية لا تقتصر على هذا العامل بل تتاثر وتتميز بالجوار وبالموقع الجغرافي ثم بالامة وبالصلات الثقافية المشتركة مما يؤثر على المناهج التربوية ويعمل على جعلها متغيرة ولذلك فسنقدم عرضا موجزا وسريعا لثقافتنا العربية الاسلامية وللقيم البارزة فيها وللنظام الاجتماعي الذي يصلح لنا بغية الاعتماد عليها والاسترشاد بها في تعيين الخطوط الاساسية لاهدافنا التربوية والاجتماعية تاركين التفاصيل لفرصة اخرى . لقد كانت الثقافة العربية الاسلامية رحبة الصدر في قبول نزعات متباينة واهواء مختلفة فضمت بين احضانها وجهات العبادة والتدين ، والتامل الفلسفي ، والبحث العلمي ، كما ضمت الوجهة العملية الواقعية في الحياة .

وما لبثت هذه النزعات والعناصر ان تطورت مع مرور الزمن الى طرائق في العيش مختلفة ، الى فلسفات في الحياة متضاربة لكل منها صلة بالثقافة التي نهضت فوقها وتفرعت عنها وبين هذه الطرائق المختلفة ثلاثة انماط ذات أهمية خاصة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فاما النمط الاول فهو أثر للتأكيد على الهدف الديني وأساسه الايمان بالتعاليم السماوية ودراسة العقائد الدينية على الطريقة الكلاسيكية وان يكن قد لجأ الى التامل الفلسفي او للاستدلالات المنطقية كما فعل اهل الكلام والاشاعرة فذلك ليتخذ من ذلك وسيلة تدعم آراءه وتقيمها على اساس منطقي .

وقد لعب هذا النمط دورا هاما في حياة الشعوب العربية الاسلامية وفي بناء تراثها الغني بالمبادىء والقيم الخلقية العليا ولا يزال يمثل القوة الحيوية الزاخرة والغذاء الروحي للاغلبية الساحقة من ابناء شعبنا ومما لا شك فيه ان القيم المتضمنة في التراث الديني تعتبر ازلية وخالدة وتضع على الانسان مسئولية خلافة الله على الارض لاعمارها .

اما النمط الثاني للحياة فقد اتى من تاكيد اهمية العقل والاستدلال فهو لا يعتمد الى درجة كبيرة على مبدأ الايمان كسابقه وانما كان دعوة فردية غايتها تنمية العقل وتثقيفه لذات تلك التنمية والتثقيف وهو قريب الصلة بالهدف التعليمي الكلاسيكي الذي اقتبسناه من اليونانيين والذي كان يهدف للانقطاع الى العلم والتعلم لاجل العلم والتعلم . وليس للتكسب فحسب كما اصبح عليه الحال بالنسبة للكثير من المتعلمين في الوقت الحاضر .

ولا تزال الدعوة لمذهب العقل قائمة في الغرب فهناك تاكيد على ترقية مدارك الفرد واستعداداته بصورة منسجمة وهو كما تبين ارستقراطي في أصله اذ لم يهدف لتحقيق اصلاح اجتماعي معين بالذات .

ويجب ان لا تفوتنا الاشارة الى ان مذهب المعتزلة قد وضع اهمية كبرى على الاستدلال العقلي في الاحكام حتى انه اعطاه مرتبة معادلة لمرتبة الايمان او التسليم المستند على الكتاب والسنة .

اما النمط الثالث فيعبر عن روح الاسلام في اساسه . ويدعو الى اخوة انسانية عامة وهو دنيوي مدني اجتماعي يقصد به الانصراف الى ايجاد نظام اجتماعي تنتظم به الحياة التعاونية ابتغاء خلق اكبر فرصة واوسع مجال لنمو فكري خلقي جمالي مستمر تغنى به الحياة الاعتيادية وتثمر .

ومع ان المثال الثالث للعيش لم يكن واضحا بين المعالم والسمات كالمثالين الاولين ولكنه ولا شك مذهب يدعو الى العدل والمساواة بين الجميع أمام القانون . بل انه دعوة الى تكافؤ الفرص اذ كان المجتمع العربي الاسلامي مرنا مفتوحا غير جامد او مغلق .. وكان الانتقال فيه في طلب أبواب الرزق والزواج والعمل والتكافل الاجتماعي والتقدم في السلم الاجتماعي مفتوحا وميسرا للجميع . وقد يظن ان الاخوة تقتصر في المجتمع الاسلامي العربي على المسلمين وحدهم ولكن من يمعن النظر في توزيع الاعمال والحظوظ والى ما يقرره الاسلام من انسانية شاملة يعلم انها اخوة ضمت كافة العناصر بدون اعتبار لاختلاف الاديان والاجناس والالوان .

ويظهر مما تقدم ان ثقافتنا وما نشأ عنها من فروع ووجهات خاصة مزيج وافر واسع يضم كثيرا من المباد ىء والقيم والمثل العليا والعرف والتقاليد والعادات والاتجاهات التي لم يكتب لبعضها أن تنسجم انسجاما تاما كاملا وخاصة في دنيا كثيرة التغيرات والتقلبات كما هي الحال في عصرنا فالحاجة شديدة الى تجديد تفسير تلك المذاهب المختلفة والى توحيدها وفي حال العالم اليوم يدعونا الى ان نجعل مثلنا العليا واضحة معلومة والا تعرضنا لخطر فقدانها .. وهذا عمل يجب ان تضطلع به التربية اذ على الجيل الجديد بالاضافة الى اعتزازه بثقافته ان يقف على مواطن الضعف ونواحي التناقض في ثقافتنا كخطوة تمهيدية لتجديد تفسيرها وتوجيهها وهذا التفسير الجديد يجب ان يقوم على اساس من روح الاسلام الاصيل والسجايا القومية النافعة وهما ركنان مهمان من اركان تراثنا وحضارتنا فعلينا ان نتناولهما بالتقييم والتمحيص المستمرين والنقد المميز على اساس من عناصرهما الحية ذات الصلة بكل ما هو سبب لتحسين الاحوال الحاضرة كل ذلك مع المحافظة على الاستمرار للعرف القويم فيه وتاكيده وتوضيحه لئلا نضيع فنفقد شخصيتنا ومميزاتنا وسجايانا الاصلية النافعة فنصبح مجرد مقلدين للنظم والثقافات الغريبة عنا دون تمثلها او فهم وادراك لها .

واننا من المعتقدين بأن ما انطوى عليه الاسلام من تأكيد مبدأ الشورى في الحكم والمصالح العامة المرسلة وعلى مبدأ العدل والمساواة امام القانون واحترام لشخصية الفرد وحريته وكرامته الانسانية وحرص العربي الشديد على حرية ضميره وكرامته لينسجمان كل الانسجام مع الروح الديمقراطية ومع ذلك الهدف من الكفاية والصلاح الاجتماعي الذي نرغب فيه وندعو اليه وخاصة اذا ما وجه هذا النظام توجيها اقتصاديا يضمن العدل الاجتماعي ويوفر مستوى العيش اللائق بكرامة الانسان والعمل المناسب له والفرص المواتية للتعليم وللضمانات الصحية والعقلية والاجتماعية كما يضمن المشاركة الحرة في الثقافة المتطورة عن طريق اكتساب المعرفة والحذق في الحرف والمهن الضرورية وتكوين وجهات نظر وقيم صحيحة موجهة في الحياة ثم يضمان الحرية والانصاف في المعاملة .. علما بأن كلا من هذه المطاليب بامكانه ان يكون هدفا من الاهداف الاجتماعية والاقتصادية المرغوب فيها لناشئتنا وبلادنا وهذا التحليل انما ينتهي بنا الى ان ما عليه ثقافتنا في الوقت الحاضر من تطور وتضارب وحيرة تحتاج معه الى الغربلة والموازنة بين العناصر المختلفة المكونة لها بغية اصلاحها وتوحيدها وانسجامها وان ذلك ليكون في جوهره مشكلة اختيار وتفضيل بين القيم المختلفة وقبول وجهات وغايات في الحياة جديدة .. وهي امور اخلاقية الى حد كبير واننا لنجد في الديمقراطية من حيث مفهومها كفلسفة في الحياة او مبدأ أساسي أعلى ينطوي على مقاييس او معايير خاصة يركن اليها في فض المشاكل الاجتماعية وفي تقرير السلوك ما نحتاج اليه من هدى اخلاقي وارشاد ويمكن القول ان كل ما من شأنه تنمية الحياة الديمقراطية ونشر طريقها في العيش فهو صحيح وسليم وان كل ما اعاق هذا النمو فهو رديء وضار . والولاء لروح النظام الاجتماعي الديمقراطي يستدعي ان أي خلاف او نزاع يدور حول امور العيش فانما طريق الحكم فيه النظر في صلاحه لتحسين امور العيش نفسها وزيادة انتاجها ورفع مستويات معيشتها ، فتنظيم القوى الشعبية العاملة وازدهارها او اضرابات العمال المشروعة وتصفيتها بصورة اجتماعية عادلة وتكافؤ الفرص للتقدم بين الرجال والنساء ومئات امثال هذه المشاكل كلها امور يجب ان يكون المحك في حسمها الدراسة الرشيدة في أناة ودراية لجميع الظروف والاحوال المحيطة بها وتقرير الحل ليس على اساس التوفيق الموقت بين المصالح المتضاربة بل بالاعتماد على فلسفة اجتماعية واضحة او مبدأ أعلى موجه وعلى أساس اتصاله وأثره في تنمية الروح الاجتماعي الديمقراطي نفسه .

وقبل ان اختتم هذا البحث أذكر ان الاهداف البارزة في ثقافتنا العربية الاسلامية قد تمثلت بحسب اجتهادي الشخصي بالمناحي الدينية ، والعقلية ، والمدنية المتمثلة بروح الاسلام الاصيل وبمبادىء الطريقة العلمية التجريبية التي وضع اجدادنا العرب الاوائل بداياتها وجذورها الاولى عن طريق التجارب العلمية التي قاموا بها في حقل الكيمياء القديمة والفيزياء والفلك والرياضيات وسواها من العلوم التي طبقوها في حقول الري والزراعة والصناعة والطب كما أعترف اكثر من حجة في تاريخ العلوم والاستشراق بذلك وأخيرا بالهدف العملي المتمثل بالمعارف والمعلومات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المعتمدة على المشاهدات الذاتية النابعة من معاناة الفرد العربي لدى مزاولته لنشاطه اليومي الاعتيادي ووسائل الانتاج المختلفة ، كما تبلورت بانماط العيش والحياة الثلاثة المتمثلة بالدين والعقل وروح الاسلام واذ كان هذا التحليل والتقسيم للاهداف قد لا يحظى بالقبول من بعض الناس باعتباره مجرد تمثيل لوجهة النظر الاختصاصية في شئون التربية والتعليم ليس الا . فانني لاهيب باخواني المعلمين والمربين ان يعملوا في سبيل تكوين رأي عام موحد بيننا من اجل ايجاد عقيدة تربوية او فلسفة تربوية موحدة وموجهة للنشاط التربوي والتعليمي في البلاد العربية وخاصة مما قد تم الاتفاق عليه رسميا من قبل الدول العربية الاعضاء في جامعة الدول العربية عن طريق الندوات والمؤتمرات ، كالفلسفة التربوية الموسومة بالمتجددة لعالم عربي متجدد والتي قد تم الاتفاق عليها من قبل جماعة من علماء التربية في العالم العربي لدى عقدهم الحلقة التي نظمتها دائرة التربية في الجامعة الامريكية في بيروت بالتعاون مع الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية سنة 1955 . وكالخطوط الاساسية التي وضعت كفلسفة تربوية عربية موحدة من قبل مؤتمر وزراء التربية العرب الذي نظمته الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية في بغداد سنة 1964 .

واذكر على سبيل المثال نموذجا يمثل الخطوط العريضة لتلك الفلسفة التربوية وللاهداف التربوية العامة كما لخصها مكتب المستشار الثقافي لوزارة التربية في العراق واقرت بصورة رسمية في العراق وذلك للاستنارة بها في هذا السبيل مما يمثل ترجمة عملية او تطبيقية لتلك الاهداف .

انالفلسفة الاجتماعية التي نؤمن بصلاحها لمجتمعنا تتضمن ما يلي :

1 ـ الايمان بالله والتمسك بالمثل الاسلامية والقيم العربية والمبادىء الانسانية وتمثيلها في السلوك مع حرية الاعتقاد بين رسالات السماء .

2 ـ الايمان بكرامة الانسان وبحقوقه الاساسية وبخاصة حرية العبادة والعقيدة والرأي والتعبير والتعليم والحفاظ على الصحة والامن وصيانة الحياة والاعتقاد بقدرة الفرد على الخلق والابداع وعلى تطوير قابلياته وتنمية شخصيته بجوانبها كافةفي سبيل حياة افضل.

3 ـ اعتبار الاسرة النواة الاساسية في التنظيم الاجتماعي وضرورة رعايتها والمحافظة على سلامتها بتنشئة افرادها على المودة والتعاون والايثار والاعتداد بمبدأ المساواة بين الجنسين في الحقوق والواجبات المدنية واضطلاع كل منهما بالمهمات المناسبة لقابلياته ووظائفه في المجتمع وتمكين المرأة من التغلب على العقبات التي تعوق مشاركتها الفعالة في تلك الوظائف .

4 ـ الاعتماد على العقل وتوفير فرص تنميته بالتعليم وتمكين المواطنين من مواصلة تربية انفسهم ومن اكتساب اصول الثقافة العربية الاسلامية والتأثر بالثقافات الانسانية ، وابداع انماط جديدة من الثقافة والفن والاستمتاع بها والاخذ بالعلم فهما ومعرفة وتطبيقا ، ومتابعة الثورة العلمية التقنية والمساهمة في تقدمها ، وانعكاس جميع ذلك في اغناء الحياة على مستوى الفرد والمجتمع .

5 ـ ترسيخ مبادىء العدالة روحا وتطبيقا ، وتحقيق سيادة القانون والمساواة بين الناس امامه وتمسكهم باحكامه ما دامت تعبيرا عن ارادتهم ونهجا في خيرهم .

6 ـ اعتبار العمل حقا تكفله الدولة لكل مواطن قادر عليه وواجبا مقدسا عليه ان يؤديه ويشارك به في بناء المجتمع الذي يقوم في اساسه على التضامن والتعاون ويستتبع ذلك توفير الخدمات الاجتماعية ، وبخاصة في الصحة والاستمتاع بالراحة والتنقل وفي كفالة المعيشة في حالات الطفولة واليتم والشيخوخة والمرض .

7 ـ التعاون مع الشعوب المحبة للسلام في سبيل التحرر والتقدم ، واعتبار مبدأ القومية اساسا صالحا للتعاون بين الامم ، وتمكين الثقافة العربية الاسلامية من التفاعل مع الثقافات الاخرى بما يحفظ خصائصها الاصلية ويقيها ويعمل على تجددها ، والالتقاء بالحضارات العالمية والانفتاح عليها والافادة منها في سبيل خير الانسانية وسلامها القائم على الحرية والعدالة .

8 ـ الاعتماد على التربية باعتبارها اداة رئيسية في تحقيق التحولات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، التي ينشدها المجتمع وتتضمنها المبادىء السالفة ، وتوفير الامكانات والموارد لها ، ووضع السياسات والخطط التربوية الكفيلة بتحقيق ذلك .

واختم كلامي بان هذه الفلسفة الاجتماعية تتميز بالخصائص الاتية :

1 ـ **الشمول والتكامل :** فهي تتناول الانسان في مختلف حالاته ، وتقيم صلاته بالقوة الالهية الشاملة للكون وبالطبيعة والحياة وبمجتمع الاسرة والامة والانسانية ، على اسس سليمة وهي متكاملة ترتبط مبادؤها والظواهر التي تتناولها ، بعضها ببعض ، ارتباطا وثيقا لانها تعتبر الانسان وحدة تأتلف فيه مطالب الروح والفكر والضمير مع مطالب الجسم وحاجاته وتعتبر المجتمع وحدة يتعاون اعضاؤها ، افرادا وجماعات ، في جميع المجالات ، وتحفظ للفرد وللمجتمع مكانتهما في نظام الوجود .

2 ـ **عربية اسلامية :** فهي تستند الى الثقافة العربية الاسلامية ، وتستمد اصولها منها ، بما في ذلك الايمان بالديمقراطية والعدالة الاجتماعية وبالتطور المستمر ، وهي تتناول المجتمع العربي المعاصر وترسم المبادىء التي تعينه في معالجة مشكلاته وفي تقدمه وازدهاره . وهذان الوصفان يتضمنان القول بانسانية هذه الفلسفة ودعوتها الى التعاون بين الامم .

3 ـ **ثورة تقدمية :** فهي تؤمن اصلا بارادة الحياة في الانسان وكفاحه للتسلط على الطبيعة وبارادته الحرة في تصريف شؤونه . كما تؤمن بتطور ثقافة الامة بتبدل الظروف ، وبضرورة التغيير الجذري الذي يجتث الفساد ويستاصل اسباب التخلف في المجتمع العربي من اجل تقدمه وازدهاره والاخذ بالعلم والاستناد اليه في مجابهة المشكلات والتغلب عليها ، ومواجهة التحديات والاخطار التي تواجهها به الصهيونية والاستعمار . والاعتماد على مبادىء الاشتراكية لاقامة المجتمع الاشتراكي .

## بعض مراجع البحث


1 ـ مقاصد الشريعة الاسلامية للاستاذ علال الفاسي .

2 ـ تحديد مناهج اعداد المعلمين في العراق مع نظرة خاصة للثقافة العربية الاسلامية ، للدكتور خالد الهاشمي ، تعريب الدكتور عبدالعزيز البسام ( دار العلم للملايين ) .

3 ـ الديمقراطية والتربية لديوى تعريب الدكتور متي عقراوي وزكريا ميخائيل .

4 ـ النظريات التربوية الحديثة ( لبروباكر ) في اللغة الانكليزية .

5 ـ مقترحات لخطوط عامة في السياسة التربوية مكتب المستشار الفني لوزارة التربية العراقية الصادرة في 23ـ10ـ1972 .

6 ـ من محاضرة للدكتور ( هارولد راك ) قدمت في مؤتمر رابطة التربية الحديثة في نيس بفرنسا سنة 1932 وحضرها صاحب البحث .


ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

# دور الاداب والفنون

# في تكوين شخصية الفرد وفي التقدم الأجتماعي

يتحدث المعنيون بشؤون التربية والتعليم في مختلف الاقطار في الوقت الحاضر أحاديث كثيرة ومتواصلة عن ضرورة اجراء تبدلات واسعة وعميقة في نظام التعليم السائد وفي العملية التربوية ذاتها في ضوء التقدم العلمي النظري والتكنولوجي المذهل الحديث . وأحاديثهم هذه معقولة ومقبولة دون شك ونابعة في الأساس من ظروف المرحلة التاريخية الراهنة التي يعيش فيها النوع الانساني في اقطاره المتعددة . وحاجة الجيل الجديد الى التزود بالمعرفة العلمية النظرية والتكنولوجية المعاصرة ضرورة ملحة لاتقل اهميتها عن حاجة المجتمع نفسه الى العلوم الطبيعية لضمان تقدمه المادي والثقافي على حد سواء . ومع ذلك ـ وربما بسببه ـ فان حاجة الجيل الجديد الى التزود بالمعرفة الانسانية وبالادب والفن بصورة خاصة ضرورية وملحة ايضا . فلابد له من الالمام الواسع العميق بتاريخ امته ( وبخاصة جوانبه التقدمية ) ولابد له ايضا من الالمام بلغته القومية وادبها وبفنه القومي وبالجوانب التقدمية في الادب والفن العالمي الراهن ليصبح ملما بقضايا عصره ومجتمعه ، وملتزما بها وعارفا ماله من حقوق فلا يتخطاها وما عليه من واجبات فلا يتقاعس عن ادائها وليحصل ايضا على تربية شخصية متوازنة ومتكاملة ومتعددة الجوانب . وهذا يعني أن التقدم العلمي النظري والتكنولوجي المعاصر يستلزم ـ على مانرى ـ اتخاذ اجراءات تربوية فعالة وايجابية كبيرة وكثيرة تتناول مناهج الدراسة وأساليب التدريس والادارة المدرسية والاشراف التربوي لتنشئة جيل جديد مزود بالمعرفة العلمية النظرية والتكنولوجية وبالعلوم الانسانية وبالآداب والفنون التقدمية لمواكبة سير الحضارة الانسانية المعاصرة .

يتضح اذن ان الاهتمام الكبير بتدريس العلوم الطبيعية النظرية والتكنولوجية ( بالنظر لأهميتها في حياة المجتمع ) ينبغي الا يغض من منزلة الآداب والفنون في حياة المجتمع أو ان يجعل مكانتهما ثانوية الاهمية في مناهج الدراسة بالموازنة الى العلوم الطبيعية التي تبدو لأول وهلة كأنها تقع واياهما على طرفي نقيض من ناحية اسلوب البحث ومن جهة المحتوى أو المضمون . في حين ان جميع فروع المعرفة الانسانية ابتداءا من الرياضيات وانتهاءا بالشعر هي بنظرنا اطراف متكاملة في ثقافة اجتماعية واحدة غير قابلة للتجزئة الا لأغراض الدراسة النظرية ، ذلك لانها جميعا ـ رغم اختلافاتها الكبيرة والكثيرة ـ تهتم بدراسة الطبيعة والمجتمع والفكر وتؤدي الى تكوين شخصية الفرد المتكاملة المتعددة الجوانب والى تطور المجتمع في الوقت نفسه : عندئذ لاينعزل الادب والفن (وهما سجل المشاعر الانسانية) عن العلوم الطبيعية التي هي اساس تقدم الحضارة المادية بل يتمم كل منهما صاحبه ويثريه . يضاف الى ذلك ـ ولايقل اهمية عنه ـ انالادب والفن اذا احسن تدريسهما وتجسدت جوانبهما الايجابية التقدمية فانهما يصبحان المجال الأكثر ملاءمة لتكوين شخصية الانسان الجديد الشاعر بمسؤولياته الاجتماعية ازاء مجتمعه والملتزم بقضايا امته وعصره والساعي لخدمة مصلحته الخاصة في اطار المصلحة العامة لا خارجها او على حسابها .. وهذا يؤدي ـ في الشوط البعيد ـ الى تقدم المجتمع ثقافيا وانسانيا بالاضافة بالطبع الى التقدم العلمي النظري والتكنولوجي اللاحق . وهنا تتجلى الرابطة العضوية بين الادب والفن من جهة وبين العلوم الطبيعية من جهة اخرى . والرابطة العضوية المشار اليها تأخذ شكلين مختلفين ومترابطين ايضا : اولهما اختلاف اسلوب البحث المتبع في المحتوى او المضمون. والثاني في كون العلم دون أناس وبمشاعر انسانية قد لايكون في صالح المجتمع وربما لا يؤدي الى تقدمه .

ومن الجهة الثانية : فان ذوي المشاعر الانسانية عاجزون عن المساهمة الايجابية الفعالة في تقدم المجتمع دون استعانة بالعلوم الطبيعية النظرية والتكنولوجية لأن مشاعرهم تلك تبقى في اطار الأماني الطيبة والاحلام اللذيذة .

تلك ملاحظات عامة وعابرة آثرت الابتداء بها للدخول في صميم الموضوع : « دور الآداب والفنون في تكوين شخصية الفرد وفي التقدم الاجتماعي » . وللتحدث عن ذلك يجمل بي ان أشير الى ان حاجة الانسان الى الادب والفن ( المعبر عنها في الاصل بما يسمى الفولكلور الشعبي ) لاتقل اهمية والحاحا عن حاجته الى الطعام والسكن واللباس . فقد لوحظ عبر التاريخ انالآداب والفنون الشعبية قديمة قدم الانسان على سطح الارض لانها أهم وسائل الاتصال بين الناس واقدم ادوات التعبير عن الذات وعن المشاعر الايجابية والسلبية ازاء الطبيعة والناس والاحداث .

احتلت الآداب والفنون مركزا مرموقا في نظام التعليم منذ اقدم العصور . وقد ذكر الرواة ان افلاطون ( 427 ـ 347ق.م) كان يعتبر المعلم الناجح فنانا . وقد ثبت في الوقت الحاضر ـ في ضوء الابحاث السايكولوجية والتربوية وفي ضوء الممارسات الفعلية والمشاهد اليومية المعتادة ـ ان للتربية الفنية والادبية اثرا عميقا في تكوين شخصية الفرد منذ طفولته المبكرة لانها تصقل مشاعره وتهذب ذوقه وتنمي خياله وتساعد على نشوء قدرته على الابتكار وتغرس في نفسه النظرة الفنية الجمالية للطبيعة الحية والجامدة كما تعوده ايضا على اتقان فن التحدثوالاصغاء وتركيز الانتباه وتقوية الذاكرة والتفكير وحب الوطن والأمة وتنمي الخلق الرفيع والقدرة على التعبير عن المشاعر والمطامح وتبعث الثقة بالنفس والتفاؤل والبهجة ( اذا أحسن تدريسهما وتجسدت جوانبهما الايجابية التقدمية ) .

يفترض كثير من رجال التربية وعلم النفس ـ دون سند علمي ـ ان تعلم الادب والفن يستلزم « قدرات فطرية عقلية خاصة يتصف بها بعض الناس دون غيرهم » . وعندي ـ اذا كانلي عند كما يقول الجاحظ ـ ان هذا الراي ليس صحيحا على هذا الوجه

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

• د. نوري جعفر

من وجوه الاطلاق ولابد من تحديد مداه تحديدا علميا ليصبح منسجما مع الممارسات الفعلية ومع احدث نظريات التربية وعلم النفس . ولتوضيح ذلك اقول ـ بأيجاز ـ ان لدينا في تعليم الادب والفن وفي تعلمهما ثلاثة مستويات عامة ( مع فروق فردية كبيرة وكثيرة في كل مستوى تتعذر الاحاطة بها ولاتستدعي الضرورة ان ندخل في تفاصيلها ) . هذه المستويات هي في نظري :

**اولا ـ الحد الادنى المشترك الموجود لدى جميع الافراد الاسوياء** ( التلاميذ في حالة التعليم في جميع مراحله ) . وهذا يعني ان بأمكان اي تلميذ ان يتعلم الادب والفن تماما كما يتعلم التاريخ او الجغرافية : اي أن بمستطاع الطفل ان يتذوق الادب والفن بالاصغاء والممارسة اذا هيئت له الظروف المنزلية والمدرسية الملائمة . والعامل الفسلجي الوراثي المهم في هذه الناحية هو بنظرنا المرونة الهائلة للدماغ في هذهالمرحلة المبكرة وحيث تكون ايضا مشاعر الطفل واخيلته وقدراته الابتكارية في ارفع درجات صعودها وحيث قدرته على الاستجابة النشطة الفعالة لا تكاد تقف عند حد . وقد ثبت ان المرونة الدماغية المشار اليها تتحجر عندما لا تستثمر الى حدها الاقصى وعلى افضل وجه .

**ثانيا : اما المستوى الثاني من مستويات تعليم الادب والفن وتعلمهما فهو** ارقى من المستوى الاول واضيق منه ولكنه يشترك معه في خصائصه العامة الفسلجية والسايكولوجية المشتركة التي تحدثنا عنها . هذا المستوى هو مستوى تعلم الادب والفن لأغراض مهنية صرفة كتعلم التاريخ او الجغرافية . وكما انه لايشترط حتما بمعلم التاريخ ان يكون مؤرخا وبمعلم الجغرافية ان يكون جغرافيا بالمعنى .. العلمي الدقيق . هكذا الحال في معلم الادب او الفن ( وان كان الامر في الادب والفن يحتاج الى بذل جهد اكبر وممارسة اكثر ) . وهذا يعني ـ بعبارة اخرى ـ ان للعوامل البيئية في هذا الباب ( داخل المدرسة وخارجها ) الأثر الحاسم ولا علاقة لذلك الا عرضا بالوراثة البايولوجية التي سيأتي ذكرها في المستوى الثالث والاخير .

**ثالثا ، مستوى الاصالة والابتكار الفني والادبي . وهذا يستلزم** بالطبع مزايا فطرية خاصة ينفرد بها بعض الناس دون غيرهم . وهذا مستنبط من المشاهدة الفعلية ومن الدراسات النظرية والميدانية . وهذه المزايا الفطرية تسمى « القدرات العقلية الخاصة » .

لقد اختلف علماء النفس فيما بينهم اختلافا كبيرا في تفسير طبيعة « القدرات الخاصة » بما فيها «القدرات الفنية » و « القدرات الادبية » رغم اتفاقهم على انها « فطرية » او « موروثة بايولوجيا . وهم ينقسمون على وجه العموم الى مجموعتين : تفترض الاولى منهما وجود تلك القدرات تفسيرا سايكولوجيا ميتافزيقيا باعتبارها « قوى لاجسمية ولكنها موجودة داخل الجسم . ويرتبط رأي هذه المجموعة بنظرية « الذكاء الفطري » المعروفة . أما المجموعة الثانية فتفترض القدرات العقلية الخاصة امكانيات فسلجية مخية من حيث الاساس الجسمي ( الوعاء : الاداة ) من جهة كما تفترض ايضا ان المحتوى السايكولوجي لتلك الامكانيات المخية بيئيا: بيئي الاصل او اجتماعي ،منشأة يكتسبه الفرد في مجرى حياته ويرتفع بارتفاع المستوى الثقافي للفرد والمجتمع والعصر الذي يعيش فيه . وعلى هذا الاساس فان الاديب الاصيل « المتنبي : الجواهري ، شكسبير مثلا » والفنان المبتكر ( موزارت : بيتهوفن مثلا ) هو نتاج التفاعل والاثر المتبادل بين امكانياته المخية التي ينفرد بها وبين ظروفه البيئية وبخاصة الادبية والموسيقية منها . معنى هذا ان الامكانيات المخية وان كانت شرطا ضروريا لنشوء الاديب او الفنان الاصيل الا انها وحدها او في حد ذاتها لا تكونه . كما ان البيئة الادبية والفنية في حد ذاتها غير كافية لتكوين الاديب او الفنان الاصيل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي الختام نود ان نؤكد مرة اخرى ان التربية الادبية والفنية التي ندعو اليها لاتستلزم بالضرورة ان يمتلك المتعلم « قدرات فطرية خاصة » كما لا تستلزم بالضرورة ان يصبح المتعلم بعد ذلك أديبا كبيرا او فنانا مرموقا او محترفا تماما كما لايستلزم تعلمه التاريخ مثلا ان يصبح مؤرخا . كما نود ان ننبه الى انه اذا كان بمستطاع المرء ان يستغني في حالات معينة ونادرة عن درس الجغرافية مثلا دون ان يؤثر ذلك تأثيرا عميقا في شخصيته من الناحية السايكولوجية الايجابية فأنه من غير المستطاع الاستغناء عن التمتع بالادب والفن لما لهما من بالغ الاثر في تهذيب المشاعر وتكوين المثل الاخلاقية العليا والمواقف الوطنية والانسانية النبيلة . هذا بالاضافة بالطبع الى كون الادب والفن هما من ادوات « المتعة »ولهما ايضا اوثق الارتباط بالجانب الابداعي من الحياة وبأعادة صوغ الطبيعة ورفعها الى مستوى اعلى من الاناقة والجمال . كما أود كذلك ان اؤكد على ضرورة ان نتوخى في التربية الادبية والفنية تنمية الخيال والقدرة على الابتكار وان يحاط التلاميذ بروح التشجيع والحث والتنشيط شريطة ان ناخذ بعين الاعتبار ان للادب والفن جوانب سياسية وايديولوجية كبيرة وكثيرة تقدمية او متخلفة رجوعية فهي تجسد الجوانب التقدمية وتقلل الى الحد الادنى تأثير الجوانب السلبية ،كل هذا يشير الى مايمكن تسميته « العلاقة بين الادب والفن وبين مطامح الجماهير » وهو الذي يؤدي الى الدعوة لجعل الادب والفن في متناول الجماهير . مع العلم ان هذه القضية معقدة ومتعددة الجوانب وبخاصة في المجتمعات النامية التي مازالت الجماهير فيها بعيدة عن تذوق الادب والفن والتي مازال ارباب الادب والفن ينظرون اليهما النظرة التقليدية الاقطاعية المترفة . وهذا موقف خاطيء بنظرنا وبخاصة في المجتمعات النامية ذات الانظمة السياسية والاقتصادية التقدمية كالعراق . فلابد والحالة هذه من القيام بعملية مزدوجة يتصل احد طرفيها بأعادة صوغ ارباب الفن والادب من جهة ويتصل جانبها الثاني برفع مستوى ثقافة الجماهير . وهذا هو برأينا جوهر مبدأ الالتزام في الادب والفن : الالتزام بقضايا المجتمع والامة والعصر . عندئذ ينصهر الاديب والفنان في المجتمع مع احتفاظه بمقوماته الفردية الايجابية المميزة التي ينفرد بها . كما يعبر المجتمع عن نفسه في سلوك الفرد الذي يجد سعادته في سعادة الآخرين ولاينظر الى نفسه بمعزل عنهم .

# السلوك البشري والانعكاس الشرطي

مسلم حسب حسين •

ان ابرز ما يميز الانسان عن غيره هو امتلاكه نشاطا عقليا راقيا . ذلك النشاط الذي يتسم بمظاهر ادراكية مختلفة تشكل مجمل الحياة العقلية الانسانية ومن ثم فان السلوك البشري يصطبغ بخصوصية سلوكية متميزة . فالسلوك ـ لدى الانسان ـ لا يمثل انعكاسات شرطية مجردة فحسب بل ان النشاط الادراكي لـه دور بارز وحاسم في الاستجابات السلوكية ..

**غير ان المدارس المادية ـ رغم اختلافها من الناحية المنهجية ـ تلتقي ـ مبدئيا ـ عند حقيقة واحدة وهي الغاء دور العمليات العقلية في تحديد انماط السلوك البشري . الامر الذي يقود ـ ضرورة ـ الى عدم التمييز بين السلوك البشري والسلوك ـ لدى الحيوان ..**

**فالمدرسة السلوكية ـ بزعامة واطسون ـ ترى ان السلوك المعقد ، او الراقي لدى الانسان هو سلوك انعكاسي ( عصبي ) شرطي . وهو بالتالي ليس الا تراكما لافعال منعكسة بسيطة**

**Sempil Reflected Actions**

**ـ فالفارق ـ بينهما ـ كمي وليس نوعيا .**

اما المدرسة التي تمثلها نظريات بافلوف فهي كذلك تعتمد ـ اساسا على حقائق تشريحية خالصة ـ مع اغفال دور النشاط العقلي في السلوك . فالسلوك ـ في اعتقاد بافلوف ـ لايعدو كونه انعكاسات عصبية . في ضوء نظرية « الارتكاس » التي حاول فيها تفسير جميع الظواهر في الحياة الانسانية ، معتمدا على الملاحظات والحقائق التي استخلصها من تجاربه على الكلاب . وقد عمد الى اطلاق هذه «القوانين» على السلوك البشري من دون تمييز .

ولم تكن المدرسة الارتباطية ـ بزعامة ثورندايك ـ لتختلف كثيرا عن مفاهيم المدرستين السابقتين ..

ان الافعال المنعكسة البسيطة مظهر سلوكي عام يشترك فيه الانسان والحيوان على حد سواء . بيد انها ـ لدى الانسان ـ لاتمثل سوى مظهر بدائي بسيط .

وتتجلى هذه الافعال في عملية سحب اليد عند وخزها بدبوس مثلا . او حدوث العطاس نتيجة تسرب بعض المواد الغريبة او الروائح الى الانف وكذلك انسداد العين حين تتعرض الى الضوء الشديد .. الخ ..

والافعال المنعكسة البسيطة هذه تتميز بكونها تحدث بشكل آلي ومن دون تدخل النشاط العقلي او الادراكي .. وتخضع لآلية النشاط العصبي المركزي .

اما النمط الاخر من السلوك فهو ما يسمى بالافعال المنعكسة الشرطية Conditional Reflected Actions وهو بالاضافة الى خضوعه للنشاط العصبي المركزي مرتبط بالعمليات الادراكية .

وقد اكدت الدراسات الحديثة والبحوث التجريبية في علم النفس ان الادراك بطبيعته ليس عملية فسيولوجية بحتة . كما يتوهم « بافلوف » والماديون عامة . وانما هو عملية تقتضي توافر عدة عناصر مختلفة نوعيا وهي :

1 ـ عنصر حسي .

2 ـ عنصر فسيولوجي .

3 ـ عنصر سايكولوجي (عقلي )

وهذه العناصر الثلاثة تتفاعل مع بعضها لتشكل الظاهرة الادراكية ، التي تمثل صميمية السلوك الانساني وجوهره . وهذا ما يناقض بشكل كامل مواقف الماديين ازاء الادراك او العقل واعتباره مجرد حركات عصبية في الدماغ . وكذلك موقفهم ازاء السلوك الذي لايمثل لديهم سوى استجابات فسيولوجية مشروطة . وليس الفارق عندهم بين المنعكس البسيط والمنعكس الشرطي . الا فارقا كميا وليس نوعيا .. وهو بالضبط ما يراه بافلوف كما مر بنا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد اكد « سوليفان » الفارق النوعي الشاسع بين الافعال المنعكسة البسيطة والافعال الشرطية تاكيدا قائما على اساس العامل السايكولوجي فان رؤية الطعام وشم رائحته كما يقول « سوليفان » تسبب سيلان اللعاب عند الكلب . ولو اجرينا عملية لازالة نصف الكرية المخية فان اللعاب لن يسيل الا عند دفع الطعام في فمه . فالحالة الاولى تمثل « فعلا » اكثر تعقيدا من الآخر لانها تتضمن استجابة نفسه(1) والدليل على هذا هو ان الحيوان لو كان سلوكه يخضع لا سيما في الطعام الى الاستجابات الفسيولوجية الخالصة ومن دون ان يتدخل فيه عامل « نفسي » فان هذا الوضع يضطر الحيوان الى تذوق أي نوع من الطعام يراه ولذا فان مصيره الموت مسموما او من الجوع في افضل الاحتمالات .

وهكذا اقول ان سيلان اللعاب لايحدث اذا لم يكن ثمة ارتباط بين فكرة الطعام ومذاقه . أي ان سماع الجرس لابد ان يؤدي الى حضور « فكرة الطعام » ومذاقه الخاص . اي ان سيلان اللعاب - لدى الكلب - لايمكن ان يحدث - في الانعكاس الشرطي - الا من خلال الربط بين الطعام ودقات الجرس .

وقد قام « واطسون » بتجارب معروفة اوضحت امكان زرع انعكاسات شرطية لدى الاطفال معتمدا في ذلك على وجود استجابات الخوف الفطرية لدى الاطفال كرد فعل للضوضاء والاصوات العالية .

فحين تعرض للطفل الصغير دمية دب في الوقت الذي تحدث فيه ضجة عالية فان الطفل سوف يكتسب الاستجابة بالخوف بمجرد ظهور الدب الدمية . وبذلك يكون قد تحقق غرس الانعكاس الشرطي عند الطفل .

ان هذه الحقيقة مماثلة - كما يقول سوليفان - لما هي عليه الحال بالنسبة لتجارب « بافلوف » على الكلاب وبصورة تامة(2) .

لقد توهم السلوكيون حيث اعتقدوا بان الانعكاس الشرطي هذا ليس الا استجابة فسيولوجية خالصة . وهو ما ثبت خطؤه . لان الطفل في مثل هذه الحالات لايمكن ان يستجيب للتنبيه بالخوف الا على اساس الربط السايكولوجي بين المنبه الاصلي ( الضجة العالية ) والمنبه المشروط ( الدب الدمية ) . والا لماذا يحدث الخوف بمجرد رؤية الدمية اذا لم يكن هناك توقع لحدوث الاصوات العالية ؟

**ان الانعكاس الشرطي سواء لدى الحيوان او الانسان يحكمه العامل النفسي لان نقل استجابة انفعالية من موضوع الى آخر نتيجة الاشتراط بينهما يقتضي توافر نوع من الادراك . واذا لم يكن الامر كذلك فما هو الفرق - اذن بين سحب اليد عند وخزها بدبوس وبين استجابة الطفل في تجارب واطسون ؟ او الكلب في تجارب بافلوف ؟**

وثمة حقيقة هامة - تمثل دحضا للتفسير الفسيولوجي الخالص لعملية الانعكاس الشرطي - وهى ان تلك الانعكاسات يمكن اطفاؤها بشيء من السهولة سواء لدى الاطفال او الكلاب. وهذا يدل دلالة واضحة على انها ليست اساسية ولاتخص السلوك الثابت . فبالنسبة للاطفال نلاحظ « ان استجابات الخوف المكتسبة يمكن اطفاؤها مع شيء من السرعة تقريبا »(3) ..

**وقد قام « واطسون » نفسه بتجارب اكدت هذه الحقيقة (4) .. ومادامت هى كذلك فكيف يمكن الاستناد اليها كقانون في دراسة السلوك البشري الثابت ؟**

**اما الراشدون من الافراد فلانهم اكثر تظاهرا « للمواقف » يجعلهم لايصلحون كثيرا - في العادة - لتجارب التكيف الشرطي (5) ..**

**كما ان معرفة الانسان باللغة وقدرته الفائقة التى تحرسه من التاثر بالعمليات الرمزية تجعل من المتعلم الحصول على نتائج واضحة وثابتة من التجارب التي تجرى عليه بخلاف الحيوان . اضافة الى ان « الانسان اقل من الحيوان التزاما بالمنبهات وهذه حقيقة قد لاتوافق دوما المختصين بعلم النفس المختبري . ولكنها تتيح تعليلا لهيمنته ( اي علم النفس المختبري ) على دنيا الحيوان »(6) ..**

ان حقيقة كون الانسان اقل التزاما بالمنبهات من الحيوان تؤكد بشكل لا يقبل الجدل ، ان التركيب الفسيولوجي للدماغ البشري وما يترتب على ذلك من امتلاك الانسان للقدرات العقلية والادراكية المتميزة، يجعل من المتعذر بل من الخطا تطبيق قوانين السلوك الحيواني التى تتمخض عنها التجارب على الانسان . وهو ما وقع فيه - خطا - كل من السلوكيين وبافلوف .. وهذا - بطبيعة الحال - لايخلو من خطورة لانه لايميز اساسا بين السلوك البشري والسلوك الحيواني . اذ هو يعتبرهما - اي السلوكيون السابقون - مجرد ردود افعال عصبية للمنبهات .

لقد حاول « بافلوف » تطبيق نظريته في الارتكاس على جميع اشكال السلوك لدى الحيوان ثم شرع في تعميم هذه النظرية على السلوك البشري من دون تمييز . وهكذا « فان نجاح بافلوف الكبير في كشف خبايا الجهاز العصبي للحيوان دفعه الى تعميم احكامه على الانسان ايضا . بحيث لم يبق في نظره فرق نوعي بين النشاط العصبي الحيواني والانساني »(7) .

ولقد وقع بافلوف - عن وعي او غير وعي - في تناقض واضح في مجال دراسته للسلوك لدى الحيوانات حين اكد على « ان ظهور القدرة على تلقي الاشارات عند الحيوانات هو الذي ضاعف من مقاومتها في معركة الحياة لدرجة كبيرة »(8) ..

ان هذه القدرة على تلقي الاشارات لايمكن باي حال ان تكون انعكاسا فسيولوجيا محضا .. لان الاشارات ( المتمثلة بحاستي السمع والبصر) لابد ان تمر من خلال الاعصاب البصرية او السمعية فينتقل التنبيه الى المخ . وتبعا لاختلاف الاشارات نلاحظ تغيرا ملموسا في طبيعة الاستجابات فماذا يعني هذا ؟

ان المنبهات الخارجية تنتقل الى الحواس وتؤثر تاثيرا واحدا على الدماغ من ناحية الاهتزازات العصبية . وهذا ما نستخلصه اذا اخذنا بالاعتبار الناحية الفسيولوجية الخالصة التي تقضي بتماثل تاثير المنبهات الخارجية على الخلايا العصبية . مما يؤدي بالضرورة الى ان تكون الاستجابات واحدة رغم اختلاف المنبهات . أي ان رؤية حيوان او شجرة او اي شيء آخر خارجي تؤثر تاثيرا متماثلا من الناحية الفسيولوجية .. وكذلك بالنسبة للاصوات . ولكن كيف يتم التمييز بين هذه المنبهات ؟ وما هو الفرق - لدى حيوان ضعيف كالغزال مثلا - حين يرى اسدا او ثعلبا ؟ ولماذا يستجيب بالهرب لرؤية الاسد : ولا يفعل ذلك حين يرى الثعلب ؟

وحتى لو قلنا ـ من ناحية اخرى ـ ان الغزال قد تعلم عن طريق التجربة او الاكتساب ان « يحدد » مواقفه ازاء المنبهات المختلفة فان هذا لا يعني ان سلوكه المختلف من موقف الى آخر انما هو انعكاس شرطي قائم على اساس فسيولوجي خالص كما يتوهم بافلوف . والا فلماذا يهرب لمجرد رؤية الاسد ؟ أليس صحيحا ان يقال انه انما يتوقع التهديد بالموت الذي يترتب عليه وقوفه في مواجهة الاسد ؟

وهكذا نلاحظ ان الاستجابات التي تمثل المظاهر السلوكية المختلفة تتغير طبيعتها ليدخل نشاط آخر في العملية الوظيفية للاشارات . وهذا النشاط ذو ، طبيعة نفسية ..

فالقرود العليا ـ ومنها الشمبانزي ـ كما لاحظ عالم النفس الالماني كوهلر تستطيع ان تسقط بنان الموز المعلق في السقف عن طريق ربط عصوين مع بعضهما(9) .. وهذا ليس معقولا ان يكون فعلا انعكاسيا على الاطلاق . ولا هو ناتج عن التجربة . لان الشمبانزي لم تتكرر عليه هذه العملية حتى تكون نتاجا لخبرة سابقة(10) ..

ولذلك فان هذا المظهر السلوكي ليس عملية فسيولوجية مجردة كما يتصور بافلوف وانما هي معتمدة اساسا على نوع من التفكير وبصورة خاصة اذا عرفنا ما أكدته الدراسات التجريبية ان الحيوانات تختلف فيما بينها في ظاهرة « الذكاء » . فما دامت الحيوانات ـ اذن ـ متباينة في ذكائها اي في استعدادها للتعلم فان المظاهر السلوكية لديها لايمكن اعتبارها ردود افعال عصبية خالصة . وانما يداخلها عنصر حاسم هو العنصر النفسي الذي يلعب دورا اساسيا في عمليات الاستجابة وهو ما اغفله بافلوف ..

اما بالنسبة الى اعتبار بافلوف ان تلقي الاشارات لدى الحيوانات واثرها الفسيولوجي بوصفه من وظائف النصفين الكرويين للمخ يشابه الى درجة كبيرة ما يحدث لدى الانسان . فان الواقع العملي لطبيعة عملية الادراك مخالف تماما لهذا الراي . لان تلك العملية ليست فسيولوجية خالصة . وانما تتضمن عاملا نفسيا هو جوهر العملية . والدليل على ذلك ان الادراك لو كان عملية فسيولوجية محضة لكان كل من الخبرين السار والمؤلم يثيران نفس الاحساس الانفعالي لدى الانسان. وهو ما يحدث ـ فعلا ـ في حالات الامراض النهانية . التي هي في الاساس وظيفية . فهناك أمثلة واضحة لبعض الذهانيين الذين لا يتأثرون بوفاة اي فرد من افراد عائلتهم في الوقت الذي يكون فيه الدماغ خاليا من اية اصابة عضوية ..

بيد اننا نجد ان ثمة فرقا نوعيا واضحا بين الخبر السار والخبر المؤلم من ناحية التأثير الانفعالي .. فكيف اذن يحدث التمييز في حين ان الاشارات اللغوية ، تحدث تأثيرا عصبيا واحداً ؟

والاشارات لدى الحيوانات هي الاخرى تخضع لنفس الاقنونة لانها ليست الا مزيجا من طبيعة سايكوفسيولوجية . وهو ما سبق التدليل عليه.

ان تأكيد الماديين اللامحدود ـ وبافلوف خاصة ـ على الناحية المادية الخالصة في دراستهم للسلوك قد اوقعهم في اخطاء كبيرة بل انتهت بهم الى فهم خاطيء او كسيح على افضل تقدير ..

لقد توهم « بافلوف » ان السلوك ـ لدى الحيوان ـ لا يعدو كونه انعكاسا شرطيا اكتسب من خلال مسيرة التطور فيقول بافلوف « مع مسار عملية التطور اكتسبت الحيوانات الراقية القدرة على تكوين افعال منعكسة شرطية جديدة ومعقدة ... وهي عبارة عن روابط عصبية تربط الحيوان ببيئته . وبفضلها اصبحت الحيوانات اكثر قدرة على التكيف مع مختلف الظروف الخارجية التي تتغير بصورة مطردة »(11) ..

ويقول ايضا « ان الحيوان الصغير يستطيع ـ بفضل الافعال المنعكسة الشرطية ـ ان يعدو بعيدا ويختفي في مكمن امين حالما يرى الوحش من على بعد كاف » .

فبالنسبة للفقرة الاولى نستطيع ان نتبين ان بافلوف لا يميز بين الفعل المنعكس البسيط والمعقد بل يعتبرهما انعكاسات عصبية فقط ، وليس الفرق بينهما الا في ان الافعال البسيطة توجد في الكائن الحي مع ولادته .. اما المعقدة فمكتسبة وهو خطأ واضح يؤدي الى مغالطة كبيرة . لاننا لايمكن ان نماثل بين عملية سيلان لعاب الكلب عند رؤية الطعام ، او سحب اليد عند وخزها بدبوس او ربط عصوين مع بعضهما للحصول على بنان الموز المعلق في السقف كما يفعل الشمبانزي .

اننا لايمكن ان نماثل بين هذه العمليات من الناحية السلوكية لانها مختلفة نوعيا بينما يعتبرها بافلوف في مستوى واحد .

**ولئن كان الشك يخامرنا في تلك الفقرة فان الفقرة التالية تبدو اكثر خروجا على النهج العلمي . فهو يقول ان الحيوان الصغير سيهلك اذا لم يبدأ بالدفاع عن نفسه ازاء الوحوش ..**

ان هذا الاقرار ـ بحد ذاته ـ لايمكن ان يفهم منه ان الدفاع جاء نتيجة انعكاس شرطي او عن طريق التجربة ، لانه لابد ان يفضي الى هلاك الحيوان الصغير قبل ان يتعلم الاختفاء لانه في البداية لم يكن «يعرف» كيف يدافع عن نفسه وخاصة اذا عرفنا ان بافلوف يقرر ان الافعال المنعكسة الشرطية تحدث نتيجة الاكتساب على عكس الافعال البسيطة ..

ومن ناحية اخرى هل الدفاع يحدث بعملية فسيولوجية بحتة ام يدخل فيها عنصر نفسي أيضا ؟

ان اكتساب القدرة على الاستجابة الدفاعية يعنى في المضمون الحرفي للعبارة ان ثمة قدرة ما ينبغي توفرها لدى الحيوانات تقضي ـ جدليا ـ بضرورة التمييز بين المواقف والاستفادة من التجارب . فالقدرة على الدفاع تعني القدرة على تعلم الاساليب الدفاعية فحين « تشعر » الحيوانات الضعيفة بالخطر تعمد الى الهرب لانها لاتملك القدرة على المواجهة . وهذه العملية يستبعد ان تتمخض عن استجابة فسيولوجية او عصبية خالصة ..

والدليل على هذا ان سلوك الحيوان هو سلوك غريزي غرضي وليس انعكاسيا عشوائيا . والفارق بينهما هو ان السلوك الغريزي يهدف دائما الى تغيير المواقف الادراكية نحو اتجاه معين . اما النشاط الانعكاسي فيقتصر على اداء مجموعة من الحركات فقط . اي ان الحركات الانعكاسية انما هي حركات نمطية ثابتة ..

ولعل ما تجدر الاشارة اليه ان السلوك الغريزي ـ في ادنى المستويات ـ يتميز بالمرونة بوجه عام . فالدبور البناء وهو يجذب فريسته المشلولة الى كوارته لا يقوم بسلسلة من الحركات العشوائية وانما يعمل على اجتلاب الجندب . اي انه منهمك بنشاط نزوعي موجه بالادراك الحسي كما ان الحركات التالية التي يقوم بها قد تتغير كثيرا في الظروف المختلفة فاذا ظهر له ان الجندب من الكبر بحيث يصعب ادخاله

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الى الحفرة فان الدبور ياخذ بتوسيع المدخل . وهو عمل فيه كثير من التغيير في الحركات المتتالية وان هذا العمل – كما يقول ركس نايت – يوحي بما لايقبل الشك بالراي القائل ( وهو راي صادع للباحثين في نظريات الانعكاس المتسلسل ) ان الدبور يرغب في ادخال الجندب الى المغارة(12) . .

هذا ما يمكن استخلاصه من ملاحظة مظاهر السلوك لدى الحيوانات المتخلفة من الناحية التطورية ، وكذلك من بعض مظاهر السلوك الحيواني بصورة عامة وهو بمثابة سلوك بدائي . لانه ينبع من ادراك غريزي . ومع ذلك فهو لا يخلو من اثر للادراك الموجه . فهناك امثلة كثيرة تدل على ان سلوك الحيوان فى اكثر الاحوال انما هو سلوك «يهدف» الى غرض معين . كبناء الطيور لاعشاشها « فمن الصعب تفسير هذا السلوك دون الاشارة الى الغرض البعيد . وليس من الصواب القول بان الطائر ليس لديه فكرة معينة او صورة ما عن العش الذي يريد بناءه (13) »

ولذا فان المظاهر السلوكية المعقدة سواء الغريزية – او الناتجة عن نشاط ادراكي – باستثناء السلوك المنعكس البسيط – لايمكن اعتبارها انعكاسات شرطية او افعالا عصبية آلية باي شكل من الاشكال . .

ولعل الاكثر غرابة ان بافلوف لم يكن يستند في تجاربه الى السلوك الفعلي للحيوانات وانما على انماط مفتعلة وتجريبية . فالانعكاسات الشرطية ليست مظاهر ثابتة للسلوك العملي وانما يمكن اطفاؤها بسهولة كما قلنا سابقا فبالنسبة للكلب الذي اعتاد ان يسيل لعابه بمجرد سماع قرع الجرس يصبح تكيفه صعبا – اذا لم نقل مستحيلا – اذا غيرنا زمن القرع . اي اذا حدث هذا بعد او قبل وقت الطعام بفترة طويلة .
فماذا تعني هذه الظاهرة اذن ؟

ان هذا يدل دلالة قاطعة على ان العلاقة بين المنبه والطعام قد انفصلت او كادت . ولو كانت استجابة الكلب بسيلان اللعاب فسيولوجية بحتة فان اللعاب سيسيل بمجرد سماع دقات الجرس . والا فما تاثير الارتباط الزمني بين المنبه والاستجابة ؟

وهكذا نستنتج ان السلوك المعقد – كما في المثال السابق – انما هو قائم على اساس نفسي وليس فسيولوجيا . فقدان الاستجابة للتنبيه – بسيلان اللعاب – بمجرد التغيير الزمني يدل دلالة قاطعة على هذه الحقيقة .

واذا كانت استجابة الكلب تتكون بسبب تولد دوائر عصبية بين مركز السمع والغدد اللعابية – كما يتوهم بافلوف – فانها تقتضي – بالضرورة – الديمومة والثبات . ولكن هل يعني ان التغيير الزمني يفضي الى القضاء على هذه الدوائر ومحوها ؟ وما هو تفسير هذه الظاهرة في مثل هذه الحالات ؟

الواقع ان تفسير الاستجابة لدى الكلب – في تجارب بافلوف – على اساس تكون دوائر عصبية هو مغالطة كبيرة . لان العامل النفسي هو العنصر الجوهري في عملية الاستجابة . اضافة الى ان المظاهر السلوكية المعقدة لدى الحيوانات هي الاخرى تناقض بصورة مطلقة ما يذهب اليه بافلوف . فهناك نوع من العناكب ينسج بيته بدرجة كبيرة من الاتقان ومن دون ان يتعلم ذلك . وهذا السلوك من ناحية اخرى غير مرتبط بالانعكاس الشرطي لانه ليس مكتسبا بل موروث وهو غرضي في الوقت نفسه . والا لما كان بهذه الدقة . وكذلك امثلة بناء الطيور لاعشاشها . .

ان هذه الظواهر – رغم غرابتها احيانا – تؤكد الحقيقة التى حاولنا ايضاحها في البدء وهي ان سلوك الحيوان المعقد يتسم بنوع من التفكير اي ادراك « هدف » السلوك وكذلك الحال بالنسبة للسلوك الغريزي . بدليل ان الحركات التي تقوم بها الحيوانات في المواقف المختلفة تؤدي الى تحقيق غرض معين . .

ومع التسليم بهذه الحقيقة فان الهوة بين السلوك البشري وسلوك الحيوان ستظل قائمة وكبيرة . اذ ليس الفارق يكمن في « العقل » وانما « بتطور » العقل الى درجة معينة . فالقرود العليا – ومنها الشمبانزي – كما قلنا – تقوم باعمال لا تعلو من ذكاء وقدرة على التكيف مع المواقف المختلفة . اضافة الى هذا – وهو السبب الاساسي في وجود نوع من السلوك المعقد لديها – « انها تتذكر بدقة كافية ولفترة طويلة بحيث يصبح من غير الانصاف تجريدها الكامل من هذا التحول الروحي »(14) .

ومع كل هذا فان الهوة بين الانسان والحيوان لم تردم – بعد – بالتسليم بهذا النمط من السلوك الحيواني . . فالانسان هو الكائن الوحيد الذي يمتلك قابلية التجريد اي تحويل العمل الى افكار . . واللغة اكبر الادلة على هذا التفوق . .

### هوامش

1 – سوليفان – طبيعة العقل – 31 .

2 – سوليفان – طبيعة العقل – 35 ، 36 .

3 – ركس نايت – المدخل الى علم النفس الحديث – 89 .

4 – المصدر السابق – 89 .

5 – المصدر السابق – 90 .

6 – المصدر السابق – 91 .

7 – روفلين النوم – التنويم – الاحلام – د . احمد عكاشة – 3 – المقدمة .

8 – روفلين – النوم – التنويم – الاحلام – 29 .

9 – ركس نايت – المدخل الى علم النفس الحديث – 265 .

10– هناك نظرية اخرى في تفسير سلوك الحيوان تذهب الى الغاء دور العامل النفسي وهي نظرية « الخطأ والصواب » التي نادى بها – مكدوجل – غير ان هذه النظرية نفسها لا تخلو من نشاط نفسي لان الخطأ والصواب يؤديان الى « التعلم » على اساس الربط بين التجارب القديمة والحاضرة . وهذا اساسه نفسي حتما . .

11– روفلين – النوم ، التنويم ، الاحلام – 29 .

12– ركس نايت – المدخل الى علم النفس الحديث – 266 .

13– المصدر السابق – 228 .

14– اسحق ازيموف – الدماغ البشري وظائفه وطاقاته – 386 .

# المهرة

ـ ١ ـ

مُهْرَتي

صعبةٌ

شَرِبت لَبَنَ البيدِ ، واختزنت زَخَم العاصفة

فَهْيَ دفاقةٌ بالاعاصيرِ

سيّالةٌ بالرياحْ

وَهْيَ ريانةٌ من وميض الرماحْ .

ـ ٢ ـ

مُهرتي

مُرّةْ

يزخر الكبر من مُقلتيها

ويطفرُ من وجهها العنفوانْ

كلّما هببِ الريحُ

حرّكها الوجدُ للساحةِ الراعفة

ـ ٣ ـ

وأنا الفارسُ الصعبُ

في جَسَدي كلُّ جرحِ القبيلةِ

في خَلَدي كلُّ أشعارها

ولقد علّمتني القبيلةُ

أن أعشقَ المهرةَ الجامحة

ـ ٤ ـ

كان في وَجْهها حُلْمي ...

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

**• ناجي علوش**

فتصابيتُ

واشتقتُ للنرجسِ الجبليِ وللخضرة الوارفهْ ..

وتناسيتُ ثانيةً أن للحلمِ صحوتَه الجارحه .

— ٥ —

آهِ

يا مُهرتي

انّنا مذْ درجنا على الأرضِ

تفلحُ بورَ القبيلةِ

نزرعُ في الملحِ شوقَ الرجولةِ

نجرعُ حصرمَها

ونمنّي [illegible] أزهارِها

فلماذا تثورُ القبيلةُ ان

حدّثتنا حذامِ بأسرارِها ؟

— ٦ —

آه

يا مُهرتي

كأسُنا طافحه

وكؤوس الهوانْ

تثلج الهِمَمَ الرازحه

إنها لحظةُ الصحوةِ الجارحه

فلنَكُنْ نحن للرملِ والريحِ والعنفوانْ

بيروت : ٢٠ — ١٩٧٨/٩/٢١

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# الثروة وسلوك القادة الاداريين

## دراسة تحليلية في العوامل الاقتصادية

خضع العديد من بلدان العالم الثالث للاستعمار الذي استخدم اجهزتهاالادارية كاداة لبسط نفوذه. فالمستعمر اعاد تنظيم تلك الاجهزة ليس لتقدم خدمات عامةبسيطة ومحدودة فحسب وانما كانت مهمتها الاساسيةالمحافظة على النظام والامن بما يكفل صيانة وخدمة مصالحه . ويعقب احد الكتاب بهذا الخصوص قائلا ان الاستعمار هو حكم بالادارة العامة التي تتوجه بسياسة يتم وضعها من اماكن بعيدة .. من دول الاستعمار(1) وبعد ان نالت تلك الدول استقلالها ( الذي كان صوريا في حالات عديدة ) عمدت الى تنظيم هياكلها السياسية متبعة في ذلك نظاما سياسيا ذا سمات غربية . فالنظام ككل احتوى على انظمة جزئية ذات وظائف متخصصة كالسلطة التشريعية والقضائية والتنفيذية . واعتبرت الاولى ( متمثلة بالبرلمان او الاحزاب ) من حيث المبدا مسؤولة عن رسم السياسات ، اي اداة سياسية انيطتبهامهام عديدة منها مهمة توجيه الجهاز الاداري ( السلطة التنفيذية ، او قمة الجهاز المذكور .. الوزارة ) والسيطرة على فعالياته .

ان ما اعتمد نظريا اختلف عن الواقع الفعلي ، فلاسباباجتماعية واقتصادية وسياسية ، لا مجال لذكرها بهذا البحث(2) ، خضع النظام السياسي في كثير من البلدان لهيمنة السلطة التنفيذية .. للوزارة التي هي قيادة الجهاز الاداري العليا . ان نظاما يتميز بضعف السلطة السياسية ـ سواء كان ذلك برلمانا ام حزبا ـ حيث تكون غير مقتدرة على توجيه ورقابة الجهاز الاداري ( السلطة التنفيذية ) يعرف بنظام « الدولة البيروقراطية »(3) .

ان من اهم صفات الدولة البيروقراطية هو ان القادة ينشغلون بالسياسة على حساب خدمة الجمهور بكفاءة وفاعلية(4) . ويتولد بسبب ذلك مراكز قوى حيث تاخذ السياسة(5) صيغة صراع من اجل حماية مصالح خاصة(6) من طريق الوصول الى المناصب العليا في الجهاز الاداري ( الوزارة ) او حمايتها باعتبارها مصادر اساسية تمنح الفرد قوة يمكن تعزيزها بسبل اخرى .

ان مركز الفرد يكون ضعيفا اذا كان مصدر القوة التي يعتمد عليها مقتصرا على السلطة الرسمية ـ الشرعية للمنصب(7) . هذا المبدا الاداري يبرز بصورة اكثر وضوحا في الدولة البيروقراطية حينما تكون السلطة السياسية ضعيفة الى الحد الذي لا يمكن ضمان قوة مؤثرة في سلطة المنصب الاداري(8) . وهنا يتم اللجوء الى مصادر لا رسمية للقوة تقوم بدعم السلطة الرسمية ( وكذلك تعتمد عليها بدرجة كبيرة ) وبدعم المركز الاجتماعي والسياسي للفرد . ويعتبر البعد الاقتصادي ـ اي انفاق المال ـ مصدرا اساسيا بهذا المجال .

الصراع بين مراكز القوى للوصول او الحفاظ على المناصب الوزارية يصبح متطلبا ومحصلة لتوليد ادوات قوة لا رسمية . فاقامة وتوسيع وتوطيد العلاقات الشخصية ( التي تعمل كمصدر اساسي للقوة ) ياخذ مجراه عن طريق المناصب الوزارية التي تستغل لتوزيع المنافع على الآخرين كالوظائف الادارية وفي تحقيق اثراء غير مشروع حيث يكون المال كغاية وكوسيلة ينفق لتقوية المركز الاجتماعي والسياسي للفرد . ان سلوكية كهذه تترعرع في ظل قيم حضارية( كالكرم والضيافة) تمنح من اجل خدمة اهداف خاصة . الاجراءات والعلاقات المطروحة بهذا الاطار تنطبق على العراق الملكي وربما وجودها مستمر في مجتمعات اخرى .

### ● هدف الدراسة ●

اكتسب نظام الحكم الملكي العراقي بهيكله وسلوكيات وعلاقات قادته سمات الدولة البيروقراطية . فالنظام السياسي منذ تأسيسه في 1920 اعتمد هيكلا تم فيه التمييز بين نشاطي السياسة والادارة . فالسلطة التشريعية ( المتمثلة بالبرلمان ) كانت مسؤولة عن رسم سياسة الدولة ومراقبة وتوجيه السلطة التنفيذية .. اي الوزارة التى كانت قمة الجهاز الاداري . الا ان ما كان موصوفا اختلف عن الواقع الفعلي . فالحكم الملكي العراقي منذ تأسيسه وحتى انهياره في تموز

# في الحكم الملكي العراقي

## والسياسية والحضارية

● د نزار توفيق الحسو

1958 لم يمتلك هيئة ( او هيئات ) سياسية فعالـــة ( كالبرلمانات او الاحزاب او كليهما) قادرة على توجيه الجهاز الاداري وقيادته نحو خدمة الصالح العام . لقد كان العكس صحيحا حيث احتلت الوزارة مركــز الهيمنة والصدارة في النظام السياسي(9) . الا انه وبنفس الوقت برزت حالة نقيضة تميزت فيه بضعف قوة سلطة المناصب الوزارية (كما انعكس ذلك بعدم استقرار الوزارات )(10) نتيجة لظروف اجتماعية واقتصادية وسياسية لا مجال لذكرها .

تهدف هذه الدراسة الى تحليل بعض الحالات والعلاقات التي اثرت على السلوكية الادارية والسياسية للاعضاء المتنفذين في الوزارات العراقية(11) . ان ذلك يتضمن محاولة لشرح اهداف وقيم رسمت اعمال وتصرفات وتداخلات هؤلاء القادة . وبتوضيح وخصوصية اكثر دقة فان الدراسة تسعى لطرح فرضية عامة مفادها ان القادة المتنفذين لم ينظروا للسلطة كاداة للتطوير وخدمة الشعب وانما كوسيلة ( وكفاية بالطبع ) استغلت لخدمة اغراض ذاتية . فالقوة الادارية ولدت اثراءا غير مشروع استخدم في تقوية وحماية مراكز القوى ( في عملية التناحر السياسي ) التي استندت في ذلك على قيم حضارية مسخت اصالتها وسخرتها ضمن الاطار الحضاري لتحقيق مصالح انانية . ان الخوض في فرضيات كهذه يتطلب تكوين نظرة تحليلية في العلاقات القائمـــة بين المحيط الرسمي واللا رسمي .

### ● اهمية الدراسة ●

لقد اكد العديد من الكتاب على اهمية القادة التنفيذيين ، والذين يسمون احيانا بالنخبة ، في التأثير على مصير مجتمعاتهم . ان القرارات التي تتخذ من قبلهم في مرحلة من تاريخ المجتمع يكون لها اثر اكبر من القرارات التي تتخذ من قبل مستوى ادنى . ان تلك المرحلة تتمثـــل بحالة تمركز كل السلطات بايدي القـــادة وتكون القوى والهيئـــات السياسية ضعيفة غير مقتدرة على المشاركة باتخـــاذ قرارات ستراتيجية .

يمكن النظر الى اهمية القيادة بهذا الخصوص من زاوية الادارة العامة . فدراسة مجريات التغيير والتطور في الدول النامية من خلال دراسة الجهاز الاداري بالتركيز على تصرفات قادته ــ اي الوزارة بهذه الحالة ــ الذين يؤثرون في مجريات الادارة والسياسة في المجتمع هو اكثر ايجابية وجدوى من تسليط الضوء على المستويات الاداريـــة الاقل مستوى . ويذكر احد الكتاب بهذا الصدد ان هناك حالات يكون فيها الموظفون في الدرجات العليا من السلم الاداري نواة اساسية لمفهوم « الجهاز الاداري »(12).وبقدر تعلق الامر بالدراسة مجال البحث فان ( الموظفين ) هم الوزراء بينما كلمة « حالات » تشير الى ظرف تسيطر فيه الوزارة على النظام السياسي ككل .

ان اهمية هذه الدراسة تكمن في قدرتها التحليلية وشـــمولية نظرتها ، وهي بالتالى تسد فراغا قائما في ادبيات من هـــذا النوع . فالعراق الملكى يعتبر احد بلدان الشرق الاوسط التى لم تتعرض الادارة السياسية فيه لدراسة تحليلية . ان المؤلفين المعاصرين اعطوا اهتماما قليلا للاجراءات والنماذج الادارية والسياسية في العـــراق خلال فترة الحكم الملكى . كتابات مؤلفين مثل مجيد خدوري ، عبـــدالرزاق الحسني ، ستيفن لونكرك ، وجيرالد دي غوري ما هى الا سرد لوقائع التاريخ السياسي العراقى . اما دراسات الادارة العامة الصادرة باللغة العربية فتحمل تركيزا كبيرا على النواحى الرسمية ــ الشرعية(13) .

**انا نامل ان لا ينظر الى هذه الدراســـة نظرة محدودة كونها تخص قطرا واحدا فقط . انها قد تتعدى ذلك لان ما احتوته من انمطة اداريـــة وسياسية قد تتناسب مع ما هو موجود في العديد من مجتمعات الدول النامية بصورة عامة ومجتمعات الشرق الاوسط بصورة خاصة. فاستغلال المناصب الادارية من قبل القادة الاداريين ( الوزراء ) والصراع الذي يحكم علاقاتهم وتسخير الثروة والقيم الحضارية لا زالت اساليب تكتنف عددا من النظم**

**السياسية في المجتمعات النامية والواقعة ضمن مفهوم الدولة البيروقراطية. ومن ناحية اخرى فاننا اذا اردنا معرفة ما اذا كانت المبادىء المطروحة في هذه الدراسة تتسم بالخصوصية او العمومية ( اي انطباقها على اكثر من بلد ) فان ذلك بالتالي يعتمد على اجراء بحوث واقعية تتناول الموضوع في بلدان اخرى . بحوث كهذه تكون ضرورية ان اردنا اختبار الفرضيات والعلاقات التى تطرقنا لها من اجل تطوير عملية بناء النظرية. وبذلك فان ما يطرح هنا يمثل عرضا ثانويا للدراسة قوامه تحديد مجالات لاغراض البحث من اجل تنقيح مفاهيم وتهيئة معلومات لكي تختبر فرضيات قائمة في حقلي الادارة والسياسة .**

ان بوسع المرء تعلم الشيء الكثير عن الانمطة والاجراءات الادارية والسياسية لمجتمع ما من خلال دراسة اداء كبار قادته كاعضاء الوزارات في العراق الملكي . ان تأثير قرارات اولئك القادة شملت المجتمع بأوسع قطاعاته . وبنفس الوقت فان تصرفاتهم لم تنشأ في فراغ ولم تتبلور تلقائيا وانما كانت وليدة النظام بأبعاده المتعددة . لذلك فان فهم الاجراءات والسلوكيات الادارية والسياسية يتطلب النظر في اكثر من ظاهرة واحدة . انه يتطلب ربط علاقات بين مختلف الاصعدة السياسية والادارية والاقتصادية والاجتماعية .

ستجيب هذه الدراسة على عدة اسئلة قد تشغل فكر القارىء منذ طرحنا مفهوم الدولة البيروقراطية في العراق الملكي . ما هي الاساليب التى اعتمدها القادة المتنفذون في استغلال المناصب الوزارية للحصول على موارد غير مشروعة؟ لم يكن المنصب الوزاري الاداة الوحيدة ( المباشرة ) بهذا المجال وانما سخرت مستويات ادارية ادنى ، فكيف تم ذلك ؟ هل كانت المحصلة زيادة في حدة الصراع بين مراكز القوى من اجل السيطرة على مناصب تتحكم بموارد اقتصادية ؟ كيف دعم ذلك الظرف المؤهلات الشخصية ـ اللا موضوعية في تعيينات وتنقلات الموظفين ؟ ما هو الدور الذي لعبه هؤلاء في اثراء رؤسائهم او متبوعيهم من الوزراء ؟ كيف استغل المال لتقوية النفوذ السياسي ؟ ما هي طبيعة دور القيم الاجتماعية ـ الحضارية بهذا الخصوص ؟

ان الاسئلة المطروحة اعلاه لا تشكل فحوى الدراسة فحسب بل انها ايضا تحدد ابعادها لاسباب تتعلق بمحدودية الوقت والجهد وتجنب ما يعمل على تشتت الموضوع . فنحن لن نتطرق الى الاسباب التي رفعت السلطة التنفيذية ( الوزارة ) الى مكان الصدارة في النظام السياسي . ان ذلك يتطلب تحليلا مفصلا للظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية السائدة آنذاك كتحديد هوية الاحزاب وطبيعة نشاطاتها وتحديد شرائح المجتمع بخلفيتها الاجتماعية ـ الاقتصادية وتركيبها السكاني ( العشائر ) والآثار السياسية المترتبة على ذلك. ان التطرق لاسباب هيمنة الوزارة يتطلب ايضا تحليلا دقيقا لطبيعة الارتباطات التنظيمية التي حكمت علاقات السلطات الثلاث المكونة للنظام السياسي . ومن ناحية اخرى فاننا لن نتعرض الى اسباب ضعف سلطة المنصب الرسمي اذ ان ذلك سيدفعنا نحو التطرق لدور القيم الحضارية وعلاقتها بمفهوم ولاء الفرد والى الدور السياسي الاجتماعي للتجمعات ( الشلل ) اللارسمية كالموظفين والضباط وشيوخ العشائر . ان هذه الابعاد بنفس الوقت تشرح لنا مكامن وخلفيات بروز مراكز القوى ومقومات وجودها وتناحرها واثر كل ذلك على ضعف سلطة المنصب الرسمي وبالتالي الاتجاه نحو الاعتماد على مصادر لا رسمية للقوة كالتحالف مع العشائر وعلاقات الدم والمال . اننا سنركز على الاخير كمصدر قوة وكمحرك سياسي في الادارة العراقية والمجتمع بصورة عامة ابان تلك الفترة .

## ● الاطار النظري للدراسة : ●

### خلفية وفرضيات

في الدولة البيروقراطية حيث لا تكون السلطة السياسية قادرة على توجيه الجهاز الحكومي وحيث توجد قوى لا رسمية تبسط نوعا من الهيمنة على الكيان الحكومي ، تضعف القوة الكامنة في سلطة المنصب الرسمي . في هذه الحالة يلجأ لتقوية اساس السلطة بقوة لا رسمية تشتق من مصادر عديدة بضمنها الاقتصاد . فالفرد يدعم مركزه الاجتماعي والسياسي من خلال صرف المال .. وهو ما اطلق عليه احد علماء الادارة بالصرف الستراتيجي(14) . فالقادة يوزعون المال على الاتباع والممكن كسبهم للحصول على اسناد واخلاص شخصي منهم ولمنع تحول ذلك الى مراكز قوى معادية(15) . والصرف قد يأخذ صيغا نقدية او عينية مصاحبا ذلك استغلالا للقيم الحضارية التقليدية ( كالكرم والضيافة ) لتصبح ادوات سياسية تخدم اغراضا خاصة بهذا المجال . فممارسات توزيع الهدايا واقامة الولائم وغير ذلك من اوجه الكرم تعتبر عادات ذات قيمة عالية في كثير من مجتمعات العالم الثالث وخاصة العربية منها . ولكن الممارسة ذاتها قد لا تصدر بسبب الالتزام بالعرف ذاته قدر صدورها عن رغبة خاصة لانشاء او دعم مركز قوة شخصي(16) . فالذي يمنح هدية على سبيل المثال ـ وقدر تعلق الامر بمجال البحث ـ يود تقوية العلاقات الشخصية مع الغير . فتكرار المنح او ضخامة قيمة الهدية ( بصورة نسبية او مطلقة ) تولد لدى المستلم شعور المنة والعرفان . الاخيرة تعمل كدوافع تمهد الارضية لتجعل من المستلم تابعا وحليفا يخدم الاهداف الشخصية للمعطي او الواهب(17) .

كلما ارتفعت مكانة القائد الوظيفية والسياسية كلما زادت أهمية المال بالنسبة له لتلبية حاجات الاتباع وكسب المؤيدين. وقد لا يستطيع الفرد القائد بلوغ مركز مالي ضامن للاحتياجات عن طريق ما يحصل عليه من راتب . فليس من الضروري ان يكون كل القادة ( الوزراء ) قد اتوا بالاصل من عوائل غنية ، فهناك من ينتمي لعوائل تقع ضمن الطبقات الوسطى او دون ذلك من شرائح المجتمع . ورغم ذلك يصبح هؤلاء الاشخاص اغنياء بعد تسنمهم مراكز وظيفية عليا . ويقول احد الكتاب بهذا الصدد ان في بعض المجتمعات ، وخاصة التي لا تمتلك اداة سياسية فعالة ، تكون السلطة الرسمية مصدرا للثروة اكثر بكثير من كون المال وسيلة للوصول الى السلطة(18) . وهذا يتضمن مفهوما مفاده بان الفساد من خلال استغلال السلطة الرسمية قد ينعكس بممارسات الاثراء الشخصي غير المشروع . ويطرح الكاتب مكملان ممارسات للفساد قائلا بان الموظف يكون فاسدا اذا قبل نقودا او اشياء عينية :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أ ـ لتادية عمل يعتبر واجبا رسميا يؤدى بدون مقابل .

ب ـ لتادية شيء محظور بموجب القانون .

جـ ـ او لممارسة عمل شرعي باسم السلطة من دون الاستناد لاسباب معقولة او مقبولة(19) .

قد لا يكون لدى القادة ( الوزراء ) في الدولة البيروقراطية وسيلة مباشرة او مناسبة لاثراء غير مشروع من المصادر الحكومية بسبب عدة عوامل منها اعتماد الجهاز الاداري مبداي تسلسل السلطة وتقسيم العمل حسب الاختصاصات . وهنا يكون اعتماد القادة بهذا المجال على مرؤوسيهم واتباعهم من الموظفين الذين يصبحون بمثابة وكلاء او جباة او ناقلي ثروة لاسيادهم او رعاتهم اي للقادة . ان نمط علاقة كهذه يزيد من حدة المحاباة والتحيز حيث يتنافس القادة فيما بينهم لتعيين مؤيديهم وانصارهم في المراكز الادارية وخاصة تلك التي تتحكم بسبل الاثراء . ان العلاقات المذكورة اعلاه ، وعلى مستويات اجتماعية ـ سياسية اوسع ، تعيننا على فهم الطبيعة التجميعية للقوة اي ان القوة الرسمية هي سبب ونتيجة لاشكال اخرى من القوة . فعلى سبيل المثال ان تسنم سلطة عليا ( كالمنصب الوزاري ) في نظام الدولة البيروقراطية قد يقود للاثراء والمحاباة والتحيز في تعيين الافراد للوظائف الحكومية وهذا بالتالي يحمي ويدعم المنصب الرسمي للقائد من جهة ، ويزيد من حدة الصراع السياسي بين القادة من جهة اخرى .. ويستمر ذلك في حلقة مفرغة .

## ● المنزلة الاقتصادية للقادة :

### نشاتها وتطورها

خلال السنوات التي تبعت ظهور العراق ككيان ذي شخصية دولية في سنة 1920 تولى المناصب الوزارية اشخاص عديدون توالى ظهور اسمائهم في مختلف الوزارات . لقد كان وصول البعض منهم الى القيادة الادارية العليا بفعل عوامل عديدة منها الملكية الاقتصادية(20). الا ان الخلفية الاقتصادية لاولئك الاشخاص منذ العشرينيات كانت متباينة . فاذا نظرنا للثروة كسلم يرتفع في طرف وينخفض في الطرف الآخر لوجدنا ان مجموعة من اولئك القادة كانت تنتمي اصلا لعوائل معروفة بثرائها(21) . اما في النهاية الاخرى من سلم الثروة فكان بعض القادة من عوائل متوسطة او دون ذلك حيث تمتعت بملكية واطئة مقارنة بالمجموعة اعلاه وقياسا بالمعايير السائدة آنذاك . بين هاتين المجموعتين برز للمسرح السياسي قادة من عوائل ذات مكانة اجتماعية مرموقة الا ان خلفيتها الاقتصادية لم تقع بمدى اي من الحدين المذكورين .. حيث ان الملكية لم تكن كافية بمستوى يعكس مظاهر الثراء المتعارف عليه في الفترة المنصرمة(22) .

**ان التباين في توزيع الثروة بين الغالبية العظمى لهؤلاء القادة لم يبق في حالة ثابتة . فسنين ما بعد 1920 شهدت تغيرا ملموسا في هذا المجال حيث تم تضييق الثغرة في الحالة الاقتصادية للقادة . فالعديد منهم اصبحوا في غضون فترة قصيرة اغنياء كما كان واضحا من خلال طراز حياتهم ونفقاتهم الباهظة. لقد كتب احد المتتبعين قائلا ان الشعب العراقي كان يتحدث آنذاك عن ظهور طبقة جديدة من الاغنياء ميزت مجتمع بغداد الثري(23) . فعدد من القادة السياسيين الذين اعتمدوا على مهنتهم او وظائفهم كمصدر للمعيشة برزوا فيما بعد كملاك عقارات في المدينة واراض زراعية في الريف .**

ان حجم الثروة التي جمعها بعض الاشخاص خلال فترة قصيرة فاق بمدى شاسع امكانية رواتب الوظيفة كمصدر مالي . وتبقى الحقيقة ثابتة بان الثروة كانت حصيلة مصدر آخر وهو سلطة المناصب الادارية على مختلف مستوياتها . فاستغلال السلطة الوظيفية من اجل الحصول على موارد غير مشروعة استشرى الى درجة كبيرة دفعت الملك غازي في سنة 1936 ، بخطابه للبرلمان الى الاستغاثة بالمسؤولين للتمسك بالنزاهة في تصريف الشؤون الحكومية(24) ، بالاضافة الى ذلك ورغم معارضة العديد من المسؤولين طالب عدد من النواب بتشريع « لائحة الاثراء غير المشروع » التي كانت تهدف للاستقصاء عن مصادر ثروات الوزراء وكبار المسؤولين ومحاسبة من استغلوا سلطاتهم بهذا المجال(25) .

## ● الموارد الحكومية واستغلال السلطة ●

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اصبحت المناصب الادارية العراقية ، وخاصة بالمستويات الوزارية ، بمثابة راس مال يدر على اصحابها موردا وفيرا . لقد تولدت عدة طرق تباينت ماهيتها بطبيعة وحجم ما تدره من دخل . لقد خالفت كل الوسائل المستعملة بهذا الخصوص المبادىء الخلقية للادارة الحديثة حيث استغلت الموارد البشرية العائدة للدولة لخدمة منافع شخصية . فعلى سبيل المثال قام صادق البصام بخطاب له امام البرلمان بفضح الممارسات اللا مشروعة المتعلقة بتقاضي الخدم العاملين بمنازل الوزراء رواتبهم من ميزانية الدولة(26) . ويضيف عبدالرزاق الحسني بأن الوزراء واصحاب النفوذ كانوا ينسبون افراد الشرطة للعمل بمنازلهم كفلاحين يعتنون بحدائقهم وكخدم يقضون حاجياتهم المنزلية(27) .

ان انحراف السلوك الاداري من اجل اشباع رغبات اقتصادية اتخذ صيغا اكثر وضوحا من الممارسات المارة الذكر . فمن اجل الحصول على مورد اضافي عمد الوزراء الى اثقال كاهل جهاز الادارة العامة باعمال وهمية . فمثلا يذكر الكاتب كاراكتاكوس بان وزارة التعليم ، كما كان الحال في عدد من الوزارات الاخرى ، عمدت الى منح زوجات واخوات القادة المتنفذين ، وحتى اطفالهم ، رواتب شهرية من دون ان يقدموا اية خدمة للدولة(28) . ولقد استشرى الفساد الى درجة خضعت فيه املاك الدولة الى استيلاء كيفي وحولت الى ملكيات خاصة من قبل اصحاب السلطة والنفوذ . ان احد النواب ، الذي كان وراء محاولة اصدار لائحة الاثراء غير المشروع ، اتهم اعضاء الوزارات المتعاقبة بسيطرتهم غير المشروعة على الاراضي الحكومية وتحويلها الى ملكيات خاصة(29) . وتشير الوقائع الى ان عددا من الوزراء المتنفذين خلال تسنمهم لمناصب وزارية هامة اصبحوا ملاك اراض بفعل الممارسة اللا مشروعة اعلاه . فعلى سبيل المثال يذكر توفيق السويدي

بانه في سنة 1922 عمد احد الوزراء المتنفذين الى مصادرة مساحات شاسعة من الاراضي السكنية في منطقة المجيدية ( ببغداد ) رغم معارضة وزير المالية(30) . ويكتب طه الهاشمي قائلا ان وزيرا آخر بنفس الطريقة قام بمصادرة اربعين الف مشارة في مناطق مختلفة من بغداد كالصليخ والاعظمية وسلمان باك وخشم كردي(31) .

### ● الاثراء في علاقة الادارة بالجمهور : ●

### اساليب في استغلال السلطة

لم يتحدد الفساد بصيغة السيطرة على الاملاك العامة بل تعداه الى ممارسات رسمت علاقة رجال الحكم بالجمهور . ان احدى العلاقات تلك التي ربطت بين الحكام والتجار حيث كانت التجارة مهنة رئيسة في مجتمع بغداد وبقية المدن . ان خضوع الاستيرادات والتحويل النقدي لسلطة الحكومة اعطت الوزراء قوة ونفوذا كبيرين يؤثران على مصير الحالة الاقتصادية للتجار . وحيث ان الاخيرين لم يستطيعوا الالتجاء الى هيئة سياسية رسمية فعالة ( كنقابة او برلمان ) لضمان حقوقهم فانهم لجاوا الى استعمال سلاح الاقتصاد للتاثير على القادة . فالحصول على مطالب مشروعة او خدمة عامة ، كاجازات استيراد مثلا ، كانت مقتصرة على اولئك الذين يستطيعون دفع رشاوى لرجال السلطة(32). ومن ناحية اخرى تولدت مشاركات ( او شركات قوامها عنصرا السلطة والمال ) بين التجار ، وعلى وجه الخصوص من الاقلية اليهودية الغنية وبين اعضاء من الوزارات المختلفة(33) . فالجهة الاخيرة منحت الاولى امتيازات وحماية لقاء نسبة من الارباح . وفي حالات اخرى خضعت اموال التجار لابتزاز كان بصيغة مبالغ تدفع كقروض ولكنها لا تعاد(34) .

**لم يكن التجار الشريحة الاجتماعية الوحيدة التي خضعت لاستغلال القادة الاداريين بل انما قطاعات واسعة من الجماهير ، التي لم تمتلك وسيلة ثانوية فعالة لحماية حقوقها ، وجدت نفسها في ظرف مماثل ، ففي الحالات التي لم يكن نفوذ الوزير يمتد لمرافق ذات موارد او صيغة اقتصادية او انه لم يستطع مد نفوذه لها ( ولاسباب سترد فيما بعد ) فانه اتخذ جمهور المراجعين كمصدر مالي بديل . فالمواطنون واجهوا احتمال الحرمان من الحصول على خدمات مشروعة ما لم يدفعوا مبالغ نقدية للوزراء او لكبار الموظفين والا فيتم صياغة معوقات اجرائية لعرقلة او تاخير انجاز المعاملات الرسمية. ان ممارسة كهذه تغلغلت في مختلف المستويات الادارية(35) . فمثلا يذكر طه الهاشمي عن وزيرين بانهما ارغما مواطنا على دفع 300 دينار لقاء انجاز معاملته(36) . ويعقب عبدالرزاق الحسني قائلا ان احد هذين الوزيرين خضع لانتقادات كثيرة بسبب سلوكية كهذه. فعندما كان وزيرا للداخلية هاجمته جريدة الاستقلال بعدديها ليومي 17 و 18 تشرين الاول 1938 متهمة اياه بالاثراء غير المشروع وفق الاطار المطروح اعلاه(37) . وهذه الانتقادات والاقاويل المتداولة عنه دفعت رئاسة الوزارة الى تنحيته وتعيينه بمنصب آخر(38) .**

### ● جمع وانفاق الثروة : ●

### البعد الحضاري/الاجتماعي

ان الانفاق غير المشروع قد ياخذ شكلا كامنا او صريحا ( علنيا ) حيث ان ذلك بالتالي يعتمد على صيغة الدفع ذاتها .. اذا كانت نقدية ام عينية . الدفع العيني كان ياخذ صيغة الهدية . وكانت الهدايا تدفع بطريقتين تحددان بمدى قرب او بعد الاهداف التي يرغب الفرد المانح تحقيقها .

الهدايا التي تعطى لتحقيق مصالح شخصية بعيدة الامد كانت غالبا ما تصاحب مناسبات اجتماعية كاعياد الميلاد الشخصية او الزواج او الترقية الوظيفية . فافراد كثير من دول العالم الثالث قلما يغفلون اهمية الوفاء بالتزامات اجتماعية كتلك لا سيما اذا كان المعنيون من اصحاب النفوذ الاجتماعي والسياسي . وكما هو معروف فان تقييم الفرد واحترامه ومكانته الاجتماعية يتم وفق درجة تقيده وانصياعه للاطر الحضارية التقليدية(39) . ومنها الكرم الذي يعتبر قيمة هامة. وكاحد اوجه الكرم فان اعطاء هدية يعد تعبيرا عن السخاء وشعور الصداقة الذي بالتالي يمنح الواهب مكانة اجتماعية شخصية مميزة . الا ان الهدايا المقدمة بمناسبات كهذه تكون احيانا مرتبطة بمصالح شخصية اكثر من ارتباطها بمسالة مراعاة تقاليد حضارية او الانصياع اليها . فالتقدير وتوثيق العلاقات الشخصية ينظر لها المعطي في هذه الحالة كمصدر دعم احتياطي يستعمل في المستقبل للحصول على منافع خاصة يحققها له مستلم الهدية . ان حجم الموارد الاقتصادية الناجمة عن العلاقة الواردة الذكر يتحدد بالخلفية الاقتصادية والاجتماعية للاشخاص المعنيين . فمثلا يذكر انه في سنة 1948 استلم الوصي عبدالاله بمناسبة زواجه هدايا تقدر بمائتي الف دينار من اعضاء الوزارات واصحاب النفوذ(40) .

لا توجه الهدايا لتحقيق اهداف بعيدة الامد فقط بل انها ايضا تمنح من اجل تحقيق اهداف قريبة الامد . ان طبيعة سياسة صراعات القوة بين القادة تحتم احيانا صياغة ما يدفع ضمن مفهوم الهدية . ان احد الاسباب في هذا المجال هو طبيعة السياسة في معظم الدول النامية ( ومنها العراق الملكي ) حيث يتجه القادة المتنازعون لتشويه سمعة منافسيهم ومركزهم الاجتماعي من خلال اتهامات الفساد وسوء التصرف(41) . وهنا تاخذ ممارسات الاثراء اللا مشروع صيغا لا تثير ردود فعل اجتماعية سلبية. ومن اجل ذلك تستعمل «الهدية» بصفتها نمطا حضاريا مقبولا وكقناع لتغطية ما هو غير مشروع . ان انفاقات كهذه ( الهدايا ) ما هي في الحقيقة الا « رشاوى » حيث ان منحها غير مرتبط باي مناسبة عدا المحاولة المبذولة لدعم وتنمية مصالح الفرد الذاتية . ان المتتبع للسلوك الاداري والسياسي لتلك الفترة يستطيع فرز العديد من الحالات الواقعية عدا ما ذكر سابقا من امثلة تتعلق بالناحية الآنية في مجال البحث(42) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

## ● التجمعات اللا رسمية ( الشللية ) كمصدر للثروة : ●

## العناصر والآثار

ان اجراءات وسبل جمع الثروة لم تخضع لاساليب مباشرة من قبل القادة ذاتهم . فهؤلاء سعوا نحو الاثراء غير المشروع من خـــلال موظفين يعملون في مستويات تنظيمية ادنى . ان عدة عوامل لعبت دورا هاما في بلورة هذه السلوكية . فالقادة كما ذكرنا حاولوا قدر الامكان تجنب الفضائح واتهامات الفساد امام المجتمع عامة(43) . اضافة الى ذلك فان اشخاصا يعملون في مراكز عالية كمناصب الوزراء لم يتيسر لديهم دائما الوصول الى مصادر الاثراء الحكومية بفعل امتدادوتشعب الهيكل التنظيمي حيث الاعمال موزعةعلى الافراد وفق تسلسل السلطة والاختصاصات . وما يوازي ذلك اهمية هو ان مصـــادر الثروة لم تنحصر في بغداد وانما هي موزعة على المناطق الجغرافية فيالبلد انسجاما مع ( ضمن عوامل اخرى ) تشعب الهيكل الاداري الرسمي . نظـرا للاسباب اعلاه فمن الطبيعي ان يدرك القادة الاداريون ان الحاجـــة لضمان سلامة وتقدم مصالحهم الاقتصادية تقتضي انشاء علاقـــات وثيقة تتسم باللارسمية مع موظفين في المستويات الادارية الادنى .. مع اشخاص يرغبون في التعاون في عمليات الاثراء غير المشروع .

ان مستلزمات الوثوق والسرية في عمليات الاثراء غير المشـــروع والممارسة من قبل القادة الاداريين ( الوزراء ) والموظفين الاقل درجـة تطلبت اقامة اتصالات مباشرة تجاوزت تسلسل السلطة الرسمية . اتصالات او علاقات كهذه ليست غير متعارف عليها في الكثير من الانظمة الادارية الحديثة التي تتم لاعتبارات محددة من اجل مصلحـــة الاداء ذاته(44) . الا ان تلك الاتصالات في الجهاز الاداري العراقي كانت ذات طبيعة مغايرة .

**لقد كانت علاقات العمل تلك تصاغ باطــــر تحالفات ذات ابعاد شخصية ولا رسمية ادت دورا هاما في الادارة والسياسة العراقية . فالاشخاص المخلصون والموثوق بهم من قبـــل الوزراء ، وهم موظفون في مختلف الدرجات كالمتصرفين والمدراء العامين ، عملوا كوكلاء ماليين او جباة ثــــروة لرعاتهم وجماعتهم من المتبوئين منـــــاصب وزارية(45) . مقابل ذلك وكثمن لخدماتهم تمتـع هؤلاء الموظفون بالرعاية والحمايـــة والامتيازات كالقدم لغرض الترقيات(46) . ولكن هذهالامتيازات في بعض الاحيانلم تكن كافية لضمان ولاءالشخص وعدم انتقاله لجهة مناوئة . لذا فقد اضيفتحوافز مالية الى ما تم ذكره من حوافز اخرى ( الرعايـة والقدم والاجازات .. الخ ) . ذلك البعـــــد الاقتصادي كان ضروريا لادامة التحالف املاهــــا انخفاض الرواتب وعدم تناسبها مع تكـــاليف المعيشة(47). ان ذلك كان سببا لانبثاق((شللية)) او مشاركات في الجهاز الاداري شبيهة بتلك التى تولدت بين الوزراء والتجار ، الا ان هذه كـانت بين الموظفين على مختلف المستويات وبين الوزراء حيث تم اقتسام الوارد وفق نسب قد يكون متفقا عليها . ويذكر عبدالرزاق الحسني بهذا الخصوص ان عددا من الوزراء دخلوا مع الموظفين في اتفـاق يشبه المقاولة توجب عليهم ضمان تحصيل مبلـغ شهري محدد وتحويله لهم(48) .**

ان هذا النمط من المصالح الاقتصادية المتبادلة يفسر لنا السبب الكامن وراء معارضة العديد من الوزراء الاقتراح القاضي بتشريعلائحة الاثراء غير المشروع التى استهدفت ممارسات العاملين على مختلف مستوياتهم . ويضيف عبدالرزاق الحسني قائلا ان تلك اللائحة كانت ستهدد بقاء اولئك الموظفين في مناصبهم التى اعتبرت مصـــادر اثراء هامة للعديد من الوزراء(49) .

ان العلاقة القائمة بين سلطة المنصب الاداري والانتفاع المـالي الشخصي زادت من حدة الصراع بين الوزراء . فهؤلاء تنافسوا فيمـا بينهم لتعيين اعوانهم ( او الذين يتوسمون فيهم الثقـة ) في مؤسسات الدولة وخاصة المناصب التي تتحكم بموارد مالية. ويذكر طه الهاشمي على سبيل المثال ان وزيرين في سنة 1937 اختلفا فيما بينهما حيث رشح كل واحد منهما شخصا لمنصب مدير عام الطابو(50) . ويضيف طه الهاشمي انه في سنة 1930 تم تنحية مدير عام الأوقاف وحل محله شخص آخر حيث شغل عدة مناصب وزارية فيما بعـد . ويعقب الهاشمي قائلا ان سبب ذلك التغيير الاداري كان لاستغلال واردات تلك الدائرة لمنفعة اشخاص معينين(51) .

## ● الثروة كمصدر قوة وكاداة سياسية : ●

## الابعاد الاقتصادية والاجتماعية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ما تقدم ذكره يعتبر تحليلا لمختلف الطرق والاجـــراءات التي استخدمت في جمع الثروة . ولم تكن الاخيرة غاية قصوى ، اي انهـا لم تجمع بسبب قيمتها الاقتصادية فحسب بل ايضا كوسيلة لحمـاية وتطوير المكانة الاجتماعية ـ السياسية لرجال الحكم . فمثلا كان معروفا لدى الجمهور ان الكثيرين من الوزراء امتلكوا ارصـــــدة في البنوك الاوربية(52) . هذا الاتجاه كان وليد عدم الاطمئنان وتزعزع الثقـــة اللذين سادا مسرح السياسة في العراق . لقد كان ذلك حافزا لبنـــاء ثروة تكون ضمانة للمستقبل اذا ما فقد المنصب الوزاري او المركـز السياسي . فهناك على سبيل المثال وزراء اضطروا لاستخدام موارد مالية خاصةحينما اجبروا على ترك العراق بعد انقلاب بكرصدقي(53).

هناك حالات اخرى استخدم فيها المال لخدمة اهداف بعيـــدة الامد . فالمال بالنسبة لشخص في الوزارة او كان فيها ( ويروم العودة لها ) اعتبر وسيلة للحفاظ على مستوى رفيع من المعيشة الذي اعتبر بحد ذاته معيارا او انعكاسا لبقاء واستمرار القوة . المظاهر الخارجية بهذا المفهوم ساعدت على شحذ همم المؤيدين وايقاد جذوة الامل ليبقوا خلف اسيادهم او حماتهم في طريقهم نحو العودة للمناصب القيادية او الاستمرار فيها والارتقاء في النفوذ السياسي .

لقد كانت الثروة اداة في بناء وتنمية القوة اللارسمية للسياسي سواء كان داخل ام خارج الوزارة . لقد ذكرنا سابقا بان سلطةالمنصب الاداري كانت ضعيفة .. اي ذات تاثير ونفوذ فعلي لا يرتقي لمستوى الحق او الامتياز بالتصرف الممنوح بموحب اللوائح والقوانين . وكذلك

فان بناء ضمان اداري وسياسي استوجب اقامة علاقات شخصية لا رسمية مع أفراد آخرين . ان الانفاق الستراتيجي كان اداة هامةبهذا المجال حيث نعيد الى الاذهان بأن الكرم والضيافة شكلتا عناصر اساسية في ذلك . وهنا اخذ انفاق الثروة صيغة « الهدية » . اعتمادا على هذا المنطلق فان الهدايا لم تسلك مسارا تصاعديا ( من تابع الى متبوع ) فحسب بل انها سلكت مسارا تنازليا حيث هدف الوزراء والمتنفذين من وراء ذلك ضمان ولاء وتعاون المرؤوسين والاعوان . فالملك فيصل الاول مثلا كان قد اهدى بكر صدقي سيارة وكان يتحفه بمبالغ نقدية(54) . وكمثل آخر عمد احد الوزراء المتنفذين الى توزيع الاراضي الاميرية التى استولى عليها الى اصدقائه ومؤيديه(55) .

**ان اجراءات بناء وتقوية العلاقات الشخصية مع الاخرين تمت من خلال النشاطات الاجتماعية ( كاللقاءات والولائم ) التى تطلبت نفقات عالية . النقطة المهمة هنا ان القادة سواء كانوا داخل ام خارج الوزارة اعطوا قيمة كبيرة لمظاهر العلاقات المكشوفة مع شخصيات هامة كرجال الدين ورؤساء العشائر حيث اعطى ذلك للغير انطباعا بالقوة والحصول على الاسناد . ان مظاهر العلاقات نشات ودعمت من خلال النشاطات الاجتماعية كتبادل الزيارات واللقاءات في الاعياد ودعوات الولائم وموائد الطعام . وربما اعتمد رجال السياسة فرضية مفادها انه كلما كثر ضيوفه ونشاطاته الاجتماعية كلما ارتفعت مكانته والانطباعات عنه بالكرم والنفوذ وكلما بالتالي توسعت شبكة معارفه واتصالاته وعلاقاته مع الاخرين . هذه الصفات الشخصية تعتبر عوامل مؤثرة في حسابات القوة والفرص السياسية للفرد . ان تاريخ السياسة في الحكم الملكي العراقي يشير الى وقائع عديدة تبرز اهتمام رجال الحكم واصحاب الطموح السياسي بمختلف النشاطات الاجتماعية ذات الابعاد المتعلقة بالنفوذ والقوة(56) . وبالطبع فان الكرم والضيافة التى تصاحب تلك النشاطات لم تقم بدافع الامتثال لتقاليد حضارية فقط بقدر قيامها من اجل انشاء وتقوية علاقات تحالف واسناد متبادل مع الاخرين(57) . وبالحقيقة انه كلما ارتفع مركز الفرد السياسي كلما زادت حاجته لتوسيع وادامة النشاطات الاجتماعية السالفة الذكر . وبالطبع ان دورا اجتماعيا كهذا يتطلب بذل نفقات ومستوى معيشي عال لا يمكن مواجهة التزاماته المالية عن طريق مورد الرواتب الشهرية المحدودة . وهكذا فان شخصيات سياسية اضطرت لمواجهة الاعباء المالية بممارسات الاثراء غير المشروع .**

اعتمادا على ما ذكر نستطيع ربط العلاقات بفرضية تشير الى انه في النظام الملكي العراقي كلما ارتفع الفرد في سلم القوة والسلطة كلما زادت حاجته للمال لينفقه على النشاطات الاجتماعية وليوزعه على الاخرين وكلما زادت حاجته للمال توغل اكثر واكثر في ممارسات الاثراء غير المشروع . ان اعتبار المال كبعد هام في القوة كان احد الاسباب الرئيسة في اثارة الانقسامات والتنافس بين القادة . فلقد زادت حدة الصراع في الجهاز الاداري حيث حاول كل وزير حجز المناصب الهامة ( من زاوية اقتصادية ) لاتباعه والمتمتعين بثقته مما زاد في حدة الاعتماد على المعايير الشخصية اللا موضوعية في التعيينات والتنقلات . ان الاتجاه المصلحي لمعظم رجال الحكم الملكي(58) وتاثيره في بلورة سلوكيات سلبية بعيدة عن اهداف تطوير البلد وخدمة الجماهير كان احد الاسباب الهامة في انهيار النظام صبيحة 14 تموز 1958 .

## المراجـع :

(1) Perrel Heady, Public Administration : A Comparative Perspective ( Englewood cliffs, N. J. : Prentice - Hall, 1966), p.72.

(2) سنتناول في بحث مقبل تحليلا مفصلا ودقيقا للظروف والابعاد التي ادت الى فشل السلطة السياسية العراقية ( 1920 – 1958 ) في ممارسة دورها الموصوف في الدستور .

(3) لمعلومات اكثر حول المصطلح راجع :

Fred W. Riggs. "Bureaucracy and Political Development", in Joseph La Palombara(ed.) Bureaucracy and Political Development (Princeton : Princeton University Press,1971), p. 126; FredRiggs, Thaila The Modernization of a Bureaucratic Polity (Honolulu :East West Centre Press, 1966). and S.N. Eisenstadt, "Bureaucracy, Bureaucratization, and Debureaucratizations", Administrative Science Quarterly, 4, No. 3 (1959) esp. pp. 300-304.

(4) Laweence S. Graham, "Portugal" The Bureaucracy of Empire, Latin American Development Administration Papers (Austin : institute of Latin American studies, University of Texas, 1973), pp. 46-47.

(5) لم يتفق الكتاب على تعريف موحد لمصطلح السياسة ( المعروف بالانكليزية (Politics وليس ( Policy . المفهوم الذي يتناسب وطبيعة هذه الدراسة ينظر للسياسة كأنشطة تحدد التداخلات بين افراد يود كل واحد منهم تحقيق اهداف خاصة به ، وهذا يتضمن استعمال وسائل تضمن القوة والسيطرة . وربما يكون تعريف الكاتب لاسويل للسياسة يتناسب مع تركيز هذه الدراسة حيث يرى بانها ( اي السياسة ) تهتم بتحديد « من الذي سيحصل على قيمة مرغوبة وكيف واينما » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

Harold Lasswell, Politics : who Gets what, when, How (New York: McGraw-Hill Book co., 1950) p. 3.

(6) لمعلومات اضافية راجع :

Lucian W. Pye, "The Political Content of Na - tional Development" in Irving Swcdlow (ed.) Development Administration : Cocepts and Problems (Syracuse, N.Y.:Syracuse University Press, 1963), pp. 25-45.

وكذلك راجع :

Max Veber, "Politics as a Vocation", in H.H. Gerth and C. Wright Mills (eds.) From Max Weber (London : Routledge, 1948).

(7) تناول عدد من الكتاب هذه النقطة بتحليل مفصل ، راجع لهذا الغرض:

Robert L. Peabody, Organizational Authority (New York : Atherton Press, 1964), esp. pp. 49-50; Herbert A. Simon, A Administrative Behavior (New York : MacMillan Co., 1957); and Robert K. Merton, Theory and Social Structure (Glencoe, ILL. : Free Press, 1957).

(8) « السلطة » حسب استعمالها في هذه الدراسة هي احتمالية اطاعة امر ما . يعود هذا التعريف للعلامة ماكس فيبر :

Max Weber, "Three Types of Legitimate Rule", in Amital Etzioni (ed.) Complex Organizations : A Sociological Reader ( New York : Holt, Rinehart and Winston, 1961), p. 4.

ان السلطة الرسمية تكون كامنة في القانون والطاعة لا تعطى للفردشخصيا وانما للاحكام والتعليمات والشخص الذي يصدر الاوامر والتعليمات انما يستمد حقه بذلك من الاحكام المشرعة ( ويبر : نفس المصدر، ص50)، اي ان السلطة الرسمية ـ الشرعية هي ميزة المنصب او الوظيفة وليس الشخص بحد ذاته . اما القوة فانها القدرة ( وليس الحق ) على التأثير والسيطرة على تصرفات الاخرين ، هذا التعريف يعود الى

James A. Bill, " Class Analysis and The Dia - lectic of Modernization in the Middle East", The International Journal of the Middle East Studies, 3 (October, 1972), p. 424.

(9) ان هيمنة الوزارات المتعاقبة على البرلمان ولجوءها الى حله أثناء فترته القانونية هو امر معروف من قبل الجميع . لمعلومات اكثر تفصيلا بهذا الخصوص راجع : عبدالرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية(صيدا : مطبعة العرفان ، 1953 ، الجزء التاسع ) ، ص 241 ـ 265 .

(10) ان احد المؤشرات بهذا الخصوص هو معدل عمر الوزارة ذاتها حيث تعاقبت 58 وزارة خلال 38 سنة ( 1920 ـ 1958 ) اي بمعدل ثمانية اشهر لكل وزارة . قد يكتشف الفرد وجود تناقض بين التأكيد على هيمنة الوزارة وضعف السلطة الكامنة في مناصبها . احد اسباب ذلك الضعف كان وجود قوى ضاغطة لا رسمية كالعشائر وشلل اخرى من مدنية وعسكرية . ومن ناحية اخرى ان تناقض الانمطة الاجرائية والسلوكية هو احد سمات الدولة البيروقراطية . راجع :

Fred Riggs, "Bureaucrats and Political Development : A Paradoxical View", Bureaucracy and Political Development, Op. Cit., pp. 120-167, esp. pp. 120 and 129.

وكذلك :

Fred Riggs, Administration in Developing Countries (Boston : Houghton Mifflin Co., 1964), pp. 280 - 281.

(11) ان تحديد مفهوم التنفذ ( وبالتالي المتنفذين ) هو معيار نوعي يفرز الكراسي الوزارية التي تكتسب اهمية اكثر من غيرها في اية وزارةكانت، ان هذا بالتالي يعتمدعلى الظروف المحيطية السائدة للمجتمع . فبالنسبة للعراق الملكي كانت هناك حالات تمثلت بالحركات العشائرية المسلحة، وبروز فئات وطنية معادية للنظام وذات مطالب سياسية واقتصادية، وتدخل الجيش بالسياسة ، والصراع المحتدم بين الحكام انفسهم . هذه الابعاد ابرزت مشاكل خضعت للنطاق المباشر لمناصب وزارية اعتبرت رئيسة وهي : رئاسة الوزارة ، وزارات الدفاع والداخلية والمالية والخارجية . لقد اعتبرنا شاغلي هذه المناصب اقوى من غيرهم نفوذا في الوزارة وبالتالي تنطبق عليهم صفة المتنفذين .

(12) Joseph Lapalombar, "Au Overview of Bureaucracy and Political Development" in Joseph Lapalombara (ed.), Bureau - cracy and Political Development (Princeton : Princeton University Press, 1971) p. 7.

(13) المصادر المذكورة هي :

Majid Khadduri, Independent Iraq ( New York:Oxford University Press, 1960); Stephen Longrigg, Four Centuries of Modern Iraq (Hants, England: Gregg International Publishers, 1968); Gerald De Gaury, Three Kings in Baghdad ( London L : Hutchinson and Co., 1961).

وكذلك عبدالرزاق الحسني في تاريخ الوزارات العراقية ، المصدر السابق ، اجزاء 1 ـ 10 .

(14) Fred Riggs, Administration in Developing Countries, Op. Cit., p. 140.

(15) لمعلومات حول نفس الموضوع راجع :

Fred Riggs, Prismatic Society Revisited (Morristown, N. J. : General Learning Press, 1937), p. 46.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(16) للاطلاع على تحليل معالل راجع :

Murray Edelman, The Symbolic uses of Politics (Urbana : University of Illinois Prass, 1964).

(17) James C. Scott, Comparative Political Corruption ( Englewood Cliffs, N. J. : Prentice - Hall, 1972), pp. 10-11; Eli Adib Saleem, Modernization Without Revolution - Lebanon's Experience ( Bloomington : Indiana University Press, 1973), pp. 88-89; and Marcel Mauss, The Gift : Forms and Foundations of Exchange in Archaic Societies ( Elencoe, Ill : The Free Press, 1954.

(18) Manfred Haplern, The Politics of Social Change in The Middle and North Africa (Princenton : Princeton University Press, 1970), p. 46.

(19) M. McMallan , "A Theory of Corruption", Sociological Review, 9 ( June 1961),p.183

يستعمل الكاتبان روكو ولاسويل مصطلح « سياسيو الكسب » لتفاصيل اكثر راجع :

Arnold A. Rogow and Harold D. Lasswell, Power, Corruption, and Rectitue (Englewood Cliffs: N. J. : Prentice- Hall, 1963), p. 47.

(20) امتلاك الفرد صفة او اكثر من صفة واحدة متميزة في المجتمع ( وهو ما يعرف بعلم السياسة بقناة الارتقاء (Mobility Channel) يساعد على الوصول الى المناصب الوزارية كالخلفية العشائرية(عائلة لترأس عشيرة متنفذة ) او الخلفية الدينية المشهورة ( عائلة تحمل لقب زعيم ديني مؤسس لطريقة اسلامية كالكيلاني والنقشبندي ، او تدعي الانتماء لعائلة الرسول كعائلة السويدي ) ، او الخلفية العلمية والمهنية، اودورا سياسيا اثناء ما يعرف بالثورة العربية في 1918 – 1920 وعلاقة العمل مع الملك فيصل الاول خلال الفترة المذكورة ، بالاضافة الى الخلفية الاقتصادية العالية .

(21) للحصول على معلومات عن وزراء منحدرين من عوائل غنية راجع :

خيرالدين العمري ، شخصيات عراقية ( بغداد : دار المعرفة ، 1955) ص 47 – 49 وكذلك :

Gerald De Guary, Three Kings in Baghdad (London :Hutchinson and Co., 1961),pp. 26-27; C. J. Edmonds, Kurds, Turke, and Arabs : Politics. Travel, and Research in North Eastern Iraq (New York : Oxford University Press, 1957), pp. 52-56 ; and Longrigg, Four Centuries of Modern Iraq, Op.Cit.,pp.291-292.

(22) على سبيل المثال ان والد الاخوين طه وياسين الهاشمي كان مختارمحلة، أما والد نوري السعيد فكان موظفا في دائرة البريد ، وجعفر العسكري نشأ يتيم الابوين حيث احتضنته عائلة الداغستاني وترعرع فياحضانها. ولمعلومات تخص هذه النقاط راجع على التوالي : خيرالدين العمري، شخصيات عراقية . المصدر السابق ص 102 .

Lord Birdwell, Nuri Al-Sa'id (London : Cassell and Co., 1959), pp. 8-9.

وكذلك :

خيرالدين العمري ، المصدر اعلاه ، ص 86 وبالاضافة الى المصدر الاخير راجع مصدرا آخر هو : طالب مشتاق ، اوراق ايامي ( بيروت : دار الطليعة ، 1968 ) الجزء الاول ، ص 59 .

(23) Caractacus, Revolution in Iraq (London : Victor X Collanca Ltd., 1959), p.29.

(24) عبدالرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية (صيدا :مطبعةالعرفان، 1953 ) الجزء الرابع ، ص 256 – 257 .

(25) نفس المصدر السابق ، ص 258 يذكر طه الهاشمي بهذا الخصوص أن حكمت سليمان عارض تشريع اللائحة المذكورة لتاثيراتها الكامنة على ممتلكاته .

راجع طه الهاشمي ، مذكرات طه الهاشمي 1919 – 1934 ( بيروت : دار الطليعة ، 1967 ) ص 198 .

(26) عبدالرزاق الحسيني ، تاريخ الوزارات العراقية ، الجزء العاشر ، ص 72 .

(27) نفس المصدر اعلاه ، ص 72 .

(28) Caractacus, Revolution in Iraq, Op. Cit., p. 34.

(29) ان النائب هو محمد حديد الذي تسنم منصبا وزاريا في تشرين الثاني 1946 . راجع : عبدالرزاق الحسني المصدر السابق ، الجزء الرابع ، ص 258 والجزء الثالث ص 115 .

(30) توفيق السويدي ، مذكراتي ( بيروت : دار الكاتب العربي ، 1969 ) ص 166 .

(31) طه الهاشمي ، المصدر السابق ، ص 181 .

(32) عبدالرزاق الحسني ، المصدر السابق ، الجزء السادس ، ص 168 .

(33) لمناقشة مستفيضة وامثلة محددة راجع : طه الهاشمي ، المصدر السابق ، ص 281 – 282 و 289 وعبدالرزاق الحسني ، المصدر السابق ، الجزء السادس ، ص 86 ، 145 ، و 168 وكذلك الجزء الثالث ، ص 222 – 223 .

(34) ورد مثال محدد في كتاب طه الهاشمي ، المصدر السابق ، ص 181 .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(35) للاطلاع على تفاصيل راجع : عبدالرزاق الحسني ، المصدر السابق ، الجزء السادس ، ص 168 والجزء العاشر ، ص 72 .

(36) طه الهاشمي ، المصدر السابق ، ص 278 .

(37) عبدالرزاق الحسني ، المصدر السابق ، الجزء الخامس ص 33-34. لمعلومات اضافية راجع ايضا طه الهاشمي ، المصدر السابق ، ص441.

(38) عبدالرزاق الحسني، المصدر السابق ، الجزء الثالث، ص180-181.

(39) للاطلاع على معلومات ذات صلة راجع : علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ( بغداد : مطبعة الارشاد ، 1971 ) ص 203 — 303 .
وكذلك :

Morroe Berger, The Arab World Today( New York : Double - Day and Co., 1964), p. 145.

(40) عبدالرزاق الحسني ، المصدر السابق ، الجزء الثامن ، ص 14 .

(41) تطرق عدد من الكتاب لهذا النمط من السلوك السياسي ، للاطلاع على تحليل اوسع راجع :

Iraving L. Horowitz, Three Worlds of Development (Nek York : Oxford University Press, 1972), p. 415; and Clement H. Moore, Politics in North Africa : Algeria, Norroco, and Tunisia (Boston : Little , Brown, and Company 1970), p. 215.

لحالات مماثلة عن العراق الملكي راجع :
عبدالرزاق الحسني ، المصدر السابق ، الجزء السادس ، ص 203 .

(42) Caractacus, Revolution in Iraq, Op. Cit., p. 115.

(43) ان غياب رقابة سياسية فعالة على الجهاز الاداري لم يعن ان الوزراء تمتعوا بحرية مطلقة في اعمالهم وتصرفاتهم . لقد خضع هؤلاء لضغط من جهات متعددة كرجال الدين والمثقفين ورجال المعارضة وضباط الجيش . وبالحقيقة ان الوزراء ربما لذلك كانوا يغتنمون الفرص ليعلنوا عن نزاهتهم وامانتهم .. لكي يظهروا عدم تعارض اخلاقياتهم لمثل وقيم المجتمع . ( للاطلاع على معلومات ذات علاقة راجع : علي الوردي، لمحات اجتماعية ، المصدر السابق ، الجزء الاول ، ص 302 — 303 ) . اعتمادا على ما ذكر اعلاه لقد حاول الوزراء اتهام بعضهم الآخر بالفساد والرشوة .

(44) تناول عدد من الكتاب موضوع علاقات الرؤساء بالاشخاص الذين لا يكونون مرؤوسيهم مباشرة . لمعلومات مفصلة راجع :

John M. Pfiffner and Robert Opresthus, Public Administration ( New York : The Ronald Press Comparny, 1967), pp. 193-194; Ralph M. Stogdill, Leadership and Stucture of Personal Interaction (Columbus : Ohio State University, Bureau of Business Research , Monograph No. 84, 1957), p.10; and Fred Massarik, "Sociometric Choice andOrganizational Effectiveness : a Multi-Rational Approach" Sociometry, Ib (August 1963), pp. 221 - 238.

(45) ضياء الدين الحيدري ، الادارة والاداريون في العراق ( بغداد : مطبعة اسد ، 1963 ) ، ص 107 — 108 ، وكذلك راجع : عبدالرزاق الحسني ، المصدر السابق ، الجزء السادس ، ص 219 .

(46) عبدالرزاق الحسني ، المصدر السابق ، الجزء الرابع ، ص 147 ، 215 و 282 ، الجزء السادس ، ص 217 و 219 ، الجزء التاسع ، ص 93 — 94 . كذلك راجع طه الهاشمي ، المصدر السابق ، ص 128 و 443 .

(47) للحصول على معلومات وافية عن الازمات المالية التي مرت بالعراق وانخفاض الرواتب وارتفاع تكاليف المعيشة ، راجع عبدالرزاق الحسني، المصدر السابق ، الجزء الثامن ، ص 89 و 124 ، لجزء الثالث والخامس ص 92 و 194 على التوالي ، الجزء الرابع والسادس ، ص 194 و 115 على التوالي 3

(48) عبدالرزاق الحسني ، المصدر السابق ، الجزء العاشر ، ص 71-72 ، الجزء الرابع ص 256 — 257 .
ان ما ذكر اعلاه يتضمن مفهوما مفاده ان الموظف يحتفظ بالمبلغ الفائض اي ما يزيد عن المبلغ المتفق عليه .

(49) ورد مثال محدد من قبل عبدالرزاق الحسني ، المصدر السابق ، الجزء السادس ، ص 219 .

(50) طه الهاشمي ، المصدر السابق ، ص 20 .

(51) نفس المصدر اعلاه ، ص 101 .

(52) نفس المصدر اعلاه ، ص 200 .

(53) نفس المصدر اعلاه ، ص168 و 173.

(54) نفس المصدر اعلاه ، ص 212 .

(55) توفيق السويدي ، مذكراتي ، المصدر السابق ، ص 166 .

(56) بعض الوقائع والمعلومات المتعلقة بالموضوع وردت في : امين الريحاني، فيصل الاول ( بيروت : مطبعة الصدر ، 1934 ، ص 55 ، 64 ، 68، كذلك راجع : عبدالرزاق الحسني، المصدر السابق، الجزء الخامس، ص 59 و 190 .

(57) عن واقعة محددة تعكس هذه القيم الحضارية راجع :
توفيق السويدي ، المصدر السابق ، ص 401 .

(58) ان الكاتب لا يشير الى جميع من تسلموا مناصب وزارية في الحكم الملكي بالفساد والرشوة . ان الحالات الاخيرة ميزت النظام ولكنها احتوت على استثناءات بهذا الخصوص . فهناك من تقلدوا مناصب متنفذة الا انهم بقوا محتفظين بنزاهتهم ونزعتهم الوطنية والقومية امثال رشيد عالي الكيلاني ، ناجي السويدي ، علي محمود الشيخ علي، رؤوف البحراني ، ناجي شوكت ، يونس السبعاوي ، محمود صبحي الدفتري ، محمد مهدي كبه وغيرهم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# دراسة

# محي الدين خريف شاعرًا

## منطلقات أولية لدراسة عالم محي الدين خريف الشعري

**ان استخدام الكلمة يترتب عنه - اساسا - اثبات حقيقة او طرح قضية او اتخاذ موقف من واقع يعيشه مجتمع او شعب او امة .. او يتنازرهم في اعماق الغيب الآتي .. وتطويع الكلمة وبلورة مضمونها من خلال علاقاتها داخل الجملة ببقية الكلمات ليس من الاشياء المتاحة لكل من شاء .. كثيرون هم الذين يسودون الورق دون ان يقولوا شيئا .. وقليلون هم الذين يتحسسون اعماق الواقع والاشياء .. ويشيرون بصدق الى تناقضات الحياة بصرخة صامتة واحتجاج هادىء ..**

والعلاقات التي تنشأ بين الكلمات لخلق عالم متحرك يحوي نماذج مختلفة من الافكار المتطورة تكون السر الذي بواسطته ندرك قيمة الكاتب .. وقدراته الفنية في توظيف الفكرة .. واتساع ثقافته من عدمه . فعملية الالتحام تلك لا تحدث في الكتابة بواسطة الجاذبية او ما شاكلها من المكتشفات العلمية ، انما هي نتاج تراكمات ثقافية .. وتجارب حياتية ، وتزاحم افكار في لا وعي الكاتب .. لذلك فانه ليس منطقيا ان نضع في الميزان كل من يسود الورق .. وندعو « كاتبا » او « شاعرا » كل من يكتب .

والكلمة .. هذا القدر « الحالك » الذي يلتصق بالانسان رغما عنه .. لهي من اشد اشكال الاجرام حلاوة ، ومن اكبر عوالم وعوامل الخطر لذة .. واتساعا ، ففيها ، وبواسطتها تتآلف العوالم والاضداد .. وتنهار المصائر ، وتحدث الانفجارات في رحم الحس .. وفي قلب الياس ، هذه الافرودة المتقيحة في حنجرة الاديب الواعي .. والدمل المغذي في وعيه .. لهي الوسيلة الناجعة للتمانق والتصافح والتحدي .. وهي من اشد الاسلحة فتكا ، ومن اخطرها في الهدم والبناء .. انها الصرخة والشهقة ، والبسمة ، والزغردة ، والطعنة ، والضميدة ، والجرح والوجع ، والدواء .. الخ .

والكاتب الاصيل في زمن الانحراف الجماهيري ، او السلطوي ، لا يملك غير الكلمة لاصلاح ما افسد ، يرسلها عروسا تضوع عطرا وحناء .. لكنها عقل حاد ، وذكاء نادر ، يرسلها وترا يدندن ، لكنه يجرح الاحساس ويدمي القلب .. يرسلها تحية موحية بالوان الرموز والدلالات المشيرة الى المواطن المتعفنة ، ويكون في نهاية الامر المنتصر على مختلف اسباب الاستلاب ، والاستبداد ، والمبشر بنهاية عصور الظلم والانحلال ، والمعلن عن اقتراب الفجر الذي تشع انواره في القلوب ليتحقق لقاء الاحبة ، فيكون للكاتب بذلك - شرف السبق لاستشراف الآتي واستبطان خلفيات الاحداث وصولا الى نتائج تعجز اكبر مخابر الكيمياء السياسي عن تحقيق كنهها .

والتعامل مع الكلمة لابد ان يكون اراديا ، وصادقا ، ومسؤولا ، او يصبح مضيعة للوقت .. واسهاما في اشاعة الفوضى والعبث حد تقويض أسس العلاقات .. وخلق التناقضات التي لا مبرر ، ولا فائدة من وجودها .

ومن بين الذين تعاملوا مع الكلمة بعنف لطيف .. وصدق كامل حتى انتفاء الفواصل ، والتعدد ، يصادفنا الشاعر العربي التونسي محي الدين خريف الذي نعتبره اتصل اتصالا متجذرا وعميقا بلغته وتراثه العربي وواقعه .. فراح يستجلي خفايا المستقبل الذي هو مستقبل الامة العربية جمعاء والانسانية عموما .

### كيف يتعامل محي الدين مع الشعر ؟

هذا السؤال تبادر الى ذهني منذ انتهيت من قراءة مجموعته الشعرية الثالثة « السجن داخل الكلمات » الصادرة مؤخرا عن وزارة الاعلام بالقطر العراقي الشقيق ضمن سلسلة « ديوان الشعر الحديث » والتي تعتبر حلقة في سلسلة اعماله الادبية عامة .. هذه المجموعة سوان كانت حلقة كما اسلفت في سلسلة اعماله - فهي تختلف رؤية وبناء عن سابقاتها .. ولربما عن كل من سبقه في هذا الميدان من جيله .

ورؤية محي الدين خريف للواقع كحصار مضروب يقيد حركة التفكير ، ويقطع استمرارية الحلم .. عابثا بالقيم ، مستخدما لذلك شتى اشكال الاغراء .. ومختلف الوان الجزاء الزائل قبل بلوغه غالبا .

هذا الواقع .. ختم عليّ ان اضع هذا السؤال كمنطلق اساسي لاقتحام عالم محي الدين خريف الشعري الذي اعتبره - شخصيا - مستقلا ذاتيا عن حركة الشعر في تونس .. وحتى في بعض الاقطار

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

# • حميدة الصولي

العربية الاخرى .. واذ ارسم كلمات هذا السؤال امام القارىء .. فلابد ان تكون لي بعض الملاحظات والاستنتاجات التي حصلت لي من قراءة اشعاره .. واستسمح الشاعر اولا .. والقارىء ايضا، كي اتقدم بها كمدخل لدراسة هذا اللون من الفن الشعري الذي تميز به محي‌الدين .

سيبقى السؤال مطروحا ــ طبعا ــ وما استنتاجي الا بعض ما يستنتجه غيري ويكفي ان يثير فينا رغبة الاجابة عليه .

ولئن كانت دراسة عالم محي‌الدين تتطلب مزيدا من الوقت والتفاعل والاحاطة .. اعتبارا لتصاعدية حركة الابداع عنده ، وهو ما ندركه جيدا ، فان ذلك لا يثنينا من الاشارة الى نقط نراها اساسية في هذا المجال .. ومن وجهة نظرنا فان جميع قصائد هذه المجموعة تدور حول موضوعين رئيسيين .. تتمحور حولهما كل المعالجات عبر تداخلهما موضوعا ورؤية .. واستنفارهما توجها وتوقعا ..

هذان الموضوعان هما :

**اولا ــ التراث :**

ويتفرع الى المحاور التالية :

ــ عطاءاته المتعددة .

ــ وجوب استبطانه لايجاد المعادلة الموضوعية مع الواقع .

ــ التاكيد على روح الاصالة من خلاله .

**ثانيا ــ الواقع :**

ومن محاوره الاساسية البارزة .. والتي استقطبت القسم الثاني من اهتمامات الشاعر او بالاحرى السبب الرئيسي لاستحضار التراث وصولا الى عديد الحقائق .. :

ــ الاشارة الى الجانب المتردي فيه والاستشهاد به .

ــ الاحتجاج عليه والتنديد به باعتباره مجموعة من العوامل التي اوجدت بعضها بعضا .

ــ الدعوة للثورة عليه وطرح البديل الافضل .

وفي كلتا النقطتين نجد الشاعر مصرا على شيئين اثنين .

**الاصـالة**

**التطور**

ففي خصوص النقطة الاولى تجدر الاشارة الى ان واقعنا العربي لا يمكن ــ ومهما ادعى المزيفون ــ ان يكون تابعا لاية حضارة مهماكانت « متطورة » وذلك نظرا لتميز اخلاقياته وشخصيته المكتملة .. ويشهد على ذلك الركام الحضاري المؤثر في كل الحضارات الاخرى .. والممتد قرونا من الزمن .. والذي لم تزده المؤامرات والنكبات الا توقدوديمومة .. فهو زاخر بالاضافات والمنشآت والانجازات الكبيرة لصالح الانسانية عموما .

اما في النقطة الثانية فيمكننا ملاحظة انه من خلال مبادئه السامية لا بد ان يشمل التطور كل شيء في الحياة العربية التي حققت اكبر ذروة حضارية في الكون ــ الاسلام ــ ما عدا ثلاثة هي :

الايمان

العبادات

الاخلاق

اما ما سواها فان الحث على تطويره والالحاح عليه والمبادرة به من اولى المهمات الملقاة على عاتق الانسان العربي على امتداد الزمن .. والتخلي الذي شهدته الامة العربية على احدى مقوماتها ردحا من الزمن لا يعني التحجر والانغلاق ورفض التطور .. فما ذلك الا نتيجة لعوامل ليس لها علاقة مطلقا بواقع او اهداف الامة العربية .. فالتفكير العلمي المنظم للحياة ، واقرار التراكمية العلمية كانا من اهم مشاغل الفكر العربي ، ويمكن في اية لحظة الكف عن تلجيم هذا الفكر وتوفير الامكانيات اللازمة للاختراع والبحث .. واقرار مبدأ التكامل في جميع الميادين مع التمسك بالمباديء السامية التي جاء بها وحث عليها الاسلام الذي هو روح هذه الامة .. فتصبح اكبر قوة متطورة على الارض من ممتلكات العرب .

ومن هنا يمكن ان اؤكد على ان محيي‌الدين خريف يتعامل مع الشعر تعامله مع الحياة بكل تبدلاتها وتحولاتها وانحصاراتها ماضيا وحاضرا .. وعملية استحضار التراث كذاكرة تقوم مقام الشاهد على الاحداث الحاضرة من اولى منجزاته الشعرية بالاضافة الى محاولاته الاخرى في تطوير الجانب الفني الذي شهد معه تجاوزات ملموسة .

وتعامل محي‌الدين مع الكلمة الشعرية ليس عاديا مطلقا .. انه يضع فيها عبواته الناسفة .. ليزرعها في القلب براكين ، ويحدث ــ احيانا ــ ان تعجز الكلمات عن حمل ما يريد توصيله والتعبير عنه فيميل الى الاستسلام .. ولا يجد مفرا من تنفيذ ارادتها .. والالتزام بنواميس وقواعد تم الاتفاق عليها واصبحت بمرور الزمن قانونا يجب احترامه .. يقول :

**لان من نهواه**

**اكبر من كل حديث الناس**

**اعظم من كل ولاء الناس**

**ارقنا الصمت .. وعشنا الحب والاحساس**

( السجن داخل الكلمات ص 49 )

فقارىء هذا المقطع يحس في نهايته بخيبة الشاعر امام عجز الكلمات .. بل ربما يخامره الياس من وجود كلمات تحمل كل احساسه وعواطفه .. فاذا هو طوع ارادتها مثلما هي عليه . الا ان ذلك ليس بالامر الذي يفت من عزمه في توليد الكلمات .. وخلق العلامات المستحيلة منها احيانا .. فوجوده في عالم جامد سيحوله ــ اذا ما استمر على تلك الحال ــ الى جلمود لا حراك به .. وهو ما لم يعتده فسرعان ما يقفز خارج الدائرة التي تحاول عوامل خاصة حبسه داخلها ليعلن في شموخ :

**انا لن اترك الحب حتى اموت**

**جربي كل شيء**

**فمن لم يجرب**

**ليس يعرف كيف يجيء الزمان**

**وكيف يفوت**

( السجن داخل الكلمات ص 47 )

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انه يصر على الحركة .. يصر على القفز من دائرة لاخرى بحثا عن الفضاء الرحب الذي لا سجن فيه ولا حدود ففي الوقت الذي يعلن فيه عن سجنه داخل الكلمات ( القصائد ) فانه يعلن عن ثورته على تلك الكلمات لان قصورها وضيق افقها لا يستطيعان استيعاب طموحات الشاعر الذي لا يمكن بحال أن يحتمل تعفن الهواء لمدة طويلة .

## ● محي الدين خريف .. الوعي المسؤول ●

بناء الانسان اصبح الشغل الشاغل لكل المثقفين والايديولوجيات الثورية في الارض .. لذلك لا عجب ان نسمع في كل تصريحات الزعماء وحتى « المستزعمين » منهم ان الهدف من سياساتهم هو تحرير الانسان واسعاده .. ورغم انشغال المثقفين بهذا الموضوع فانهم في نظر بعض السلط آخر من يتكلم فيه .. ومهما كان تحليلهم مصيبا فانه لايحمل اي معنى بالنسبة لرجال تلك السلط .

لكن المثقف الواعي لا يمكنه انتظار هذه الاهانة بسعيه اليها .. اذ يمكنه ان يعمل من خلال كتاباته على بلوغ الاهداف السامية وصيده الصدق وبعد النظر .. اداته الكلمة ، ودليله احساسه عبر معايشته للاوضاع والاحداث .. ودراسته للعلاقات والتناقضات المتولدة عن المصالح المتباينة بين طبقات المجتمع وبالتالي يدفعهم بوعيه للتحلي بخصال هو اول من يتشبث بها وباخلاقياتها الرفيعة والتي تنعكس اساسا على ممارساته واهتماماته الصغيرة والكبيرة .

بذلك يتخلص المثقف من وصمة الادعاء .. فلا تلحقه اهانة ممن يعتبرون وجوده خطرا عليهم ومعلوم انه ليس اخطر على الانظمة « الكرتونية » من الوعي .. فهي التي حين تحس بعجزها عن اقناع الآخرين .. يكون من اول اهتماماتها ومشاغلها تجهيل الشعب وزرع التخلف والتجزئة والانحطاط الاخلاقي بين فئاته .. وبذلك تسهل في نظرهم ـ قيادته بمختلف اساليب الترهيب والترغيب .

ومحي الدين خريف باعتباره واعيا بتحركات الواقع وتناقضاته لم يدع الامر يمر ايمانا منه بأن الوقاية خير من العلاج .. فراح يقدم المصل الواقي للجسم العربي حتى اذا ما وصلته العدوى تصطدم بتلك الحصانة الفاعلة .. وبذلك يتجنب خطر عوامل الانحلال واشكال الاستلاب والوان التهميش .. ومختلف وجوه الفوضى .. لكن من اين نبدأ ؟ والشاعر لم يجد صعوبة في الجواب عن هذا السؤال : فالتراث هو المؤهل قبل سواه للعبور منه الى قراءة الحضارة العربية التي تمثل الرافد الاساسي للانسان العربي .. انه آلة التنفس التي تساعد الرئة العربية على استمرار حركتها لكي تستمر الحياة في الجسم العربي .. وتستعيد عضلاته حركتها المعتادة والمتطورة ونلمس ذلك في عناوين بعض قصائده مثل :

( احزان عروة ابن حزام ـ الطريق الى قلعة بني حمدان ـ وصية الوليد بن طريف الشاري لاخته ليلى ـ مع ابراهيم بن ادهم في سياحته بصحراء الحزن ـ حجر الذي ضيع ابناءه ـ مذكرات ابي يعقوب الشاهد الخ .. ) .

وواضح ان كل اسم في هذه العناوين يمثل فترة زمنية لها مميزاتها وخصوصياتها لكنها جميعا تمثل مدا متكاملا للحضارة العربية والروح العربية .. وفي اثبات تلك العناوين تحسيس ذاكرة الشباب لتتبين مخزوناتها من معرفة الامجاد العربية .. ودعوة لمراجعة تاريخ هذه الامة عبر احداث بارزة واسماء تشكل في تنافرها وتناقضها العامل الاساسي لنموها وتطورها في كل الميادين وفي ذلك تكمن صلابة الارضية الثقافية للاجيال الحاضرة والقادمة .. فتكون الانطلاقة واعية وثابتة وهادفة .

واذا كنت مع الشاعر في نبيل قصده ذاك .. فاني افضل لو كان لكل عنوان هامش يساعد على معرفة تلك الشخصية والمصادر التي يمكن ان توجد بها اعمالها والحوادث التي عرفت بها حتى تسهل على قارىء هذه المجموعة النفاذ الى اعماق مخبآتها وبالتالي يكون التفاعل اكثر واعمق معها .

## ● الشاعر .. بين الواقع والحقيقة ●

في مجموعته « السجن داخل الكلمات » يمضي محي الدين خريف نحو تمثل الواقع .. واستيعابه وتحليله ودراسة تناقضاته بعمق ودقة مستشفا الاسباب التي جعلته يتردى في انحرافات خطيرة احيانا .. واحيانا محتجا على بعض الوقائع والممارسات التي ساهمت في قتل الشعور بالمسؤولية وغرس اللا مبالاة تجاه ما يحدث .. وهو في ذلك لا ينسى أو يتناسى الامكانيات التي لا تستطيع التدخل للحيلولة دون ذلك وفرض البديل :

**وخرجت بلادنا في زحمة الشوارع**
**تجلب كل مشتر وبائع**
**وجارنا من قبلنا قد نشر الشراع**
**أخرج « شبيون » من الديار**
**لحقه كي ياكل الرغيف من يديه**
**ويعبد الاقمار في عينيه**

( السجن داخل الكلمات ص 51 )

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انه يقدم من خلال ذلك .. صورة حية لما اصبحت عليه بعض الاقطار العربية التي طردت الاستعمار ـ وتحت ظروف اقتصادية معينة ـ راحت تقتفي آثاره حتى دياره .. طلبا للعيش بين احضانه وفي مستنقعات حقده .. كاروع شاهد على تاثيره المادي والفكري على الاجيال التي عاصرته .. الامر الذي يضع الاجيال الموالية امام مسؤولياتها التاريخية لاجتثاث آثاره نهائيا من تربتها .. اوفمصيرها اللا استقرار والتشتت والفوضى .

واذا كانت وصاية الاستعمار على بعض الاقطار العربية ما زالت قائمة .. فان الوعي بخطرها في تصاعد .. لان العملية بالنسبة للاستعمار اصبحت رابحة كليا . لقد كان يتكبد الاخطار ويصرف الاعتمادات الباهظة ويدفع الارواح احيانا لترسيخ افكاره ومبادئه عبر ثقافته وما يجود به من فتات ذليل .. اصبح ذلك لا يكلفه الا مساندة للحاكم تزيد في عزله عن شعبه .. ذلك الحاكم الذي هيأه الاستعمار لنيابته صحبة بعض الانتهازيين المصلحيين الذين ساعدهم على الاستبداد بمصير شعوبهم .. والشعب العربي قد وعى تلك الممارسات فاصبح يقاومها .. فادى ذلك الى الخروج منها ـ الا نادرا ـ بفضل تضحياته العديدة اذ لم يبق الا القليل الذي لا يستدعي الا تحركا بسيطا في الاتجاه المعاكس .. لذلك نرى الشاعر يعيش مأساة كل عربي صادفته تلك الحال .. ويرى ان سبب ذلك هو الجيل الذي مضى والذي منه والده :

تركتني في البلد الذئب بلا نقود

علمتني الركوع والسجود

علمتني صناعة الكذب

قتلت في اعماقي المغامرة

انسيتني الامجاد والحسب

فصرت مثل ريشة الرياح

يرمي بها المساء للصباح

يشد في ذوائب الحبال

يهرب من شوامخ الجبال

يعبد كل زائف

يحلم في رابعة النهار

بالخبز واللفائف

( السجن داخل الكلمات ص 50 )

هكذا يصور الشاعر حالة المستلبين الذين ورثوا عن سابقيهم تركةمادتها الخنوع والخوف والتبعية والعبودية .. يضعها الشاعر اشارة حمراء حتى اذا ما صادفها المرء في طريقه لا يتردد في تكسيرها كي لا تكون عائقا لتطوره وتقدمه نحو الافضل .. لان نتيجة الوقوع في مفعول افيونها اي الوقوف انه سيصبح « يحلم في رابعة النهار بالخبز واللفائف » .. وليس اخطر على المرء من الحلم في صحوته فذلك هو الانهزامية عينها .. بل لعله الموت . اما اذا كان مفروضا فسيتحول الى النقمة التي تولد الانتصار والحياة ..

● محي‌الدين خريف .. والذاكرة المنبهة ●

لا خلاف في ان الشعر هو التعبير الفني الاكثر التصاقا بالواقع باعتباره يخرج من قرارته مباشرة فيعبر عن مشاغل تشغل بال الكثيرين ممن يعاصرون الشاعر .. انه يتأثر بكل الانفعالات التي تطرأ على مهجة العصر ويتعامل مع خلفيات الواقع عبر تقلباتها وتموجاتها وتوالي الظلال على جثث الآمال فيها حد اليأس والتسليم بالامر الواقع .. الا ان ذلك ليس من قوانين الحياة في شيء فالمتفق عليه بل المؤكد ان لا تستمر حال مهما كانت مبررات وجودها ومحي‌الدين الذي يقول :

انا العربي الذي خاض كل البحار

ومل القرار

وعاد ينادي الا من فرار

امن اجل هذي الرؤى

والوجوه التي لم تعش قط بعد المسافة

ترملت الامهات

وكان على النهر ان لا يرود ضفافه

( السجن داخل الكلمات ص 78 )

انه لا يريد .. بل يرفض ان يخضع للابد — الى « شريط » تقلبات الحياة .. ويعمل بالتالي على عدم الاستجابة لهذا القدرالقاتل .. الا انه لا ينسى ان هناك آخرين يواجهون نفس المصير .. فاذا هو يتحمل مسؤوليته كاملة ، ويعمل على توصيل افكاره الى الآخرين شعرا .. فيرسلها عبر ذاكرة القصيدة في شكل احتجاجات صامتة .. وتصبح تلك العملية ناجحة واكثر بعدا وتأثيرا في المتلقي عندما تصور العجز المادي والمعنوي الذي يعاني منه انسان اليوم .. دافعا اياه بواسطتها للبحث وراء تلك الظاهرة المخيفة والمفتعلة بهدف الخروج منها ومن ظلامها .. والانفتاح على عالم هو غرس الارادة المتولدة عن التلاحم والتكامل وحسن استخدام الثروات الطبيعية والبشرية .

وكشاهد حي .. ما نقراه في قصيدته « السجن داخل الكلمات» من صحبته للشيخ الذي يسكن عين ابرة ..

لي بباب المدينة شيخ عجوز

كنت دوما اغاديه

اعرف منه خبايا الكنوز

كنت آخذه باليمين فياخذني بالشمال

ليس يعرف معنى المحال

كان يسكن في عين ابرة

يوسع الكون بالحب يملاه بالمسرة

قال لي : يرجع الناس بعد الرحيل

وتعمر كل الديار

ان يكن حبها زاد

فالحب ملح الليالي القصار

( السجن : ص 79 )

هكذا يستخدم محي‌الدين الذاكرة المنبهة في مقاومة اليأس .. لاقناع الآخرين بان لا دوام لحال مهما كانت سيئة .. ومهما كان مريدوها اقوياء متجبرين .

ويستمر حضور هذه الذاكرة رفقة الشاعر طوال رحلته الشاقة في عالم الكلمات الشحيحة حينا .. والعاجزة حينا آخر .. فاذا هو يرزح تحت كلاكل حمل تربو الجبال على الصبر عليه .

انه يريد ان يفجر قلب الكلمة .. لكن هذه تبدو وكأنها بلا قلب .. ويظل محي‌الدين برغم طول باعه اللغوي في حيرة امام انحدار اللغة في مواجهة قضايا العصر وتعقيداتها وتناقضاتها فاذا هو يحشر احداثا تبدو من فرط بساطتها ساذجة .. لكنها تحمل دلالات وايحاءات تضع المتلقي في الطريق الموصلة الى الهدف ،

لا تغضبي يا ام ان رجعت .

لابدل الثياب

فغيرنا لقد سرق النوم من الاهداب

( السجن : ص 33 )

تونس في 13—9—1978



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# طقس الزواج المقدس ونشيد الأنشاد

صاموئيل نوح كريمر
ترجمة : بديعة امين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مقدمة

لعل اكبر سرقة ادبية مرت عبر قرون دون ان يكتشف امرها هي نفس السرقة الادبية التي ارتدت ، عبر مئات القرون ، رداء قدسيا ، جعل منها ـ برغم ما فيها من تناقضات وافتئات على الحقيقة ـ عقيدة وقانون حياة ظل ، طيلة القرون التي مرت ، يمارس ـ وما يزال ـ تأثيرات كبيرة ليس فقط في حياة من اتخذ مما اثمرته تلك السرقة الادبية عقيدة مقدسة ، وانما في حياة جل شعوب الارض ـ تأثيرات لا حدود لها . تلك السرقة هي ما قام به الربانيون اليهود في العصور السالفة ، حيث سطوا على الكثير مما ابدعته شعوب منطقة الشرق الادنى من آداب وفنون .. حرفوها حسب اهوائهم .. غيروا فيها ما غيروا .. ولفقوا ما طاب لهم التلفيق .. ثم قالوا : هذا ادبنا .. وهذه عقيدتنا . وصدق الناس ما جاءوا به من افك عظيم وآمنوا به . ومرت قرون وقرون دون ان يفطن احد لما جاءت به تلك الايادي الآثمة من زور .. حتى اذا جاء عصر الشك والعلم ، غزت عقول الناس ـ بعض الناس ـ رياح الشك.. وارتسمت في اذهانهم عشرات من علامات استفهام جريئة حول ما لم يعد للعقل البشري طاقة على تصديقه ، وما لم يعد للمنطق قدرة على قبول ذاك الذي لا يجمعه والعقل والمنطق جامع . وراح البعض ينقب ويبحث عن الحقيقة الضائعة .. وطال الجدل واشتد النقاش .. حتى قيض لبعض المنقبين ان يعثروا على تلك الحقيقة محفورة على رقم من طين دفنت تحت ركام حضارات خيل للبعض انها بادت دون ان تترك لها اثرا .

ومع الرقم الطينية التي انتزعت من اعماق الارض ، انجلت الحجب عن الحقيقة الضائعة .. ومنذ مطلع هذا القرن تقريبا وحتى الى ما قبل الحرب العالمية الثانية ، راحت المطابع في عدد من بلدان اوربا وفي اميركا تنشر على الناس ما ينير الظلمات التي سكنت عقل الانسان قرونا طوال . فكانت المفاجأة المذهلة ، ان العهد القديم ، او قسما لا يستهان به منه ، سرقة ادبية منتزعة من آداب سومر وبابل وآشور ومصر القديمة وغيرها من آداب الاقوام البائدة التي عاشت في المنطقة . ومن تلك المكتشفات الجديدة ما يتعلق بنشيد الانشاد ، فقد ظهر العديد من النظريات والبحوث والكتب في مناقشة حقيقة نشيد الانشاد ، وهل هو حقا من وضع الملك سليمان كما يظن ! ومن تلك النظريات ، نظرية الباحث المسماري ثيوفيل ميك ، التي ترجع اصول نشيد الانشاد الى القصائد والاناشيد السومرية التي كانت تنشد اثناء طقوس الزواج المقدس .

وفي كتابه المعنون طقس الزواج المقدس ، الذي يتناول فيه عالم السومريات صاموئيل نوح كريمر بعض جوانب العقائد والطقوس والاساطير السومرية ، يقف الكاتب وقفة طويلة مع نظرية ميك . وفيما يلي ترجمة(*) للفصل الذي يناقش هذه النظرية التي تكشف عن العلاقة بين نشيد الانشاد وطقس الزواج المقدس .

---

(*) اود ان اشير هنا الى انني قد اضطررت الى حذف بعض الهوامش التي لاعلاقة مباشرة لها بالنص، كما انني اضفت بعض الهوامش الجديدة اينما شعرت ضرورة لذلك ، مع الاشارة الى انها تعود لي وليس للمؤلف.
بديعة امين

ان واحدة من اكثر المشاكل ارباكا في البحوث التوراتية الحديثة الوجود المحير للكتاب الذي يعرف عموما ب « نشيد الانشاد لسليمان» في العهد القديم . فهو لا يعنى باية طريقة بتاريخ العبرانيين ، ولا يحتوي على نبوءات كاشفة او مواعظ ملهمة ــ انه في الواقع ، لا يزيد ــ كما يبدو ــ على مجموعة من اغاني الحب الشهوانية الخالية من اي مضمون ديني ، لاهوتي اخلاقي او تعليمي ، منظمة بصورة طليقة . وحتى ان قراءة سريعة لقصائده الجنسية الشهوانية كافية لاقناع القاريء غير المتحيز بأن الكتاب ينضح حبا وعاطفة وشهوة ورغبة . كيف اذن تم قبول مثل هذا الكتاب ذي المضمون الارضي الدنس في السفر التوراتي المقدس ، ووضع جنبا لجنب مع كتب موسى التعليمية الملهمة ، والمزامير الروحية المفعمة بالصلوات وكتب الانبياء الاخلاقية الهادرة . كيف استطاع ان يفلت من عيون الربانيين الحادة ــ الربانيين الصارمين المتزمتين الذين يعتبرون العفة والعذرية والطهارة الجنسية مقدسة الى ابعد الحدود ؟

مما لا ريب فيه ان الربانيين ــ حالما اتخذوا القرار بان يصبح الكتاب جزءا من سفر العهد القديم ــ وجدوا صعوبة ضئيلة في ان يوفقوا ما بين مضامينه الشبقة وبين مواقفهم وميولهم الخاصة . وفي الواقع فانهم راحوا يفعلون ذلك بدرجة من القناعة كان معها ان تم قبول الكتاب الصغير من قبل اشد المعلمين والوعاظ اليهود تزمتا ، ومن قبل الناس البسطاء ، على حد سواء ، حتى يومنا هذا ، بوصفه واحدا من اكثر التآليف التوراتية الهاما ، وعلى انه حقا « قدس الاقداس » الذي ينبغي ان يقرأ ويدرس ويغنى ويحفظ ويقدس ويحترم . لقد كان الربانيون مقتنعين تماما ان « نشيد الانشاد » بكليته ، ما كتب الا من قبل الملك سليمان الذي كانوا ينظرون اليه على انه مزيج نادر وان كان متناقضا ــ من حكيم وشاعر وعاشق ــ مثلما كانوا يعتقدون ان موسى مؤلف التوراة وان الملك داوود كاتب المزامير . ان كتابا يؤلف من قبل ملك على مثل هذا النبل والتبجيل كالملك سليمان ، لا بد ان ينطوي على مغزى عميق وقيم روحية عميقة ، بالرغم مما به من عبث سطحي وشهوانية. ان كل ما كان ينبغي عمله هو تجاهل المعنى الحرفي الظاهر للنص ، والبحث عن « المعنى فيما وراء المعنى » ، ليتم بذلك اكتشاف الصيغ المجازية المهذبة ( بالكسر ) والموحية التي قصدها سليمان الورع الملهم. ان العاشق في « نشيد الانشاد » لم يكن شابا احمر كث الشعر ، عيناه حمامتان وحلقه حلاوة ، انه لم يكن غير ميهوفاه نفسه ، والحبيبة لم تكن عذراء جميلة مجعد شعرها ، شفتاها قرمزيتان وساقاها مثل الحلى وسرتها كاس مدورة ، وانما هي « شعب » اسرائيل ، عروسه وزوجته .

ولم يكن الربانيون وحيدين في تفسيراتهم المجازية للكتاب . فآباء الكنيسة ايضا الذين اثار وجوده في السفر المقدس قلقهم ، بحثوا عن معناه الخفي الاعمق حيث لاقوا صعوبة ضئيلة في العثور على ذلك المعنى : فالعاشقان هما المسيح والكنيسة ، والاصدقاء والمرافقون هم الملائكة في السماء والمؤمنون في الارض ، اما « قبل الشفاه » فكانت رمزا لشوق الكنيسة ان تلثم شفاه المسيح . وهكذا مضى الامر حتى نهاية القرن الثامن عشر حين ولد علم التوراة الحديث . وفي غضون القرنين الماضيين اخذ التفسير الحرفي « لنشيد الانشاد » يسود تدريجيا حتى تمت الغلبة له نهائيا ، ومن المحتمل الا يوجد اليوم باحث جاد في العلوم التوراتية لا ينظر الى الكتاب على انه اي شيء غير مجموعة فاتنة من الاشعار الغنائية العاطفية .

**اننا لا نريد بهذا القول ان مفسري [ الكتاب المقدس ] المعاصرين يفهمون فعلا الكتاب من البداية حتى النهاية ، او انهم متفقون تماما حول مصدره، وتركيبه وتاريخ تاليفه . ان الامر ابعد من هذا بكثير . « فنشيد الانشاد » واحد من اصعب اسفار التوراة واشدها غموضا وابهاما واثارة للقلق . وبالرغم من انه يتالف من ثمانية اصحاحات صغيرة فقط ولا يزيد على 117 بيتا شعريا ، فانه يضم عشرات من الكلمات والتعابير ذوات المعاني المشكوك فيها ، وما ينفرد منها بهذا الكتاب ولا يرد ذكره في اي موضع آخر في التوراة ليس قليلا . وهو يضم العديد من المكررات المقلقة والاعادات المربكة، ان لم نذكر القراءات الخاطئة والشروح والامثلة التي تسللت الى النص قبل ان ياخذ شكله النهائي ويصبح غير قابل للانتهاك ، وليغدو الامر اكثر سوءا، فانه مفعم بما يبدو صورا جريئة جدا واستعارات مسرفة غالبا ما تكون معانيها الضمنية وتلميحاتها غامضة ومبهمة ان لم تكن غير مفهومة كليا .**

ان الكتاب بكامله مكتوب بشكل خطب وابتهالات وتعابير عامية ومناجاة ذاتية ، غير انه لا توجد هناك توجيهات او ملاحظات من اي نوع للدلالة على بداياتها ونهاياتها . كما انه ليس من الواضح من هم المتحدثون .. ابطال القصائد الغنائية . وهناك بالطبع العذراء التي لا اسم لها والتي اضناها الحب والتي توصف عادة « بالحبيبة » ، « الاخت » ، « العروس » . ثم هناك العاشق الذي يشخص ، كما يبدو ، بوصفه الملك ، وحتى بدرجة اكبر من التحديد « الملك سليمان»، بيد انه من ناحية ثانية راع شهواني احمر قوي الاعضاء لا يميزه شيء ملكي او لطيف . وبالاضافة الى هاتين الشخصيتين الرئيستين هناك، اشارات متفرقة الى « بنات اورشليم » ، « بنات صهيون » ، « الحرس الطائف في المدينة » و « اصدقاء » المحب ــ الذين يقدمون جميعا ــ كما هو واضح ــ كادوات ادبية تهيء فرصة للملاحظات الخطابية التعجبية التى تلقي بها الشخصيتان الرئيستان .

واذا لم تكن كل هذه المصاعب النصية كافية ، فهناك تلك المسالة العسيرة المتعلقة بالشكل والبناء الادبيين للكتاب ، التي ــ اي المسالة ــ اثبتت انها مصدر نقاش مرير بين دارسي التوراة المحدثين الذين لا يعرف عنهم بشكل عام ، انهم ذوو ميول جذلة او لطيفة . وتقول واحدة من اكثر النظريات الحاحا ان « نشيد الانشاد » كان قد ألف كدراما مقسمة الى عدة فصول ومشاهد . والباحثون الذين يتمسكون بهذا الراي غالبا ما يطلقون العنان لتخيلاتهم سعيا وراء تعيين وتضخيم شخصيات المسرحية ومن اجل كشف وتطوير الدوافع غير الواضحة المعالم لعقدة [ المسرحية ] ومضاعفة عدد الفصول والمشاهد التي يفترض ان المسرحية قد قسمت اليها .

لقد كان هناك باحثون يرون ان الكتاب قصيدة زفاف ، مجموعة من اغاني زفاف دنيوية تغنى من قبل ومن اجل عروس وعريس اثناء احتفالات الزواج . وفي اواخر القرن التاسع عشر اخذ هذا

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

الراي يلقى رواجا بعد ان نشر جي . جي . فيتزشتاين (J. G. Wetzstein) عالم الاجناس البشرية ، ملاحظاته عن طقوس الزواج السائدة في سوريا وفلسطين الحديثين . فقد وجد ان العروس والعريس يدعوان حقا ، خلال الاحتفالات التي تستمر لمدة تسعة ايام . الملك والملكة من قبل الفلاحين والقرويين الذين يغنون ويرقصون امامهما وهما يجلسان على « عرش » يقام فوق ارض درس الحبوب. وعليه فان « نشيد الانشاد » وهو ابتكار فلسطيني ، مجموعة من الاغاني التي تؤدى في احتفالات الزواج الفلسطيني التي يلقب ابانها العروس والعريس بالملك والملكة – اما تخت سليمان المذكور في الكتاب فهو ارض الدراسة ، واما وصيفات العروس فيدعون « بنات صهيون » الخ .. وحتى ان بعض الباحثين يظنون ان الكتاب بالرغم مما ينطوي عليه من اثارة جنسية واضحة وتأكيد على الجنس ، انما هو في الحقيقة رسالة اخلاقية لتعليم بركات الزواج الذي يثمره الحب . وعلى اية حال ، فان هذا كله خيالي اكثر مما يجب وبعيد الاحتمال بالنسبة لاغلب الباحثين المحدثين الذين يميلون عموما الى الاخذ بالراي القائل ان « نشيد الانشاد » ليس غير مجموعة من اغاني الحب المستقلة بين رجل وعذراء ، مفعمة بالآهات والقبل والمعانقات الرقيقة .

**ان هذه النظرية تعود بنا الى النقطة التي بدانا منها تماما . اذا لم يكن « نشيد الانشاد » غير مجموعة مختزنة من القصائد الغنائية الحسية المجردة من اية خلفية دينية تقليدية مقدسة ، فكيف خطر ببال الربانيين الورعين المتزمتين الحذرين ان يدخلوه في الكتاب المقدس ؟ ولماذا ينبغي ان يصور المحب في كتاب اغاني حب رقيقة ، بسيطة ، بين رجل وعذراء ، ان يصور كملك يثير اغراء لا يقاوم يعيش في بلاط باذخ ، وفي الوقت نفسه كراع متواضع يتعقب قطعانه جنبا الى جنب مع رفاقه ؟ وهل يمكن لعذراء بسيطة تتاوه حبا وتخفق عاطفة ان تقتطع جانبا من اغنياتها المتدفقة لتناجي نفسها بما يشبه اللازمة وتطلق الايمان لبنات اورشليم اللاتي يبدو انهن كن دوما الى جانبها على استعداد ليعطينها اذنا متعاطفة ويطرحن اسئلة تثير استجابة عاطفية مؤثرة ؟ ان هذا كله نادرا ما يعبر عن قصيدة حب رعوية بسيطة غير متكلفة .**

او لنأخذ الصور المجازية الفنية الجريئة المنتشرة في الكتاب : « العذراء سوداء كخيام قيدار ، كشقق سليمان ، انها فرس في مركبات فرعون ، شعرها كقطيع معز ، اسنانها كقطيع الجزائز ، عنقها كبرج من العاج ، انفها كقمة من لبنان ، سرتها كاس مدور ، بطنها صرة حنطة مسيجة بالسوسن ! » . اما بالنسبة للمحب « فراسه ذهب » ، جدائله كاغصان شجرة « خداه كخميلة الطيب ، شفتاه سوسن تقطران مرا مائعا ، يداه حلقتان من ذهب مرصعتان بالزبرجد، بطنه عاج ابيض مغلف بالياقوت الازرق ، ساقاه عمودا رخام مؤسستان على قاعدتين من ابريز »(1) .

ان جميع هذه المحسنات اللفظية الخطابية الصقيلة المنمقة نادرا ما تنطوي على نكهة الشعراء وناظمي القصائد القصصية المحليين. انها بالحري تنبعث كما يبدو من مجموعة جاهزة من قصائد شاعر بلاط محترف . اضف لهذا ان القصر والبلاط يتكرر ذكرهما في الكتاب، كما ان احد الاناشيد(2) ، هو في الواقع نشيد زفاف مثير ومؤثر حيث يوصف الملك سليمان بانه العريس السعيد . ان هذا كله يترك انطباعا ان « نشيد الانشاد » المليء بالتكرار والغموض مع صعوبة متنه يعود كله او جزء منه في القليل ، الى طقوس قديمة ، الى زواج طقسي حيث يلعب الملك الذي الف شعراء البلاط من اجله اغاني وقصائد مناسبة ، دور العريس .

لاعتبارات تقترب من هذه الاعتبارات ، وضع (ثيوفيل ميك) ، وهو باحث متمكن من المسمارية وكذلك من البحث التوراتي ، نظرية عن أصل « نشيد الانشاد » . وهذه النظرية ، برايي سليمة بصورة اساسية وبناءة ، بالرغم من حقيقة انه قد ثبت ان عددا من افتراضاته واستنتاجاته ومحاججاته خاطىء ، كليا او بصورة جزئية ونوجز فيما يلي الخطوط الاساسية لنظريته(3) :

**ان « نشيد الانشاد » او جزءا كبيرا منه في القليل شكل معدل ومصاغ صياغة تقليدية لطقس عبري قديم يقام احتفالا باتحاد وزواج الاله – الشمس والالهة – الام . وكان هذا الاحتفال قد ازدهر في ما بين النهرين منذ القدم . ان هذا الزواج المقدس كان جزءا من شعائر الخصوبة التي انتحلها البدو العبرانيون من جيرانهم الكنعانيين المتحضرين، الذين كانوا قد استعاروها من شعائر تموز – عشتار الاكدية والتي هي شكل معدل لشعائر دموزي – إنانا السومرية . ان هذا امر لا يثير الاستغراب ابدا . اذ كما لاحظ المختصون في البحوث التوراتية مرارا ، ان هناك آثارا لشعائر الخصوبة في عدد من اسفار التوراة ، وبالرغم من ان الانبياء شجبوا هذه الشعائر بقوة غير انه لم يتم اجتثاثها بصورة كلية ابدا . وفي الواقع فان الانبياء انفسهم لم يترددوا عن استقاء بعض رموزهم من تلك الشعائر ، وان الاوصاف المتكررة في كتابات الانبياء بصدد العلاقة بين يهوه واسرائيل على انها علاقة زوج وزوجة دلالة على ان هناك زواجا مقدسا بين يهوه والالهة عشتارت النظيرة الكنعانية لعشتار – انانا لما بين النهرين . وحتى انه في عصر متاخر كعصر المشنا اي ما يقارب عصر اقرار العهد**

1 – عند ترجمة هذه المقتبسات وغيرها من نشيد الانشاد آثرت ان استعين بمفردات وآيات العهد القديم بالعربية .

المترجمة

2 – الاصحاح الثالث : 6 وما بعده .

3 – لقد ظهر المخطط الاول لهذه النظرية في المجلد 39 من المجلة الامريكية للغات والآداب السامية 1922 – 1923 ، في سنة 1924 اوجز الباحث دراسته كما توسع فيها في ندوة عقدت حول « نشيد الانشاد » في النادي الشرقي ..

ARCHIVE
http://Archivebeta

**القديم ، يذكر ان بنات اورشليم كن في نهاية( يوم الغفران ) وخلال « احتفال الاشجار » يذهبن الى الكرمة ليرقصن . وكان يقابلهن شباب يغنون « اخرجن يا بنات صهيون وانظرن الملك سليمان بالتاج الذي توجته به امه في يوم عرسه وفي يوم فرح قلبه » ( نشيد الانشاد / 3 : 11 ) . ان هذا ايضا ما هو الا انعكاس متاخر ، وان كان نادرا ما يعترف به ، لطقس زواج مقدس عبري قديم .**

ويقول ميك ان هذه النظرية حول اصل الكتاب ستحل مشاكل ليست قليلة مما كان يثير قلق الباحث التوراتي في الماضي . انها ستفسر لماذا يوصف المحب في « نشيد الانشاد » على انه راع وملك — ان هذه هي بالضبط اوصاف تموز — دموزي في الوثائق المسمارية . كما انها ستفسر ايضا لماذا توصف الحبيبة على انها عروس واخت في عين الوقت — وهذه الاوصاف تماثل اوصاف عشتار — إنانا . ان طقوس دموزي — انانا الشعائرية تتألف عموما من محاورات ثنائية ومناجاة ذاتية ينشدها الزوجان المقدسان ، ويتخللها ما يشبه اللازمة التي ينشدها كوراس — وهذا يعلل البناء الادبي للكتاب [اي نشيد الانشاد] الذي لا يمكن تعليله بغير هذا . وان خيرا من كل هذا ، هو ان هذه النظرية سوف تسهم في توضيح قبول الكتاب كجزء من الكتاب المقدس. اذ انه حتى بعد ان قامت عقيدة يهوه المتاخرة بتطهير مضامينها وذلك عن طريق ازالة كل آثار عناصر شعائر الخصوبة تقريبا ، فانها قد حملت نكهة مقدسة للتقاليد الدينية التي مهدت طريق دخولها في الكتاب المقدس ، وخاصة طالما كان اسم سليمان قد ارتبط بها بشكل ما(4).

**ان النظرية العامة التي طرحها ميك ، والتي تقول ان « نشيد الانشاد » ، او اجزاء منه في القليل ، تمتد جذورها في طقس الزواج المقدس الذي استعارة الكنعانيون من شعائر تموز — عشتار ( دموزي — إنانا ) كما كانت تمارس في بلاد ما بين النهرين المجاورة ، اعطت زخما جديدا للبحث الذي اصابه الركود في اصل الكتاب ، وحظيت ، بشكل او بآخر ، بتاييد عدد ليس بقليل من العلماء البارزين المختصين بالبحث التوراتي .**

غير ان هناك افتراضين خاطئين في نظرية ميك ادبا الى الحاق ضرر جدي بموقفه :

**فاولا** — افترض ، منذ البداية ، كما كان يفعل معظم الباحثين في ايامه، ان تموز كان إلها خالدا اصليا لا زيف فيه في ما بين النهرين ، وعليه ، فان زواجه من عشتار — انانا كان زواجا بين الالهة . وقد قاده هذا الى ان يظن ان الكنعانيين والعبريين ايضا كانوا يعتقدون ان إلها ما هو الذي تزوج من عشتار ، وفي حالة العبرانيين فان من الطبيعي ان يكون هذا يهوه ، او الملك الذي يمثل يهوه . ان ادخال يهوه في طقس الزواج المقدس ادى الى اضعاف نظرية ميك الى حد كبير ، حيث ان يهوه لا يرد ذكره في اي موضع في الكتاب [ المقصود نشيد الانشاد ] الامر الذي ادى الى ان يواجه ميك صعوبة كبيرة في تفسيره ، غير اننا نعلم الآن ان تموز اصلا لم يكن إلها ابدا ، وانما كان ملكا فانيا تزوج من عشتار — انانا ليؤمن ، بالدرجة الاولى ، الرفاه في بلاده ولشعبه. كذلك وجد الامر ايضا بين العبرانيين ، اذ ان الذي تزوج من عشتار لم يكن يهوه الاله — وانما الملك سليمان مثلا — وهذا ما يمكن افتراضه لنفس الاسباب . **فاذا حذف يهوه من الطقس،** فان نظرية ميك ستلقى قبولا اكبر من جانب المختصين بالبحوث التوراتية .

**ثانيا** — وحيث ان جميع النصوص المسمارية المتعلقة بشعائر تموز — عشتار تقريبا كانت في ايام ميك ، الحانا حزينة وبكائيات ، فقد كان ميك مضطرا الى ان يمشط « نشيد الانشاد » بحثا عن اية اشارة ممكنة ( وغير ممكنة ) الى « الاله الذي مات » والى الالهة التي هبطت الى العالم السفلي لانقاذه .

وفي الواقع فانه لمما يثير السخرية ان اغلب الاجزاء المتناظرة من شعائر تموز — عشتار ( او بالاحرى شعائر دموزي — انانا ، كما ينبغي لها ان تسمى حيث ان جميع التآليف تقريبا ، مكتوبة باللغة السومرية ) التي يستطيع ان يختار من بينها اغاني الفرح الرقيقة الواردة في السفر التوراتي ، يأتي من البكائيات التي تنتحب الاله الميت . لقد بدانا الآن فقط نكون صورة صادقة عن التناظرات القائمة ما بين السفر التوراتي وبعض سوابقه المسمارية المحتملة ، وذلك بعد ان توفر لدينا ما يزيد على دزينة من الاغاني السومرية الاحتفالية البهيجة المتعلقة بالزواج المقدس . ان من الواضح الآن ان التشابه والتماثل بينهما لا يقتصر على الملامح الاسلوبية العامة مثل تصوير المحب على انه راع وملك في وقت واحد ، والمحبوبة على انها عروس واخت في نفس الوقت ، او على التداخل الشكلي بين المناجاة الذاتية والتعابير العامية والادوار ، وانما يمتدان الى الموضوع والدافع وحتى الى التعابير اللغوية المتميزة احيانا(5) .

لناخذ مثلا ، الاشطر الاربعة الاولى من « نشيد الانشاد » حيث تتضرع المحبوبة الى الملك الذي يفترض ان يكون سليمان ، الذي

4 — وربما كان سليمان، الملك الذي ازدهر في عهده طقس الزواج المقدس الكنعاني— العبري ، حيث ان عشتار كانت واحدة من الهاته المقدسات. ( انظر الملوك الاول 11 : 5 ) .

5 — لا شك ان التناظر بين نشيدي الزواج المقدس الرافديني والعبراني سيزداد ويصبح اكثر وضوحا واكثر تميزا كلما ازدادت الالواح الادبية المسمارية التي يعثر عليها في خرائب مدن ما بين النهرين . وفي الوقت الذي يوجد فيه امل ضئيل في ان تكتشف مؤلفات تخص الزواج المقدس العبراني كتلك المثلة في « نشيد الانشاد » ، فانه ليس من غير الممكن ان يتم اكتشاف بعض نماذجها الاصلية الكنعانية مكتوبة على الرقم الطينية بالالفباء المسماري كتلك التي اكتشفت في اوغاريت الفلسطينية. كما انه ليس مما يثير الاستغراب ابدا ان تحمل الاعمال الادبية العبرية والكنعانية اوجه شبه مع اعمال ما بين النهرين ، اذ ان الادب المدون، بعد كل شيء ، ازدهر في هذه البلاد بضعة قرون قبل ان يصل الخط المسماري الى فلسطين ، كما ان موضوعات ومواضيع وسمات اسلوبية ادبية سومرية — اكدية غير قليلة كانت قد انتشرت في كامل منطقة الشرق الادنى حتى قبل ان تجرى كتابة وتحرير اولى الاجزاء من التوراة بوقت طويل ..

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

« تحبه العذارى » والذي « ادخلني الى حجاله » « ليقبلني بقبلات فمه. لان حبك اطيب من الخمر » ـ وتنشد العذارى بعد هذا التضرع « سنبتهج ونفرح بك ، ونذكر حبك اكثر من الخمر » . ونجد لهذه الاشطر ما يقابلها وكذلك نماذجها الاولية في الكلمات النشوى التي تنشدها عروس الملك شو ـ سين المحبوبة :

**« ايها العريس العزيز الى قلبي**
**ممتعة مسرتك ، عذبة ـ كالشهد**
**ايها الاسد ، العزيز الى قلبي**
**ممتعة مسرتك ، عذبة ـ كالشهد**

**« لقد اسرتني ، اقف مرتعشة بحضرتك**
**ايها العريس ، ستحملني الى حجرة النوم**
**لقد اسرتني ، اقف مرتعشة بحضرتك**
**ايها العريس ، ستحملني الى حجرة النوم**

**« ايها العريس دعني امنحك ملاطفاتي**
**ايها العذب الغالي ، بالشهد سأغسل [ ؟ ]**
**في حجرة النوم الملأى بالشهد**
**دعنا نفرح بجمالك الممتع ،**
**ايها الاسد ، دعني امنحك ملاطفاتي**
**ايها العذب الغالي ، بالشهد سأغسل [ ؟ ]**

**« ايها العريس ، لقد نلت مني متعتك ،**
**خبر امي ، فسوف تعطيك اطعمة شهية**
**خبر ابي ، فسوف يمنحك هدايا .**

**« روحك ـ انا اعرف انى أبهج روحك**
**ايها العريس ، نم في بيتنا حتى الفجر**
**قلبك ـ انا اعرف انى افرح قلبك**
**ايها الاسد ، نم في بيتنا حتى الفجر .**

**« انت ، لانك تحبني**
**ايها الاسد ، اتضرع اليك ان تمنحني ملاطفاتك**
**سيدي الاله ، سيدي جنيي الطيب**
**شو ـ سيني الذي يفرح قلب انليل(6)**
**اتضرع اليك ان تمنحني ملاطفاتك »(7) .**

6 ـ انليل كبير الالهة السومرية .

وكما تبين الاشطر الاخيرة من الاغنية الجذلى فان هذه العذراء لم تكن عذراء اعتيادية تحرر نفسها من عبء حبها لحبيب اعتيادي . لقد كانت هذه منذورة لالهة الحب ـ وفي الواقع فان الشاعر القديم يصفها بانها اغنية انانا ـ حيث تتغنى بالاتحاد المبارك بعريسها الملك شو ـ سين ، الذي « يفرح قلب انليل » ـ الاتحاد الجنسي الذي يجلب افضال الله الى الارض وشعبها . ان شو ـ سين ، ليس على غير شاكلة سليمان الايام المتأخرة ، كان يلقى ، كما يبدو ، حظوة كبرى مع « سيدات الحريم » ، عبدات المعبد والمنذورات ، اللاتي يشكلن شخوص شعائر انانا ـ عشتار ، كما انه ليس من المستغرب ان نعلم ان المنقبين في اوروك القديمة ، حيث يوجد أكثر المعابد تبجيلا، قد عثروا على « قلادة » من الاحجار شبه الكريمة . كتب على احداها كلمات « كوباتوم ـ لوكور ـ كاهنة شو ـ سين » ـ حيث تعني لوكور ،وهي كلمة سومرية ، كاهنة منذورة لإنانا ، ويظهر انها لعبت دور الالهة في طقس الزواج المقدس .

وتقديرا من اغنية حب اخرى ، فقد جرت العادة ان يقدم شو ـ سين هدايا نفيسة الى الكاهنات المنذورات لإنانا وخاصة اذا ما امتدحنه باغنية عذبة(8) . وتبدا محبوبة شو ـ سين هذه القصيدة بتمجيد ميلاده :

**لقد وضعت واحدا مقدسا ، لقد وضعت واحدا مقدسا،**
**وضعت الملكة واحدا مقدسا ،**

7 ـ كي يكون التماثل بين النصوص السومرية والعبرية واضحا ارتأيت ان اقدم هنا وحيث تفرض الضرورة لاحقا ، بعض النصوص من « نشيد الانشاد » وخاصة تلك التي تعكس التناظر سواء من ناحية الموضوعات او التعابير والسمات الاسلوبية واللغوية او من ناحية المضامين او المعاني او المناخ العام الذي يكتنف القصائد السومرية و « نشيد الانشاد » . وقد آثرت ان ارجم بعض النصوص التوراتية من الكتاب المقدس بالانكليزية بالنظر لما هناك من تطابق في بعض المفردات والتعابير في النصوص السومرية ( والتي ارجمها من الانكليزية ايضا ) والعبرية. على انني لا بد ان اشير الى انني قد استفدت ايضا من العهد القديم بالعربية كالمقتبسات التالية من الاصحاح الاول :

(1) ليقبلني بقبلات فمه : لان حبك اطيب من الخمر .

(2) لرائحة ادهانك الطيبة اسمك دهن مهراق ، لذلك احبتك العذارى .

(3) اجذبني وراءك فنجري . ادخلني الملك الى حجاله ، نبتهج ونفرح بك ، نذكر حبك اكثر من الخمر .

المترجمة

8 ـ قد نجد اصداء لهذه العادة في « نشيد الانشاد » حيث يرد في الاصحاح الاول : 10 ـ 11 :

ما اجمل خديك بسموط وعنقك بقلائد . نصنع لك سلاسل من ذهب مع جمان من فضة . ( السموط : خيط فيه خرز ) .
المترجمة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

**ابيسيمتي .. وضعت واحدا مقدسا**

**وضعت الملكة واحدا مقدسا .**

ويلي ذلك مقطع شعري من اربعة ابيات ذات طابع هتافي غير انها غامضة المعنى . ولكننا نعلم من هذه الابيات ان كوباتوم الجذابة ـ وهي نفسها الكاهنة المنذورة التي تم العثور على عقدها الذي يعود لاربعة آلاف عام مضت ، قبل اربعين عاما تقريبا ـ نعلم انها قد اصبحت « ملكة » ، محظية ، كما يفترض(9) :

**« آه يا [ ملكتي ] المحبوبة اطرافها ،**

**آه يا [ ملكتي ] ... راسها ، ملكتي كوباتوم ،**

**آه يا [ سيدي ] ... شعره ، سيدي شو ـ سين**

**آه يا [ سيدي ] ... كلمته ، ابن شولكي » .**

ومثلها مثل كوباتوم ، فقد تلقت الكاهنة المنذورة التي تنشد هذا النشيد ، هدايا نفيسة من شو ـ سين ، كما تبين لنا في المقطع التالي ،

**« لانني هتفت بها ، لانني هتفت بها ، اعطاني السيد هدية ،**

**لانني هتفت بانشودة الالاري ، اعطاني السيد هدية ،**

**قلادة من الذهب ، ختما من اللازورد ، اعطاني السيد هدية ،**

**خاتم من الذهب ، خاتما من الفضة ، اعطاني السيد هدية ،**

**سيدي ، هديتك مترعة ب ... ارفع وجهك الي ،**

**شو ـ سين ، هديتك مترعة ب ... ارفع وجهك الي » .**

وفي المقطع التالي المحفوظ بشكل جزئي فقط ، نجدها تمجد شو ـ سين بوصفه ملكا عظيما :

**« .. سيدي .. سيدي ،**

**... مثل سلاح .. ،**

**المدينة ترفع راسها كالتنين ، سيدي شو ـ سين ،**

**انها ترقد عند اقدامك كالشبل ، يا ابن شولكي(10) .**

غير انها تعود لهمها الخاص ، ان تثير عاطفة الملك « الهها » تمهيدا لاقترانهما :

**« الهي ، عذب شراب عذراء ـ الخمر**

**مثل شرابها ، عذب حضنها ، عذب شرابها**

**مثل شفتيها عذب حضنها ، عذب شرابها ،**

**عذب مزيج شرابها ، شرابها »(11) .**

وفي المقطع الاخير ، تمجد شو ـ سين بوصفه « محبوب انليل » و « اله ارضه » اي ، دموزي البشري الذي اختارته اينانا « ليكون إلها » :

**« شو ـ سيني الذي احبني ،**

**شو ـ سيني ، الذي فضلني ، الذي دللني ،**

**شو ـ سيني ، الذي احبني ،**

**محبوب انليل ، شو ـ سين**

**ملكي ، اله ارضه » .**

ويمثل شو ـ سين المحب في اغنية اخرى تنشدها كاهنة منذورة ربما كانت قد اختيرت لليلة حب مع الملك ، وربما لهذا السبب ، سرحت شعرها تسريحة خاصة لتكون جذابة في نظره . تنشد الكاهنة :

**خس شعري مزروع قرب الماء ،**

**خس كاكول(*) شعري مزروع قرب الماء**

**ممشطة [ ؟ ] ناعمة خصله [ ؟ ] المتشابكة**

**مربيتي [ ؟ ] كومتها عالية ،**

**من شعري الوافر النماء في الماء ،**

**جعلت خصله الصغيرة كومة مكتنزة ،**

**انها تنظم « اغرائي »**

**« اغرائي » ـ شعري هو الخس الذي هو افضل النباتات.**

**الاخ اجتذبني بنظرته المانحة للحياة**

**شو ـ سين قد اختارني ...**

وهنا يوجد ثلم في النص يقارب السبعة ابيات ، وحين يبدأ النص ثانية فانها ليست « العروس » هي التي تتحدث ، وانما مرافقاتها :

9 ـ قارن « نشيد الانشاد » 6 : 8 « هن ستون ملكة وثمانون سرية وعذارى بلا عدد » . ان هذا يصور كما يبدو حاشية نسائية مماثلة وان كان مبالغا فيها لحد كبير ، في بلاط سليمان .

10ـ لعلنا لا نكون على ضلال لو لمحنا اصداءلمعاني هذه الابيات، برغم مافيها من نقص ، في الاصحاح 3 : 7 ـ 8 حيث نقرأ : « هو ذا تخت سليمان حوله ستون جبارا من جبابرة اسرائيل . كلهم قابضون سيوفا ومتعلمون الحرب » .

المترجمة

11ـ قارن هذا بنشيد الانشاد ، 4 : 10 « ما احسن حبك يا اختي العروس كم محبتك اطيب من الخمر .. » و 5 : 1 « قد دخلت جنتي يا اختي العروس . قطفت مري مع طيبي . اكلت شهدي مع عسلي . شربت خمري مع لبني . كلوا ايها الاصحاب واشربوا واسكروا ايها الاحباء» .
[ من المناسب ان يقارن ايضا ب 4 : 11 « شفتاك يا عروس تقطران شهدا » ] .

(*) Gakkul نوع من الخس .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« انت سيدنا ، انت سيدنا ،

فضة ولازورد ، انت سيدنا(12) ،

فلاحنا الذي يجعل نباتات الحبوب تقف عاليا، انت سيدنا»،

وتنشد « العروس » البيتين الاخيرين « منفردة » :

له من هو شهد عيني ، من هو خس قلبي ،

لياتي يوم الحياة ، لشو ـ سيني .

كان الخس زرعا مفضلا لدى السومريين ـ ولم يكونوا يشبهون تسريحة شعر المحبوبة العالية بالخس ، حسب ، وانما المحب ايضا كان يشبه بالخس المزروع قرب الماء، وهو ايضا حديقة عامرة ، ونباتات حبوب في الاخاديد ، وشجرة تفاح محملة بالثمر ، كما ينعكس في الكلمات المفعمة بالحيوية والتي تنشدها المحبوبة النشوى :

« لقد انبت ، لقد ازهر ، انه خس قرب الماء مزروع ،

حديقتي العامرة ب .. السهب ، مفضل امه ،

نباتات حبوبي الوافرة النماء في الاخدود ، انه خس مزروع قرب الماء ،

شجرة تفاحي التي تحمل الثمر حتى ذروتها ، انه خس قرب الماء مزروع(13)

غير انها تحبه لانه ، اكثر من اي شيء آخر ، رجل ـ شهد يقطر حلاوة :

رجل الشهد ، رجل الشهد يجعلني ابدا حلوة ،

سيدي رجل ـ شهد الالهة ، مفضل امه

الذي يده شهد ، الذي قدمه شهد ، يجعلني ابدا حلوة ،

الذي يجعلني حلوة .. السرة [ ؟ ] مفضل امه ،

... احلى سيقان ، انه خس قرب الماء مزروع .

بزواجه من انانا ، التي كانت ، طبقا للاهوتيين ، ابنة الاله ـ القمر نانا ـ سين وزوجته نينغال ، أصبح دموزي ـ الملك الذي كان منذورا له ـ صهرا لهما . وبصفته هذه فانه كان لحد ما معيلهم وموفر خبز « البيت » . وهذه موضوعة نشيد قصير نوعا من اناشيد انانا ، ومعظم هذا النشيد كان يغنى من قبل مرافقات المحبوبة ، خلصائها وصاحباتها في حاشية الالهة . وبعد بيتين لا يمكن قراءتهما بسبب ما بهما من كسور ، نسمعهن ينشدن :

« انت اخونا ، انت اخونا ،

انت المتعدد البراعات [ ؟ ] شقيق القصر ،

انت قائد زورق الماغور(14) ،

انت المشرف على المركبة(15) ،

انت اب المدينة ، الحاكم

ايها الاخ ، انت صهر والدنا

انت اشرف صهر ،

انت تجهز والدتنا بكل هذا الخير » .

غير انه في الختام ، تقوم الحبيبة بالانشاد محيية حبيبها بهذه الكلمات الجذلى :

مجيئك هو الحياة ،

مجيئك الى بيتنا وفرة ،

الرقود بجانب [ ك ] اعظم فرحة لي .

هناك قصيدة اطول لحد كبير كتبت بشكل مسرحية صغيرة . واذا كنت قد فهمتها بشكل صحيح ، فان السيناريو يمضي كالآتي : يقف المحب خارج بيت الحبيبة ويسال :

يا اختي ، لماذا اقتعدت البيت ؟

يا صغيرتي ، لماذا اقتعدت البيت ؟

حيث ترد عليه :

« لقد غسلت ، غسلت بالصابون ،

غسلت نفسي في الاناء المقدس

غسلت بالحوض الابيض

ارتديت اردية الملوكية ، ملوكية السماء ،

لهذا السبب اقتعدت البيت .

طليت عيني بالكحل ،

ثبت تسريحة شعري ، ال ...

---

12ـ وربما يمكن مقارنة هذا بالاصحاح الخامس : 14 ـ 15 :
يداه حلقتان من ذهب مرصعتان بالزبرجد . بطنه عاج ابيض مغلف بالياقوت الازرق ساقاه عمودا رخام مؤسستان على قاعدتين من ابريز ...
[ وربما 5 : 11 ايضا حيث يرد : راسه ذهب ابريز . المترجمة ] .

13ـ قارن هذا بالاصحاح 2 : 3 « كالتفاح بين شجر الوعر كذلك حبيبي بين البنين . تحت ظله اشتهيت ان اجلس وثمرته حلوة لحلقي » . المترجمة

14ـ نوع من الزوارق السومرية .

15ـ قارن هذا بالاصحاح السادس : 12 :
« فلم اشعر الا وقد جعلتني نفسي بين مركبات قوم شريف » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ارخيت شعري المتشابك

فحصت السلاح الذي سينصر حكمه(16) .

عدلت شفاهي الملتوية ،

خصلاتي المفككة جمعتها في العلا ،

تركتها تنحدر حتى « حاشية » مؤخرة عنقي ،

وضعت في يدي سوارا من الفضة ،

ثبت حول عنقي خرزا صغيرة ،

ثبت ... حول اوتار عنقي »(17) .

ولكن بالرغم من انها قد ارتدت ملابسها كاملة، واستكملت حليها و « زينتها » ، الا انها لم تفتح الباب . ولكي يقنعها بان تدعه يدخل ، يذكرها المحب بأنه هو الذي كان قد جلب لها هدايا من الشهد والخبز:

« اختي ، في حضرة قلبك ، جلبت شهدا ،

في حضرة قلبك ، القلب المحبوب ، جلبته ،

خبزك وهباتك [ ؟ ] جميعا [ ؟ ] اعطيتها اياك

اختي يا ضوء النجم ، يا شهد الام التي حملتها

اختي التي جلبت لها خمسة اقراص من الخبز ،

اختي التي جلبت لها عشرة اقراص من الخبز

عملت لك ... حتى الكيهال » .

وعند سماعها هذا ، تلتفت الالهة برشاقة الى وصيفاتها منشدة :

« [ حين ] يدخل اخي من القصر ،

دعوا الموسيقيين [ يعزفون ] له ،

و [ ساسكب ] [ له ] خمرا من فمي ،

هكذا سيبتهج قلبه

هكذا سيرتاح قلبه

دعوه ياتي ، دعوه ياتي .. اتوسل [ ؟ ] دعوه ياتي .

16- الضمير في « حكمه » ربما يعود الى دموزي ، الذي كان عليه ،بوصفه ملك مدينته ، ان يكون محاربا شجاعا والذي ، كانت انانا ، بوصفها الهة الحرب الى جانب كونها الهة الحب ، تجهزه باسلحة لا تقهر .

17- هذه الابيات والتي تليها تستثير في الذهن بغير ما عناء ، بعضا من وقائع وصور وتعابير « نشيد الانشاد » مثلا : « .. هو ذا واقف وراء حائطنا يتطلع من الكوى .. » ( 2 : 9 ) « .. صوت حبيبي قارعا . افتحي لي يا اختي يا حبيبتي .. قد خلعت ثوبي فكيف البسه ، قد غسلت رجلي فكيف اوسخهما .. » ( 5 : 2 - 3 ) . او « كلهم قابضون سيوفا ومتعلمون الحرب .. » ( 3 : 8 ) .

المترجمة

ان المحب - وهو كما سيتضح فورا ، الراعي دموزي ، بالرغم من ان اسمه لا يذكر في اي مكان - لا بد ان يكون قد سمع بترحيب حبيبته بدعوته ، حيث اننا نجده ينشد فيما بعد :

اختي ساجلبها معي الى البيت ،

حملان جميلة كالنعاج

اجداء جميلة كالمعزات ،

حملان مليحة كالنعاج

اجداء حلوة كالمعزات ،

اختي ، ساجلبها معي الى البيت »(18) .

يلي هذا مقطع مؤلف مما يقارب ستة عشر بيتا محفوظة بصورة جزئية بحيث انه تصعب قراءتها . ثم نجد الحبيبة تتغنى منتشية بشعر حبيبها وهي تتوسل اليه ان يقربه من صدرها ،

« [ حبيبي ] لشعر[ه] لائق ،

[ حبيبي ] لشعر[ه] لائق ،

يا حلوي يا [ حبيبي ] لشعره[ه] لائق ،

كالنخلة [ حبيبي ] لشعر[ه] لائق ،

كالطرفاء [ حبيبي ] لشعر[ه] لائق ،

عرسي ، لشعر[ه] ذي الطبقات الست لائق ،

يا حلوي ، قربه لصدرنا(19)

يا اسدي المثقل بشعر[ه] ذي الطبقات الاربع

يا اخي يا ذا الوجه الاجمل قربه لصدرنا .

يلي هذا مقطع غامض به شروخ يبدو ان العريس يمجد فيه لحيته اللازوردية و ( ربما ) ممتلكاته الوافرة ، وعلى اية حال ، فان الزوجين يتوحدان بسعادة . وتنتهي القصيدة بالالهة وهي تبارك حبيبها :

« لتكن حاكما يجلب الايام السعيدة ،

لتكن عبدا يفيء الوجه ،

لتكن نحاسا ينير الايادي ،

18- يشير الكاتب بعد هذه الابيات الى ان النص اللاحق غامض نظرا الى ان هناك انتقالة في المتحدثين دون الكشف عن هويتهم . ولهذا السبب ولان تلك الابيات تبدو بعيدة نوعا عن نشيد الانشاد ، باستثناء ما هناك من تشابه في بعض السمات الاسلوبية كاستعمال تعابير الاخ والاخت ووجود فرقة المنشدات ( الكوراس ) فقد آثرت ترك المقاطع الشعرية القليلة اللاحقة . مع الاعتذار للقارىء .

المترجمة

19- ليس من الواضح لماذا استخدم هنا الضمير بصيغة الجمع وكذلك في السطر الاخير من هذا المقطع .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يا حبيب انليل ، ليجد قلب الهك الراحة فيك[20].
تعال في الليل ، ابق في الليل ،
تعال مع الشمس ، ابق مع الشمس ،
ليمهد الهك الطريق امامك
ليمهده حاملو السلال وحاملو الفؤوس امامك » .

من الموضوعات المفضلة في « نشيد الانشاد » نزول المحبين الى الحديقة ، البستان والحقل ، وهذا هو أيضا الموضوعة الرئيسة في عدد من القصائد السومرية من النمط الذي ربما كان يغنى في احتفال الزواج المقدس . وواحدة من تلك القصائد ، قصيدة محفوظة بصورة سيئة ، يفهم منها انها حوار بين الملك شولكي ، و « شقيقته الجميلة » انانا . تستهل القصيدة بالالهة وهي تشكو شحة النباتات ، فلا أحد يجلب لها ما تستحقه من عذوق التمر ، ولا توجد هناك حبوب في المخازن ، فيما يدعوها شولكي الى الحقول بهذه الكلمات :

« شقيقتي ، لحقلي ساذهب معك ،
شقيقتي الجميلة ، لحقلي ساذهب معك ،
لحقلي الكبير ، ساذهب معك ،
لحقلي الصغير ، ساذهب معك ،
الى حبوبي « المبكرة » المروية بمائها المبكر ،
الى حبوبي « المتاخرة » المروية بمائها المتاخر ،
هلا [ اخصبت ؟ ] حبوبه ،
هلا [ اخصبت ؟ ] حزمه » .

بعد كسر يغطي بضعة سطور ، نجد مقطعا ينتهي بالالهة وهي تأمر فلاحا ان يحرث حقول شولكي المجدبة . بعد ذلك يدعوها شولكي الى حديقته وبستانه :

« شقيقتي » ساذهب معك الى حديقتي[21]
.. ..
شقيقتي ، هلا [ اخصبت ؟ ] حديقتي ،
هلا [ اخصبت ؟ ] شجرة الايلداغ .
ساذهب معك الى بستاني [ ؟ ]
شقيقتي ساذهب معك الى شجرة تفاحي ،
لتكن .. شجرة التفاح في يدي .
شقيقتي ، ساذهب معك الى شجرة رماني ،
سازرع هناك [ ؟ ] العذب [ ؟ ] المغطى بالشهد ..
شقيقتي ، ساذهب معك الى حديقتي ،
شقيقتي الجميلة ، ساذهب معك الى حديقتي ،
مثل نباتات البستان[ ؟ ][22] ..

وفي قصيدة تنشدها انانا هناك مقطع اقرب في مضمونه ومزاجه الى السفر التوراتي . وهذا المقطع مكتوب على لوح طيني لم ينشر بعد موجود في المتحف البريطاني[23] تنشد انانا :

« لقد جاء بي اليها ، جاء بي اليها .
اخي جاء بي الى الخميلة
دموزي جاء بي الى الخميلة
بين الاشجار المنتصبة تمشيت [ ؟ ] معه ،
وقرب اشجارها الممتدة وقفت معه ،
عند شجرة تفاح انحنيت كما هو مناسب .
في حضرة اخي الذي جاء وهو ينشد ،
في حضرة السيد دموزي الذي جاء نحوي ،
الذي من ... الطرفاء جاء نحوي ،
الذي من ... عذوق التمر جاء نحوي ،
سكبت من رحمي زروعا
في حضرته وضعت زروعا ، في حضرته سكبت زروعا
في حضرته وضعت حبوبا، في حضرته سكبت حبوبا»[24]

20– لا شك ان الاشارة هنا الى الاله الخاص لدموزي .

21– من السمات البارزة في تركيب القصيدة السومرية تكرار بعض الابيات مع تحويرات طفيفة احيانا في بعض مفردات البيت المكرر . فهذا البيت مثلا يتكرر ثلاث مرات دون اي تحوير . لذا ، سأتجاوز الاسطر المكررة في ايما مقطع من هذه القصيدة او غيرها .

المترجمة

22– قارن هذا مع « نشيد الانشاد » . « حبيبي نزل الى جنته الى خمائل الطيب ليرعى في الجنان ويجمع السوسن » . ( 6 : 2 ) . « نزلت الى جنة الجوز لانظر الى خضر الوادي ولانظر هل اقعل الكرم هل نور الرمان » ( 6 : 11 ) . « تعال يا حبيبي لنخرج الى الحقل ولنبت في القرى . لنبكرن الى الكروم لننظر هل أزهر الكرم هل تفتح القعال هل نور الرمان » ( 7 : 11 – 12 ) .

23– يشير الكاتب في هامش له ان اللوح الطيني يحمل رقم(88318) في مجموعة الالواح الطينية في المتحف البريطاني ، وان من المقرر ان ينشر النص مع ترجمة له ، والبحث الذي أترجمه هنا كان قد نشر عام 1969 ، وليس لدي علم ما اذا كان النص وترجمته قد نشرا أم لا .

المترجمة

24– ليكون التقارب واضحا بين النشيدين السومري والعبري وخاصة من ناحية الاجواء التي تكتنفهما والتعابير الايحائية التي تحمل مضامينهما،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ليست الحديقة وحدها هي التى تباركها انانا بحضورها ، وانما هي تبارك ايضا المربط وحظيرة الغنم . وهناك قصيدة تصور الالهة وهي قادمة الى الحظيرة ، حيث يقول الشاعر :

« الراعي الامين ذو الاغاني العذبة ،
سينشد لك اغنية مدوية [ ؟ ](25)
ايتها الملكة الجليلة يا من تجعلين كل شيء حلوا ،
انانا ، انها ستجلب البهجة لقلبك .

ايتها الملكة الجليلة ، حين تدخلين الحظيرة ،
انانا ، تبتهج الحظيرة بك ،
يا عبدة الهيكل ، حين تدخلين الحظيرة ،
تبتهج الحظيرة بك .. ،
الحظيرة المقدسة تمتليء بسببك قشدة ،
في الحظيرة هناك ابتهاج(26) ،
.. ..

« لان المحبة قوية كالموت ، الغيرة قاسية كالهاوية »

هكذا يتأمل شاعر « نشيد الانشاد » ، وهو في حالة من اكثر الحالات اكتئابا . وبطريقة ما ، فان هذا يعكس اصداء النهاية المرة لقصة حب دموزي ــ انانا التي تبدأ بمنتهى السعادة والبهجة وتنتهي بموت مأساوي . اما كيف يحدث هذا فانه يروى في واحدة من اكثر اساطير سومر الخيالية تعقيدا .. هذا المصير الحالك الذي لا يرحم ، والذي ينتظر المحب ، تتنبأ به الالهة في قصيدة تربط ما بين الحب والموت برباط لا ينفصم . تبدأ القصيدة بالمحب الذي يبدو انه غير مدرك مصيره الحتمي ــ وهو يترنم فرحا بالبهجة التي تثيرها عيون حبيبته وفمها وشفتاها وذوقها المترف :

.. .. ..
.. .. ..
« يا .. خمرتي [ ؟ ] يا .. شهدي [ ؟ ] يا سلوتي [ ؟ ] امها ،
عيناك ــ نظرتهما تبهجني ، تعالي يا اختي الحبيبة(27) ،
فمك ــ كلماته المرحبة تبهجني ، يا سلوتي [ ؟ ] امها ،
شفتاك ــ لمستهما للصدر تبهجني ، تعالي الآن يا اختي الحبيبة
اختي ، حبوبك ــ بيرتها لذيذة ، يا سلوتي [ ؟ ] امها ،
اعشابك ــ عصيرها [ ؟ ] لذيذ ، تعالي يا اختي الحبيبة ،
في بيتك ، ترفك يبهجني ، يا سلوتي [ ؟ ] امها ،
اختي ، ثراؤك يبهجني ، تعالي الآن يا اختي الحبيبة ،
بيتك بيت ثابت .. ، يا سلوتي [ ؟ ] امها »(28) .

قد يكون من المفيد ان نذكر هنا ، وحيثما يكون ملائما ، ببعض ابيات نشيد الانشاد التي تبدو وكانها تستعير من المؤلف السومري ــ ربما بشيء من الخجل ــ ارضا تقف عليها . فهذا المقطع السومري حيث تمنح انانا حبها لدموزي ، نجد ما يوازيه فكرة ومعنى وتعبيرا في غير موضع من نشيد الانشاد . وكمثال على ذلك انظر الهامش (22) اعلاه ، مع ملاحظة البيت التالي الذي يلي السطر الاخير اي رقم (12) ــ هناك اعطيك حبي » .

المترجمة

25ــ قارن هذا بما يلي : « صوت حبيبي . هو ذا آت طافرا على الجبال قافزا على التلال » ( 2 : 8 ) . « انا نائمة وقلبي مستيقظ . صوت حبيبي قارعا . »( 5 : 2 )

المترجمة

26ــ قارن هذه الابيات بهذا البيت من نشيد الانشاد :
« ما دام الملك في مجلسه افاح ناردينى رائحته » ( 1 : 12 ) .

المترجمة

ملاحظة : لقد اهملت ترجمة الجزء اللاحق من الدراسة ــ حوالي صفحتين ونصف ــ نظرا الى انه بعيد نوعا من نشيد الانشاد ، كما ان الترجمة الى الانكليزية ، كما يتضح مما يقوله الكاتب ، غير موثوقة لغموض بعض اجزاء النص السومري وصعوبته .

المترجمة

27ــ يذكرنا هذا البيت بما يرد في نشيد الانشاد :
قد سبيت قلبي يا اختي العروس قد سبيت قلبي باحدى عينيك ...
( 4 : 9 )
حولي عني عينيك فانهما قد غلبتاني ( 6 : 5 ) .

المترجمة

28ــ بعد هذه الابيات تنشد انانا مقطعا تختم فيه مصير دموزي بالموت ( الموسمي ) . وحيث ان الجزء اللاحق من النشيد السومري بعيد عن « نشيد الانشاد » في محتواه ومعانيه فانني لم اجد مبررا لترجمته هنا طالما كنا نبحث عن التقارب او التشابه بين المؤلفين . غير انه لا بد ان نتذكر ان السطر الاخير من الاصحاح الثامن : « اهرب يا حبيبي وكن كالظبي او كغفر الايائل على جبال الاطياب » يثير في الذهن جملة اسئلة : لماذا تطلب الحبيبة بعد كل الحب الذي كان بينهما في الاصحاحات السبعة السابقة ، وفي هذا الاصحاح ايضا ، الى حبيبها ان يهرب ؟ هل كان الشاعر العبري يفكر بالمصير الذي آل اليه دموزي ، وهو يكتب نشيد الانشاد ؟

ان الغموض الذي يكتنف « نشيد الانشاد » سيترك هذه الاسئلة وغيرها دون جواب .

لكن .. هل لنا ان نامل في ان يبدد المستقبل هذا الغموض بما قد يكشف عنه من الواح جديدة تتعلق بالنشيد السومري ؟!

بديعة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.co

# دون كيخوت ودون جوان

**لقد خلق الادب الاسباني في القرن السابع عشر شخصيتي دون كيخوت ودون جوان اللتين دخلتا بصورة دائمة الى كنز الثقافة الغربية . وفي تاريخ الآداب الاوربية تحتل هاتان الشخصيتان مكانا ليس بالاعتيادي . ورغم ان الادب خلق ابطالا كثيرين امثال سوريل وراسكولنكوف وانا كارنينا وبيكويك، نعاملهم كاناس نعيش معهم في علاقات حميمة اقوى من علاقاتنا مع الناس الاخرين الذين هم من لحم ودم ، الا اننا لا نقدر على وضعهم على المستوى نفسه مع دون كيخوت أو دون جوان . ذلك ان هذين الاخيرين هما من نوع الناس ـ الاساطير الذين اصبحوا رموزا لمواقف وجودية معينة تعكس وضع الانسان ازاء العالم والمجتمع بل وضع الكائن البشري في الوجود عامة ، وعكس الشخصيات الاخرى ، مثل كارنينا ، لا تهمنا بكثير في دون كيخوت ودون جوان ، الملامح الفردية والنفسية او القيم الشخصية المتفردة بل يجلب انتباهنا قبل كل شيء موقفهما من الواقع . وفي الصف نفسه يمكن ان نضع هاملت وفاوست . الا ان هناك شخوصا قلائل صنعها الادب الاوربي خلال قرون من تاريخه ، يمكن ان نضيفها الى هذا الصف .**

**ـ 1 ـ**

وليس بصدفة ان جميع اللغات الاوربية تحوي اصطلاحات مستمدة من اسمي الفارس الكثيب والغاوي من اشبيلية . فصفة الدونكيخوتية تحدد ذلك الموقف المتميز للانسان ازاء الواقع والآخرين والنفس ، ازاء اعمق مضمون للوجود لبشري . ان معنى الصفتين ( الدونكيخوتية والدونجوانية) يوفر التعريف لسلوك وافكار واراء الناس باتجاهات حددت مرة والى الابد ، من خلال تصرفات وافكار واراء النماذج الادبية الاصلية. ان المشكلة لكامل اجيال المؤرخين والفلاسفة والمفكرين هي تفسير الدون كيخوتية او الدون جوانية وليست تفسير شخصية دون كيخوت أو دون جوان . ونرى هنا كيف ان حقل الادب ، اي كل ما هو تصويري يرتبط بصورة وثيقة بالواقع الامبيري خالقا ، في اطر ثقافة معينة ، دائرة مغلقة للعالم البشري .

ويمكن ان يبدو ظاهريا فقط ان هناك صلة بين الشخصيتين عدا حقيقة ولادتهما في العصر والمنطقة الثقافية والوطنية نفسها . ان مهمة هذا البحث هي ايضا اظهار ان الشخصيتين تمثلان موقفين متشابهين يمكن تسميتهما بالتمرد المطلق ضد الواقع القائم رغم ان هذا التمرد للاثنين يمضي باتجاهين متعارضين ويخضع لرؤيتين متباينتين للعالم ، تسعيان الى اهداف مختلفة تماما . واذا كان حقيقة ان صفة الانسان الحديث المتكون في نطاق الثقافة الاوربية هي التمرد ضد اشكال الواقع الموروثة ، ضد النظام الاجتماعي القائم وضد الوضع البشري عامة فان دون كيخوت ودون جوان هما لا شك اوائل الناس الحديثين . ان الشهرة المتاخرة لهاتين الشخصيتين متاتية لحد كبير من انهما بالذات قد مهدا طريق التمرد الذي دخله الانسان الحديث .

وقبل الانتقال الى التاملات المفصلة لننتبه الى ملامح معينة تميز الخلق الادبي لدى سرفانتس عن شخصية غاوي اشبيلية . فبالقدر الذي اصبح فيه دون جوان موضوع الكثير من التجسيدات وقبل كل شيء في الدراما والشعر والموسيقى وبقدر ما اصبح لكل عصر ادبي دون جوانه ، يكتب بالفشل على جميع التجسيدات أو الصياغات لدون كيخوت بسبب ضحالتها وانتمائها الى الدرجة الثانية . ان شخصية الفارس الكثيب هي كما لو انها تجمدت مرة والى الابد في تلك الرؤية السرفانتسية العبقرية . ان دون كيخوت هو بالدرجة الاولى موضوع التفسير في حين ان دون جوان هو مادة تصلح باستمرار الى تاليفات ادبية جديدة . ولربما اعتمدت هذه الظاهرة على طبيعة التمرد ذاتها . فتجسيد التمرد هو هاتان الشخصيتان كلتاهما .

**ـ 2 ـ**

معلوم عامة ان غرض سرفانتس من كتابة دون كيخوت هو السخرية من قصص الفرسان التي كانت شائعة للغاية في ذلك العصر في اوربا الغربية كلها تقريبا وخاصة في اسبانيا. ومهما فسر هذا الامر اصل الرواية فهو لا يساعد على فهم عظمة مؤلف سرفانتس وجوهر الدونكيخوتية نفسه . والاكثر من ذلك فان الثقة المفرطة بهذا التفسير المتعلق باصل المؤلف يقود الى معضلة اصبحت منذ بدايات القرن التاسع عشر موضع الخلاف الشديد بين جميع مفسري ودارسي ادب سرفانتس . وكانت الصياغة الاكثر اقتضابا لهذه المعضلة قد جاءت على لسان مارثي روبرت ( اما ان تكون واقعية سرفانتس حقيقية وحينها يكون دون كيخوت مدانا تماما اذ انه مجرد معتوه مضحك لا فائدة ترجى منه ويمكن ان يصبح خطرا بسبب التضخم الحاصل في طبيعته الطيفية واما ان دون كيخوت يملك الحق حين فرض مثاله الروحي الرفيع على الواقع الغبي الذي يحيطه ، واذا كانت الحال هكذا ، ينبغي حينها ملاحظة انه قديس اضحوكة من نوع خاص واما ان سرفانتس سجين العقل المحدود بشكل يثير الشفقة اذ لم يفهم اي شيء من عظمة نتاج خياله ) . ان مفهوم دون كيخوت كشخصية تراجيدية ، ك ( قديس اضحوكة ) لم يحركه الا الرومانتيكيون . ولغاية اليوم يملك هذا المفهوم كامل الاهمية بين مفسري

## سيزاري روفينسكي / ترجمة عدنان المبارك

هذه الرواية العظيمة . اذن لا غرابة في ان نفور اصحاب هذا المفهوم يرجع ضد سرفانتس وخاصة انه بذاته كان يسخر بلا انقطاع في مؤلفه من دون كيخوت . وتبقى اذن النظرية التي تظهر سرفانتس كعبقري رغم ارادته ، لا يفهم اي شيء من عمق دون كيخوت ونبله معرضا اياه الى الضحك وسخرية الرعاع . وهذه النظرية تبلغ الذروة في كتاب المفكر الاسباني الكبير ميجويل دى اونامونو الذي كتب من جديد تاريخ دون كيخوت وسانشوبانزا كي ينصف الفارس الكئيب ويمنح العمق للافكار ونبل الشاعر الذي يدركه المؤلف الاصلي . ويصبح هذا الموقف متطرفا على يد سيزاره دى لوليس في كتابه الصادر في روما في عام 1924 ( سرفانتس رجعيا ) . يرى هذا المؤلف في دون كيخوت النموذج الاولى للثوري النبيل والرفيع الذي كتب سرفانتس ( المتحجر في رجعيته هجاء مسموما ضده في روايته ) . ولنضف ان مفاهيم دى لوليس لا تملك اي سند في سيرة سرفانتس بل هي مجرد تتويج لذلك التعلق الرومانتيكي المطلق بدون كيخوت والذي يثير في الاحوال المتطرفة العداء لخالق هذه الشخصية الهازيء . ولقد حاول اورتيجادي غاسيت الخروج من الزقاق المقفل للتفسير الرومانتيكي لدون كيخوت في مؤلفه المثير ( تاملات حول دون كيخوت ) حيث عرض احداث الفارس الكئيب كجهد لسرفانتس ينحو صوب التغلب على التناقض الدائم بين الاشكال المحدودة للعقل وقوى الحياة التي لا يكبح جماحها .

وفي جميع الاحوال علينا القول انه عدا المعضلة الانفة الذكر وفق صياغة ماري روبرت والتي يكمن عند اسسها التفسير الرومانتيكي لدون كيخوت هناك سوء فهم كبير فحواه الحكم على سرفانتس بمثل هذه المحدودية البالغة الحجم والقاضية بان كامل عمق الرواية قد جاء بصورة اعتباطية وبمعزل عن نية المؤلف . ان مؤلف دون كيخوت لم يكن عبقريا رغم ارادته وغير مدرك للامر أو كانه حين وضع مؤلفه فقد منحه آفاقا وابعادا غير معروفة وعمقا لا ينتهي . والحقيقة نفسها ان سرفانتس علق على مؤلفه تلك الاهمية الكبيرة تشهد على ان هذا المؤلف لم يكن بالنسبة له مجرد سخرية من روايات الفرسان . فهو يكتب في احد فصول الرواية ( اتكهن انه سوف لن يكون هناك شعب أو لغة لا يترجم اليها الكتاب ). ولابد ان الامر يحتاج الى سذاجة طفولية كي يؤمن المرء ان السخرية البسيطة والمرة من روايات الفرسان فتحت امام كتاب سرفانتس ابواب الشهرة الخالدة . ونحن نعلم جيدا كم كان سرفانتس واقعيا ويقظا وناقدا .

ان المشكلة هي في امر اخر ، كان سرفانتس احد الكتاب الاوائل في الادب الاوربي والذي عرف كيف يفكر وفق مقاييس الديالكتيك الحديث وقبل ان تصاغ مبادىء هذا الديالكتيك في حقل الفلسفة . فهو يمسك بالواقع الانساني ككل مشحون بالتناقضات التي تتعايش في اطره . والى جانب دون كيخوت الرفيع يضع سرفانتس سانشو بانزا المدرك للامور العادية والذي اصبح مادة الاضحاك اكبر مما هي عند دون كيخوت . ان دون كيخوت وسانشو بانزا يظهران كنقيضين في تطور الواقع لا يقدر احدهما على الوجود بدون الآخر ، رغم انهما في نزاع لا يتوقف . ان هاتين الشخصيتين تجسدان نوعين من العجز ازاء الواقع الذي يطالب بالتغيرات وباتجاه جديد للتطور . وهذان الموقفان تعرضا للاضحاك على يد سرفانتس ذلك انهما يعبران عن العجز ذاته ازاء العالم . الا ان دون كيخوت شان سانشو بانزا ليس باضحوكة حتى النهاية . ففي اندفاعه الهزؤ المخرّب اكتشف سرفانتس فيهما ايضا بذرة القوة الغامضة التي تجعلهما غير عاجزين تماما ازاء العالم . ان دون كيخوت هو مضحك ، لدى سرفانتس ، وموضع هزء في افعاله وليس في نياته تماما كما يكون سانشو بانزا مضحكا في محدوديته وسلبيته وليس في وضعه البشري . ويمكن القول ان الكاتب يجلد دون كيخوت بسبب عدم ادراك الثاني للواقع ككل ، كقوة تقاوم النشاط البشري وبسبب ان الوهم يمتزج بلا انقطاع في مادة العالم الصلبة . لذلك يرى شخصيتيه والواقع المحيط بهما كعقدة ضخمة للتناقضات التي لا يستثني بعضها البعض بل تخلق جوهر العالم .

ان هذه النظرة المجددة للواقع لم تسمح لمعاصري سرفانتس ادراك جوهر فكره . ولهذا وجدوا فيه مجرد ممراح يتسلى بالمحاكاة الساخرة لقصص الفرسان . والانكى انه كان كاتبا لا يتقيد بمبادىء ذوق عصره وهكذا لم يكن امرا غير اعتيادي ان اصحاب « الذوق الرفيع » في عصره قد وضعوه في الصنف التالي : عقل بدون ثقافة لكنه الاكثر مرحا في اسبانيا . وصورة الكاتب هذه ما زالت ليومنا هذا . الا ان سرفانتس ينتمي الى صنف العقول الكبيرة التي ، شأن شكسبير ، لم تعرف مدارس الذوق الجيد أو البلاطات أو الصالونات بل مدرسة الحياة القاسية وفي اغلب الاحوال ، في قعرها . وبفضل عبقريتهم فتحوا امام البشرية مثل هذه الافاق الواسعة ولدرجة ان الاجيال الحالية شان الاجيال القادمة غير قادرة على فهمهم ككل .

### - 3 -

ان الوضع الاقتصادي ـ الاجتماعي في اسبانيا منذ النصف الثاني من القرن السادس عشر اي في العصر الذي انجب دون كيخوت كان ذا طابع خاص . فحين دخلت اوربا ، وقبل كل شيء انكلترا ، طريق التطور الرأسمالي الحديث كانت اسبانيا تقف في مكانها وعيونها مصوبة الى الماضي . كان باقيا فيها بريق الروعة الخارجية الا ان قوتها الاكثر حيوية تبدو كما لو انها تعرضت للشلل . ويقدم لويس دى ليون الوضع بهذه الصورة ( ان مثال اسبانيا القرن السابع عشر هو الاكثر نموذجية . فهي قد أختارت شرف طبقة صغار النبلاء ورفضت بعناد الرأسمالية التي ولدت في مكان اخر في اوربا . ان انتصار ( المسيحيين القدامى ) كان يعني احتقار ( روح الربح ) . ان الحرفيين والتجار واليهود الذين يمثلون جوهر بورجوازية المدن الاسبانية قد دحروا بعد فشل تمرد مدن القسطل في عام 1520 . وبعدها اصبح المجتمع الاسباني غارقا بالديون بسبب توقف الانتاج . لقد كنوا الاحتقار للحياة التجارية سواء ، كانت التسمية تخص التاجر الفقير أو المصرفي ذا الجبروت أو الحرفي أو الصانع اليدوي وبعبارة أخرى تخص جميع الناس الذين باعوا عملهم وفنهم أو فكرهم .. ان المتسولين ، شان النبلاء ، سعوا الى حياة الفراغ ، الاوائل في التسول والاخرون في طبقة النبلاء الصغار . ويخمن مؤرخ اخر انه في بداية القرن السابع عشر كان هناك شخص واحد يعمل بين كل ثمانية اشخاص في سن العمل . ويقول بول هازار ( النبيل لم يعمل ، وفكرة ان يعمل هي غريبة تماما عليه وهي ليست على النقيض من كرامته فقط بل بكامل وجوده ، الشرف يدعوه لأن لا يعمل اي شيء ... وبين الطبقات العليا من المجتمع توجد مظاهر الرفاهية ذلك بفضل الذهب القادم من امريكا اما في هيكل المجتمع فتجرى تحولات عنيفة : البعض يصيبه الفقر سريعا والاخر يغتني للغاية والثالث يغرق بالديون بينما تختفي الحرف والتجارة وتتدهور المدن بوتائر سريعة ويلحق البؤس بجماهير الشعب . ان نسبة الشحاذين كبيرة ولا مثيل لها في اي بلد اوربي اخر وفي اي عهد. ان اسبانيا باحتقارها ولا مبالاتها للاتجاهات الجديدة التي ولدت في اوربا ، وانعدام الواقعية فيها والانسحار المطلق بالماضي ، تذكر لدرجة

ARCHIVE http://archivebeta.sakhrit.com

كبيرة بدون كيخوت ) . والان بيرفيت لاحظ عن حق بانه في اسبانيا القرن السابع عشر حل دون كيخوت محل الغزاة الاسبان لامريكا .

وكما قلنا فان سرفانتس كان انسانا من الطبقات الدنيا الا انه انسان عرف العالم ومراقب حاد النظر ، وافادته خبرته كجندي ، ولربما ادرك بصورة افضل من الاخرين ، الوضع الحقيقي لاسبانيا على خلفية التيارات الجديدة في اوربا . ومن هذه المراقبة والادراك ولدت روايته العظيمة . ان السخرية من قصص الفرسان هي ، لدى سرفانتس مجرد حجة ونقطة انطلاق ، فقبل سرفانتس بكثير كانت رواية الفرسان موضع الاضحاكوالتقليد الساخر ويكفي انذكر هنا قصيدة لويجي بولجي التي ظهرتقبل (دونكيخوت) بـ 120سنة أو غيرها من المؤلفات التيلم تكتسب رغم كمالها الفني اهمية مؤلف سرفانتس ووزنه ، ان غنى المعاني الهائل لدون كيخوت لا يمكن بحال من الاحوال ان يعامل على مستوى السخرية والهزؤ .

## - 4 -

يقدم بول هازار هذه الواقعة الطريفة : يقول احد المؤرخين ان فيليب الثالث الذي كان واقفا في أحد الايام في شرفة قصره فراى طالبا يقرأ كتابا وينفجر بالضحك من حين الى آخر ، وقال الملك ( اما ان يكون مجنونا او انه يقرأ قصة دون كيخوت ) ، وتبين بعدها ان الطالب كان يقرأ دون كيخوت . ان اسبانيا التي عاصرها سرفانتس قد ضحكت بصوت عال من مغامرات الفارس الكئيب الا انها لم تجد فيها مجرد سخرية عابرة او مؤلفا يقصد اضحاك القراء وتسليتهم ، فلا شك ان الضحكة تجمد على الشفاه لو ادركوا ان دون كيخوت هو انعكاس صادق لاسبانيا قبيل الغفوة والجمود اللذين استمرا بضعة قرون . كذلك وجد القرن الثامن عشر في دون كيخوت هجوا مرحا الا انه قدّرها لأسباب اخرى ، كان دون كيخوت انذاك نموذج الانسان الذي نبذ العقل والايمان بالتقدم حيث بحث عن نماذج في ظلام العصر الوسيط البربري وخرافاته كي يبدأ الحرب ضد روح العصر ، لقد اصبح تجسيدا للخرافات والعقائد البالية والايمان الجنوني الذي لا يبحث عن سند له في العقل ، ان انسان عصر التنوير قد تضامن مع ضحك سرفانتس والذي ينزل كالسياط على جنون الفارس الضائع ، وقد فسر مؤلفه كشيء من ملحمة بطولية ـ كوميدية .

ان الرومانتيكيين وخاصة الالمان منهم قد اكتشفوا دون كيخوت آخر ، فبالنسبة لهم يكون مؤلف سرفانتس هو ( اكثر كتب العالم حزنا )، وفرديك شليجل وفلهلم شليجل وتييك وشيلنج يؤكدون على هذا التفسير الخاص بدون كيخوت ، لقد فهموا مؤلف سرفانتس كرواية ترمز الى الكفاح الخالد بين المثالية والواقعية ، بين منطقة الافكار الرفيعة واليومي العادي ، بين الشعر والمادية السوقية ، بين سمو الروح والنفعية ، فسرفانتس الى جانب شكسبير هو الذي قدم الحياة بجوهرها كما وجده يعتمد على صراع المثالي مع الواقع والخير مع الشر ، وكتب شيلنج : ( في الوقت الذي وجدت فيه العقول العادية ، في الرواية فرصة لرسم السخرية في حدود نوع خاص من الجنون ، فان سرفانتس اظهر بالاساس فيها صورة للحياة هي الاكثر شمولية وعمقا وتلوينا ) . ان ضحكة سرفانتس كانت بالنسبة لهم مؤلمة ذلك انه اصاب في الصميم اعز افكار الرومانتيكيين ، وهكذا في سعيهم الى التوفيق بين المؤلف وعمله ، وجدوا في دون كيخوت ، وفي اغلب الاحوال ، عملا فذا من اعمال السخرية المدركة بطريقة رومانتيكية نموذجية .

ان الانعطاف الجوهري في التفسيرات الرومانتيكية يحققه هيجل في ( الاستيتيكا ) ، فدون كيخوت لديه رواية اجتماعية وفلسفية قبل كل شيء لكن بمعنى آخر يخالف المعنى الذي ادركه الرومانتيكيون المبكرون ، وبالنسبة لهيجل كان العصر الوسيط عصر الابطال الاحرار والاقوياء والفروسية الساعية الى تحقيق افكارها الخاصة التي لا ترتبط بخير عموم الناس . ان هذا الموقف قد دحر تماما في العصور الجديدة فعصر دون كيخوت هو فترة المجتمع المنظم والخاضع لاهداف عليا ، واحلام دون كيخوت هي نتيجة موقفه الذاتي وعدم فهمه لعصره وللتاريخ والروح الموضوعية . ان جهود ( فارس لامانشا ) لابد ان تتحول الى اراجيز ، فهو يريد ان يحول المجرى الموضوعي للتاريخ ، ورغم انه ودود ونبيل كانسان فان اعماله لابد ان تبدو مضحكة وجنونية ذلك ان جذورها تكمن في الموقف الذاتي الصرف لهذه الشخصية التي تتوهم بانها يمكن ان ترتفع فوق التاريخ وروحه .

## - 5 -

ان تفسير هيجل مهما ابتعد عن افاق التفكير الرومانتيكي ، لم يتقبله ابدا الاساتذة المتخصصون بسرفانتس ، وينبغي التاكيد هنا بأن تفسير هيجل يملك التحليلات الاكثر صوابا من غيرها ، وكما قلنا كان دون كيخوت انسانا متمردا ضد واقع زمانه . لا يريد ان يعيش مع اسبانيا عصره التي حاولنا تقديم صورة لها في مقالتنا هذه . ان دون كيخوت كقارئ مولع بقصص الفرسان وهو يحاول ان يتصور على اساسها نموذجا معينا للحياة ، يسعى الى تحقيقه بدون ابطاء . وفي عقل دون كيخوت تولد طوبائية ، ولنقل بدقة اكبر ، ( طوبائية محافظة ) ذلك انها قد شكلت وفق نموذج صور الماضي وهدفها هو اعادة تشييد رؤيا خيالية للماضي في اوقات الحاضر . ولنضف بانها صورة ورؤى مبسطة ومحولة بطريقة رديئة ، الى مثاليات ، فمصدرها يوجد في التصورات البدائية الساذجة عن العصر الوسيط والتي اشاعتها قصص الفرسان . وهكذا فدون كيخوت يقوم بجهد عقيم لأرجاع عجلة التاريخ الى الوراء ووقف مسيرته والاخذ بافكار في الحياة هي ليست افكار ذلك العصر .

ان طوبائية دون كيخوت ، شان كل طوبائية تنبع من اللاقناعة العميقة بالواقع القائم ، الا انها وعلى الضد من طوبائية القرن الثامن عشر ، محرومة تماما من الاهتمام بالقضايا الاقتصادية . وتكمن في ذلك حقيقة ان دون كيخوت هو نتاج نموذجي لوسطه وعصره حيث يعيش في عالم الافكار الاخلاقية المجردة لنبلاء القوم التي كانت امورا غير مفهومة او مدركة لديها مسائل العمل والاقتصاد . وهكذا فان تمرد دون كيخوت يستمد طاقته من مصادر ارادته الذاتية فحسب ، في حين يحصل التوافق النموذجي في روحه بين اخلاقية او افكار الشرف الخاصة بفروسية العصر الوسيط وبين اخلاقية الشرف وافكاره عند نبلاء القوم .

وشان كل طوباني لا يقيم دون كيخوت وزنا لتكنيك ادخال مشروعه الطوباني الى الحياة . ويبدو له ان ارادته الفردية التي يسندها ، من تحت ، الايمان العميق ، ينبغي ان تفرض نفسها على الواقع . ان الطوبائي دون كيخوت هو مؤمن بعمق بان الايمان يحرك الجبل وان بين الارادة الانسانية والعالم يوجد انسجام مسبق يمكن ازاحة الستار عنه بجهد فردي وارادة فرد واحد . وهذه الصفة يؤكد عليها ميجويل دي اونامونو في كتابه حيث يقول الفارس الكئيب : الايمان يا صديقي سانشو هو الانتماء ليس الى نظرية او فكرة ما بل الى شيء حي الى انسان فعلي او مثالي . انه القدرة على اثارة الاعجاب والثقة . )

ان دون كيخوت يشاطر ابناء وسطه الاشمئزاز من عالم راس المال والتكنيك والعمل والتجارة والمالية . وتمرده يولد من شعوره بأن هذا العالم اخذ ينتصر والقوة المكافئة له يجدها في الافكار التجريدية عن الفضيلة والنبل والشرف التي كان فردوسها المفقود عصرا وسيطا لم تحدد صورته بوضوح او عصرا ذهبيا يضعه دون كيخوت في الماضي وليس كما فعل طوبائيو القرن الثامن عشر . ان صراع دون كيخوت يصبح صراعا من اجل اعادة بناء العصر الذهبي في اوربا الراسمالية النامية التي كانت قد دخلت مرحلة التصنيع المبكرة .. في اوربا العقلانية والبورجوازية الصاعدة التي تكون مثلها الحياتية والاخلاقية على نقيض تام من افكار نبلاء القوم وبينهم دون كيخوت . ومن وراء ظهر دون كيخوت الطوباني المحافظ والفنطازي والحالم يقف الواقعي الصاحي والديالكتيكي والعقلاني ـ سرفانتس الذي يسخر في روايته ويشهر بالطوبائية وحياة الوهم وعالم تصورات بطله . ان سرفانتس غير راض ايضا عن واقع اسبانيا التي عاصرها الا انه يعلم بعدم امتلاكه لاي وسائط بمكنتها ان تغير اسبانيا كذلك يعلم ان طوبائية دون كيخوت هي اسوأ من ذلك الواقع فهي نداء الى المستحيل ، اي شيء زائف رغم انه جميل ونبيل . انها امر غير مثمر او مجد تماما كرفع المطرقة بوجه الشمس . ان سرفانتس كما قلنا ، يسخر من دون كيخوت وسانشو بانزا ايضا الا ان هذا الهزء ليس مطلقا ، فهو يدرك وعلى حد تعبير بول هازار ( ان العالم يمكن ان يضيع لو كان جميع الناس على شاكلة دون كيخوت ولكن سيكون ضائعا بالتأكيد لو لم يكن بيننا دون كيخوت ) . ان دون كيخوت يبقي للبشرية املا ما وليس بروحه المحافظة بل بطوبائيته ، لم يكن يتركه اي سانشو بانزا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

– 6 –

لقد عثر الرومانتيكيون وخاصة من الفترة المبكرة ، في دون كيخوت على صورة لهم . ومن هنا انسحارهم بشخصية الفارس الضائع . ان هؤلاء المتمردين ضد واقع زمانهم قد توجهوا بأبصارهم نحو الماضي نحو العصر الوسيط الغارب الذي جعلوه مثاليا ، شان دون كيخوت ، وبطريقة لا تجد لها اي سند في علم التاريخ . ان الافكار المثالية التجريدية للفضيلة والخير والجمال والعدل اصبحت عندهم مادة صنعوا منها طوبائيتهم التي لا تضع في الحساب الوضع السياسي والاجتماعي والاقتصادي الراهن . وهم شان دون كيخوت ارادوا حشر الواقع التاريخي في قشرة الطوبائية التي اخذت نماذجها من الصورة المثالية للماضي البعيد . وشان دون كيخوت ايضا لم يعرفوا جيدا كيف يقوموا بذلك مدعين ان الايمان والارادة القوية تكفيان فحسب لأخضاع الواقع الصلد والعنيد . وهنا عثروا على مصادر التعارضات الرومانتيكية بين المثال والواقع وعالم التصور والحياة اليومية ، والنظرية الرومانتيكية . ووجدت هذه النظرية الرومانتيكية لهذين العالمين ، التبرير النظري في التفرقة الكانتية بين الظاهرة والشيء في ذاته او في المعارضة الفيختية بين ال ( انا ) وغير الانا . ان جميع هذه الافكار والمواقف وجدوها في دون كيخوت حيث فسروا هذه الشخصية السرفانتسية لغرض ادراك موقفهم الخاص . ولهذا السبب بدا لهم دون كيخوت بطلا تراجيديا ورواية سرفانتس اكثر كتب العالم حزنا ) . ويمكن المجازفة بالقول ان الرومانتيكيين المبكرين وفي مقدمتهم رومانتيكيو المانيا حيث ولدت العبادة الرومانتيكية لدون كيخوت كذلك في فرنسا وانكلترا ، كانوا متمسكين بالتقاليد لدرجة انهم كفوا عن ان يكونوا ثوريين فتطلعهم الى الماضي المثالي دفعهم لا محالة الى الوقوف ضد الواقع القائم ..

ان الرومانتيكيين المبكرين امثال الاخوين شليجل وتييك وشيلنج وبوتيرفيرك قد طرحوا تفسيراتهم الخاصة مانحين الفارس الكئيب ودا مطلقا وواجدين في مغامراته انعكاسا لخيبتهم وفشلهم . الا انه مع تطور الرومانتيكية اختلفت هذه المواقف . وكما يشير جي. اى. برتراند في دراسته عن قبول الرومانتيكية الالمانية لسرفانتس ، فان الجناح الصوفي للرومانتيكية لم يكترث كثيرا لسرفانتس بل لكالديرون في حين ان رجالا امثال « هيجل » أو « هاينه » وجدوا في دون كيخوت رواية اجتماعية مغروزة بعمق في واقع عصرها ، وبالنسبة لهم لم يكن دون كيخوت شخصية محبوبة بشكل مطلق او كونها تراجيدية ومحزنة كما اراد ان يراها « تييك » و « الاخوان شليجل » أو « بوترفيك » . الا ان الفهم الرومانتيكي لدون كيخوت كان له ولغاية اليوم ، مناصرون كثار . والامر المميز هنا هو موقف دوستويفسكي . فهذا الكاتب الروسي الكبير كتب في ( يومياته ) عن رواية سرفانتس : لا ينسى الانسان حين يقف امام يوم الحساب الاخير ان يأخذ معه هذا الكتاب الاكثر حزنا والذي يشهد على ما كان عليه السر الاكثر عمقا ، السر المهلك للانسان والبشرية ) . ان مؤلف ( الاخوة كارامازوف ) قد انتزع ، لا محالة ، من دون كيخوت طوبائيته اللامهادنة وتطلعه المهووس الى الماضي ، واستحالة قبول نزعات العصر الجديدة . وفي الوقت نفسه كتب دوستويفسكي عن خاتمة دون كيخوت بان هذا الفنطازي اكتشف فجاة الحنين الى الواقعية . وهنا يتعرض الكاتب الروسي الى نقطة هامة للغاية في حياة دون كيخوت . فهذا الطوباني الذي يكتشف في لحظة معينة ، ذلك الحنين الى الواقعية وبدون ان ينبذ طوبائيته ، يصبح خطرا حقيقيا على البشرية . الم يكن فيرخوفينسكي او ستافروجين طوبائيا احس بالنوستالجيا ازاء الواقعية ؟ وقد يكون لحسن الحظ ان دون كيخوت احس بذلك الحنين حين كان على فراش الموت .

ان ذروة التفسير الرومانتيكي للفارس الضائع كان كتاب ميجويل دى اونامونو ( دون كيخوت وسانشو بانزا ) والذي ظهر في بداية القرن العشرين . وبتلك العاطفة المتوقدة التي يتميز بها اونامونو قدم لنا دون كيخوت كمناضل عنيد من أجل الحقيقة والخير والعدل والحرية . وفي كتاب اخر يقدم هذه الرؤية لبطل سرفانتس ، دون كيخوت يموت ويدخل الى الجحيم . وهناك يهشم رمحه الاقفال ، كي يحرر المحكومين تماما كما حرر مرة قافلة السجناء على الارض . انه يغلق البوابة وينتزع الرقعة المكتوبة التي رآها دانتي هناك ويضع اخرى : ( ليعش الامل ) . وحين يخرجه المحررون ـ بفتح الراء الاولى ـ الساخرون منه يتوجه الى الرب . والرب يسخر منه ايضا ، سخرية الاب التي تملأ روحه السعادة الربانية . وبالنسبة لنا فالامر الجوهري هو ان اونامونو لا يلقي ابدا على عاتق دون كيخوت المسؤولية عن اعماله ازاء الناس الاخرين والمجتمع. ان حب اونامونو ووده للفارس التائه هما كبيران لدرجة انه يعامله بتفهم ملء بالتسامح حيث يفسر دائما افعاله وفق الحكمة القديمة ( انما الاعمال بالنيات ) . الا اننا نملك حق توجيه هذا السؤال : كيف كانت عواقب النيات النبيلة لدى دون كيخوت وطوبائيته الخيرة والمشروعة والمليئة بفكرة العدالة والتي عيبها الوحيد استحالة تحقيقها في الحياة ؟ ويمكننا ان نسال أيضا : هل يملك اونامونو الحق حين يدافع عن دون كيخوت امام سرفانتس هذا القاضي النزيه والواعي ؟

– 7 –

يقدم لنا سرفانتس على صفحات روايته امثلة لا تحصى عن عواقب النيات النبيلة والطيبة لدون كيخوت الملهم برؤى طوبائيته . حين يحرر

دون كيخوت بأسم الفكرة المثالية للحرية ، قافلة السجناء ، يقوم هؤلاء في البدء بقذف محررهم بالحجارة ثم يهربون ناشرين الرعب بين سكان المنطقة . وحين يرى دون كيخوت احد الملاك وهو يجلد راعيا اهمل القطيع يرغمه على فك اسار الراعي ومجازاته . وبالطبع يثق دون كيخوت بكلمة ذلك المالك ومن ثم يتركه وهو مطمئن البال . لكن حال ابتعاده يعـود المالك الى جلد الراعي بوحشية اكبر . ومرة اخرى يطلق دون كيخوت باسم الرفق بالحيوان ، اسدا من قفصه اخذ بعدها يجوب منطقة تركها اناسها المفزوعون . هذه هي عواقب نيات دون كيخوت الحسنة .

وفي روايته يشهر سرفانتس وبدون توقف ، بطوبائية دون كيخوت. وهذا الكاتب الاسباني العظيم يبدو كاحد اكبر نقـاد الفكر الطوبائي وجميع الانشطة النابعة منه . وفي الامثلة المذكورة يظهر سرفانتس جوهر التناقض في كل طوبائية ( ما عدا « الطوبائية السوداء » ) والمعتمد على ملائكية النيات وشيطانية العواقب التي تنشأ لحظة اتصـال الرؤيا الطوبائية بمادة الواقع الصلدة . ومن رواية سرفانتس يمكن وضـع فهرس كامل للصفات المميزة للطوبائية الحديثة . ولنتوقف الان عند بعضها . تعتمد الطوبائية على الايمان الراسخ بامكانية تحقيقها وتحويلها الى نظام عقائد معقلنة ظاهريا الا انها لا تخضع للتحليل الاعمق من جانب الفكر النقدي . وحين يكشف الواقع كذب عقائد الطوبائية يلجا الطوبائي الى مساعدة ما يسمى بنظرية التآمر لدى المجتمع واذا لم تتحقق عقائده في العالم الواقعي فهو لا يبحث عن الخطل في رؤاه الطوبائية او في اساليب تحقيقها ، ذلك انه لا توجد عموما ، لديه ، مشكلة ( اختيار التاكتيك ) بل يتعمق اكثر فاكثر اقتناعه بان هناك مؤامرة من جانب قوى جبارة ومجهولة ، عقدت العزم على الحيلولة دون تحقيق تلك العقائد . ان القوى العدائية والغامضة هي عقدة الاضطهاد لدى الطوبائي وتبرير لانعـدام الجدوى في افعاله . وحين يكتشف دون كيخوت ان العمالقة المزعومين الذين هاجمهم بشجاعة هم مجرد طواحين هواء كان على يقين تـام بأن ساحرا خبيثا حول العمالقة الى طواحين لغرض السخرية منه . ان دون كيخوت مؤمن بان هؤلاء السحرة الغامضين والاقوياء يتآمرون ضده . فهم يجدون فيه اخطر خصم لهم ، لا يمكن محاربته الا بالغدر وليس في معركة مكشوفة .

ان رفقة دون كيخوت لسانشو بانزا تكشف امامنا صفـة مميزة اخرى للطوبائية . فالفنطازي الطوبائي يمكنه ببساطة ان يجذب اليـه عقول الناس الملتصقين بالارض ولكن غير القادرين على التفكير النقدي . فهؤلاء يحلمون حينها بالمنافع المادية التي يمكن ان يجنوها من هذا العمل او ذاك . والطوبائي لا يمكنه العيش بدون مؤيدين من هذا الصنف شان دون كيخوت الذي كان قد كتب عليه الفناء لو لم ينقذه سانشو بانزا . ان دون كيخوت يبقي سانشو بانزا الى جواره لأسباب عدة في مقدمتها هو ان بانزا يجد الفرص للحصول على الثروة والشهرة . فهذا القروي الماكر يصبح وصيفا مخلصا للفارس التائه . فالايمان الطوبائي يخدع التفكير السليم . وهكذا كما نشهد في التاريخ فكل طوبائية تملك دون كيخوتاتها وسانشوبانزاتها .

ان الطوبائي هو انسان يمتلك ايمانا عظيما ونيات نبيلة ومنزلـة اخلاقية كبيرة عادة الا ان ما ينقصه فقط هو النقـد الفكري العميـق والاحساس بمتطلبات التطبيق . وكما يكتب سرفانتس عن بطله فـان ( مخه قد جف ) بسبب قراءة روايات الفرسان . ان الفارس التائـه يحتقر المثقفين النقاد ، وفي رواية سرفانتس يقوم البقال الطبيب كاراسكو بدور المثقف الا ان الناقد الحقيقي للطوبائية الدون كيخوتيـة هـو الضحكة السرفانتسية ، ضحكة المثقف ، الضحكة الغليظـة والخبيثـة والمتساهلة والشيطانيـة والساخرة في الوقت نفسه . وربـما لا يملك الطوبائي قدرا اكبر من الفكاهة ولذلك لم تستضف ملامح الفـارس الكئيب الابتسامة ابدا .

نحن نعلم باننا حين نقدم تاريخ دون كيخوت كتاريخ التمرد الحاصل ضد الواقع بأسم الطوبائية لا نستنفذ بذلك كامل عمق القضايا التي تكمن خارج هذه الشخصية . وعدا خيالات الوهم الطوبائية للفارس الضائع وعدا افعاله المضحكة توجد طبقات من الاشواق البشريـة الخالدة الى الحرية والعدالة والاخوة . واذا كان دون كيخوت يثير فينا الضحك فذلك لانه وقبل كل شيء طوبائي واذا كان يثير عاطفتنا فذلك لأنه انسان بكامل اشواقه الخفية . ان تمرد الفارس الضائع ضد الواقع هو تمرد عقيم ، ولكن ليست بعقيمة نوابض تمرده العميقة . وهذا الامر ادركه سرفانتس الديالكتيكي الكبير والعارف الكبير للروح البشرية لذلك فان ضحكته لم تكن عابثة او نهلستية .

## – 8 –

كان دون كيخوت انسانا متمردا ضد الواقع باسم رؤيا معينـة للعالم ، باسم ( طوبائيته المحافظة ) وعلى العكس من دون جوان . فهذا يتمرد وليس باسم برنامج ما لتغيير العالم بل لأنه في العالم الكائن وفي النظام الاجتماعي القائم لا مكان له ولسعادته . ان تمرد دون جوان هو تمرد الفردية ضد القيود وحالات الحظر التي يريد ان يفرضها العـالم عليه . ويقول غريغوريو مارنيون عنه : ان دون جوان متمرد بطبيعته ضد الاورثوذكسية الاجتماعية والدينية لمحيطه وهـو امر اكيد بأن موقفـه سيكون اكثر بطولة واستعراضية في اسبانيا وليس في اي مكان اخر . فالقوى التي يقف ضدها هي اكثر جبروتا هنا مما هي في اي مكان اخر . وليس هناك بلد اوربي اخر يمكن ان يثير فيه تمرد دون جوان مثل هذه المشاعر الدرامتيكية غير اسبانيا ودولتها التي كانت انظمتها الداخليـة والخارجية صارمة الى مثل هذه الدرجـة . اما جي. جندارميـده دي بيفوت احد باحثي اسطورة دون جوان الاكثر دقة وعمقا فيقـول ، ( ان دون جوان ليس باحثا عن مغامرات عاطفية كما جرى الاعتقاد الشائع ، بل هو كذلك مدافع عن الحقوق الطبيعية وحقوق الفرد ضـد القوانين البشرية والدينية ) . وتوجد هناك فوارق كبيرة بيندون جوان وكازانوفا. وكان كوربوس بارجا قد لاحظ ذلك منذ زمن بعيد حين قال : ( لا شيء هناك اكثر زيفا من منح كازانوفا روح دون جوان واذا قدم فيلليني في فلمه المعروف كازانوفا كمعتوه ومغامر بائس فان مثل هذا التفسير هو مستبعد مسبقا اذا خص الامر دون جوان . ان كازانوفا شبقي ومغامر وجائع نساء خائبات ، ومنطقة نشاطه المفضلة هي فضـائح المجالس في حين ان الشبقية عند دون جوان تمتزج بالحاجة العميقة الى التمـرد والتحدي الموجه الى الله والمجتمع والعالم ، وعدا انتصاراته العاطفيـة يكمن فيه كامل عمق المشكلة الميتافيزيقية والوجودية والاجتماعية أمـا كازانوفا فلا شيء فيه غير تلك الغـزوات . وهذا الفارق مسكه بشكل صائب ( ايف. مارسو ) في مقالته الرائعة المكرسة لهاتين الشخصيتين .

ورغم ذلك لماذا يربط تمرد دون جوان بغوايته وشبقيته ؟ ان هذه القضية تناولها مرة كيركيجارد بكل جوهرها : ( اذا كنت اسمي دون جوان غاويا فهذا لا يعني انني افكر بأنه يرسم بمكر خططـه ويحسب مسبقا نتائج افعاله . فهو يغوى بفضل عبقرية حواسه والتي هي تجسيد لها . وفيه ينعدم الحذر الحكيم ، فحياته ترغو كالنبيذ المختمر وهي تمضي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على وقع الموسيقى التي ترافق مآدبه المرحة . انه ينتصر دائما ) . هذه هي حسية دون جوان غير المكبوحة وحيويته التي هي بدون اسار وهي سعادة الحياة والفردية وانعدام الرياء وضجيج افعاله وكل ذلك يصبح اكبر تحد للاورثوذكسية الدينية للعصر الوسيط التي استمرت في الدولة الاسبانية الثيوقراطية من القرن السابع عشر كجبروت لا يتزعزع ، يضع القيود على الفردية التي كانت حديثة ولا تملك الجراة على التظاهرة السافرة .

ان اله القرون الوسطى والدولة الثيوقراطية لا يمكنهما التسامح مع تلك ( الحسية العبقرية ) في دون جوان وفرحة الحياة وانعدام الاحترام للنظم الملزمة والنظام الاجتماعي القائم كله . ان الحواس البشرية وطبيعة الانسان المحررة وسعادة الحياة والحاجة الى السعادة الارضية هي الد اعداء الكيان الديني في العصر الوسيط والذي تجمد في النظم القديمة للمجتمع الاسباني .

ان الطبقات العليا في اسبانيا وحتى بلاط عدد من ملوكها في القرن السابع عشر لم يعرفوا بالطبع العادات الطاهرة والنواهي الشبقية . والكثيرون من المؤرخين يلاحظون ان الشخصية المماثلة لدون جوان كان الكونت فياميديانا الفاسق والعابث والمغامر . ولكن بينهما فارقا جوهريا . فالكونت كان يخفى بحيطة كبيرة غزواته الجنسية ويتستر على فضائحه . لقد كان مرائيا نموذجيا شأن الكثيرين الذين عج بهم ذلك العصر ، بينما دون جوان لا يعرف المراءاة ولا يخفى ان فسقه مجرد ظاهرة خارجية لمفهومه في الحياة ولكفاحه ضد كل ما يعيق ويقيد الانسان في حاجته الى السعادة . ان الكونت كان يحب استهلاك الحياة في حين ان دون جوان لم يطق اي نوع من التسامي الذي يمكن ان يقيد الانسان . ولهذا السبب تسامحت الدولة والكنيسة ازاء افعال الكونت المذكور وانزلت اللعنة على دون جوان .

حين يظهر دون جوان في ازقة اشبيلية التي تحرقها الشمس لم يكن ذلك تهديدا للشيوخ الخائفين على زوجاتهم الصغيرات الجميلات فقط بل لكامل العرف الاجتماعي القائم ، للكنيسة ذات السلطة المطلقة ، للدولة التي ارادت ان تفرض رؤياها على اوربا كلها . وغزوات دون جوان ليست مجرد قضية الشرف الذي لعب مثل هذا الدور الهام في النظام الاجتماعي لطبقة النبلاء . فالشرف يمكن الدفاع عنه في مبارزة او اغتيال سري لكن لا حيلة هناك امام المفهوم الدون جواني للحياة والذي يصبح معديا بصورة متزايدة . ان كفاح دون جوان كان كفاح انسان من لحم ودم وجسد مؤمن بان بداية كل شيء ونهايته تجرى هنا على الارض ، وضد الوعود الخارج ارضية بالسعادة ، ضد الاخلاقية الصارمة التي تدور حول محور الروح ، ضد العوالم الاخرى وضد جميع الذين يعتبرون انفسهم مفوضي تلك العوالم على الارض . ان الخوف من دون جوان كان خوف اولئك الذين لم يتصوروا الوجود بدون غيبيات وخافوا من الجديد واحتقروا فرحة الحياة والسعادة الارضية . وفي تلك الازقة كان يسير دون جوان كديونيس يبشر بفناء روحانية العصر الوسيط والمجتمع المتحجر في قوالبه القديمة . لقد جاء بنسمات الحياة الجديدة الى اسبانيا التي كانت فيها الدولة والمجتمع ، الاكثر قدما في اوربا القرن السابع عشر .

كان دون جوان لبرتينيا ولكن من الحقبة البطولية اللبرتينية . وشتان بين ان يكون المرء لبرتينيا في فرنسا القرن السابع عشر ولبرتينيا في اسبانيا بداية القرن الثامن عشر . ان لبرتينية القرن الثامن عشر قد تحولت الى طراز حياة يضع في المرتبة الاولى مسالة الملاذ المتفنن بها والمتع والانحلال الجنسي في جو من الاستهتار الفكري . ان لبرتينيي القرن الثامن عشر كان انسانا يعيش وفق الموضة ويحظى باعجاب الصالونات والحماة الاغنياء . وكانت الاخطار التي يتعرض لها مبالغا فيها . واللبرتيني الذي كان هو دون جوان قد القى بتحديه بوجه اعتى القوى في زمنه وكان محاطا بالكراهية والخوف العامين . ان دون جوان لم يبحث عن المتع واللذائذ الفائقة فقد كان بوسعه كرجل مقتدر ان يجدها في اماكن الانحلال التي لم تفتقد انذاك في اوربا . الا ان غاوي اشبيلية لم يسع فقط الى اشباع رغائبه . فقد اراد ان يحس بانه انسان حر يلقى بالقيود التي وضعتها الاخلاقية الدينية للعصر الوسيط واراد ان يظهر ان الغيبيات التي تريد ان تغلق الانسان في الكماشات الفولاذية يمكن ان تكون محطمة وملقاة جانبا . وكتب كيركيجارد : ( في العصر الانتيكي وجدت الحسية تعبيرا لها في صمت الفنون التشكيلية وسكونها، وفي عالم المسيحية كان لابد من ان تنفجر بكل عنفوانها النافد الصبر . ويمكننا الان ان نقول بصدق ان دون جوان هو غاو .. ) وفي شخص دون جوان انفجرت الحسية بكل قوتها . ان كل ما هو شبقي وجنسي كان في اخلاقية العصر الوسيط التي شكلتها المسيحية قد اعتبر منطقة محرمة وشيطانية لا يمكن التعامل معها الا من خلال الكنيسة ومؤسسة الزواج . فالحواس كانت ادوات الشيطان . اما اللبرتينية فارادت ان تظهر ان الحواس هي امتياز الانسان ومصدر سعادته . واصبح الجنس ذلك الحقل الذي يصطدم فيه الموقف اللبرتيني وباعنف ما يكون مع الاخلاقية الكنسية القديمة . ومن عهد دون جوان اصبحت جميع اشكال اللبرتينية مرتبطة بصورة وثيقة بالحرية واللاتبعية في حقل ما هو جنسي وشبقي . ان اللبرتينية الدون جوانية تعلى من شان مفهوم الانسان الارضي والحسي وترفعه بوجه المفهوم الروحي لمسيحية العصر الوسيط .

وهكذا تبدو امرا طبيعيا الاسطورة القديمة التي تربط شخص دون جوان بالشيطان . وجاء في كتاب ميشيلين سافاج ( قضية دون جوان ) : ( ان دون جوان حر تماما كما يمكن ان يكون الشيطان حرا ) . ان حرية دون جوان تبدو شيطانية للانسان الغريب عليه مفهوم اللبرتينية . وفي اقدم المسرحيات عن دون جوان التي كتبها دى مولينا نجد اثارا عديدة لمعاملة هذه الشخصية كشيطان . وبالنسبة للانسان الغارق حتى اذنيه في تصورات الاخلاقية المسيحية تكون بهجة الحياة والزخم والرفض اللامهادن لجميع المحظورات والنواهي لهذه الاخلاقية امورا نجسة وشيطانية . وحتى اوتو رانك وهو محلل نفساني من القرن العشرين يكتب : ( ان مبدأ الشر يتجسد في دون جوان وحتى انه يمكننا القول ان دون جوان هو تجسيد للشيطان ) . وبالطبع هو كذلك وبذلك القدر الذي يكون فيه كل لبرتيني صرف . ان مبدأ الشر يتجسد في دون جوان وبذلك المعنى الذي كانت فيه مملكة الجنس بالنسبة لمسيحية القرون الوسطى ، منطقة الشر والخطيئة التي من خلالها تجد القوة الشيطانية منفذا الى الانسان .

## - 9 -

كان دون جوان رجل ( النهضة ) : فهو من نواح كثيرة يذكرنا بالكونديتيرات الايطاليين . وعامة تبدو هذه المقارنة مضحكة حيث يبدو فيها الكونديتير وهو يغزو النساء فقط الا انه ينبغي عدم نسيان اننا في اسبانيا القرن السابع عشر ، في دولة سلطة الكنيسة المطلقة ومحاكم التفتيش حيث تكون الاعراف الصارمة في الموقع الاول . وليس بصدفة

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com

ان مفهوم الخطيئة ، وكما تدركه عامة الناس ، يخص بالدرجـة الاولى منطقة الحياة الجنسية . و ( النهضة ) التي كانت عصر تحرير الانسان كانت ايضا عصر تحرير الحب . ودون جوان يدرك هذا ويعلم انه بتدمير المبادىء المقررة لاخلاقية الحب انما يوجه الضربة الى اسس النظام القائم انذاك في سبانيا . ان الروح النهضوية لدى دون جوان قد ادركها الكثيرون من الباحثين . مثلا جريجوريو مارانيون يربطها بشخص مكيافيللي حين يقول : ان اللبرتيني الفظيع والدائس على المقدسات هو تلميذ مكيافيللي. وعلى اية حال من الصعب تصور دون جوان وهو يقرأ مؤلفات هذا المفكر الايطالي الا انه من السهل ملاحظة اوجه الشبه . فكما هو واضـح على الصعيدين الفكري والسياسي نبذ جميع المحظورات والاحكام المسبقـة التي تفرضها التقاليد . يكون هذا واضحا ايضا لدى دون جوان في الحياة اليومية حيث يضع كل شيء على المستوى الارضي لاغيا جميع الغيبيات وممثلا هنا نوعا من الاستخفاف الاخلاقي .

ان هذه اللبرتينية كلها تملك شيئا من الارستقراطية التي تفوح ايضا من دون جوان . الا ان ارستقراطيته هي تحد مكشوف لمبـادىء الهيدالجو الاسبانية . ان دون جـوان المتمـرد كان سجين مبـادىء الهيدالجو . وهو يسخر منها علانية . وتمرده لا شيء فيه من روح العوام ذلك انه ظاهرة تخص الفردية النهضوية التي تضع الفرد البارز فـوق الجميع ، وتعتبر التفرد اعلى قيمة . وهكذا فشخص دون جوان يقف ايضا عند عتبة الفردية الحديثة . وبين التفسيرات الاحدث لدون جوان تعار اهمية خاصة لتفسير البير كامي والوارد في احدى مقالاته المنشورة في كتاب ( اسطورة سيزيف ) . فكامي يجد في غاوي اشبيلية ( انسان العبث ) وفردا اكتشف عبث العالم وعرف كيف يستخلص من ذلـك كافة الاستنتاجات والى النهاية . ورغم ان هذا التفسير قد لا يبدو لنـا صحيحا تماما يجدر التاكيد على عنصر واحد فيه . ان دون جوان هـو ( انسان الوجود ) وعدو لجميع اصناف ( الجوهرية ) وخاصة الدينية .

ان اعلى قيمة لديه هو الوجود بحد ذاته والذي يريد ان يحيـاه بكامل غناه وامكانياته . ان الوجود في الزمن المحـدود بحقائق الولادة والموت هو بالنسبة له بداية جميع القضايا البشريـة ونهايتها . لذلك فاقوى اعدائه هو الخلود . وهو يفهم ان الانسان ( المتزمن ) لا يمكن ان يتفق مع اية فكرة للخلود . وحين يلقى تحديه بوجه تمثال الكوماندور انما يلقي بالتحدي بوجه رسل الخلود . ان دون جوان يعيش اللحظـة فهو يدرك انه عدا مرور الزمن لا يكتشف اي جوهر او خلود . وفكـرة خلود الروح هي لديه هذيان سقيم . ولقد اظهر كامي العقدة الوجودية في سيرة دون جوان الا ان غاوي اشبيلية ليس ب ( انسان العبث ) ولـو لسبب واحد هو انه مكتشف سعادة الحياة والقوى الحيوية التي تنبض في الانسان والعنفوان والانطلاقة الارضية في حين انه اكتشف العبث في القيود التي فرضتها التقاليد . وبوجه هذا العبث اراد الوقوف طيلـة حياتـه .

## – 10 –

ان الدراسات التي قام بها عدد من الباحثين وبينهم بيريزدى ايالا ومنديز بيدال وبيفوت قد اظهرت بشكل تفصيلي كيف تشكلت ونضجت اسطورة دون جوان الا انه يبقى الغموض الجوهري فالاسطـورة تملك عددا من التفرعات وعموما يمكننا ان نميز ثلاثا منها ممثل التفرع الاول هو دون جوان تينيوريو الذي نعرفه من مسرحية تيرسو دى مولينا ولكن قبلها كانت هناك روايات اخرى لم تستمر لوقتنا هـذا ويمكن ان نعثر على اثار لها في مؤلفات لوي دى فيجا وغيره من الكتاب المسرحيين الاسبان من تلك الفترة . وهذه الرواية تعرضت الى تشويه متميز وخاصـة في حقبة الرومانتيكية . فالرومانتيكيون اغرموا بشخصية غاوي اشبيلية الا انهم نادرا ما اظهروا التفهم الاعمق للمضامين في الاسطورة . ويرتبط التفرع الثاني بالشخصية التاريخية ( ميجويل مانيارا ) الذي يتوب ويعود الى حظيرة الدين نادما على خطاياه وحياته السابقة . وهذه الشخصية هي بمثابة هيكل الرواية عن دون جوان ، الابن الضال الذي يعود الـى حظيرة الكنيسة والغيبيات . وفي الوقت نفسه سمحت شخصية (مانيارا) باظهار دون جوان كصوفي حارمة اسطورته من المضمون المتمرد والمتشكك على طريقة حركة الليبرتينيين ( الاوربية في القرن السابع عشر والتي وقفت ضد الدين والافكار الكاثوليكية ـ الاقطاعية الخاصـة بنموذج الحياة . ملاحظة المترجم ) . ان الشعراء الرومانتيكيين المبكرين والمتاخرين على حد سواء خلطوا ـ وليس دائما بدون وعي ـ العقد المستخلصة من اسطورة دون جوان تينوريو بميجويل مانيارا . والحق مع ميشلين سافاج حين يكتب ( ان ميجويل مانيارا ليس هو دون جوان بل كان مسحـورا بشكل ملعون بدون جـوان .. ان قصة ميجـويل مانيارا هي مـوت الاسطورة ) . وفي القرن العشرين حين اراد الشاعر الفرنسي اوسـكار ميلوش في مسرحيته الشعرية ان يظهر دون جوان كصوفي وساحـر ، درس بدقة شخصية ميجويل مانيارا الواقعية لكي يعزلها عن دون جوان تينوريو . والتفرع الثالث للاسطورة كتب له البقاء في اللغة الدارجة وفي مختلف بقاع اوربا . فدون جوان هو ذلك الغازي العادي لقلوب النساء وكل زير نساء . ومثل هذا الدون جوان هو ايضا عاشق السينما والغاوي من الاقاليم الذي يسحر الفتيات الساذجات بشاربيه المثيرين . ان مثـل هذه الصورة لدون جوان قد خلقها لدرجة كبيرة ادب القرن الثامن عشر وقبل كل شيء اللبريتو الاوبرالية كذلك شعراء وروائيو الدرجة الثانية على الغالب حيث عمموا هذا الشكل الدون جواني . ومن هناك تسربت الى اللغة الدارجة التي بقيت فيهـا بشكل دائـم . وليس من الصعب ملاحظة ان هذه الصيغة هي الاقرب من كازانوفا وليس من غاوي اشبيلية الذي نعرفه من مؤلفات تيرسو دى مولينا وموليير واوبرا موتسارت .

وعن حق لاحظ دى بيفوت ( ان دون جوان هو احد اولئك الابطال الذين بقيت ملامحهم الرئيسية مرسومة مرة والى الابد .. ورغم تعديل التفاصيل فهم يبقون بتلك الهيئات المعروفة عامة ) . وباعتقادنا فهناك ثلاثة مؤلفات بقى فيها النموذج الاصلي لدون جوان وهي مسرحية دى مولينا وكوميديا موليير واوبرا موتسارت بالليبرتو التي كتبها لورنتسو دى بونتي .

## – 11 –

حين كتب مولينا الذي سبق ان كان كاهنا ، مؤلفه الانف الذكر ، اظهر موقفا متناقضا ازاء الشخصية الرئيسة لمؤلفه . فدون جوان يسحر المؤلف بزخمه واضوائه من جهة ومن الجهة الاخرى يثير فيه الرهبـة كمجدف وشرير . ولذلك يمنح بطله صفات تكاد ان تكون شيطانية . فدون جوان هو باغانيني وبالنسبة للمؤلف فالوثنية هي امـر مرادف للشيطانية . وغاوي اشبيلية هو مجدف منقاد لانفعالاتـه ومرتجـل وطبيعي . وهذه الطبيعية تشير بوضوح الى انه يقف خارج المفهـوم المسيحي للخطيئة والحب . وفي المشاهد الاولى من المسرحية يغوي دون جوان الاميرة ايزابيل التي حين تطلب النجدة يظهر الملك ويسال عمـا حدث فيجيبه دون جوان : لا شيء . هنا ببساطة امراة ورجل . ان مثل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذا الجواب قد يبدو طبيعيا لقارئ اليوم وحتى ظريفا . الا انه بالنسبة للاسبان من النصف الاول من القرن السابع عشر كان مصدما ومثيرا للفضيحة . فهذا الجواب نقل الحب من الخطيئة الى الاتصال الحسي بين المراة والرجل والذي عومل كامر طبيعي بعيد عن كافة النواهي الدينية والاخلاقية . ان دون جوان ترسو دى مولينا واثق من انه لا يمكن ان توجد صلات اخرى بين المراة والرجل عدا الصلات التي تخلقها الرغبة الوقتية . انه يسخر بصورة سافرة من نواهي الاخلاص التي يفرضها الدين والعرف وبالنسبة له فالمؤسسة الزوجية هي لغو خالص . وفي هذا تظهر وثنية دون جوان التي تقودنا الى التفكير بشعراء الحب من العصر القديم ( الانتيلي ) وخاصة اوفيديوس الذي كان دون جوان معجبا به . وكامل سلوك دون جوان في المسرحية هو نتيجة ذلك الاعتقاد .

ان تطور الحدث في المسرحية يقود منطقيا دى مولينا الى تلك الخاتمة البانية . فدون جوان الوثني والمجدف واللص ينبغي ان يلقى الجزاء المناسب . وهذا العقاب اظهر كتدخل لقوى فوق بشرية . ودى مولينا يظهر بدافع كونه راهبا ، ان مؤامرة دون جوان ضد الغيبية والنظام الاجتماعي القائم ينبغي ان تنتهي بالفشل وتتوج بالعقاب كعظة للاخرين . وبشكل مخالف يقدم موليير ، دون جوان . وبين الروائع من كوميديات موليير تكون كوميديا دون جوان الوحيدة التي تملك معنى باطنيا هو فلسفي . ويقول بيفوت عن بطل كوميديا موليير انه ( ملاحظة مستمرة للوعي ) . فمعرفته تسمح بوضعه في صف واحد مع روشفوكو. وفي تطور احداث الكوميديا يصبح لبرتينيا مستغلا لـ « روائع حواسه » من اجل تبيان حرية الانسان في هذا العالم ومقدما النواهي الدينية والاجتماعية كمراوغة ووهم . ان موليير يقف الى جانب بطله ويعامل النهاية التقليدية للكوميديا بتهكم سافر .

ان المشهد المعروف الذي يلقى فيه دون جوان موليير بالصدقة الى المتسول باسم الانسانية قد فسرها العارفون باعمال موليير باشكال شتى . ومن وجهة نظرنا يظهر المؤلف دون جوان كانسان وصل مثل هذه الدرجة العالية من الوعي التي تمكنه من ان يرى العالم بدون اوهام وان تلك الصدقة هي مجرد تعبير عن الاحتقار والشفقة في آن واحد ، ازاء البشرية التي لم تحقق هذا الوضع بعد . ان كوميديا موليير هي نقطة انعطاف في التقاليد المرتبطة باسطورة دون جوان . فهذا الغاوي المرجوم قد انتظر مثل هذا التاكيد رغم انه كان تاكيدا مستترا . ففي فرنسا لويس الرابع عشر لم يستطع موليير ان يسمح لنفسه بتمجيد سافر للمتمرد اللبرتيني والمجدف و ( الفاسق ) .

وعلى النقيض من سابقه الاسباني يصف موليير دون جوان برهافة الفكر الفرنسية المعروفة . ان غاويه هو متشكك وساخر . وبالتاكيد ليس مثقفا بالمعنى الحديث الا انه ذلك المتمرد المنساق مع عواطفه وحواسه والذي شهدناه عند تيرسو دى مولينا . ولدى دون جوان موليير يكمن الجمال وسعادة العالم في الحواس فحسب بينما الوعد الابدي بالعقاب والثواب هي مراوغة لا تستحق غير الهزؤ وقد ابتكر للتغرير بالسذج . انه حسي بشكل حازم .

ويعتقد باحثون كثيرون ان دون جوان موليير هو انسان حسود لا يطيق سعادة غرمائه . وهذا ليس بصحيح . فدون جوان يرى غريمه ممثلا لنظام اجتماعي معين يامره بمعاملة حبيبته كملكية خاصة به . والتبرير لهذا الاعتقاد يبحثون عنه في الدين والاخلاق والاعراف والقانون . ودون جوان يريد ان يسخر من هذا التبرير والاعتقاد بمشاعر الفخر بالملكية . وهذا الشيء يمنحه اكبر قدر من القناعة والسرور . فاية واحدة من عشيقات دون جوان غير راضية ؟ وهو يعرف انه بفضل ( روعة حواسه ) يملك التفوق على غرمائه وهكذا لا يسمح بنكران هذا التفوق من جراء معتقد ديني أو اجتماعي أو اخلاقي بال . ان دون جوان موليير هو لبرتيني متشكك وفرنسي للغاية وعلى طريقة اللبرتينية البطولية من القرن السابع عشر .

ويظهر دون جوان سواء لدى موليير او دى مولينا ، بمعية خادمه . وفي حالة دون كيخوت يكون سانشو بانزا نقيضا لسيده في حين ان خدم دون جوان لا يبدون نقضا متطرفا لسيدهم . فلدى هذين الكاتبين يمثل دون جوان التمرد الارستوقراطي ، التمرد الباحث عن وعيه الخاص . ان خدم دون جوان كانوا متمردين لا يدركون مبررات تمردهم . فهذا التمرد نابع من الوضع الاجتماعي ، وحالة الدفاع عن النفس تتم باللجوء الى الرياء والحيلة كوسيلتين للوقوف بوجه جبروت النظام الاجتماعي والدين والعرف . فهؤلاء يفهمون دون جوان في اعماله وعن طيب خاطر يساعدونه الا انهم لا يفهمون دوافع سلوكه ولا يمكنهم فهم الاسباب التي دفعت بسيدهم لكي يتعرض للاخطار بدلا من ان يطفيء شهواته باسلوب اقل خطرا . واستفزازات دون جوان تبدو لهم اعمال طيش يقوم بها علية القوم . انهم يمثلون في الجوهر الروح الوليدة للبورجوازية الجديدة التي ما زالت حيية وخائفة الا انها في الاساس ترفض تلك المعتقدات التي يرفضها دون جوان . وحين تخطف قوى الجحيم دون جوان في كوميديا موليير كان الهم الاكبر لدى خادمه هو انه لم يستلم اجره ، اما عند دى مولينا فالخلاف بين دون جوان وخادمه يدور ايضا حول الاجر . الا ان خادمي دون جوان يتقبلان على الصعيدين الاجتماعي والاخلاقي جميع افعال سيدهما .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

## – 12 –

في عالم آخر تنقلنا اوبرا موتسارت . وحين ندرس دون جوان موتسارت يصدمنا انعدام التناسب بين اللبريتو والموسيقى . فلبريتو لورينتزو دى بونتي التي كتبت بصورة جيدة لا تتخطى حدود الفكرة التقليدية عن دون جوان القرن الثامن عشر . فدون جوان يكون هنا مغامرا قريبا من كازانوفا عدا مسالة واحدة وهي ان دى بونتي منح بطله سحرا وجاذبية شخصية . ان العمق والمعنى المزدوج يمنح لدون جوان موسيقى موتسارت الرائعة . فهذه الموسيقى عشقها كيركيجارد والهمته تلك التاملات عن دون جوان . كتب الفيلسوف الدانماركي : في جميع الاحوال احس بأنني سعيد بشكل يصعب التعبير عنه لكوني فهمت موتسارت ولو على بعد ، واحسست بسعادته لدرجة اكبر من احساس اولئك الذين فهموه تماما . . ) .

ان حياة دون جوان ( ترغو كالنبيذ ) وهي تعبير عن السعادة الحسية والفرح الذي يمور في قلبه . وهذه السعادة لا يمكن التعبير عنها في الكلمات اذ لا يمكننا ان تتبلور في الكلمات فحسب ، ذلك ( ان اللغة تحوي التامل ولهذا السبب لا يمكنها ان تعبر عن المباشرة ومن هنا يكون امرا غير ممكن التعبير عن الموسيقية بلغة الكلام ) . وهذا التبلور يتم في موسيقى موتسارت هذه .

في اوبرا موتسارت يكوّن غاوي اشبيلية حسية بحتة ، وسعادة العالم ذاتها واندفاعا بدون لجام صوبها . لذلك كتب كيركيجارد : ( ان ذلك هو مبدأ روعة الحواس . والتعبير عن هذا المبدأ هو دون جوان

والتعبير عن دون جوان هو الموسيقى لوحدها ) . ودون جوان في حسيته وسعادته بالحياة وفي مباشرته انما هو بطل موسيقى نموذجي وجوهره لا يمكن ان يعبر عنه في حوار فكري ولا حتى في اية لغة للصور او لغة شعرية ، ذلك ان هذه اللغات تلغى تلك المباشـرة والحسية التي هي جوهر دون جوان ذاته .

ان التفسير العميق الذي قام به كيركيجارد لموسيقى موتسارت يدلنا بشكل واضح على ان دون جوان في اوبرا موتسارت هو ذلك الدون جوان الذي تظهره موسيقى العبقري موتسارت ، كرمز لتمرد الحواس وسعادة الحياة والحاجة الى السعادة ، ضد المحدودية والنواهي التي نبعت من مفهوم الحياة للعصر الوسيط ، ومن اخلاقية الكنيسة وروحانيتها والنظام الاجتماعي للاقطاع . ان دون جوان هو وقوف الحسية بوجه الروح ، وفرحة الحياة امام قسوة الوجود وعبادة العـذاب ، والسعادة الارضية بوجه الوعود بالجنة ، والعالم بوجه الازلية ، والحرية الانسانية بوجه النظام الاجتماعي المتفاوت الدرجات والذي اقيم مرة والى الابد ، والمباشرة ضد الفكر . الا ان دون جوان موتسارت ليس مجرد تمرد ضد العصر الوسيط وبقاياه المتحجرة في الوعي والهياكل الاجتماعية للعصور التالية. فهذه الاوبرا تقدم المبررات لتمرد دون جوان . ففيها تمرد الشباب ضد عفن العالم ، والغناء والرقص ضد خطوة المسيرة نحو عقلنة المجتمـع ، وانطلاقة الحواس ضد الحساب البارد الذي يقوم به الانسـان بحكم وجوده في المجتمع وفي الاخير فهي تمرد الامل ضد اليأس . ان العمق المقلق لموسيقى موتسارت يأتي من الشعور المسبق بان القيم التي يمثلها دون جوان هي هشة للغاية وانه لا تهددها فقط بقايا الماضي بل كذلك كل ما يقرر وجود النظام الاجتماعي وفي اي شكل من اشكاله التاريخية وانه تهددها تلك القوة الشيطانية الكامنة في روح دون جوان ولربما في قلب كل انسان ، القوة التي تأمر بتدمير سعادتها وتقمع الفرح العفوي وتخنق في المهد جميع اشكال المباشرة . ولنتذكر على الاقل تلك المقاطـع مـن الاوبرا ، مثل مشهد تمثال الكدماندور أو تلك المقدمة الموسيقية المدهشة.

وعلى العكس من دى مولينا وموليير فدون جوان موتسارت ليس بلبرتيني أو فاسق او مغامر . فموتسارت يتغلغل في اعمق طبقات القلب البشري والتي توجد فيها الحاجة التي لا تنضب الى السعادة والفرح . ودون جوانه منتش بذلك الامر الذي سماه كيركيجـارد ب ( روعـة الحواس ) . فهو يريد ان يدمر كل ما يقيد ويحد من سعادة الانسان وفرحته ويخنقها . ان موسيقى موتسارت تمنح صفة متميزة لغـاوي اشبيلية . وهي الظمأ الى عيش كل لحظة بكل تركيزها وفي ذهـول الحواس ومعاملة الوقت ومسألة مروره هامشيا . ان تمرد دون جـوان موتسارت يقودنا الى منطقة الاشياء التي تفلت من كل عقلنة الى منطقة « الدافع الحيوي » الذي يسعى الى ازاحة جميع السدود التي وضعهـا المجتمع والتقاليد والاخلاق والقانون والعرف بوجهه .

## – 13 –

كذلك فدون جوان هو الشخصية المفضلة لدى الرومانتيكيين . ولناخذ على سبيل المثال مؤلفـات بايـرون وبوشكين وليناو وغرابى وبدون ان نذكر كامل مجموعة الشعراء غير البارزين أو الابطـال الذين يحملون اسماء اخرى رغم انهم خاضعون بشكل سافـر لأسلوب دون جوان او الشخوص الاخرى الهامشية . ان دون جـوان الرومانتيكيين هو مغاير تماما لدون جوان الذي عرفناه عنـد دى موليـنا وموليير وموتسارت . فهو عادة متانق رومانتيكي بزيه الاسباني . ان تمرد دون جوان القديم قد اصبح مدفوعا الى سكك اخرى . فلدى بايرون تمضي الرغبة في اثارة الفضائح مع المرض الرومانتيكي للعصر وآخر يحيط بطله بجو من الروعة اما ليناو فيقدم دون جوانه كانسان مفرط الحساسية ولحد المرض ، والحدث كله يضيع في مشاهد كرنفالية براقة . ونسبيا يكون النموذج الاقرب الى النموذج القديم هو دون جـوان بوشكين . فجميع هذه الشخوص تملك سمة مشتركة وهي ان الضغينة تقرض قلوبها وهي تريد التغلب عليهـا بالبحث عـن المغامـرات وحين تتمـرد فتمردها هو معقلن ومحـروم مـن التلقائيـة والمباشـرة . ان دون جـوان الرومانتيكيين هـو متأمل وغنـائي وشخصـه ينمحى في المحاكمات السايكولوجية . فهؤلاء لم يلحظوا ان الاستبطان يقتل ما هو جوهري في شخص غاوي اشبيلية . وجاء في كتاب ميشيلين سـافاج : ( كان لابد من ان يكون دون جوان موضع اغراء الرومانتيكية . وهـذا ما قام به فعلا .وكان امرا لا مفر منه ان الحركة الرومانتيكية قد شخصت في دون جوان مرضها وفراغ القلب الشاكي والراغب بأمر لا يعرف اي شيء عنه وسموه ، بسهولة ، المطلق الذي كان يكفي للوصول اليه ، دفع الوجود الى الموضع التراجيدي ) .

ان شكل دون جوان الخارجي ذاته والذي يرسمه الرومانتيكيـون يقنعنا بان ذلك هو مجرد قناع لا يعود الى دون جوان . فدون جوانهم معدوم الحيوية والديناميكية وفرحة الحياة والحماسة . كذلك جاء في كتاب سافاج ( ان الصحة هي امر اساسي لهذه الشخصية لذلك ليس من السهل على الرومانتيكية بعبادتها للوضعات الخارجية وحالة المرض ، ان تمر بهذه الحقيقة مر الكرام . ولدى الكثيرين من المؤلفين الرومانتيكيين وهو امر يجدر التأكيد عليه ، يبقى دون جوان انسانا معافى لا يحتمـل الشحوب والمرارة وعـدم التلذذ .. ان الاسطورة تطرد ( اللاطبيعيـة الرومانتيكية ) . ولكن التوفيق بين هذين التناقضين ليس امرا سهلا على شعراء الرومانتيكية ويجر وراءه عددا من حالات العجز .

ان دون جوان القرن التاسع عشر العائش في مجتمع بورجوازي لا يعرف جيدا ضد اي شيء يتمرد ، وافعاله الابروسية تثير الفضائح الا انها ليست تمردا . والمتمرد يتحول الى عربيد يدفع الى النهاية ثمن اسرافه الجنسي . ان دون جوان القديم كان يؤمن بالله الا انه وجد فيه غريمـا للانسان يريد تقييد الحرية الانسانية ويحسد الانسان على سعادتـه وفرحته . وهنا تقدم الاسطورة دون جوان كغريم ، يقوم بتحديه ولو حين يغوى راهبة هي امراة تخصه ، بشكل ما . ان دون جوان غير المؤمن الذي غالبا ما يقدمه الرومانتيكيون ، يعرف ان كل شيء مسموح له وان لا شيء يهدده . وهكذا تنقل الاسطورة دون جوان الى الصعيد السايكولـوجي وحده . اما المجتمع البورجوازي فيجد قبل كل شيء في دون جوان زير نساء طائشا وخطرا على الازواج والآباء فقط . ومن هنا تمنح له ملامح الفن كان يكون شاعرا أو مثقفا وهو امر يناسب التصـور البورجوازي لسايكولوجية الفنان . ان هذه الصورة البورجوازية لدون جوان نجدها على وجه التقريب في حالة نقاء . وقمة سوء الفهم هي احد التفسيـرات الاخيرة للاسطورةوالواردة في كوميديا ماكس فريش (دون جوان أو الولع بالهندسة ) ففريش يقدم دون جـوان كمثقف مولع قبـل كل شـيء بالتجريدات الهندسية . والنساء المهاجمات المتولهات يضايقن هذا المثقف الوسيم في ولعه بهذا الحقل من المعرفة .. ان هذه اللعبة الدراماتورجية الذكية تشهد على ان الكاتب السويسري لم يفهم اي شيء عن اسطـورة دون جوان وان موضوع غاوي اشبيلية يمكن ان يستخدم وفي احسـن الاحوال في تسلية فكرية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان دون جوان اصبح شيئا غير ممكن في المجتمع البورجوازي الحديث ذلك ليس فقط بسبب ان ارتخاء الضوابط الاخلاقية في حقل الحياة الجنسية قد جعلت من غزوات دون جوان امرا اعتياديا لا علاقة له باي تمرد أو تحد . وليس السبب هنا فقط في ان الافكار القديمة عن الشرف قد فقدت قيمتها تماما . وهذه الامور كشفها مرة ادمون روستان في كوميديته ( نهاية دون جوان ) حيث اظهر ان دون جوان غير ممكن في كل مكان تسود فيه الحرية التامة في حقل الحياة الجنسية . ان دون جوان اصبح غير ممكن ذلك انه كان ملتحما تماما بالتمرد في الاسطورة وهذا التمرد فقد في المجتمع البورجوازي اهميته الاصلية ، والقيم التي قام من اجلها بتمرده اصبحت غير راهنة او منسية . ومنذ ذلك الحين يمكن لدون جوان ان يحيا فقط في اللغة الدارجة كمرادف لزير النساء ومحقق نجاحات عاطفية ، كمرادف للرجل الذي يكرس وقت الفراغ لافعال الحب فقط . وفي الرؤية الرومانتيكية لدون جوان يستحق عنصر معين الانتباه الخاص . فالرومانتيكيون وخاصة الالمان ربطوا في اغلب الاحوال دون جوان بفاوست . وجيته يمنح فاوسته ملامح تخص تقليديا دون جوان . وغرابي يكتب مسرحية ( دون جوان وفاوست ) التي يجعل فيها دون جوان وفاوست رمزين لميلين اساسيين يتشابكان ويتعارضان في الوقت نفسه ، في روح الانسان الحديث . وما يهمنا هو حقيقة ان مفهوم دون جوان الذي يقدمه غرابي ورغم اصالته يوجد خارج اطار تقاليد اسطورة غاوي اشبيلية ذلك ان تمرد دون جوان قد اظهر هنا كتمرد عدمي اطلقته بواعث انانية صرفة في حين ان نقيضه هو الموقف الفاوستي .

**— 14 —**

ويمكن ظاهريا ان يكون دون جوان البطل المنتظر للتفسير النابع من الفرويدية والتحليل النفسي . الا ان الحقيقة تبدو مغايرة . فغاوي اشبيلية يثير الصعوبات التي لا تذلل بوجه المحللين النفسيين . وقد ادرك ذلك اوتو رانك الذي يعد افضل من قدم الدراسات في هذا المجال. يقول في مؤلفه ( دون جوان ومثيله ) : ( وفق التحليل النفسي تكون النساء اللواتي على دون جوان ان يحصل عليهن ، ممثلات لأم واحدة لا يمكن ان تحل امرأة أخرى محلها . وغرماء دون جوان وخصومه المدحورون والمخدوعون وفي الاخير المقتولون يرمزون الى الاب ـ ذلك العدو المميت الذي لا يهزم . الا ان مثل هذا التفسير الذي يجد تبريره في تحليل الفرد لا يكفي اذا تعلق الامر بالعقدة الأوديبية المعروفة . ) . وفي الجوهر يذكر مؤلف رانك بمقال في مجال الادب المقارن وليس بدراسة في التحليل النفسي . وبفضل ثقافته الادبية الهائلة وحساسيته الادبية يتجنب المؤلف بمهارة وحذق المنزلقات التي تجابه المحللين النفسانيين الاخرين حال تناولهم موضوع دون جوان .

ان الصعوبة الاساسية للتحليل النفسي في حالة دون جوان تاتي من انها تشكك بطريقة التحليل النفسي ذاتها . فالتحليل النفسي يفسر تصرفات الانسان ومشاعره ونشاطه بتلك الدوافع الكامنة وعلى الاكثر ذات الطبيعة الجنسية وبالهوس والعقد . في حين ان هذه القوى الدافعة وفق التحليل النفسي ، الكامنة توجد لدى دون جوان على السطح . فافعاله وتصرفاته تجرى امام الابصار مباشرة وهو امر يعتبره الفرويديون النابض الكامن الذي يتحكم بمصير الانسان . ان هذا السطح لدى دون جوان يتطلب بالضبط التفسير . وحين يفسر التحليل النفسي غاوي اشبيلية بمساعدة وسائله الخاصة يقع في حلقة مفرغة وفي التفاهة ذلك انه يوضح ما هو واضح تماما . وباعتقاد الفرويديين يكمن وراء كل فعل وتصرف للانسان ، اللاوعي بكامل ماكنة « اللبيدو » ، ولدى دون جوان فهذا اللاوعي مكشوف مسبقا . ولا يمكن تفسير دون جوان من خلال كشف قوى اللبيدو الغامضة ذلك ان كل فعل من افعال دون جوان هو بمثابة تجسيد لتلك القوى . ولكن في الوقت نفسه يرينا هو ان تلك ( القوى الاولية ) ليست ابدا اولية فهي متجذرة في الانظمة الاجتماعية والتاريخية . وبهذا الشكل يتبين ان دون جوان لا يكون في الاساس مشكلة سايكولوجية ولا اخرى خاصة بالتحليل النفسي . ان اكبر حالات سوء الفهم في التفسير الرومانتيكي لدون جوان هو السعي الى قيادته الى حقل البسيكولوجيا . والتحليل النفسي الذي هو في الجوهر مواصلة حديثة للسايكولوجية الرومانتيكية . ادخلت نتائج نابعة من هذا المفهوم تقترب من العبث ، كذلك اظهرت عجز وعقم التفسير السايكولوجي لغاوي اشبيلية .

يقول اوتو رانك وهو يفكر بدون جوان : ( ان المقصود هنا هو النزاع بين الانا الفردية التي لا تقبل باي ضابط وبين الانا الاجتماعية الممثلة بالاب والرفيق وشريك البيت ) . ان رانك يقوم هنا بتقييم القضية عن طريق الاخذ بالمصطلحات الخاصة بالتحليل النفسي ذلك انه لا يمكن فهم دون جوان بدون ان يلاحظ ان النزاع هذا لا شيء فيه غير تمرد الفرد ضد القوالب الاجتماعية التي صنعها التاريخ ، ضد الايدولوجيا والاخلاقية والاعراف التي لا تلائم حاجات الانسان الجديدة ، ضد الغيبية التي تقتل القوى الحيوية في الفرد . ان هذا التمرد هو جوهر دون جوان .

**— 15 —**

في شخصي دون كيخوت ودون جوان اظهرت صورتان عظيمتان لتمرد الانسان ضد واقع زمنه . الا ان كل واحدة منهما هي تمرد من نوع آخر . فدون كيخوت يقوم بحرب ضد العالم باسم ايدولوجيته الطوبائية ونفسه مليئة بالافكار الذاتية الاكثر نبلا ورفعة في حين ان تمرد دون جوان يتم باسم الأنا الانسانية وضد كل مايقيدها ويسحقها. ان سرفانتس يسخر من بطله اذ انه يدرك انعدام الواقعية لديه وان ايدولوجيته هي اضغاث احلام تزول فيها الحدود بين الفنطازيا والتجريد وبين العالم المدرك بصورة امبيرية . ودون جوان لا تنقصه الواقعية الا انه يفتقد الى كل ما لا يحصل عليه جميع الفرديين ـ ادراك ان الانسان ليس بمادة مغلقة وان الفردي المتطرف لا يملك عند الوقوف بوجه الواقع غير اناه الخاصة .. لكن خارج افعال دون كيخوت وحياته والامر نفسه بالنسبة لدون جوان ، تكمن طاقات لا تنضب للشوق والاحلام والمطامح وسعي القلب البشري لذلك فليس بمقدور اي تفسير ان يمسك بصورة كاملة بالمضامين التي يحملها في داخله كل من دون كيخوت أو دون جوان . ان طريق التمرد الذي يدخله هذان البطلان هو فتح الافاق امام الانسان وليس حجبها .

ان اسبانيا القرن السابع عشر وقبل الاوقات التي جعلت البلاد تغط في سبات عميق طيلة قرون ، قد اعطت العالم رمزين خالدين يصبحان منذ ذلك الوقت الهاما للفكر الذي اصبح عنصره القائد في اوربا التمرد ضد العالم القائم ضد قوى الطبيعة المعادية للانسان . ولربما يكون الاكتشاف العظيم للرومانتيكيين هو فكرة ان فاوست الذي قيض له الخلود في مؤلف جيته هو ، في الجوهر ، مواصلة محدثة لدون كيخوت ودون جوان .

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

# الجند الأموي

## دراسة في تطور المؤسسة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# والجيش العباسي

## العسكرية في العصرين الأموي والعباسي الأول

د. فاروق عمر فوزي

**في البدء لابد لنا ان نشير بان استعمالنا لاصطلاح « الجيش » للدلالة على الجند او المقاتلة العرب في العصر الاموي مبالغ فيه الى حد ما ، بل انه غير وارد تاريخيا ، ذلك لان العرب المسلمين في صدر الاسلام وردحا من العصر الاموي لم يعرفوا الجيش المنظم الدائم ، وان المؤسسة العسكرية العربية لم تتبلور وتأخذ أبعادها وسماتها الحقيقية الا في العصر العباسي .**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حين جاء الاسلام غدت الامة كلها مقاتلة ، والامة المقاتلة تعني ان كل القادرين على حمل السلاح من الرجال ينفرون للحرب عندالحاجة، ولكن لم يكن هناك تنظيم عسكري يربط هؤلاء المقاتلة ولم تكن هناك مؤسسة عسكرية تضمهم . وحين بدأت حروب التحرير والفتح الاسلامي اشترك فيها المقاتلة من مختلف القبائل ولكن هؤلاء المقاتلة لم يشكلوا جيشا نظاميا بالمعنى الدقيق المتعارف عليه لانهم لم يكونوا تحت السلاح على الدوام بل كانوا منصرفين الى اعمالهم الخاصة ومشاغلهم في أوقات السلم ، ولم يسكنوا في ثكنات عسكرية ولم يتدربوا على السلاح بصورة مستمرة . كما لم تكن تربطهم رابطة قوية واحدة فيما بينهم من جهة او مع الدولة من جهة اخرى خاصة عند حدوث الفتن او الازمات الداخلية .

**تطور معنى الجند :**

دل اصطلاح الجند في البداية على وحدة من المقاتلة العرب من قبيلة او قبائل معينة وربما كانتلا تتجاوز في عددها الكتيبة . وبمرور الزمن تطور اصطلاح الجند فأصبح ذا مضمون جغرافي يعني الاقليم او المنطقة التي يحكمها اداريا وعسكريا قائد يترأس مجموعة من المقاتلة ويعتمد على واردات الاقليم في التموين والعطاء(1) .

ولم يسكن المقاتلة العرب في البداية المدن في البلاد المفتوحة بل بنوا لانفسهم مدنا جديدة بدات على هيئة معسكرات استقروا فيها مع عوائلهم وسميت الامصار . وقد قسم المقاتلة في الامصار الجديدة الى ارباع او اخماس منفصلة عن بعضها البعض وتحتوي على قبائل معينة واطلق على هؤلاء المقاتلة اسم جند ( جمع اجناد ) . الا ان خلفاء بني امية في بلاد الشام انتهجوا سياسة معينة في سورية بحيث جعلوا في كل مصر من بلاد الشام قبيلة معينة ، فكان جند

النقصان ، المقطوع ، المقطوف ، المشعث ، المكسوف .

**الفصل الثالث : القوافي**

انواعها : الروي ، الوصل ، الخروج ، التاسيس ، الاشباع ، التوحيد ...

**الفصل الرابع : اشتقاق هذه الالقاب والمواصفات**

**الفصل الخامس : نقد الشعر**

التشبيه ، الاستعارة ، المطابقة ، الالتفات ، الاعنات ،

الباب السادس : الاخبار
وهي تسعة فصول

**الفصل الاول : ملوك الفرس**

الطبقة الاولى : البيشدادية
الطبقة الثانية : الكيانية

**الفصل الثاني : خلفاء وملوك الاسلام ونعوتهم والقابهم**

كالصديق والفاروق ، ذو النورين ( عثمان ) الوصي ( علي ) وخلفاء بني امية وبني العباس .

**الفصل الثالث : ملوك اليمن والقابهم**

**الفصل الرابع : ملوك اليمن في الجاهلية**

**الفصل الخامس : ملوك الروم**

**الفصل السادس : اخبار الفرس** ومنهم اصناف الكتابة الفارسية

**الفصل السابع : اخبار الفتوح والمغازي واخبار عرب الاسلام** ومنهم طبقات الناس بالهند .

**الفصل الثامن : الفاظ يكثر ذكرها في اخبار العرب وايامها في الجاهلية**
( السقاية ، الحجابة ، السقاية ... )

**الفصل التاسع : الفاظ يكثر ذكرها في اخبار الروم** ( البطريق ، الطرخان .. )

**المقالة الثانية**

**تسعة ابواب**

الباب الاول : في الفلسفة وهي ثلاثة فصول

1 ــ اقسام الفلسفة واصنافها
2 ــ في جمل ونكت عن العلم وما يتصل به
3 ــ الفاظ ومواصفات يكثر جريها في كتب الفلسفة

**الفصل الاول : اقسام الفلسفة**

1 ــ القسم النظري

2 ــ القسم العملي

النظري : ثلاثة اقسام : علم الطبيعة ، العلم التعليمي ، المنطق .

العملي : ثلاثة اقسام : علم الاخلاق ، تدبير المنزل ، تدبير العامة .

النظري :

**العلم الطبيعي**

الطب
الاثار
علم المعادن والنبات والحيوان
صناعة الكيمياء

**العلم التعليمي**

1 ــ الارتماطيقا ( الحساب والعدد )
2 ــ الجيومطريقا ( الهندسة )
3 ــ الاسطرنوميا ( علم الفلك )
4 ــ علم الموسيقى

**الفصل الثاني : جمل العلم الالهي**

( العقل ، العقل الهيولاني ، النفس ، النفس الكلية ، النفس العامة ، الطبيعة ) .

**الفصل الثالث : الفاظ يكثر ذكرها في الفلسفة**

( الهيولى والمكان ، الخلاء ، الزمان ، المدة ، الجسم الطبيعي التجزؤ ، الحواس ، المشاعر والنفس والحيوان ، الكمون ، الاستحالة والنوامس .. )

الباب الثاني : المنطق

وهي تسعة فصول
**الفصل الاول : ايساغوجي ( المنطق )**
**الفصل الثاني : قاطيفورياس ( كتاب ارسطوطاليس في المنطق )**
**الفصل الثالث : باري ارمينياس ( التفسير )**
**الفصل الرابع : أنولوطيقا ( العكس )**
**الفصل الخامس : افودقطيقي ( الايضاح )**
**الفصل السادس : طوبيقي ( المواضع )**
**الفصل السابع : سوفسطيقي ( التكتم )**
**الفصل الثامن : ربطوريقي ( الخطابة )**
**الفصل التاسع : بيوطيقي ( الشعر )**

الباب الثالث : الطب

وهو ثمانية فصول

**الفصل الاول : التشريح** : الشرايين والعضل ، النخاع ، طبقات العين ، قصبة الرئة ، الحنجرة ، المعدة .

**الفصل الثاني : الاعراض والادواء**

السعفة ، الحزاز ، الحصف ، الجذام ، الجساء ، السرطان ، النصلة ، النار الفارسية .

**الفصل الثالث : في ذكر الاغذية**

الاطرية ، الفراني ، الحنطة المسلوقة ، الصبار ، الملبق ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

**الفصل السادس : في الوجوه التي تنصب بها الاسماء**

وهي ( المفعول ، خبر كان والمصدر والظرف والتعجب والحال والتمييز والاستثناء والنداء والمدح ) .

**الفصل السابع : في الوجوه التي تخفض بها الاسماء**

وهي ،
1 ـ الاضافة الى اسم
2 ـ حرف المعنى من وعن وعلى والى والكاف واللام .

**الفصل الثامن ، في الوجوه التي يتبع بها الاسم ما قبله في وجوه الاعراب**

وهي ثلاثة : العطف والبدل والصفة .

**الفصل التاسع : تنزيل الافعال**

وهي اربعة ( ماضي ومستقبل ومضارع ومبني للامر ) .

**الفصل العاشر : الحروف التي تنصب بها الافعال**

وهي ( ان ، لن ، اذن ، كي ) .

**الفصل الحادي عشر : الحروف التي تجزم الافعال المضارعة**

وهي : ( ان ، ما ، مهما ، اذما ، حيثما ومن ، انى واين واينما وحتى وكيف وكيفما ) .

**الفصل الثاني عشر : النوادر**

وهي ( الاغراء ، التوكيد ، الظروف ، الندبة ، العدد ، جمع التكسير وجمع السالم ) .

الباب الرابع : الكتابة
وهي ثمانية فصول

**الفصل الاول : اسماء الذكور والدفاتر والاعمال**

كقانون الخراج والزنامج والختمة والتاريخ والعريضة والبراءة والجريدة السوداء والرجعة والصك والمؤامرة والاستقرار والمواصفة والجريدة المسجلة والفهرست والدستور والجائزة والانجيذج والدروزن .

**الفصل الثاني : مواضعات كتاب ديوان الخراج**

وتشمل : الفيء والعشر وصدقات الماشية والركاز والكراع وسيب البحر واخماس المعادن والغنائم ومال الجوالي والطسق والاقطاع والطعمة والايغار والتسويغ والحاصل والعبوة والباقي والواقعة والنفقات المعارضة والرائج والمنكسر والمتعذر والمردود والموقوف والحرز والخرص والمغارمة والتلجئة .

**الفصل الثالث : مواصفات كتاب ديوان الخزن**

وتشمل : الحمول والتسبيب والطسوج والدانق والدينار والحبة .

**الفصل الرابع : الفاظ تستعمل في البريد**

البريد ( كلمة فارسية ) ، الموقع ، الاسكدار ، السكة .

**الفصل الخامس : مواصفات كتاب ديوان الجيش**

الاثبات والزيادة والنقل والوضع والساقط وهناك انواع حساب الارزاق : وهي حساب الجند وحساب المرتزقة واقامة الطمع والتلميظ والسلف والمقاصة .

**الفصل السادس : الفاظ تستعمل في ديوان الضياع والنفقات**

الفاظ المساح ( وهي الاشل ستون ذراعا ) البار ، القبضة ، الاصبع والجريب والقفيز وهناك انواع المكاييل .
الكر المعدل ، القنقل ، المختوم ، الفب ، المكوك ، القالج ، الجريب ، النفنجة ، السمح ، الفور .

**الفصل السابع : الفاظ تستعمل في ديوان الماء وهي**

الكستبزود ، البست ( مزج الماء ) ، الفنكال ، الكوالجة ، المفرغ ، الملاح ، المرار ، المسناة ، الشاذروان ... الخ .

**الفصل الثامن : مواصفات كتاب الرسائل**

( هناك الفاظ ومواصفات يستعمل فيها كالتسجيع والترصيع التضريس ، المضارعة ، المكافاة ، الاستعارة ، التتميم المبالغة ) .

الباب الخامس : الشعر والعروض
وهو خمسة فصول

**الفصل الاول : جوامع هذا العلم واسماء اجناس العروض**

**الفصل الثاني : القاب العلل والزحافات**

**الفصل الثالث : ذكر القوافي والقابها**

**الفصل الرابع : اشتقاقات هذه الالقاب والمواصفات**

**الفصل الخامس : نقد الشعر ونقاده**

**الفصل الاول : العروض** : تعريفه : انواعه
انواعه : 15 جنسا

الجنس الاول : الطويل ثلاثة انواع
الجنس الثاني : المديد
الجنس الثالث : البسيط
الجنس الرابع : الوافر
الجنس الخامس : الكامل
الجنس السادس : الهزج
الجنس السابع : الرجز
الجنس الثامن : الرمل
الجنس التاسع : السريع
الجنس العاشر : المنسرح
الجنس الحادي عشر : الخفيف
الجنس الثاني عشر : المضارع
الجنس الثالث عشر : المقتضب
الجنس الرابع عشر : المجتث
الجنس الخامس عشر : المتقارب

**الفصل الثاني** : القاب العلل والزحافات

السالم ، المجزوم ، المشطور ، المرفل ، المسبغ ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

النقصان ، المقطوع ، المقطوف ، المشعث ، المكسوف .

**الفصل الثالث : القوافي**

انواعها : الروي ، الوصل ، الخروج ، التاسيس ، الاشباع ، التوحيد ...

**الفصل الرابع :** اشتقاق هذه الالقاب والمواصفات

**الفصل الخامس : نقد الشعر**

التشبيه ، الاستعارة ، المطابقة ، الالتفات ، الاعنات ،

الباب السادس : الاخبار
وهي تسعة فصول

**الفصل الاول :** ملوك الفرس

الطبقة الاولى : البيشدادية
الطبقة الثانية : الكيانية

**الفصل الثاني : خلفاء وملوك الاسلام ونعوتهم والقابهم**

كالصديق والفاروق ، ذو النورين ( عثمان ) الوصي ( علي ) وخلفاء بني امية وبني العباس .

**الفصل الثالث : ملوك اليمن والقابهم**

**الفصل الرابع : ملوك اليمن في الجاهلية**

**الفصل الخامس : ملوك الروم**

**الفصل السادس : اخبار الفرس** ومنهم اصناف الكتابة الفارسية

**الفصل السابع : اخبار الفتوح والمغازي واخبار عرب الاسلام** ومنهم طبقات الناس بالهند .

**الفصل الثامن : الفاظ يكثر ذكرها في اخبار العرب وايامها في الجاهلية**
( السقاية ، الحجابة ، السقاية ... )

**الفصل التاسع : الفاظ يكثر ذكرها في اخبار الروم** ( البطريق ، الطرخان .. )

**المقالة الثانية**

**تسعة ابواب**

الباب الاول : في الفلسفة وهي ثلاثة فصول

1 ـ اقسام الفلسفة واصنافها
2 ـ في جمل ونكت عن العلم وما يتصل به
3 ـ الفاظ ومواصفات يكثر جريها في كتب الفلسفة

**الفصل الاول : اقسام الفلسفة**

1 ـ القسم النظري

2 ـ القسم العملي

النظري : ثلاثة اقسام : علم الطبيعة ، العلم التعليمي ، المنطق .

العملي : ثلاثة اقسام : علم الاخلاق ، تدبير المنزل ، تدبير العامة .
النظري :

**العلم الطبيعي**

الطب
الاثار
علم المعادن والنبات والحيوان
صناعة الكيمياء

**العلم التعليمي**

1 ـ الارتماطيقا ( الحساب والعدد )
2 ـ الجيومطريقا ( الهندسة )
3 ـ الاسطرنوميا ( علم الفلك )
4 ـ علم الموسيقى

**الفصل الثاني : جمل العلم الالهي**

( العقل ، العقل الهيولاني ، النفس ، النفس الكلية ، النفس العامة ، الطبيعة ) .

**الفصل الثالث : الفاظ يكثر ذكرها في الفلسفة**

( الهيولى والمكان ، الخلاء ، الزمان ، المدة ، الجسم الطبيعي التجزوء ، الحواس ، المشاعر والنفس والحيوان ، الكمون ، الاستحالة والنوامس .. )

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الباب الثاني : المنطق

وهي تسعة فصول

**الفصل الاول : ايساغوجي ( المنطق )**
**الفصل الثاني : قاطيفورياس ( كتاب ارسطوطاليس في المنطق )**
**الفصل الثالث : باري ارمينياس ( التفسير )**
**الفصل الرابع : انولوطيقا ( العكس )**
**الفصل الخامس : افودقطيقي ( الايضاح )**
**الفصل السادس : طوبيقي ( المواضع )**
**الفصل السابع : سوفسطيقي ( التكتم )**
**الفصل الثامن : ريطوريقي ( الخطابة )**
**الفصل التاسع : بيوطيقي ( الشعر )**

الباب الثالث : الطب

وهو ثمانية فصول

**الفصل الاول : التشريح :** الشرايين والعضل ، النخاع ، طبقات العين ، قصبة الرئة ، الحنجرة ، المعدة .

**الفصل الثاني : الاعراض والادواء**

السعفة ، الحزاز ، الحصف ، الجذام ، الجساء ، السرطان ، النصلة ، النار الفارسية .

**الفصل الثالث : في ذكر الاغذية**

الاطرية ، الفراني ، الحنطة المسلوقة ، الصبار ، الملبق ،

( فراريج فارسية ) ، الحزاء ، التوت ، الامبرباريس ، الحرشف ، الكنكر . .

**الفصل الرابع : الادوية المفردة**

1 ـ الادوية النباتية
2 ـ الادوية المعدنية
3 ـ الادوية الحيوانية

**1 ـ الادوية النباتية**

الاصطرك ( صمغ الزيتون )
البسباسة ( قشور جوز البوا )
حب النيل
الميعة ( صمغ من شجر معين )

**2 ـ الادوية المعدنية**

اقليميا
ثفسيا ( صمغ السذاب )

**الفصل الخامس : الادوية مشتبهة الاسماء**

الاصابع الصفر ( يصلح للجنون )
آذان الفار
عنب الثعلب . . .

**الفصل السادس : الادوية المركبة**

الترياق ، الميه ( السفرجل والخمر ) الجلنسجبين ( الورد والعسل ) .

**الفصل السابع : اوزان الاطباء ومكاييلهم**

ايطاليقوس ( 18 اوقية )
القسط العطري ( 24 اوقية )
القنطار ( 120 رطل )
الكوب ( 3 ارطال )
البندقة ( درهم )
النواة ( ثلث مثقال )
الجرجر ( ثلثي مثقال )
اللعقة ( 4 مثاقيل )

**الفصل الثامن : النوادر**

**الامزجة** تسعة وهي :
المعتدل ، الحار ، البارد ، الرطب ، اليابس ، الحار الرطب ، الحار اليابس ، البارد الرطب ، البارد اليابس .
**الاخلاط** : الدم والبلغم
الاعشاج : المرة الصفراء ، المرة السوداء .
الاعضاء الرئيسة : الدماغ والقلب والكبد والانثيان .

الباب الرابع : الارثماطيقا

وهي خمسة فصول
**الفصل الاول : الكمية المفردة**
**الفصل الثاني : الكمية المضافة**
**الفصل الثالث : الاعداد المسطحة والمجسمة**
**الفصل الرابع : العيارات**
**الفصل الخامس : حساب الهند وحساب الجمل ومبادىء الجبر والمقابلة**

**الفصل الاول : الكمية المفردة**

1 ـ العدد الزوج : الوحدانيات 4 ، 6
2 ـ العدد الفرد 3 ، 5
3 ـ زوج الزوج : يمكن ان ينتصف دائما مثلا 64 نصفها 32 نصفها 16 ونصفها 8 ونصفها 4 اثنان ونصف اثنان 1 .
4 ـ زوج الفرد

ينقسم قسمين ويكون نصفاه فردين مثلا العشرة نصفها 5 .

5 ـ الزوج والفرد
ينقسم اكثر من مرة واحدة قسمين ولا ينتهي بالوحدانيات مثلا 12 نصفه 6 منه اول ونصفه 6 ، 3

6 ـ الفرد غير مركب
وانه لا ينقسم مثل 5 ، 7 اي ليس له نصف ولا ثلث ولا غيره من الاجزاء الا الجزء الذي هو سميه مثلا ثلث الثلاثة واحد ، خمس الخمسة واحد .

7 ـ ثان مركب وهو الفرد
الذي يعده عدد اول كالتسعة يعدها ثلاثة ينقسم على ثلاثة .

8 ـ ثان مركب عدد انفراده واول عند القياس مثلا التسعة تضاف الى 15 عدد ويعدهما وهي ثلاثة ينقسم كل منهما على ثلاثة .

9 ـ العدد التام من اقسام الزوج الذي يعدل مبلغ اجزائه جملته مثل ستة نصفها وثلثها وسدسها ستة .

10ـ **العدد الزائد من اقسامه** : وهو الذي يزيد مبلغ اجزائه على جملته مثل اثنا عشر (12) نصفها وربعها وثلثها وسدسها وجزؤها من اثني عشر ستة عشر .

11ـ **العدد الناقص** : هو الذي ينقص مبلغ اجزائه من جملته مثل عشرة نصفها وخمسها وعشرها ثمانية .

12ـ **العددان المتحابان** : هما اللذان اذا جمعت اجزاء كل واحد منهما تساوى مجموعاهما .

**الفصل الثاني : الكمية المضافة**

تنقسم قسمان

ا ـ **المعادل** كالخمسة والخمسة والعشرة والعشرة

**ب ـ وهو المضاف**

1 ـ الكبير 2 ـ الصغير

1 ـ الكبير ينقسم الى خمسة اقسام

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(أ) **المضاعف** مثل الاربعة ضعف الاثنين ، الستة ضعف الثلاثة .

(ب) **الزائد جزءا** كالثلاثة تزيد عن الاثنين بجزء

(ج) **الزائد اجزاء** كالخمسة فتزيد عن الثلاثة بجزئين ( ثلثين ) .

(د) **المضاعف الزائد جزءا** كالسبعة اذا قسمت الى ثلاثة ففيها ضعف الثلاثة وثلثها .

(هـ) **المضاعف الزائد اجزاء** كالثمانية اذا قيست الى ثلاثة فان فيها ضعف الثلاثة وثلثيها .

2 ـ الصغير

(أ) تحت المضاعف
(ب) تحت المضاعف الزائد جزءا
(ج) تحت المضاعف الزائد اجزاء
(د) المضاعف الثنائي والثلاثي .. الخ
(هـ) المضاعف الزائد جزءا الثاني والثلاثي

**الفصل الثالث : الاعداد المسطحة والمجسمة**

وتنقسم الى عدة اقسام
1 ـ الاعداد الطبيعية مثل واحد اثنين ثلاثة اربعة ..
2 ـ الاعداد المسطحة

(أ) **المثلثة** وهي مثل واحد ، ثلاثة ، ستة عشر

(ب) **المربعة** مثل واحد ، 4 ، 9 ، وتتولد من جمع المثلثات أو مجموع الافراد الطبيعية وهي المتخطية .

(ج) **المخمسة** وهي 1 ، 5 ، 12 وتتولد من جمع الاعداد المتخطية على نظم الطبيعي ثلاثة ثلاثة

(د) **المسدسات** تتولد من المتخطية اربعة اربعة وكذلك ما بعدها من السطوح .

3 ـ **الاعداد المجسمة المخروطة**
وهي مثلثة 1 ، 14 ، 20 من تراكم المثلثات مربعة 1 ، 5 ، 14 من تراكم المربعات المحذوفة

4 ـ **الاعداد المجسمة** المتوازية المتساوية الاضلاع دون السطوح وهي **مثلثة** وهي 1 ، 6 ، 18 ، 40
**المربعة** وهي 1 ، 8 ، 27 ، 64
**المخمسة** وهي 1 ، 10 ، 36 ، 48

**الفصل الرابع ـ العيارات**

**الفصل الخامس ـ وجوه الحسابات**

ويسمى حساب الهند وهو تسعة صور وتقوم على اسس آحاد عشرات مئات الف .

1 ـ يقوم مقام العشرة والمائة والالف وعشرة الاف ... الخ
2 ـ يقوم مقام العشرين والمائتين والالفين ...
3 ـ يقوم مقام الثلاثين والثلاثمائة والثلاثة آلاف
4 ـ يقوم مقام الاربعين
5 ـ يقوم مقام الخمسين
6 ـ يقوم مقام الستين
7 ـ يقوم مقام السبعين
8 ـ يقوم مقام الثمانين
9 ـ يقوم مقام التسعين

الباب الخامس ( الهندسة )

وتنقسم الى اربعة فصول

**الفصل الاول ـ مقدمات الصناعة**

**الفصل الثاني ـ الخطوط مستقيم مقوس منحني**

**الفصل الثالث ـ البسائط مسطح مقبب مقعر**

**الفصل الرابع ـ المجسمات**

الشكل الناري
الشكل الارضي
الشكل الفلكي
الشكل اللبني
الشكل العمودي
الشكل اللوحي

الباب السادس ـ علم النجوم
اربعة فصول

**(1) الفصل الاول ـ النجوم السيارة والثابتة وزحل والمشتري والمريخ ...**

**(2) الفصل الثاني ـ ذكر الافلاك وتركيبها واحوال الكواكب وهيئة الارض .**

ويشمل تعريف العلم

1 ـ انواع الافلاك ( الفلك المستقيم )

2 ـ خط الاستواء

3 ـ فلك البروج

4 ـ دائرة الافق

5 ـ دائرة الارتفاع

6 ـ الميل ، سعة المشرق ، الاعتدال الربيعي ، نقطة المنقلب ، عرض البلد ، الزيج ، مطالع الفلك ، مطالع البلد ، الساعة المستوية ، الازمان ، قوس الليل ، الجوزهر ، الاوج ، الافيجيون ( الحضيض ) ، منطقة البروج ، سير الطول ، رجوع الكواكب ، فلك الاوج ( يحيط بالارض ) ، البركسيس ( اختلاف المنظر ) ، كسوف الشمس ، كسوف القمر ، التعديل ، المركز ، الكندر ( سير الكواكب ) ، البهت المعدل ( سير الكواكب المعدل ) الكوكب الصميم ، السنة الكبيسة ، الكردجة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

( قناع الارض ) ، الجيب .

**الفصل الثالث ـ مبادىء الاحكام**
انواع الاحكام ـ

بيت الكوكب ، شرق الكوكب ( درجة ينسب لها ) ، المثلثة ( كل ثلاثة ابراج تكون على طبيعة واحدة ) الوجه والصورة والدريجان والدهج

**الفصل الرابع ـ آلات المنجمين**

الاسطرلاب ( مقياس النجوم ) ، الربع ، العضادة ، الحجرة ، الام ، العنكبوت ، المقنطرات ( الخطوط المقوسة ) ، خطوط الساعات ، خط الاستواء ، خط نصف النهار

**انواع الاسطرلاب**

الهلالي ، الكروي ، الزورقي ، الصدفي ، المسرطن والمبطح .

**انواع الساعات**

الطرجهارة ، صندوق الساعات ، دبة الساعات ، الرخامة ، المكحلة ، اللوح .

الباب السابع ـ الموسيقى

وتنقسم الى ثلاثة فصول

**الفصل الاول ـ اسامي الالات وما يتبعها ومنها**

الارغانون ( آلة يونانية ) ، الشلياق ( يونانية ) ، القيثارة ، الطنبور الميزاني ، العنق الرباب ، المعزفة ، المستق ( آلة صينية ) الناى ، المزمار ، السرناي ( صفارة ) ، الشهروذ ، البربط ( العود ) .

**الفصل الثاني ـ جوامع الموسيقى**

النغمة ، النغم ، البعد ، الجمع ، الطبقات ، البعد ذو الكل البعد ذو الخمس ، البعد ذو الاربع ، البعد ذو الخمس ، الاجناس وهي ثلاثة ـ

1 ـ الطنيني

2 ـ اللوى والملون

3 ـ التاليفي والناظم

**الفصل الثالث ـ في الايقاعات المستعملة**

الايقاع
النسب ، الهزج والرمل

الباب الثامن ـ الحيل

ويتالف من فصلين

1 ـ جر الاثقال بالقوة اليسيرة وآلاته

2 ـ آلات الحركات وصنعة الاواني العجيبة

**الفصل الاول ـ جر الاثقال بالقوة اليسيرة وآلاته**

صناعة الحيل ( المنجنيق ) ، البرطيس ، المخل ، البيرم ، ابو مخليون ، الاسفين ، الدبة ، غلاغرا ( معصرة للزياتين ) .

**الفصل الثاني ـ حيل حركات الماء وصنعة الاواني العجيبة**

المي دزد ( سارق الشراب ) ، المهتم ، المطحون ، المدفع ، المليار والمينار ، الشاقول ... الخ .

الباب التاسع ـ الكيمياء

وتتكون من ثلاثة فصول

**الفصل الاول آلات الصناعة**

**الفصل الثاني ـ عقاقير وادوية في الجواهر والاحجار**

**الفصل الثالث ـ تدبيرات هذه الاشياء ومعالجتها**

**الفصل الاول ـ آلات الصناعة**

تعريف الكيمياء

**آلات تلويب وسبك** الكور ، البوطق ، الماشق ، الراط ، الزق
**آلات التدبير** القرع ، الانبيق ، الآثال ( امة زجاجية ) ، الزق القابلة ، الطابستان كاتوز ( كانون نافخ ) ، الدرج .

**الفصل الثاني ـ اسماء الجواهر والعقاقير والادوية المستعملة في هذه الصناعة**

الذهب ، الفضة ، الحديد ، النحاس ، الاسرب ، الرصاص ، القلعي والخارصين ، الارواح ( الكبريت ) الزرنيخ ، الزئبق ، النشادر ، الملح وهو انواع

( احمر ، صواني ، نفطي ، بيضي ، هندي )

الشب ( السوري ، الابيض )

الزوج ( ابيض ، اخضر ) ، المغنيسيا ، التوتيا ، الدهنج ( الفيروزج ) اللازورد ، الطلق ، الجمست ، الكحل ، المغناطيس ، صمغ الصنوبر ، الزنجار ، الزنجفر ، الزئبق ، الاسفيد اج ( صفائح الرصاص ) ، زعفران الحنييد .

**الفصل الثالث ـ تدبيرات هذه الاشياء ومعالجتها**

التقطير ، التصعيد ، الترجيم ( نوع من التصعيد ) . التحليل، التشويه ( تسقى العقاقير ماء ) ، التشميع ( تليين الشيء ) ، التصدئة ، التكليس ( يجعل جسد في كيزان مطينة اى يصير مثل الدقيق ) .

التصويل ( الترسيب في الرطوبة )
الالغام سحق الجسد وحفظه مع الزئبق
طين الحكمة ، الحجر
السرجين ( شعر الدواب المقطع )
ملح الاكسير ( دواء يطبخ مع الجسد المذاب بجعله ذهبا او فضة ) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# تقصير الكنائس

مايكل ادامز
ترجمة عفراء زيدان

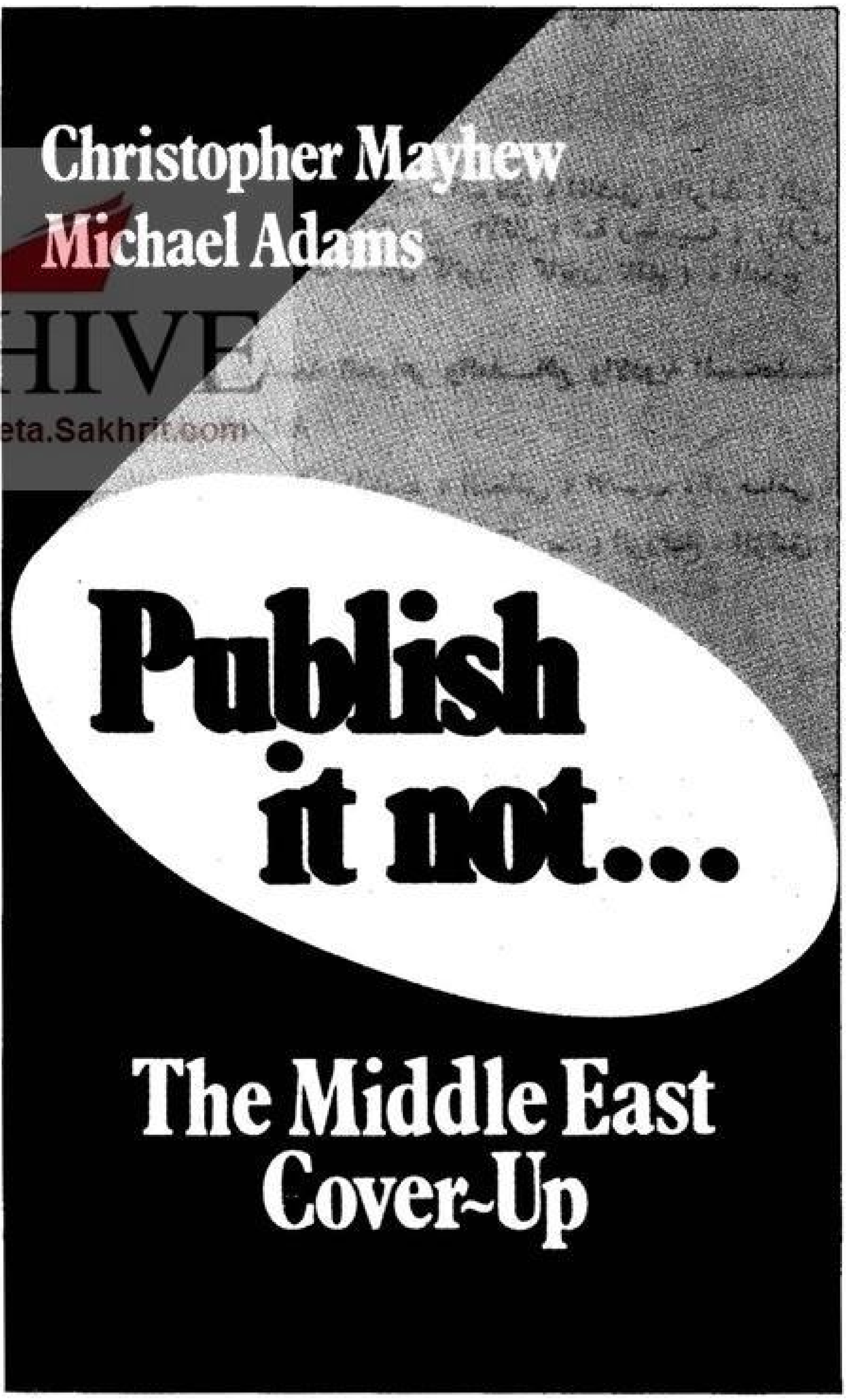


ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

«لهذا السبب علينا ان نزرع الالغام لتهديم الايمان وان نمحو من عقول الغير ، مبادىء الله والروح وان نبدل هـــذه المبادىء بحسابات رياضية ورغبات مادية » .

البروتوكول الرابع
من بروتوكولات
حكماء صهيون

« وقد تمكنا من تضليل شبيبة غير اليهود وتخـــديرهم وافسادهم ، عن طريق تعليمهم مبادىء ونظريات نعرف انها كاذبة ، ولكننـــا اوحينا بها ، وقد خلقنا فوق القوانين القائمة ودون ان نحدث فيها تغييرا واقعيا ، عن طريق التشويه بواسطة التفسيرات المتناقضة شيئا عجيبا من ناحية النتائج التي حققناها » .

البروتوكول التاسع
من بروتوكولات
حكماء صهيون

« عندما نصبح حكاما ، سنعتبر وجود اية ديانة باستثناء ديانتنا امرا غير مرغوب فيه ، معلنين وجود إله واحد ، يرتبط به مصيرنا وبوصفنا شعب الله المختار الذي جعل من مصيرنا شيئا مرتبطا بمصير العالم، وعلينا لهذا السبب ان ندمر جميع الديانات الاخرى .ولهذا فاذا ظهر عدد من الملحدين مؤقتا ، فان ظهورهم كمرحلة مؤقتة لن يتدخل في اهدافنا».

**البروتوكول الرابع عشر**
**من برووتوكولات**
**حكماء صهيون**

« لقد عنينا اصدق العناية منذ امد طويل، بالحط من قيمة رجال الدين من غير اليهود، وتحطيم رسالتهم ، وهي رسالة قد تعطل علينا اعمالنا بشكل ضخم ، وها هو نفوذهم على الشعب يتقلص يوميا » وقد اعلنا حرية الضمير في كل مكان ، ولم يبق بالنتيجة الا مسالةوقت، عندما ينهار الدين المسيحي انهيارا كاملا » .

**البروتوكول السابع عشر**
**من بروتوكولات**
**حكماء صهيون**

اهمية فلسطين لاي مسيحي لا تحتاج الى توكيد وهنالك تنظيمات كنائسية متعددة موجودة في فلسطين نفسها قد قامت باعمال رائعة بين الفدائيين منذ عام 1948 وما بعده وارسلت برقيات صريحة لا تطالب بالمساعدات المادية فقط بل بعمل سياسي من الدول الغربية ، ولكن الغريب والمقلق ان الكنائس المسيحية في الغرب ابدت اهتماما قليلا حول مصير فلسطين او الفلسطينيين اثناء التغيرات التي حدثت في نصف القرن الماضي وبشكل خاص خلال السنوات الحاسمة بعد حرب 1967 عندما الحق الاسرائيليون مدينة القدس نفسها بكيانهم وعندما تعرضت بقية الاراضي الفلسطينية الى الاحتلال العسكري حيث قبلت الكنائس بخنوع « الامر الواقع » كما فعل الاخرون . « الامر الواقع » الذي لم يكن حقا ابدا ويحمل في طياته بذور مزيد من الصراعات .

قد يفكر الشخص ان وجود جيش الاحتلال قد يحرج المسؤولين عن الحجاج المسيحيين الى بيت لحم والقدس ووجود الجنود الاسرائيليين وهم يحملون اسلحتهم خارج كنيسة القيامة والاماكن المقدسة الاخرى قد يفجر الخلاف مع القادمين للاحتفال بعيد الميلاد او عيد الفصح في الارض المقدسة . ولكن الذي يلفتالنظر ان عددا قليلا من هؤلاء الحجاج انفسهم او من الذين خططوا الرحلة ادركوا احساس الياس المزوج بالامتعاض الذي كسا الوجوه الهادئة للفلسطينيين الذين راقبوهم في ايابهم وذهابهم ، كما ادرك قليل منهم ان من بين هؤلاء الفلسطينيين عددا لا باس به من المسيحيين الذين امتزجت فيهم مشاعر الامتعاض مع الخجل لانتمائهم الى مسيحيي العالم الذين تخلوا عنهم وتركوهم الى محتليهم .

والواقع ان اهمال اكثرية الزوار من الغرب تمييز الصحيح عن الخطأ في القضية الفلسطينية او حتى معرفة حقائقها الاساسية كانت ملفتة للنظر وتدخل الالام والياس في القلوب وحتى قلب اشجع شخص وقع تحت الاحتلال الاسرائيلي ، وبهذا الخصوص اتذكرامراة هولندية تعمل بتفان كممرضة في غزة وكانت الظروف فيها مزيجا من فظاعة الاضطهاد والرعب وقد اخبرتني انها كانت اقل رعبا من هذا الموقف اذا ما قارنته بالاهمال الكيس من قبل جميع السواح الغربيين والحجاج الذين قابلتهم عندما ذهبت في احدى المناسبات الخاصة الى القدس ، ومن الطبيعي ان ايا من هؤلاء الزوار لم يتغلغل في غزة . وقالت لي السيدة الهولندية انها عندما اخبرت واحدة من الحجاجالتي بدت سيدة محترمة بانها تعمل مع اللاجئين سالتها الحاجة : « من اين نزح هؤلاء ؟ » وعندما اخبرتها بانهم فلسطينيون سالتها : « اي نوع من البشر هم ؟ »

مرة اخرى قد يفترض الشخص ان مسؤولي الكنائسالمسيحيين قد يشعرون ان من واجبهم التصدي التام لهذا الاهمال كما يتوقع الفرد منهم ان يشاركوا بحماس في كونهم جزء من ضحايا المأساة الفلسطينية وان يرفعوا اصواتهم احتجاجا على الظلم الذي يرتكب حولهم جميعا .

الا ان واقع الحال ليس كذلك بل يرعى رجال الدين سواحهم المقدسين كما يفعل كهنتهم الكبار ، ومع وجود استثناءات قليلة ونبيلة الا انها ليست بقدر اهمال الظلم الذي يشارك فيه المتعاونون مع المحتل . اذ ان قليلا من المخلصينالمخدوعين الذين يفعلون ذلك بسبب غسل الدماغ الذي تعرضوا له وجعلهم يعتقدون ان دولة اسرائيل الحديثة هي تحقيق لنبوءة توراتية(1) ومع هذا النوع من اساسية العقيدة لا تجدي محاولة الاقناع المنطقي .

وهناك بعض المخلصين الجبناء يقفون مع الاسرائيليين لان رجل الكنيسة كالسياسي يختار الموقف المساير للذوق العام والاكثر امانا لهم ان يكونوا الى جانب اليهود . اما بالنسبة للبقية فان دوافعهم ببساطة هي الحذر المتيقظ لان الاسرائيليين منذ ان اصبحوا السادة في القدس في عام 1967 اصبح في مقدورهم جرد املاك اي فرد او منظمةلايوافقون

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على نشاطه او نشاطها ولم يقوموا باي محاولة لاخفاء الحقيقة بان الطائفة المسيحية في القدس ذات الممتلكات المهمة غير حصينة ومعرضة للعقوبات التي ينزلها بها الاسرائيليون شانها شان اي فرد آخر .

**وكان المفروض ان تقوم الكنائس بقيادة الراي العام الغربي حول الماساة الواضحة والمكشوفة في قضية الشرق الاوسط ولكنها بقيت ساكتة في معظم الاحيان كما بقيت في الواقع مهملة او في احسن الاحوال اجابت النداءات التي ارسلها اليها الذين كبتت مشاعرهم بواسطة هذه الاعتبارات البراغماتيكية(2) ( الذرائعية ) بردود غامضة ، ومن هؤلاء كان العدد كبيرا الا انهم لم يصلوا ولم يحصلوا غالبا على شعبية كبيرة . وامامي وانا اكتب هذا الكتاب واحدة من اهم الوثائق التي صدرت من القدس في ايام حرب حزيران ( يونيه ) 1967 على شكل « رسالة مفتوحة الى مسيحيي العالم » وقد كتبتها نيابة عن السكان العرب في القدس احدى الامريكيات زوجة دكتور فلسطيني يجري بحوثا في مواضيع الصحة الغذائية بين اطفال اللاجئين في مستشفى اوغستا فيكتوريا في القدس . وقد كتبت الرسالة بعد اسبوعين فقط من انتهاء الحرب وقد اعربت السيدة نانسي نولان ابو حيدر عن قلقها في ذلك الحين حول عدد من الامور التي جاء ذكرها في هذا الكتاب : السلب والنهب والاضطهاد والابادة التي تبعت فجاة الاحتلال الاسرائيلي للقدس وتدنيس المزارات والاماكن المقدسة للمسيحيين والكنائس وكذلك الهجمات على سيارات الاسعاف والمستشفيات ومن بينها مستشفى اوغستا فيكتوريا ولكن الاهم من كل ذلك وهو الحقيقة بان قليلا من ذلك يكتب عنه في الصحافة الغربية بسبب « معارضة المصالح الثابتة في نشر او اعلان قصة القدس الكاملة وغير المتحيزة » ، وقد اعطت السيدة ابو حيدر « الادانة الثابتة » بان جميع الاجراءات التي قام بها الاسرائيليون في الايام القليلة بعد الاحتلال تؤدي الى وضع « مقصود مرسوم كوسائل لاكراه هؤلاء الافراد ( عرب القدس ) على تركها وبالتالي تمكين المسؤولين الاسرائيليين من المزيد من التخريب ومصادرة الممتلكات وحتى تعاد الصياغة الكاملة لبناء الخريطة السكانية للمدينة القديمة لكي تلائم الاهداف بعيدة المدى للحكومة الاسرائيلية « وقد ناشدت المسيحيين في كل مكان لاستعمال افضل الوسائل وعلى كافة المستويات للتدخل نيابة عن ضحايا هذه الوسائل والتوضيح لهم بانهم لم ينسوا ولم يتخل عنهم الغرب » .**

ومن الطبيعي ان يكون من بين هذه الكنائس البعض الذي ابدى اهتماما واعطى وعودا للفلسطينيين حول العملية البطيئة لنزع الملكية التي ستؤدي خلال جيل من الزمن الى طردهم من اراضي آبائهم . وفي آب ( اغسطس ) 1967 ثبت لقاء للجنة المركزية لمجلس الكنائس العالمي الذي انعقد في هيراكليون في كريت اعتقاده « ان الدعم في تاسيس دولة اسرائيل دون حماية لحقوق الفلسطينيين من قبل القوى الكبرى قد سبب ظلما للفلسطينيين العرب الامر الذي يجب تصحيحه» . لم يتبع ذلك البيان اي عمل كما لم يلق بيان اللجنة المركزية الذي احتوى مجموعة الاسس حول العمل في الشرق الاوسط اي اعلان . وقد مرت سنتان قبل ان تعود اللجنة المركزية الى الموضوع . سنتان حدثت خلالهما اضافات لمئات الالوف من الفلسطينيين الى الشعب اللاجيء واستطاع الاسرائيليون المباشرة بعملهم في تنفيذ البرنامج المدعوم – سياسيا في القدس ، حيث حدث اللقاء هذه المرة في كانتربري في تموز ( يوليو ) 1969 حيث اعادت اللجنة الاسس التي ثبتتها في بيانها السابق واوصت « بضرورة دراسة المواضيع التي تترجم من الانجيل لتلافي اساءة استعمال الانجيل في دعم وجهات النظر السياسية العنصرية » .

كان هذا هو جواب اللجنة الى المؤمنين بمذهب العصمة الحرفية(3) ( Fundamentalism) وقد استمرت في لقائها في نفس الخريف الى عقد « لقاء استشاري » حول مشكلة اللاجئين الفلسطينيين والاخذ بنظر الاعتبار ضرورة اتخاذ الاجراءات اضافة الى ضرورة القيام بالعمل المباشر الممكن لاسعاف ونجدة اللاجئين.

اما المندوبون الى هذا اللقاء الاستشاري الذي عقد في قبرص في تشرين اول ( اكتوبر ) 1969 فانهم بعد ان كرروا مرة اخرى اعتقادهم بضرورة قيام حل عادل يشمل « الاعتراف بحقوق الفلسطينيين والذي به وحده فقط يمكن ان يستتب السلام الدائم في الشرق الاوسط » فانهم خطوا خطوة اخرى بينت على الاقل انهم بداوا في فهم طبيعة الصراع الذي يجابههم ، حتى ولو كانوا غير قادرين على اقناع الكنائس التي يمثلون للقيام باي عمل اساسي .

واوصوا لجنة الكنائس للشؤون العالمية بضرورة القيام في مزيد من الاستشارات الاضافية حول القضية الفلسطينية بمشاركة الفلسطينيين وضرورة « تركيز المناقشات المنظمة مع جميع الحكومات المعنية واتباع الحلول السياسية المؤثرة » . كما اضافوا الاقتراح المهم جدا وهو « ضرورة اعلان المراسلات المتبادلة وعدم ابقائها دون اعلان » .

ان الكلمات الاخيرة اعطت نكهة خاصة ذات اهمية كبرى لجوهر المشكلة الفلسطينية الى المدى الملفت للنظر حول دور الاعلام في قضية الشرق الاوسط وهو ان صعوبة حل هذه المشكلة قد برزت دائما من حقيقة صعوبة الحصول على الكثير من المعلومات الضرورية لفهمها بشكل صحيح . وغالبا مايكون الذين يملكون الحقائق هم الذين يمسكون بها او غير مسموح لهم بنشرها في حين تمتع الآخرون من حملة الآراء العنصرية بفرص تشبه الاحتكار في التعبير عنها في الاوساط الاعلامية . ومن اجل تصحيح هذا الوضع واذا اردنا ان نعبر عن ذلك بصراحة اكثر مما ذكروا نقول بضرورة كسر المسكة الخانقة للدعايات الصهيونية كما وان المندوبين الى هذا اللقاء الذي نظمه مجلس الكنائس العالمي قد تبنوا توصية مهمة وهي اعترافهم بالواجب الملقى على عاتق جميع المجموعات المسيحية لكشف الحقائق حول « الظلم المميت الذي لحق بالشعب الفلسطيني » وقد رفع المندوبون اصواتهم عاليا بهذا النداء المرتفع مطالبين زملاءهم المسيحيين في كل مكان :

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

**« نحن ندعو الكنائس في جميع انحاء العالم وفي كافة المستويات من الطوائف المحلية الى المجالس الوطنية والقطرية لاعطاء دروس واعية ( اجراء مناقشات واعية ) مسيحية حول المشكلة الفلسطينية ويجب ان يكون الفهم عميقا للطبيعة الثابتة للحقوق الاساسية للشعب الفلسطيني . ان اهتمامنا بالعدل يجب ان يتقدم التنسيق بين الجهود الانسانية المتجددة » .**

والآن اصبحت للاساطير حول فلسطين جذور مدت بجد ونشرت بمثابرة في الغرب وبعد انتصار الاسرائيليين البارز في 1967 تعاقبت اللقاءات المناصرة لهم كثيرا في اجهزة البث وخصوصا في التلفزيون الذي ثبت لهم سطوة غير اعتيادية على الراي العام الغربي . ومن الجدير التذكير به ان اول قاذفة قنابل مقاتلة فانتوم امريكية قد ارسلت الى اسرائيل في ايلول ( سبتمبر ) 1969 ومع هذا نمت طموحات ووقاحة الحكومة الاسرائيلية بسرعة دون ان تجابه معارضة ملحوظة او حتى نقدا . وقد اكدت رئيسة الوزراء نفسها في لقاء رسمي لها مع صحيفة ( ساندي تايمز )(4) بعدم وجود – وفي اي وقت من الاوقات – مايسمى الشعب الفلسطيني « وهكذا اذن لا يمكن القول بان الاسرائيليين انتهكوا حقوق الفلسطينيين » لانهم « لم يوجدوا اصلا » .

وقد عاد التعليق ضد السيدة مائير في النهاية ولكن الملفت للنظر هو :

**اولا :** درجة عدم الحساسية والثقة المتزايدة التي كشف عنها، **وثانيا :** مروره في وقتها دون ان يقابل باي نوع من انواع التحدي وخاصة عدم ورود رد مسموع من الكنائس للدفاع عن « الحقوق الاساسية للشعب الفلسطيني ذي الطبيعة الثابتة » الذي اكده بقوة ذلك النداء الى اعضاء الطائفة من مجلس الكنائس العالمي .

مما يثير الحزن العميق ان نثبت هنا ان الكنائس التي وجه اليها النداء – ويبدو هذا حقيقيا بشكل خاص بالنسبة للكنيسة الانكليزية – قررت بهدوء اهماله وتفادي الدخول في المشكلة الفلسطينية وفي هذا الوقت حدث الموقف الذي يجب التوقف عنده والبحث عن السبب وراءه حيث اشارت كل المناقشات على ان عين العقل هو في تجاوز الدخول في المشكلة الى الجانب الآخر وان اي سلوك آخر يهدد « بالكارثة » ان البرغماتيكية قد لا تكون هي المسلك البطولي للكنائس ولكن توجد سوابق له اذ ان « الكارثة » في حقيقتها قد تجمعت وما هي اكثر من فقدان بعض الممتلكات في القدس وربما التخفيف من عدد رجال الدين . هذا اذا ما اختار الاسرائيليون الالتحام في معركة مع المؤسسات الكنسية .

وعلى كل حال عندما يكون الامر متعلقا بموقف الكنائس فان النصر كان حليف الذين نصحوا « بالحذر » بغض النظر عن النتائج التي حدثت للفلسطينيين سواء منهم المسيحيون او المسلمون .

ان هذه النتائج زاد رفضها ووضوحها باستمرار كلما نمت ثقة الاسرائيليين بموقعهم . وفي خريف عام 1969 اعلن الجنرال دايان وزير الدفاع والمسؤول الكامل عن احتلال اسرائيل للاراضي العربية عام 1967 سياسة «عقاب الجوار» **(Neighbourhood Punishment)** حيث اختارت اسرائيل الوسائل للسيطرة على الشعب الفلسطيني تحت حكمها لذا فالانتقام من هؤلاء الذين يقاومون الاحتلال سوف لن يكون من الآن فصاعدا موجها فقط ضد الذين يحملون السلاح منهم ، او يخططون الاعمال ضد القوى المحتلة بل انها ستشمل عوائلهم وجيرانهم واذا كان ضروريا جميع المجموعة الفلسطينية التي يمثلون والتي عليها ان تختار كما قال دايان « بين الارهاب والسواء » . – « السواء » يعني في فحواها هنا الرضوخ للحكم العسكري الاسرائيلي في الوطن الام للفلسطينيين .

وفي احد الايام وتشرين اول ( اكتوبر ) يشرف على الانتهاء في عام 1969 تم توضيح معنى « عقاب الجيران » الى الفلسطينيين في الضفة الغربية ولكن دون قصد الى العالم . اقول بلا قصد لانه حدث صدفة حيث كان المراسل الزائر لصحيفة ( تايمز ) يزور في احد الايام احدى القرى المجاورة للقدس وهي حلحول حيث دخلتها القوى الاسرائيلية ودمرت بيوت ما يقارب السبعين عائلة فلسطينية . وبعد مرور هذه الفترة من الزمن لا تهمنا تفصيلات الحادث ، ولكن الذي يهمنا الآن هو ان مراسل التايمز باتريك بروغان الذي لم يكن يهوديا وكان زائرا فقط للمنطقة لم يجد نفسه معرضا الى الكبت الذي يكبح المراسلين «الاجانب»(5) المقيمين في اسرائيل . وكتب في تقريره ما رأى دونما تردد مع احساس جيد بالمشاركة ، وقد حفز تقريره الذي نشرته التايمز في 26 تشرين اول ( اكتوبر ) 1969 المناشدة مرة اخرى نيابة عن الفلسطينيين وكان هذه المرة موجها الى رئيس اساقفة كانتربري .

وبصفتي رئيسا للاعلام في مجلس تنمية العلاقات العربية البريطانية (CAABU) كتبت حالا رسالة الى رئيس الاساقفة لفت فيها انتباهه الى مقالة شاهد العيان في التايمز واخبرته بانها تؤكد التقارير التي تسلمها واستلمناها نحن في المجلس منذ مدة طويلة حول الاجراءات القمعية التي تعرض ويتعرض لها الفلسطينيون في الاراضي المحتلة ، الاجراءات التي تتحدى مقررات مؤتمر جنيف الرابع والاعلان العالمي لحقوق الانسان. وقد اشارت الرسالة باختصار الى بعض الاجراءات التي مارسها الاسرائيليون ضد الفلسطينيين دون اي مبرر مشروع كما ذكرت سماحته ان العقوبات الجماعية من اي نوع كان قد حرمها مؤتمر جنيف واخبرته في الرسالة بان عددا من السكان سيء الحظ في الاراضي المحتلة

يتساءل لماذا لم تتكلم الكنيسة دفاعا عنهم ضد قسوة الجيش الاسرائيلي المحتل وتحثه الرسالة على القيام بمحاولة استعمال نفوذه لايقاف ذلك(6) .

وكم اتمنى أن يكون في استطاعتي القول بأن الرد كان سريعا ومناصرا لكني اقول بحزن انه بالرغم من أن رسالتنا والمقالة المقتطفة من التايمز قد وصلت الى طاولة رئيس الاساقفة خلال يوم او يومين من مناشدة مجلس الكنائس العالمي التي ذكرناها قبل قليل والتي حدثت في قبرص – والذي لم نكن نعلم عنه شيئا في ذلك الوقت – لم يكن هناك رد ابدا عدا اشعار مؤدب من القسيس الملحق برئيس الاساقفة بالاستلام .

وشذ عن مجموعة الكنائس المسيحية بشكل مشرف مجموعة ( الكويكرز ) الذين كانوا في ذلك الوقت يعلون تقريرهم الشامل والمدقق جيدا مع توصياتهم حول الشرق الاوسط(7) . وتظهر الدراسة ان عدم النشاط الذي اظهرته كنيسة انكلترا كان الصفة المميزة لجميع الكنائس الغربية تجاه الموقف المتدهور في فلسطين . ومرة اخرى كان هناك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عدد من افراد رجال الكنيسة هنا وهناك ، الا انهم نادرا ما كانوا في موقع المسؤولية وقد رفعوا صوت الاهتمام ضد جميع انواع الظلم الذي لحق بالفلسطينيين وحول عدم رغبة الكنيسة بالتدخل في الشرق الاوسط. ولان هؤلاء الافراد المخالفين كانوا معزولين فانهم يهاجمون بسهولة ويلغى اعتبارهم ويحتاج الواحد منهم الى شجاعة نادرة ليقف على ارضه ضد الصهاينة وضد زملائه السائرين في هذه المنظمات كمجلس المسيحيين واليهود ، ولم يكن الموقف ايضا احسن منه في الدول الغربية الاخرى حيث كان الاتهام المدمر بمعاداة السامية كالسيف فوق رأس اي شخص طائش ينتقد اسرائيل من وجهة النظر الفكرية او الروحية وكذلك السياسية ، اذ ان التجربة الاستثنائية للصحفي الكندي آل فورست المحرر في صحيفة ( يونايتد جيرج اوبزرفر ) في تورنتو التي سجلها في كتابه الذي تعرض الى هجوم كبير جعله في قائمة احسن المبيعات(8) وهذه التجربة قد نهضت باعباء اي شخص لا زال يحتاج الى النظرة الداخلية المروعة للاساليب التي يستعملها الصهاينة لتحطيم اي شخص يعتبرونه عدوا لهم .

**وما جعل صمت الكنائس اكثر الفاتا للنظر هو ان ليس لديها ماتقوله عنها الآن عن احدى القضايا التي نناقشها في سياق حديثنا والتي اعلنت مختلف الطوائف الكنسية اهتمامها وصلتها الحميمة بها الى الحد الذي جعلها تتقاتل مع بعضها لتثبت اوليتها علما بان عددا من المؤسسات المدنية قد كانت السباقة في هذا المجال والذي كان من المتوقع ان يصدر من الكنائس وهذه القضية هي القدس التي حاول الاسرائيليون حلها بعمل سريع من جانب واحد حالا بعد حرب حزيران ( يونيه ) 1967 التي اثارت خلافات حادة متطورة في الامم المتحدة . واخيرا وبعد بحث ذي نفس طويل وجدت الكنائس ان من المستحيل تجاوز التدخل والذي لم يكن قبل عام 1971 حيث ادركه الكاثوليك اولا ومرت سنة اخرى قبل ان يتحدى البروتستانت علنا الموقف الاسرائيلي . في ذلك الحين كانت سياسة الامر الواقع الوقحة قد اوصلت الاسرائيليين قرب النصر الكامل على القدس وقابلوا التدخلات المترددة للكنائس المسيحية بازدراء يماثل ما ابدوه للسياسيين في الامم المتحدة . ولبعض الوقت اظهروا وكانهم لا يخافون شيئا وفي النهاية لم تكن الكنائس ولا الحكومات في الامم المتحدة قد اعادت فتح الاستفسار عن مستقبل القدس بل كان العرب انفسهم قد اكدوا ان استعادة القدس العربية هي واحدة من شروطهم من اجل احلال السلام بعد حرب تشرين اول ( اكتوبر ) 1973 .**

وحتى وقت كتابة هذا الكتاب ما زال مستقبل القدس مجهولا ورغم اصرار العرب على انسحابهم فان الاسرائيليين الذين احتلوا الجزء العربي من المدينة في حزيران ( يونيه ) 1967 وضموه الى دولتهم بعد ثلاثة اسابيع ما زالوا يحتلون المدينة ويجد الاسرائيليون انفسهم لا يجابهون العرب فقط بل جميع المجتمع الدولي حول هذه النقطة من الصراع . وقد تبنى مجلس الامن وكذلك الجمعية العمومية للامم المتحدة سلسلة من القرارات كان اولها بعد اسابيع من الضم الاسرائيلي حيث شجبت دول العالم اجمع باجماع نادر الضم والاجراءات التي قام بها الاسرائيليون لتغيير وجه البناء للخريطة السكانية للمدينة المقدسة . وبتصويت اجماعي اقر مجلس الامن عدم شرعية هذه الاجراءات وشمل قرار المجلس بكل وضوح تعبير نزع الملكية من الاصحاب الشرعيين الذي يقوم به المسؤولون الاسرائيليون للاراضي العربية والممتلكات العربية الواقعة فيها ، وباختصار فان موقف الحكومة الاسرائيلية فيما يتعلق بالجزء العربي من القدس لا توجد له مبررات مشروعة من اي نوع كان وينقصه بشكل بدهي موافقة السكان ، بل بمعارضة بشكل مطلق من اعلى المستويات العالمية، وحتى حكومة الولايات المتحدة وهي المدافع الدائم عن اسرائيل لم ترغب ان تخالف الاجماع العام للرأي العام العالمي .

كل هذه كانت حقائق حتى عام 1970 وحيث كان تصميم الاسرائيليين واضحا على تحدي العالم حول القدس وكما كانت عمليات التخريب المحتمل ان يقوموا بها للوجه الطبيعي للمدينة . فقد باشر الاسرائيليون بعمل مشاريع بنايات لا حصر لها على الاراضي التي نزعت ملكيتها من اصحابها العرب والتي ستؤدي في النهاية، الى احاطة الجزء العربي من المدينة بعمارات سكنية مملوءة بالمهاجرين اليهود . ان القصد من هذا البرنامج يكشف عن ذاته ولم يحاول الاسرائيليون اخفاءه وهو : اضفاء الطابع اليهودي على المدينة الذي يامل صانعوه ان يكون دائميا . وكلما كانت بنايات الشقق الجديدة ترتفع في افق المدينة الشمالي كان يظهر شيء اضافي آخر ، وهو عدم السماح لاي اعتبارات جمالية ان تقف في وجه الاهداف السياسية، وسارت مشاريع البناء خلال السنوات 68 — 1969 بسرعة خطرة الى ابعد الحدود وفي كل هذه الفترة كان من المؤلم ان نسجل عدم وجود او ظهور اي نقد من الكنائس المسيحية حول برنامج العمل التخريبي الواسع المدى في نتائجه الطبيعية والخطير بمضموناته على مستقبل السلام في المنطقة .

وقد استرعت هذه النقطة انتباه عدد من الاشخاص وعبر عنها كل من البروفيسور ارنولد توينبي والسير جيفوري فرلونك في رسالتهما المثيرة التي نشرتها التايمز في 15 آذار ( مارس ) 1971 والتي عبرا فيها عن وجهة النظر بأن « السياسات الحالية للحكومة الاسرائيلية لا تهدد فقط جمال ومميزات القدس ، الا انها تهدد بالخطر الجدي فرص الوصول الى سلام دائم في الشرق الاوسط » . وقد وضح الكاتبان بأن ما تقوم به اسرائيل من مصادرة الاراضي العربية في المدينة يشكل تحديا لقرار مجلس الامن الذي اتخذه بالاجماع كما استشهدا بتحذير احد القادة الاسرائيليين من ان الحكومة الاسرائيلية التي تتعجل المخاطرة بالادعاء اليهودي احقيته بالقدس العربية فانها قد تحول القدس الى « نسخة من لوس انجلوس » وعلقا بصعوبة قبول هذا التخريب المتعمد في جو المدينة المقدسة كما عبرا اخيرا عن استغرابهما حيث وضع الاسرائيليون انفسهم وبوضوح على قواعد سياسية وانسانية وفنية خاطئة وفي نفس الوقت « كان الاحتجاج قليلا جدا في العالم المسيحي ضد سياسة الانتهاك التي تحدث بتعمد على هذا المدى الواسع » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

**ومن الجدير ذكره ان تصرف الاسرائيليين حول القدس هو الذي شوه سمعتهم اكثر من اي وجه من اوجه سياستهم بعد عام 1967 حيث شوهت برامج البناء الضخمة افق القدس وخربت انسجام المدينة ونفر الاسرائيليون حتى اكثر الموالين لهم من بين مجموعة المعمارين ومخططي المدن العالميين الذين اخطات اسرائيل بدعوتهم في نهاية عام 1970 للاحظة واعلان خططهم . وقد اجفل نقد الخبراء القاسي في صراحته الاسرائيليين حيث ركز على الخراب الذي اوجدته حكومتهم في المدينة المقدسة كما استرعى اهتمامهم لذلك وقد شجع الهياج الذي تلاه الخارجيون الى رفع اصوات الاعتراض معبرين عن مشاعرهم التي طالما احسوا بها واخفوها لانفسهم احتراما مبالغا فيه لمشاعر انصار اليهود في العالم اجمع . وبدات في الظهور في ربيع عام 1971 حركة رد فعل ضد اية رغبة للتسامح لاي عمل مهما كان تقوم به الحكومة الاسرائيلية على حساب الاخرين بحجة ما يسمى « الامن » الذي يخصها . وقد وجد المسؤولون الاسرائيليون ان اظهارهم هذا الاحتقار الواضح للراي العام العالمي فيما يتعلق بالقدس قد جعلهم يستهلكون كثيرا من راس مالهم من الدعم الذي جمعوه في الغرب .**

وتوضح حادثة صغيرة نسبيا نقطة الانعطاف ، ففي نيسان 1971 بعد فترة قليلة من شجب مؤتمر مخططي المدن في القدس لما فعله المخططون الاسرائيليون في القدس شيد الجنود الاسرائيليون في احدى الليالي متراسا في الطريق بين القدس وقرية عربية مجاورة لها وهي قرية نبي صموئيل وكان عدد من سكان هذه القرية قد نزحوا اليها في قتال عام 1967 وتحتل القرية تلا وتظهر منها المدينة بمنظر خلاب وقد قيل تراثيا ان اعين الصليبيين قد وقعت لاول مرة على القدس من قرية نبي صموئيل ولهذا السبب كانت عليها عيون مطوري الممتلكات لاسرائيل الحديثة . فدخلتها زمرة التدمير بعد ساعات قليلة من فرض الحصار العسكري عليها وطردت معظم سكانها العرب ودمرت جميع الجزء العلوي من القرية ومن ضمنها المقبرة تاركة فقط الجامع الذي حوله في يوم ما الصليبيون الى كنيسة ومجموعة قليلة من البيوت اسفل جانب التل . وكان هذا العمل مثالا نموذجيا للتقليد الاسرائيلي في « خلق الحقائق » وقدم المسؤولون الاسرائيليون حججهم بأن بعض هذه المساكن كان خاليا اصلا وفي حالة سيئة جدا لا يمكن ترميمها « وتشكل خطرا على السواح » . ولكن هذه الادعاءات لم تخدع اي شخص خصوصا بعد الاعلان بأن قرية نبي صموئيل « ستطور » لتجهيز مساكن لمزيد من المستوطنين اليهود وبطبيعة الحال ليست للفلسطينيين الذين طردوا من مساكنهم .

ونادرا ما وجدت كلمة واحدة عن هذا الحدث طريقها الى الصحف الغربية الا انها سجلت عن طريق القنوات الدبلوماسية حيث كان القنصل العام البريطاني في القدس صدفة وكان الاول الذي منع من العبور في منطقة المتراس واعيد في الطريق ويعود له الفضل الكبير في نقل الحقائق كاملة حيث نقلها حالا وعرف بها حكومته . وخلال ايام قلائل كان تدمير قرية نبي صموئيل معروفا لدى الجميع في القدس، الا ان هذه الحادثة لم تستفز او تثير غضب ابرشية رئيس الاساقفة الانجليكاني والذي لابد ان يكون قد استلم علما بها حالما استلمه اي شخص آخر في القدس . ولكنها كانت القشة الاخيرة بالنسبة للكاثوليك حيث استعمل الفاتيكان منذ ذلك الحين اجهزة الاعلام المؤثرة التي بحوزته لاعلاء صوته وبانفتاح اكثر معبرا عن قلقه حول الاحداث الجارية في القدس العربية .

وعلى سبيل المثال صدر في حزيران مقال مفصل وعنيف في المجلة الكاثوليكية المسؤولة (La Civitá Cattolica) التى تصدر في روما راجع فيه جميع تاريخ الاحتلال الاسرائيلي في القدس وخصوصا شكل التطورات السكنية الاسرائيلية على الاراضي العربية المصادرة وقد بين المقال اعمال المسؤولين الاسرائيليين في الحكومة الذين يسعون الى تبريرها وقال الكاتب « ان قرار الحكومة الاسرائيلية للضغط السريع في تحقيق برامج البناء في القسم العربى من القدس دون اي تفكير يسبب جرحا لحقوق الاقلية(9) وهو يظهر ان الدافع الوحيد دونما اي شك هو تهويد المدينة المقدسة » .

كما ثبت أيضا « وجود حركة فكرية متنامية بشكل خاص بين الشباب تفضل الاعتراف في حقوق الفلسطينيين وتعارض سياسة خلق الحقائق بواسطة بناء مستعمرات يهودية فوق جميع الاراضي المحتلة ، الا انه يوحي بأن ما تقصده الحكومة تماما هو احباط هذه النزعة الانسانية ضمن المجتمع الاسرائيلى باسراعها الفائق لفرض رغبتها في تحقيق برنامجها البنائي على اراض تعود للفلسطينيين العرب . اما ما سيترتب على كل ذلك فقد اشار اليها الكاتب في استنتاجه الكئيب قائلا :

**« ان مصادرة الاراضي وتدمير البيوت يمثل بداية للاعمال الاضطهادية التي تقوم بها قوى الاحتلال . فحالما يكمل برنامج البناء ـ اذ لا يوجد ما يؤخره اذ انه منح الاولوية المطلقة وتدعمه بقوة المساعدات الصناعية اليهودية الكبرى في القدس ـ ستحاط القدس بحائط جديد ، حائط يتكون هذه المرة من السكان اليهود ـ وستتراجع مساعي السلام خطوات الى الوراء ، وهذا اذا لم تكن قد اختفت تماما من افق القدس المدينة التي كانت في نظر حجاجها ولقرون عديدة « مدينة السلام »(10) .**

منذ ذلك الوقت زادت سرعة الاحتجاج ففي 14 تموز ( يوليو ) 1971 نشرت التايمز مقالا افتتاحيا يعترض على « الادعاء الاسرائيلي بأن القدس في الاساس والى الابد هي عاصمة الدولة رمز الاهداف الصهيونية كما هي مركز الدين اليهودي » . وقالت التايمز « ان بقية العالم يعتقد ان المدينة يجب الا تكون ملكا خاصا لدولة واحدة ويرى فيها مكانا مقدسا يحتل جزءا من تراث جميع الجنس البشري » . وقد قدمت رسالة وقعها جميع السفراء العرب في لندن ناقشوا فيها العبارة الاخيرة ويحثون فيها قائلين : « اذا كان لهذه الكلمات اي معنى لقرائكم فنحن نأمل ونصلي ـ وكلنا ثقة ـ بانهم سيعملون ما باستطاعتهم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبكل قوتهم لكي تضمن بريطانيا والتي تتحمل المسؤولية في هـــذه القضية وتصر على عمل فعال لانهاء تدنيس قدسية القدس » .

ولكن الكنيسة الانجليكانية لم تعبر بصراحة عن مخاوفها حول مصير القدس كما انها لم تتدخل ولم تتوسط نيابة عن العرب المسيحيين الذين هددت حقوقهم وممتلكاتهم مع رفاقهم المسلمين كما عبر عن ذلك بصراحة ودونما تردد الكاتب في مجلة لاسيفيلتا كاتوليكا. ووصف ما يجري بأنه « تهويد » مدينة القدس . وقد رأيت كلا من البروتيستانت والكاثوليك في القدس نفسها عندما زرت المدينة فيحزيران ( يونية ) 1971 وكانوا كما هم الآن في غاية الحزن واعني بوضوح فشل العالم المسيحي لعمل اي شيء للتعبير عن اهتمامه بالقدس وحمـاية سكانها ، كما راى هؤلاء السكان من عرب القدس ان العالم المسيحي قد قبل ظاهريا الاسرائيليين لا كحكام شرعيين للمدينة بل كأمر واقع. فهل يتساءل احد اذا علم بذلك عن السبب في فقدان كل احترام لرجال الكنيسة الذين لم يقفوا مدافعين عما يعتقدونه صحيحا ؟ انا اتذكر رسالة رصينة استلمتها في هذا الوقت من شاب عربي مسيحي ولد في القدس واحتل الاسرائيليون بيته في عام 1948 ، فالى حرب عام 1967 التي احتل فيها الاسرائيليون بقية المدينة اعتاد الشاب كما ذكر لي الذهاب كل عام من مخيم اللاجئين في لبنان حيث استقرت عائلته لزيارة اقربائه في القدس :

**« .. من القرى المرتفعة للمدينة القديمة اعتدت النظر الى المكان الذي ولدت فيه شاعرا بالحزن ولكن بدون عاطفة ومن المحتمل ان يكون السبب هو التربية التي نشأت عليها بقبول فكرة وجود منطقة ممنوعة خلف الجدران ، والآن وبعد ان ذهبت المدينة القديمة اشعر بنوع من الراحة بذهابها لفترة قصيرة لانها ايقظت ورفعت شعبنا وجعلتنا ندرك ان اسرائيل ما هي الا خيمة عسكرية مسلحة بكثافة من قبل العالم المسيحي . وانا اشعر بانني ابتعد عن المسيحية باتجاه الشيوعية بسبب التفكير المتحيز المطلق للعالم المسيحي الذي يدعمهم بغض النظر عن الآلام التي نشعر بها نحن العرب » .**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وانا مقتنع بما ذكره العربي في رسالته ومن نتيجة اتصـالاتي الشخصية حول الاهمية الحرجة للقدس في اي عملية لاستقرار السلام في الشرق الاوسط .

وقد واصل مجلس تنمية العلاقات العربية البريطانية خلال عام 1971 القيام بدعاية نشيطة ليحرك الغرب عن قبوله السلبي لاسرائيل « الامر الواقع » . وقد كتبنا مرة اخرى في كانون الثاني ( يناير ) الى رئيس اساقفة كانتربري مذكرين اياه بالموقع العدلي ومخاطبين بلغـة القانون الدولي ومطالبين بالحاح قائلين « عندما يقف القانون عاجـزا عن مساعدة سكان مدينة القدس القديمة فان على الكنيسة التي تملك الحق ــ وهي بلا شك مجبرة ــ ان تقوم بدورها بحمايتهم » . وحاولنا ان نكسب تأييد الحكومة واعضاء البرلمان ووزارة الخارجية كما تأكدنا ان الصحف تملك على الاقل الحقائق عن القـــدس ، وحتى لو بقيت الصحف مترددة ( اذ انها نادرا ما تكتب عنها وتنقل ما يجري فيهـا نقلا حيا باستثناء الموقف المشرف للتايمز(11) التي اتخذت موقفا صلبا في هذا الموضوع ، كما قمنا بعمل فيلم تم عرضه على نحو واسـع الى متفرجين في المملكة المتحدة والولايات المتحدة كما عرض على الجمـع الغفير الذي حضر اجتماع مجلس العموم في تمـوز ( يوليو ) 1971 ، والذي يحزنني قوله ان التمهل في بدايـة تحرك الراي المسيحي العالمي بالتحرك يناقض التعجل السريع للاسرائيليين في اسـتمرارهم للضغط ودفع برنامجهم البنائي في القدس .

وكسرت الكنيسة الانكليزية الصمت الطويل في آب (اغسطس) 1971 عندما وعظ ( كانون هربرت وادامز ) في كاتدرائية كانتربري موعظة طويلة شاملة عنوانها : « دعونا نصل للسلام في القدس : من اجل نجاح هؤلاء الذين يعملون وهم مفعمون حبا فيكم » . وقد قال بأن المسيحيين لا يملكون الجواب حول مشكلة الشرق الاوسط ، الا انهم ملزمون في التفكير الجاد حول مشكلة هؤلاء الذين شاركنا نحن في خلق مشكلتهم وعليهم ان يساهموا في حمل المسؤولية والآن وبعد ان اصبح الجو مشحونا جدا اصبح من المؤذي جدا للمسيحيين تقليـد بونتياس بايليت(12) و « يحاولون غسل ايديهم من المشكلة كلها » .

**ان مجلس الامن الدولي الذي حكم بدون معارضة ان ضم القدس هو عملية لا مشروعة وبعد ان شجب برنامج البناء الاسرائيلي « كما شجبه جميع مسؤولي العالم » ، أصبح امام المسيحيين ان يتصـــرفوا كمسيحيين » قال كانون وادامز « لدعم مسؤولي العالم فقط الذين يستطيعون تحقيق السلام يكون من الضروري حشد الجهود من اجل تنفيذ قـرار الامم المتحدة » .**

لاربعة اشهر اخرى بقى صوت ( كانون وادامز ) معزولا وغـير مسموح به في الكنيسة الانكليزية وفي آخر الامر عندما اعلن رئيس اساقفة كانتربري نفسه عن مبادرته حول قضية القدس جاء تدخله متـأخرا جدا ولم يكن له اي تاثير عملي في منع تدنيس القـدس او في اقنـاع الاسرائيليين بأن هيمنتهم على القدس تقلل فرص احلال السـلام في الشرق الاوسط . ان سنوات الاذعان الى الاسرائيليين والامر الواقع قد كلف الكنيسة اي موقف خلقي كان من الممكن ان تقفه حول هـــذا الموضوع . اما الآن فان ما تختار ان تقوله الكنيسة او لا تقوله فأمر اكاديمي بحت وبدأ فعلا العد التنازلي الى الحرب التي انبثقت فينهاية الامر في تشرين اول ( اكتوبر ) 1973 . ان اهداف الحكومات التي اطلقت هذه الحرب كانت لاستعادة الاراضي المحتلة منذ عام 1967 وتنفيذ مقررات مجلس الامن الدولي المتعلقة بالشرق الاوسط عموما والقدس خصوصا . وقد كان بالامكان تحقيق كل ذلك دون حرب لو ان المجموعة الدولية ومن ضمنها الكنائس كانت مهيئة لاتخاذ موقف واضح صريح حول المواضيع المبدائية حتى لو كانت هذه المواقف غير شـعبية بين مجموعات اليهود المؤثرة في العالم الغربي . ولكن العامل الوحيد الاكثر من اي عامل آخر هو عدم الرغبة عموما لمجابهة عدم الشعبية هذه والتي صيرت العالم الغربى واهنا في منع اشتعال الحـروب في الشـرق الاوسط . ولم يكن بامكان الكنائس وحدها ان تغير هذه الصورة ولكن كان في قدرتهـا ان تعطي مثلا في الشجاعة الخلقية للآخرين كي يتبعوه ولانهم فشلوا بشكل جلي في عمل ذلك فانهم يشاركون في تحمـل المسؤولية في مصير القدس وحرب تشرين اول ( اكتوبر ) .

## الهوامش :

(1) الفكرة بأن دولة اسرائيل هي تحقيق لنبوءة توراتية قد ناقشها وفندها بكفاءة كل من البروفيسور الفريد غوليوم استاذ الدراسات التوراتية في جامعة لندن والحاخام المربرغر وآخرون . راجع مجموعة المقالات المنشورة تحت العناوين « المسيحيون » ، « الصهيونية »و«فلسطين» من قبل معهد الدراسات الفلسطينية في بيروت .

(2) البراغماتيكية : ذات علاقة بفلسفة الذرائع .
فلسفة الذرائع (Pragmatism) : فلسفة امريكية تتخذ من النتائج العملية مقياسا لتحديد قيمة الفكرات الفلسفية وصدقها.

(3) مذهب العصمـــة الحرفيـــة (Fundamentalism)
حركة عرفتها البروتستانتية في القرن العشرين تؤكد على ان الكتـــاب المقدس معصوم من الخطأ في قضايا العقيدة والاخلاق وفي كل ما يتعلق بالتاريخ ومسائل الغيب كقصة وولادة المسيح من مريم العذراء ومجيئه ثانية الى العالم والحشر الجسدي .

(4) صحيفة ساندي تايمز 15 تموز ( يوليو ) 1969 .

(5) الاعلام المتحيز ـ مايكل آدامز
مجلة آفاق عربيـــة ، السنة الرابعة ، العدد 11 ، تموز 1979 ، الصفحة 29 .

(6)

سماحة رئيس اساقفة كانتربري

لقد لاحظ اعضاء هذا المجلس بحزن متنام الوضع المتدهور في الاراضي العربية المحتلة من قبل اسرائيل منذ حزيران ( يونية ) 1967 ، ووصلتنا تقارير عديدة اضافة الى تلك التي نشرتها الصحف حول مختلف الوسائل التي جرد ( حرم ) فيها المواطنون العرب في القدس والضفة الغربية من الحقوق التي ضمنتها لهم وثيقة الامم المتحدة والاعلان العالمي لحقوق الانسان ومؤتمر جنيف في التعامل مع المدنيين .

فقد احتجز العديد دون محاكمة كما عذب آخرون بينما رأى الآخرون بيوتهم تهدم ـ كل هذه بأوامر ادارية دون اي اجراءات قضائية او عدلية . ان كل هذه هي انتهاكات واضحة للاتفاقيات الدولية التي اشرت اليها .

ان مثالا معينا مزعجا من هذا النوع من الضحايا قد نشرته على صفحتها الاولى صحيفة التايمز هنا وحسبما اورده مراسل التايمز فان بيوت ستين او سبعين عائلة قد دمرت في قرية حلحول . القرية التي لا تبعد كثيرا عن القدس بسبب مقاومة واحد من القرويين الاعتقال من قبل احد العسكريين الاسرائيليين الذين حاصروا القرية في ساعات قليلة من صباح الجمعة الماضي .

وما يعنيه ذلك في المفاهيم الانسانية فهو بقاء حوالي 350 الى 400 شخص دون سكن ومعدمين لان واحدا منهم « تجرأ » في ارضه ووطنه وقاوم الجنود من جيش الاحتلال الاجنبي . ان العقوبات الجماعية من اي نوع كان قد حرمها بشكل خاص مؤتمر جنيف وكذلك تدمير الممتلكات الوطنية او العامة الا اذا كانت ضرورية للعمليات العسكرية . وفي هذه الحالة لم تنعدم هذه الضرورة فقط بل ان القروي الذي قاوم في اول الامر قد تم اقناعه من قبل المختار العربي بالاستسلام ، وقد كوفيء المختار بعد ساعتين لتدخله عندما « دمر الاســرائيليون القريـــة بأكملها كما ذكرت التايمز » .

ان العرب في الاراضي المحتلة ، تحت رحمة القوى الاسرائيلية المحتلة بشكل كامل . فهم من الناحية النظرية يتمتعون بحماية المجتمع الدولي التي عبر عنها مؤتمر جنيف، ولكن القصة في صحيفة التايمز لهذا اليوم وضحت الهوة بين النظرية والتطبيق . وعندما زرت الاراضي المحتلة في العام الماضي سألني عدد من الفلسطينيين العرب ( من المسيحيين والمسلمين ) عن السبب في عدم تكلم الكنيسة على الاقل دفاعا عنهم في شجب الممارسات التي تقوم بها قوى الاحتلال والتي تنتهك فيها جميع المفاهيم الحضارية .

وهل تسمح لي سماحتكم ان اطلب منكم اعطاء هذا الموضوع اهتمامكم والنظر في اتخاذ الوسائل المؤثرة لمنع هذا النوع من الظلم من جانب الجيش الاسرائيلي المحتل ؟

فعندما مارس الالمان الاعمال نفسها في فرنسا وجيكوسلوفاكيا عبر العالم اجمع عن اشمئزازه ومقته . فلماذا التسامح مع هذه الاعمال في الارض المقدسة ؟

مع فائق الاحترام لسماحتكم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مايكل آدامز
مدير الاعلام في مجلس تنمية العلاقات العربية ـ البريطانية

(7) "Search for Peace in the Middle East," American Friends Service Committee, Philadelphia 1970.

(8) Dr. Al Forrest, "The Unholy Land" Mc Clelland and Stewart, Toronto 1971.

(9) عملت السلطات الصهيونية على تركيز اسكان المهاجرين اليهود حول القدس بهدف جعل السكان الاصليين اقلية .

(10) La Civiltà Cattolica, 19 June, 1971.

(11) من الجدير بالذكر ان صحيفة التايمز قد توقفت عن الصدور منـــذ اشهر قليلة .

(12) بونتياس بايليت ، الحاكم الروماني في فلسطين بين الاعوام 26ـ36 او 37 م ، وكان حاكما قاسيا قام بمذابح جماعية للفلسطينيين من السكان الاصليين وقد ازاحه السكان كما حاول التملص من مسؤوليته في محاكمة المسيح ( عليه السلام ) نتيجة للفزع الذي انتابه من سلطة الرهبان وفشله في احلال السلام في فلسطين وقد انتحر بعد ذلك حسب التقاليد في ذلك الحين .

# الرطب واليابس

شمس شتوية تنثال أشعتها على الفسحة الرملية الواسعة وعلى الحشائش الهمجية التي تنبت عند أطراف السور في شكل سبخة صغيرة . الى اليمين تتكتل بناءات أميرالية البحر حول نفسها خوفا من البحر ، وتبرز قواعدها المدببة الحادة كأنها تريد ان تدرأ عنها أخطار الموج الشتوي . تمتد هذه البناءات حتى تتعانق مع البحر في شكل لسان صخري أسود اللون لشدة ما نطحته الامواج . في جانب من الفسحة الرملية آثار أقدام مبعثرة . خط خفيف من الامواج يتقدم نحو الشاطىء ثم يرتد ، وتلتمع تعاريجه باشعة الشمس . في نهاية الفسحة الرملية مرقب صغير من الخشب الاحمر . هناك عسكري يجلس داخله على دكة وبندقيته بين رجليه . معطفه معلق في الداخل . يبدو أن أشعة الشمس الشتوية تدوخه هذا الصباح ، انها أشعة جانبية ، لا تنطرح الا على جزء من رجليه وبندقيته . انه يواجه المدينة ، بدلا من أن يترصد البحر .

على مبعدة من المرقب الاحمر ، يقوم خط سلكي بمثابة حد فاصل بين الفسحة الرملية وبقية الشط . هذا الخط مشدود الى أسفل بناية ضخمة قيل ان قرصانا عظيما سكنها قبل ثلاثة قرون . جوانبها ترشح برطوبة البحر ، والحشائش الهمجية تعانق أسفلها عنوة . هناك اطفال عديدون وراء الخط السلكي . يتقاذفون كرة كبيرة لاتخضع لضربات أقدامهم . في بعض الاحيان تتدحرج فوق الرمل ببطء ، ثم تقف عند خط الموج . ثلاثة أطفال يقفون عند الخط السلكي ، وهم يتأملون العسكري الجالس داخل المرقب. حركاتهم توحي بانهم يريدون الدخول الى الفسحة الرملية مهما كان الامر حيث المجال رحب لتقاذف الكرة .

غير بعيد عن الشاطيء ، تنطرح زوارق عديدة على سطح الماء . يبدو أن الموجة الخفيفة التي تتردد على الشاطيء لا تؤثر في الزوارق . طيور بحرية عديدة تحوم فوق الشباك المنصوبة الى جانب الزوارق . لعلها تتحين الفرص لاصطياد السمك . لون البحر عند الشاطيء يضرب الى الخضرة ، أما في الافق فهو شديد الزرقة بسبب الامطار التي تهاطلت بالليل .

سحابة خفيفة من الدخان تنتشر عند مدخل المرقب الاحمر . لعل العسكري يدخن ، فليس هناك من مصدر آخر للسحابة . رجلاه تمتدان خارج المرقب ، تكشطان الرمل قليلا ، ثم تتوقفان . الاطفال الثلاثة يراقبون حركاته ، يتبادلون نظرات مستفسرة فيما بينهم ، ثم يخطف أحدهم الكرة ويقذف بها ناحية المرقب . أخيرا عثروا على وسيلة للدخول الى الفسحة الرملية . يتقدم ثلاثتهم واحدا واحدا وهم يتبادلون التعليقات والاشارات لكي يثيروا انتباه العسكري ويعرفوا ردود فعله . ينحني أحدهم ليلتقط الكرة. وراء الخط السلكي وقف بقية الاطفال الاخرين ينتظرون أن تبدر حركة من العسكري . جمود مفاجيء يسيطر على الاطفال كلهم . يقوم العسكري من مرقبه متثاقلا ، ويُسند بندقيته الى الداخل . فيتحرك الاطفال الثلاثة قليلا تحسبا لاية حركة تبدر عنه ، غير أنه يبصق عقب سيجارته على الرمل . ويتثاءب في مواجهة الشمس . ثم يشير الى الاطفال الثلاثة بالتقاط الكرة ، والعودة للعب خارج الفسحة الرملية . وينتهز الاطفال الفرصة ، فيتناولون الحصى ، ويقذفون به تجاه الطيور البحرية داخل الفسحة الرملية . وينتهرهم العسكري ثم يرفع يده آمرا اياهم بالخروج فينصاعون لامره .

من الاكيد أن هذا العسكري ينتظر من يخلفه في الحراسة بفارغ صبر. هوذا يضع يديه في جيبي سرواله ، ويخطو فوق الرمل بتثاقل . ثم يحدق في الشمس ، كمن افتقدها زمنا طويلا . غير أنه بعد لحظة ينتبه الى أنه ترك بندقيته داخل المرقب ، وينظر ناحية الاطفال في حذر . ثم يتناولها ، ويعلقها على كتفه . يبدو أنها تثقله ، غير أنه يشعر بطمأنينة في وضعيته هذه . الاطفال الثلاثة لم يعاودوا لعبهم ، بل وقفوا عند الخط السلكي ، وقد بدا على وقفتهم العزم على الدخول ثانية الى الفسحة الرملية . أحدهم يتجاوز المرقب والعسكري باشاراته . هناك شيء يسترعي انتباهه عند كاسرات الموج التي تقوم عليها بناءات أميرالية البحر . انه يحدث صاحبيه دون أن تحيد نظراته عن كاسرات الموج ، وتبدر منه اشارة مائلة يفهم منها صاحباه ان الدخول من الجهة الاخرى أيسر . فليس فيها أي عسكري أو مرقب . أحد الطفلين يضع سبابته على صدغه متهما اياه بالجنون . ثم يشير الى بندقية العسكري ويرفع يديه . ويحركهما كمن يصوب بندقية.

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يضع يديه في جيبي سرواله ، ويكمش رجليه . الحساب بينه وبين المدينة يبدأ من هنا . انه يسترق النظر الى الاطفال من فتحة جانبية صغيرة في المرقب . البحر وراءه ، والمدينة أمامه . يبدو أنه يتحداها بجلسته هذه . انه يترصدها الان ، فقد كف عن استراق النظر الى الاطفال . لعله يريد ان يترك المجال مفتوحا أمامهم ، فيسهل بعد ذلك الانتقام منهم لانهم بداية المدينة .

الاطفال اطمأنوا الى ان العسكري قد أخلد الى الهدوء . يتقدمون واحدا واحدا ، وعندما يقتربون من المرقب ، يجابههم بصورة مفاجئة . ينزع البندقية من كتفه ، ويشدها من بطنها بقبضته اليمنى . حركات سريعة تبدر منه ، يردفها بأصوات آمرة . الاطفال تجمدوا في أماكنهم . العسكري يشير الان الى البنايات ، ويحرك يده الى ما وراءها . الخوف بدأ يزايل الاطفال ، لانهم يستمعون الان الى العسكري بامعان . بقية الاطفال وراء الخط السلكي توقفوا عن اللعب ، وجعلوا ينظرون الى العسكري . أحد الاطفال الثلاثة يخاطب العسكري مشيرا نحو كاسرات الموج ، غير انه يقاطعه بحركات عصبية وكأنه يقسم الايمان بأن لا شيء هناك عند كاسرات الموج . الحديث اصبح مشوقا الان ، فالاطفال ازدادوا اقترابا من الخط السلكي ، وراحوا يصغون الى ما يدور بين العسكري ورفاقهم الثلاثة . ينسرب واحد منهم الى الداخل ، فيتبعه آخر ، وثالث ورابع ، ويجتمع شملهم عند المرقب . الحديث صار وديا الان بينهم وبين العسكري . انهم يتبادلون الضحكات . العسكري يعيد البندقية الى كتفه ، يصمت قليلا ، ثم يسرح نظراته في الاطفال كلهم . صمت مفاجيء ساد بينهم . لعلهم يخشون أن يتخلى العسكري عن البهجة التي غمرته . ولكن هوذا يفاجئهم بحركة سريعة من يده مشيرا اليهم بالدخول للعب بالقرب من كاسرات الموج .

أصوات الفرح تتعالى بغتة . يندفعون كلهم الى الداخل تحت أنظار العسكري . الطيور البحرية تضرب باجنحتها في الجو خوفا من الاطفال ، وتنطلق في اتجاه الزوارق بحثا عن صيد اخر . فترة وجيزة وينتشر بعدها الاطفال فوق كاسرات الموج . ويتقاذف البعض منهم الكرة في جانب من الفسحة الرملية الواسعة . يبدو ان العسكري صفى حسابه مع المدينة، فقد اعطاها ظهره ، وواجه البحر . عيناه تمسحان الشاطيء بطوله ، ثم تستقران على الزوارق العديدة المنطرحة فوق الماء . لون البحر عند الشاطيء يضرب الى الخضرة ، أما في الافق فهو شديد الزرقة بسبب الامطار التي هطلت في الليل .

انه يطرح الان ساعده الايمن بشكل مائل كأنه يصف حركة انسان يصاب بطلقة نارية مفاجئة .

أشعة الشمس انسحبت قليلا عن الحشائش الهجية النابتة عند أصل السور المطل على البحر . العسكري يقوم الان بحركات رياضية لتدفئة جسده كأن أشعة الشمس لا تؤثر فيه . بين الفينة والاخرى يتوقف عن حركاته ويحدق في الممر القائم فوق السور مباشرة أكثر من الناس الذين يعبرونه . بعد السور تقوم بنايات عديدة أكلتها رطوبة البحر ونهشها الملح . انها بداية المدينة . العسكري ينظر نظرة جانبية الى تلك البنايات . يبدو أن بينه وبينها حسابا قديما يريد تصفيته . بين الوقت والاخر يعدل من وضع بندقيته ويسترق النظر الى الاطفال الثلاثة . حركاته تشي بأنه يبيت شيئا ما . انه لا يلتفت أبدا ناحية البحر ، مع أنه مكلف بترصد ما قد يأتي من البحر . لعله اطمأن الى أن البحر لايمكن أن يجيء الا بالسمك ، لا بالمدافع والنيران . لا شك الان في أن هناك حسابا ثقيلا بينه وبين المدينة . قبضته اليمنى ترتفع بقوة في مواجهة البنايات . والمارة فوق السور يتوقفون قليلا . ثم يعاودون سيرهم . الاطفال الثلاثة وضعوا أيديهم على خط السلك الحديدي كأنهم يستعدون لشن هجمة عنيفة على الفسحة الرملية .

أصوات الطيور البحرية ارتفعت دفعة واحدة . انها تزيد من حدتها الان . تحلقت كلها في جانب من الفسحة الرملية . انها تنهش سمكة قذف بها الموج . السمكة كبيرة ، لعلها ماتت متسممة بالزيت المحروق الذي تقذفه البواخر من احشائها في عرض البحر . أصواتها تلفت انتباه العسكري . هوذا الان يوجه أبصاره ناحية البحر . ربما ازداد يقينا بأن البحر لا يأتي سوى بالسمك . ينحني قليلا ، ويتناول قبضة من الرمل ، ثم يقذف بها الطيور البحرية ، غير أنها لا تتحرك من مكانها ، فالصيد سمين .

العسكري يلقي نظرة أخيرة على الطيور ، ثم يمسح البنايات بحركة سريعة من عينيه ، ويدخل مرقبه . هذه المرة لا يتخلى عن بندقيته ، بل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# دراسة في التراث

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# الفارابي في منحنى جديد

د. جعفر آل ياسين

(1) لقد اجتزنا حتى الان طريقا وعرا ، مهد مسالكه وسهل سبله فيلسوف العرب الكندي(*) ، بما بذل من جهد فكري قل نظيره في عصر الناس . ولست اجادل هنا في كون رائدنا الجديد الفارابي له الاولوية بالنسبة لكثير من الباحثين في الفلسفة العربية ، ولكننا في واقع دراستنا القائمة نعتمد الحكم الزمني اساسا في وحدة الموضوع ومن هنا كان ( المعلم الثاني ) تاليا في الريادة .

(2) في المنحنى الشخصي والفكري للفارابي نحو من الغموض وقع فيه الكثير من كتاب الشرق والغرب ، نحاول هنا جاهدين ان نبنى رأيا خاصا حول هذا الموضوع ، استقرأناه مما اطلعنا عليه من كتب السابقين واللاحقين .

فهناك اختلاف في تحديد الموقع الجغرافي للبلد الذي ولد فيه ابو نصر الفارابي ، حيث تتنازعه دويلات عدة في العصر الحاضر ، ولسنا نجد لهذه الاقليمية مجالا في المناقشة او التحقيق سوى الاشارة الى ان رقعة الارض تلك كانت جزءا من الدولة الاسلامية ، سواء ما كان منها تحت حكم الخلافة في بغداد ، او تحت حكم امراء توزعوها في مناطقهم بعيدين عن سلطة الحاكم العباسي عندئذ !.. وقد اجمع معظم المؤرخين ان الفارابي من فاراب او باراب ، وشذ عن ذلك ابن النديم ( ت 385 هـ ) والبيهقي ( ت 565 هـ ) فسماها فارياب ، وادعى الاول انها في خراسان ، ومال الثاني الى انها في تركستان !.. اما ولادته فقد كانت في ناحية ( وسيج ) ، كما ذهب الى ذلك ابن حوقل ( ت 977 م ) ونسب الى مدينتها وهي فاراب(1) . ويرى الباحثون السوفيت ان فاراب التاريخية هي مدينة أترار الحالية التي تقع جنوب جمهورية قازاقستان ، وقد زحف عليها عام 1219 للميلاد جنكيز خان بقواته فدمرها ومحقها عن آخرها ، وكان من ضمنها مكتبة ضخمة يميل الروس الى ان الفارابي هو الذي اسسها واشرف على مخطوطاتها ، وهناك محاولات آثارية للكشف عن المكتبة ومعالمها(2) . وأيا كان فهو ( فارابي ) بهذه الدلالة فحسب .. ونحن نرسم كنيته واسمه وأسماء آبائه دون زيادة او نقصان كالاتي : أبو نصر محمد بن محمد الفارابي مخالفين بذلك مواقف السلف والخلف ، وذلك اننا نذهب الى ان كلمة ( طرخان ) التي تضاف اليه مع لفظة ( ابن ) احيانا او مع النسبة احيانا فيقال ( الطرخاني ) مثلا ، أن هذه الكلمة ظهرت ولاول مرة عند ابن النديم ( ت 385 هـ ) أي بعد وفاة الفارابي بحوالي (46) سنة . ثم لم تستعمل او تضف الى اسمه حتى القرن السادس حيث يبدأ بذكرها من جديد عبدالكريم الشهرستاني ( ت 548 ) في كتابه الملل والنحل ، ثم يكررها البيهقي ( ت 565 ) !. وفي القرن السابع الهجري يذكر ياقوت الحموي ( ت 626 ) في معجم ادبائه نسب الفارابي بدون اضافة كلمة ( طرخان ) اليه متمسكا ـ كما يبدو ـ برواية المسعودي ( ت 345 ) في كتابه التنبيه والاشراف(3) . وكذا فعل ابن الاثير ( ت 630 ) في كتابه الكامل في التاريخ(4) .

وعلى الرغم من أختلاف هذا المأثور بالنسبة لكلمة ( طرخان ) فانني اقرر هنا رأيا اخترته بعد ان اطلعت على دلالة لفظ ( طرخان ) بالتركية(5) حيث تدل الكلمة المذكورة اذا كتبت بالطاء ( طرخان ) على معنى ( السيد السامي ) الشريف او العالي اما اذا كتبت بالتاء ( تيرخان ) فتدل على مفهوم وظيفي هو ( سيد القواسين ) او رئيس فرقة الرماة .

ومن هنا أجزنا لانفسنا الاجتهاد تاريخيا حول المشكلة وذلك ان بعض المصادر القديمة اشارت الى ان والد الفارابي كان قائد جيش أو رئيس فرقة وانطلاقا من هذه الفكرة نرى ان الرجل لقب ب (طرخان)أو (تيرخان) تحسبا لما هو في وظيفته تارة ، واحتراما لمركزه الاجتماعي تارة اخرى ، ثم أستعملت الكلمة ( السلطانية ) هذه خطأ مع أسماء ابائه واجداده ،

دون معرفة لمفهومها اللغوي عصر ذاك ، ولعل استعمال ابن النديم لهـا لاينهض حجة بالنسبة للفارابي بالذات ، لان ( صاحب الفهرست ) وقف من أبي نصر موقفا لايدل على نصفة من جهة ويدل على جهل كبير في تراثه العلمي من جهة أخرى ، كما سنرى عند الكلام على مؤلفات الفارابي ـ وهذان الامران أعني الجهل وفقدان النصفة ، كلاهما يقودان الى نتيجة تبعد الفارابي عن هذا الخطأ التاريخي غير المحتسب .. من حيـث ان اللفظة ليست لها دلالة علمية أو اسمية ! ..

ومما تجدر الاشارة اليه انني وجدت في مخطوط مكتبة دائرة الهند في المملكة المتحدة المرقم 3832 . 10 . MS والذي تم نسخه في القرنين العاشر والحادي عشر والحاوي على مجموعة من رسائل الفارابي(6). ان احدى الرسائل تكتب لفظ (طرخان) بصيغة النسبة فيقول :محمد بن الطرخاني وتارة يقول ( الطرخان ) ـ وكذلك الامر في مخطوط استانبول لكتاب الموسيقى الكبير حيث ترد العبارة التالية :«الفه لابي جعفر محمد بن القاسم الكرخي محمد بن محمد الطرخاني(7) » ، وفي نشرة ديتريسي ( الثمرة المرضية في الرسائل الفارابية ) ، نجد في رسالة نكت أبي نصر الفارابي الموسومة (فيما يصح وفيما لايصح من أحكام النجوم) وفي صفحة 104 ان أبا اسحاق ابراهيم البغدادي يقول : اتفق لي لقاء ابي نصر محمد بن محمد الفارابي الطرخاني .

ونحن في هذا المجال نعلم ان لغتنا العربية تجيز النسبة للبلد تارة ، وللمهنة تارة أخرى ، بحيث نخرج في رأينا الذي تبنيناه الى ان (طرخان) ليس جدا لابي نصـر الفارابي بله علما بأية حال من الاحوال .

أما كلمة ( اوزلغ ) فانها ظهرت مضافة اليه ولاول مرة في ماثورات ابن ابي اصيبعه ( ت 668 هـ ) في كتابه عيون الانباء في طبقات الاطباء ( 223/3 ) أي بعد وفاة الفيلسوف بما يزيد على ثلاثمائة عام وهـي اضافة غريبة ومستغربة ومن هنا يبدو لي ان صاحب عيون الانباء اخترعها اختراعا ، وهي كلمة تركية أيضا معناها الحرفي هو ( الدسم ) اي الكثير الدهن ، ودلالتها المجازية الشيء الفني بمادته وصورته ـ ومن هنا فانني اذهب الى انها كلمة موضوعة لاتصح اضافتها الى قائمة نسبه من قريب ولا من بعيد . رغم اننا نجد اضطرابا في التقديم والتاخير بين كلمتـي ( طرخان و اوزلغ ) عند صاحب الانباء وصاحب وفيات الاعيان !..

وفي مجال هذا الراي الذي اجتهدناه يعود الفارابي هو : ابو نصر محمد بن محمد فحسب ...

للعربية واصولها تم بعد نزوحه الى بغداد كما سأشير الى ذلك . وهكذا الامر بالنسبة لما قيل عن معرفته باليونانية فأن مايورد عنها من مصطلحات فلسفية لاتدل دلالة واضحة على معرفته لهذه اللغة .

وبغض النظر عما في هذه الرحلات من شكوك وانعدام رؤية واضحة عنها ، فان رحيله الى بغداد تحقق فعلا قبل عام 316 للهجرة باعتبار ان الروايات التاريخية تؤكد لنا تبادل التلمذة بينه وبين أبي بكر السراج (ت 316)مما لا يدع شكا بأن الهجرة تمت قبل ذلك التاريخ ..

ويذهب طيب الذكر ريتشارد فالتزر ( ت 1975 ) في دائرة المعارف الاسلامية الى أن الفارابي قصد بغداد برفقة أبيه وهو لايزال صغيـر السن . ولسنا نجد مبررا لهذا الاحتمال الذي يراه الاستاذ فالتزر ، بينا يرى أكاديمي سوفيتي هو الاستاذ بابا جان غفوروف ان الفارابي وصل بغداد مابين عام 306 هـ 918 م وعام 308 هـ/920 م معتبرا ولادته كانت في عام 250 هـ/864 ،فكانت سنه اذن عند دخول بغداد تتجاوز الخمسين عاما(8) ، في الوقت الذي يؤكد فيه المرحوم مصطفى عبد الرازق ان ولادته كانت حوالي عام 259 للهجرة ، وانه هاجر الى دار السلام وهو في سن دون الخمسين عاما ، وأيا ماكان الامر فان نصر وصل بغداد وهو متجاوز للعقد الرابع من عمره ، يقودنا الى هذا الراي ان تلمذة ابن السراج المتوفي عام 316 على يد الفارابي لا يمكن أن تتم وهو صغير السن أو شاب حدث ، وابن السراج كان امام زمانه في النحو واللغة ، وان تدريس المنطق لابن السراج ودراسة الفارابي لخصائص اللغة على يد الاخير ، يقود حتما الى ان الفارابي وصل بغداد وهو يحمل من العربية وفنونها ودقائقها ما يجعله تلميذا للسراج ثم مايجعل الاخير تلميذا له . اما دعوى انه تعلم مبادىء العربية على يد ابن السراج حيث لم يكن عارفا بها من قبل ، فنميل الى رفض هذا الرأي جملة وتفصيلا لعاملين او سببيـن أشرنا الى احدهما آنفا وهو العلاقة التي تمت بين ابن السراج وبينه ، مما يؤهله لمستوى علمي رفيع ، والاخر كون العربية نفسها لغة المعرفة والعلم في اقطار المعمورة التي كانت تحت رقعة الخلافة الاسلامية ، ولا مشاحة في ان الانسان العليم عصر ذاك هو من تفقه بها واخذ المعرفة الحقة عن طريقها ، ولايجوز لنا فرض غلبة اللغات الاخرى على الفارابي لان تداخل العاملين واضح عند قدومه الى دار السلام ، من حيث ان اتفاق المنطق بالشكل الذي جاز للفارابي ان يكون استاذا لابن السراج لايمكن أن يؤدي الى جهل في العربية وأسرارها بل على العكس ، لان المنطـق واللغة فرسا رهان لايفترقان ..

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

(3) لعل من ابرز مايواجه الباحث في المنحنى الشخصي للفيلسوف هو الغربة غير الواضحة ولا المحددة لمرحلة طفولته وشبابه حيث يضن التاريخ بها بشكل لايفسح مجالا للحديث عنها وعن منطوياتها ، وهـي ولاشك لاتخلو من الطرافة والجدة باعتبار ان كل تطور نحو الاستكمال يمر حتما بمراحل متتابعة ولا توجد المعرفة متكاملة .. ومن هنا فنحـن نعرف الفارابي في مرحلة اكتماله هذا فحسـب ، وليس من المبالغـة اطلاقا ان ندعي طرافة مرحلتيه الاوليتين رغم النزر القليل جدا الذي تتخيله الروايات التاريخية نحوه والتي يبدو من خلالها ان الحكيم ترك مدينته وهو في سن مبكرة حيث طوف في معالم الشرق قبل رحيله الى دار السلام ومكـث في مرو فترة من الزمان لاتخلو ـ في رأينا ـ مـن دراسات نهض بها الفارابي متنوعة مختلفة في الفلسفة واللغة والآداب مع تمكن من لغات تلك الاقطار كالعربية والفارسية والتركية وخاصة الاولى منها ، ولست ارى صحة مايذهـب اليه بعض الباحثين من ان تعلمـه

وفي بغداد درس شيئا من الحكمة والمنطق على يد أبي بشر متى بن يونس ( ت 328 هـ ) ثم درس وللمرة الثانية ـ على يد الطبيب المنطقي يوحنا بن خيلان ( ت 318 هـ ) حيث كانت دراسته الاولى في حران وفي فترة غير واضحة المعالم والزمان .. وفي تصورنا ان دراسته في حران تمت في المرحلة التي سبقت وفاة ابن السراج عام 316 للهجرة وطبعت معالمها في فلسفته بشكل عام .

لقد كان الفارق فسيحا بين ماينزع اليه الفارابي من رؤية عقلية خالصة في الناحيتين النظرية والعملية ، وبين الصورة التي عاناها خلال مكوثه في دار السلام ـ مما سنشير اليه ـ بحيث دفع به جديا الى التفكير بالرحيل عن حاضرة العالم بغداد ، فغادرها الى بلاد الشام .

ونعود الى الاعماق الفكرية التي كانت سببا مباشرا او غير مباشر لرحيله ، واحسبني اكثر ميلا الى ان عناصر روحية وايديولوجية (فكرية)

دفعته الى هذا القرار ، حيث وجد مساربها ومخائلها في الفارس العربي سيف الدولة ابن حمدان ( ت 356 هـ ) ليقضي هناك الثمالة الاخيرة من حياته ، ولعله كان ينظر الى الامير الحمداني وكانه الفاتح الجديد لبناء حضارة العرب والاسلام . بهذه الرؤية التي ذهبنا اليها ، نبرر نقدات آدم متزالجارحة في الحط والسخرية من سيف الدولة وحملاته في الذب عن ثغور الدولة العربية ودحر الغزاة الوافدين .. واقرأ معي وصف الثعالبي له حيث يقول عنه(9) : « عماد الاسلام ومن به سداد الثغور وسداد الامور ، كانت .. غزواته تدرك من طاغية الروم الثار وتحسم شرهم » .

وانني لاكاد اتخيل ان هنالك اسبابا اخرى ذاتية وموضوعية دفعت الفيلسوف الى الرحيل عن بغداد منها حوادث الاعوام (327 – 330)التي عاشها في دار السلام وخاصة عام 330 ( سنة مغادرته بغداد ) حيث كانت المدينة تنوء باثقال من الالام والاحقاد والمنازعات الطاحنة الى ان استولى البريدي عليها(10) فاشاع السبي والنهب والحرق فدمر دار الخلافة ، وفتك بالناس ، واباح حمى المدينة الآمنة ، وظلم اهلها ظلما – كما يقول ابن الاثير – لم يسمع بمثله من قبل !..

فلابد ان الفارابي – وهو الرجل النازع الى السلام والمحبة والدعة ورجحان كفة العقل – غضب في قرارة نفسه مما يرى ويسمع فاباح لنفسه مغادرة المدينة التي أنشأته فكريا ، واحتضنته عالما وحكيما وانسانا ممتازا، على امل العودة اليها – أو الفراق الاخير – فالرحيل هو سبيله الوحيد الان ..

ومن مفارقات الحوادث يومذاك أن يتوفى الله عام 329 هـ رفيقه وصاحبه واستاذه متى بن يونس .. فكأن الحكيم احس بغربته ووحدته ، وهو الانسان الذي لم يعرف بأثرته للحياة الاجتماعية على حياة الوحدة والعزلة والانقطاع الى تأملية العقل ومثاليته ( وسنجد هذا منطبعا حتى على بنائه الاجتماعي للمدينة الفاضلة التي تخيلها أبو نصر ) .. ففراق أستاذه يؤلمه ويوجعه ، ووضع المدينة يزيده اختناقا بها وتوسلا في الرحيل عنها .

واخيرا غادرها ، ولعله ( كما في بعض الروايات ) سافر الى القاهرة ، ثم عاد الى حلب ، والتقى بالامير الحمداني عام 334 للهجرة الذي كان دخوله اليها في8 ربيع الاول عام 333 للهجرة فمكث الفارابي لديه ، ورحل معه الى دمشق بعد انتصاره عليها .

وأحسبني على حق حين أقرر امكانية الشك في بعض المأثورات التي وردت عن قصة رحيله ، وأقربها الى الصحة في نظرنا هي رواية ابن العبرى(11) التي تقول : « قدم أبو نصر الفارابي على سيف الدولة أبي الحسن علي أبي الهيجاء بن حمدان الى حلب ، وأقام في كنفه مدة بزي اهل التصوف ، وقدمه سيف الدولة واكرمه ، وعرف موضعه في العلم ومنزلته من الفهم ، ورحل معه في صحبته الى دمشق فادركه أجله بها .. » وعبارة ابن العبري الاخيرة تحتمل معنيين احدهما صحبة الفارابي لسيف الدولة الى دمشق ومن ثمة توفى هناك ، والثاني ان الفارابي صحب سيف الدولة الى دمشق ووافاه أجله فيها .. ولا نعلم – في مثل هذه الحال – هل كان بين هذه الصحبة الى دمشق ، وبلوغ الرجل منيته ، فاصل زمني يقاس بالاشهر او السنين ، خاصة اذا افترضنا ان ذهابه اليها كان للمرة الاولى عام 334 كما يدعي المؤرخون ؟

واستطيع هنا ان اتبنى الدلالة الثانية من تفسيرنا لعبارة ابن العبرى من حيث أننا نميل الى ان سيف الدولة لم يكن في دمشق حين وافت الفارابي المنية ، مخالفين بذلك جملة الدارسين لحياة أبي نصر ، وسبيلنا الى هذا الراي هو ان غزو الحمداني لثغور الروم بدأ فيربيع الاولعام339 للهجرة واستمرت الحرب عوانا وضروسا بينهما ، ومكث سيف الدولة مع عدده وجيشه أشهرا في ميدان المعركة(12) .. ونحن نعلم ان أبا نصر – باجماع الرواة – توفي في رجب عام 339 ، وما بين ربيع الاول ورجب اربعة أشهر لا غير ، والاشهر التي مكثها سيف الدولة في غزوته تلك تتعدى الاربعة اشهر ، لذا فنحن نصوغ الراي الذي نتصوره بالمقولة التالية : أن حكاية صلاة سيف الدولة عليه ، مختلقة أو متخيلة ، ارادها او ابتدعها مؤرخ ذكي يهدف من ورائها اظهار الصلة المتينة بين الأمير الحمداني والحكيم الفارابي– وانها (أي الصلاة)ذكرتبعد اكثر منثلاثمائة عام انصرمت على وفاة الفيلسوف وعلى يد ابن ابي اصيبعة ايضا ( ت 668 هـ ) في كتابه عيون الانباء في طبقات الاطباء(13) ..

ترى لِم لَمْ يشر مؤرخ معاصر لابي نصر او قريب من عصره الى هذه الحادثة ذات الدلالة المهمة بالنسبة لطبيعة مؤرخينا القدماء ؟ انني اتجاوز باطمئنان كل هذه المأثورات ، لاقرر ضعف الرواية جملة وتفصيلا ، وتنتفى معها مشكلة الاربعة او الخمسة عشر رجلا من خواص الامير الذين شاركوا في هذه الصلاة !..

(4) وقبل ان انصرف بالحديث الى صابئية الفيلسوف او حرانيته الفكرية .. فان الروايات التاريخية تجمع بأنه كان يكتفي من سيف الدولة باربعة دراهم يوميا ، يخرجها فيما يحتاجه من ضروري العيش ، وهذا هو بحد ذاته مؤشر واضح الى طيبة نفسه ، وعلو قدره حيث لم يستغل مقامه العلمي الرفيع ليستدر الامير الحمداني عطاءه المدرار .

وكذلك يعطي موقفه هذا صورة لزهده في الحياة ومتاعها الزائل .. وتشذ بعض الروايات فتدعي انه كان ناطورا في بستان يأخذ أجره نهارا ويستضيء على نور قنديل الحارس ليلا كييقرأ كتبالفلسفة والحكمة ! ثم يبالغ هؤلاء الرواة فيجعلون رحيله الى دار السلام حدث بعد مكوثه في دمشق(14) ، بينا لايوجد مؤرخ سليم وضع قضية سكناه في دمشق قبل بغداد ! . واذا قيس الامر من بعد آخر ، بدا لنا ان رحلاته الى حران تمت قبل وفاة ابن السراج عام 316 للهجرة كما سبقت الاشارة الى ذلك ولا علاقة لها بدمشق ، وهي فترات زمنية غير محددة المعالم ولكنها كانت ذات تاثير واضح على فلسفته بشكل عام وخاصة في المنطق .. ولسنا بمبالغين اذا قلنا ان صابئة حران بالذات ، بما امتازوا به من اتجاه فلسفي وعقائدي وتصفية لفكرة الالوهية وابعاد للصفات عنها ، أثروا على قوالب الفكر الفلسفي والكلامي في الاسلام ، بل نجد في تراث مفكرينا ، ومنهم المعلم الثاني ، وشائج قربى ترتبط بالصابئة ، خاصة مع أولئك الذين دخلوا الاسلام منهم والذين جاؤوا الى حواضر الدولة العربية وعاصمة الخلافة بغداد ...

(5) وحيكت حول ابي نصر الفارابي مجموعة من الاساطير كان نساجها الميثولوجي ظهير الدين البيهقي ( ت 565 ) وقد بسطنا رأينا في هذا المؤرخ سابقا(15) فلا نعيده هنا . ولكننا نقول ان الخطا التاريخي واكب البيهقي في كثير من رواياته فلم يوفق في اكثر ماتقصاه عن الفارابي ، سواء ماكان من قصة الصاحب بن عباد – كافي الكفاه معه ( 326 – 385 ) المختلقة من حيث ان الصاحب لم يتجاوز الثالثة عشرة من عمره عند وفاة الفارابي ، او خلط حكاية موت أبي نصر بقصة موت المتنبيء الشاعر(16) . وما الى ذلك من قصص كالتي يحكيها لنا ابنخلكان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في وفيات أعيانه حول دخوله على سيف الدولة لاول مرة حيث يبدو فيها الفارابي ممثلا بارعا وفنانا حاذقا ، يترسم دوره المسرحي المقصود أمام الامير الحمداني مع صور ( دراماتيكية ) تثير وتحفز القارئ الى غرابتها وجماليتها ، وهي في تصورنا نقل ( لا معقول ) من رسائل اخوان الصفاء ( حوالي 334 ) وضعت فيه الاسماء والسمات بغية التصريح لا التلميح ، ولا علاقة حقيقية لها بالفارابي والحمداني معا(17) .

(6) ولم تخل مسيرته التاريخية حيا وميتا من مطاعن الطاعنين واحقادهم فريشت سهامهم نحوه ، كما هي حال الفلسفة في كل عصورها، قديمة ووسيطة وحديثة . وحكايات أولئك الفلاسفة فيها مايضحك وما يبكي ، وليس ببعيد فتاوى ابن الصلاح وابن قيم الجوزية ومن سلك مسلكهم(18) .. والامثلة على ذلك متيسرة في مأثورات السلف ممن ناصر النقل على العقل . وكان للفارابي نصيب من هذه الحملة الظالمة ولكن بعد وفاته ببضعة عقود من السنين منذ عصر الغزالي ( ت 505هـ ) وما بعده . ومن هذه المواقف والصور ، موقف السبكي ( ت 771هـ ) في كتابه ( معيد النعم ومبيد النقم ) حيث يعتبر الفارابي وابن سينا فيلسوفين خرجا على الاسلام ، لانهما « أعداء انبياء الله تعالى ورسله عليهم الصلاة والسلام ، والمحرفون لكلم الشريعة عن مواضعه ... لاتكاد تلقي أحدا منهم يحفظ قرآنا ولا حديثا عن رسول الله ... وهم لايعتقدون شيئا من دين الاسلام » !

وغريبة حقا احكام السبكي على هذين المفكرين ، فهذا الفارابي مثلا يتصدر كتبه ومؤلفاته ذكر الله واليوم الاخر ، والدفاع عن قواعد الشرع دفاعا عقليا خالصا ، وفي كتاب ( الملة ) شواهد بينات لما نقول ، وفي أكثر رسائله اشارات وتنبيهات تدل على اسلامه الصحيح .

تلك هي اذن بلية التاريخ وبلادة التعصب وعطن النفس وضيق منافذها ، وتبلد الروح وآفتها . كل أولئك دفعت بالسبكي وأمثاله الى احكام مبتسرة ظالمة ، تسيء الى التراث وتنخره وتعود في نهاية المطاف ـ هي و ( اللامعقول ) سواء بسواء .

وليس بذي نفع ان نتقصى الامثلة حول ظلامة الفلسفة من اهلها وذوي قرباها ، بل نحن نجد ان هناك نحوا آخر من الاحكام يساق اليها الفيلسوف وفكره سوقا يعتمد فيه على المفاهيم المبتسرة الملتوية ، في ضوء مواقف تشيع غالبا من المستشرقين الغربيين ، وأسوق مثلا على ذلك المستشرق المعروف لوى جارديه(19) الذي يحاول وضع الفكر الفلسفي عند الفارابي وغيره من الفلاسفة وضعا يمازج فيه بين هذا الفكر والاصول الغنوصية ، ولست بواجد لصلة واضحة المعالم في هذه الدعاوة، لان الغنوص نظرة دينية تستهدف خلاص الانسان عن سبيل التبصر بكيانه وذلك عن طريق استخدام الحدث الاسطوري كحجة في الموضوع ، مع ارتباط واضح بين فكرة النور الانساني والمادة الطبيعية المظلمة ، أي بين عالم النور والظلمة تماما كما هو عليه الحال في المانوية . فاذا اقترن هذا الرأي من خلال هذا المنظور ، لانجد مايقود بالضرورة الى هذا الربط بين فكر الفارابي والغنوصية ، الا اذا جعلنا الغنوصية بؤرة لكل اتجاه تبني العقل أو التبصر ، وهو موقف لايخلو من تهافت على أقل تقدير !..

ولاضير في أن يكون المفكر مؤثرا ومتأثرا معا ، ولكن شرط التدليل على ذلك يبقى قائما في كل دراسة وفي كل بحث ... ولعل دلالة التأثير هذه نلمسها واضحة على مفكري عصره والذين جاوزوا العصر من بعده ، بشكل كبير وعميق ،فلقد احتذى الخلف سبيل السلف ،خاصة فيلسوف الاسلام ابن سينا ( ت 428 هـ ) فان اشاراته في هذا المجال لايرقى اليها الشك وتفوق كل تقدير يمنحه الشيخ الرئيس لكل المفكرين الاخرين مع ماعرف عنه من ضن في مدح او ثناء . بل ان موقفه من الفارابي سيجره الى نحو من السمو يغلب فيه الايثار على الاثرة ، فيسجل على نفسه طعنا واضحا في قدراته الفكرية وذلك بادعائه قراءة كتاب ( مابعد الطبيعة ) لأرسطو طاليس أربعين مرة ـ وكان الفاتح المفهم له هو توضيح الفارابي على ذلك الكتاب ! . وسنناقش ، في حينه ، هذا الامر بالنسبة الى ابن سينا ، وسننتهي الى رأي تبنيناه بهذا الخصوص ...

وأيا كان ، فان الشيخ الرئيس يورد تقديره للفارابي في مجالات عدة من مؤلفاته ، ونسوق عبارته التي سجلها في كتاب «المباحثات»(20) مثلا على ذلك : « أما أبو نصر الفارابي فيجب أن يعظم فيه الاعتقاد ، ولا يجرى مع القوم في ميدان . فيكاد أن يكون افضل من سلف من السلف » . وتلك شهادة حق وصدق ، تضع ابا نصر في قمة الفكر الانساني بما فيه افلاطون وارسطوطاليس ...

هذا أحد المثلين اللذين حضرناي ، اما المثل الاخر فابن رشد ( ت 595 هـ ) في مأثوراته الفلسفية سواء في ( فصل المقال ) او ( تهافت التهافت ) أو في كتاب ( العبارة ) بما يورده عنه من نقد بناء وادراك لقدراته وعبقرياته ، رغم التباين الواضح بينهما في مجالات ابداع الكون واختراعه وعقوله الفاعلة والمنفعلة .

ولم يقتصر هذا التأثير على هذين النموذجين فحسب ، بل امتد الى ابن ميمون ( ت 601هـ ) وآخرين .. واذا شئنا ان نمد هذا التأثير الى الغرب ، فنجده صورة واضحة كل الوضوح على مجموعة من فلاسفة العصور الوسطى خاصة المرحلة المدرسية منها التي اعتمدت على الفكر العربي ، منهجا وموضوعا ، فعلى كتب الفارابي درسوا ، وفي ضوء تعاليمهما تخرجوا ولسنا نفرق هنا تفريقا واضحا بين الفارابي وابن سينا في تأثيرهما على الفكر الغربي . فالشيخ الرئيس تلميذ عبقري من تلاميذ أبي نصر .

وتسألني : وماذا نحن نعرف من تأثيرات ابي نصر على غير الفلاسفة والحكماء ؟ فمن طريف ماتجدر الاشارة اليه هنا هو روابط التأثير الفكري للفارابي على أبي الطيب المتنبي الذي دخل في خدمة سيف الدولة عام 337 للهجرة وبقى الى عام 346 فعاشر الفارابي وعاصره لمدة سنتين قبل وفاة الفيلسوف بحيث بدت معالم هذا التأثير واضحة على شعر أمير شعراء العرب بما أكثر من القول والحديث عن الطبع وانه يعسر تغييره أو يتعذر : « وتابى الطباع على الناقل » ـ وان الطبع يغلب العادة والتطبع الى غير ذلك من اقواله الحكيمة .

يقول ابو الطيب :

قضاء من الله العلي اراده الا ربما كانت ارادته شرا(21)

ويقول الفارابي :« وكل كائن فبقضائه وقدره والشرور أيضا بقدره وقضائه »(22) .

ويرى المرحوم الاستاذ مصطفى عبد الرازق ان فلسفة الفارابي « استطاعت أن تؤثر في تفكير المتنبي وفي مذاهبه الخلقية ، ولكنها لم تستطع ان تنزع من نفسه حب الغلبة وحب المال !.. فقد كان المتنبي متبرما بالناس وبالايام ، ولم يكن من أهل القناعة ، بل كان من أهل الطموح والغلبة ، فهو يقذف في زفراته بالشرر في وجوه البشر :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن عرف الايام معرفتي بها    وبالناس روى رمحه غير نادم

واذا كان حقا على الباحثين في فلسفة المتنبي أن يذكروا صلتها بفلسفة الفارابي فمن الحق عليهم أيضا ان يكشفوا عن اثرها في فلسفة أبي العلاء المعري ... والادب العربي فيما نعلم لم ينتج غير المتنبي وغير المعري شاعرا وفيلسوفا ..»(23) .

(7) ـ ولابي نصر نزعة علمية ذات نصفة وعدل ، يحاول من خلالها الاشارة الى اصول الفكر القديم ـ كصاحبه الكندي من قبل ـ ومدى الاستفادة منه ، ويحصر الامر في شخصيتين من كبار مفكري اليونان هما : افلاطون وأرسطو طاليس من حيث أن : « عليهما المعول في قليلها ( أي الفلسفة ) وكثيرها ، واليهما المرجع في يسيرها وخطيرها وما يصدر عنهما في كل فن انما هو الاصل المعتمد عليه ... واليهما يساق الاعتبار ، وعندهما يتناهى الوصف بالحكم العميقة والعلوم اللطيفة والاستنباطات العجيبة »(24) .

يريد ابو نصر في تقريره هذا ان يضع اللبنات الاولى لوحدة الفكر الفلسفي الذي ينحو الى بنائه ، ويشيد صرحا عتيدا للجمع بين فكرين مستقطبين ، في محاولة طريفة جادة من الناحية المنهجية ولكنها مرفوضة بالنسبة لمنطق الواقع ودلالة التفلسف ، ومرفوضة بالنسبة لما وقع به الاقدمون من خطأ النسبة في كتاب (أثولوجيا ) المنسوب الى ارسطو طاليس والى امور أخرى سنشير اليها .

اقول هذا وانا على علم بمدى ماتثيره هذه المحاولة الفارابية في نفوس بعض الباحثين ولكنني أشير هنا الى ان الهدف الذي دفع الفارابي الى تبني هذه الوحدة الفكرية بين الفيلسوفين ، هو شعور استوحاه من خطأ تاريخي اشرنا اليه في بحثنا عن الكندي(25) ، حيث بدا وكأنه العامل الرئيس الذي دفعه الى اتخاذ هذا الموقف ، يضاف الى ذلك طبيعة الفارابي التأملية والتاويلية التي تنزع دائما الى ( التوحيد ) و (التنسيق) بدل التفرقة والتبعيض ، وما عرف عنه من حب للنظام العقلي الذي لايجد نفسه مجالا للقول بتباين او اختلاف بين انصاره وأصحابه من الداعين اليه !. وفي أعمق اعماق هذه الصورة يقف أفلاطون وارسطوطاليس بأثواب من ( الزي الموحد !. ) اختارها الفارابي لهما ولكنه اخطأ القياس فاخطأه التوفيق .. وأياً كان فالفارابي مجتهد في العقل وطرائقه قد يصيب وقد لايصيب ، ولست أذهب الى ان السبب الذي دعاه الى ذلك هو محاولة التنسيق بين الفلسفة اليونانية والدين الاسلامي لغرض مقصود في عقيدة الفارابي ، كما يرى بعض الباحثين العرب ، بل ويضاف الى ماذكرنا في أعلاه ، رأي طيب الذكر ريتشارد فالتزر في دائرة المعارف الاسلامية من ان الفارابي « كان يعتمد ارسطو طاليس بصورة أخص حسب فهم الشراح اليونان القدامى له ، لا سيما في المنطق والعلوم الطبيعية ، وما بعد الطبيعة وعلم الاخلاق ، مع الاشارة الى أن فهم الميتافيزيقا كان سائرا وفق وجهة نظر افلاطونية مستحدثة معتدلة ... ولعل في القسم الاكبر من تآليف الفارابي آثار فكر فورفوريوس الصوري واضحة . اما مصادره الاخيرة فمتأتية عن تقليد افلاطوني سابق لافلوطين » .

(8) ـ واذا كانت هذه هي الصورة التي اوردناها عن نزعته في انصاف القدماء ، فهنالك صورة أخرى تتعلق بما اخترعه المؤرخون حول قراءته لبعض كتب ارسطو طاليس ، أربعين مرة او أكثر ، مما دفع بالفيلسوف الالماني هيجل الى التهكم على أبي نصر بقوله « لابد ان معدة الفارابي كانت شديدة الهضم !. »(26) .

ولعل اول من ذكر ان الفارابي قرأ كتاب السماع الطبيعي اربعين مرة وانه محتاج الى معاودته هو ابن أبي أصيبعة ( ت 668 ) في عيون الانباء ، أعاد الفكرة ابن خلكان في وفيات الاعيان من انه وجد حاشية على كتاب النفس لارسطو طاليس بتوقيع الفارابي تذكر ان هذا الفيلسوف قرأ كتاب المعلم الاول هذا مائة مرة .. والروايات التاريخية في هذا المجال لها مضاعفاتها بشكل مدهش وغريب حقا ، حيث نجد مؤرخا معاصرا لابن خلكان هو اليافعي ( ت 768هـ ) صاحب كتاب مرآة الجنان وعبرة اليقظان(27) يورد رواية ابن خلكان حول الحاشية التي وجدت على كتاب النفس فيدعي انها بخط الفارابي أيضا ويقول : « قرات هذا الكتاب مائتي مرة .. » فزيد هنا مائة على تلك المائة. وهكذا نجد ان بعض مؤرخينا يفتقرون الى التثبت والدراية وسلامة الاستنباط ، ويندفعون كما يقول فرنتز روزنتال الى تبني بعض الادعاءات الكاذبة التي نعثر عليها في المخطوطات من ان خط هذه المخطوطة او حاشيتها هي لفلان او للمصنف نفسه ـ ثم يزيد روزنتال أن هذه الحاشية ( التي أدعاها ابن خلكان ) لم تكن للفارابي ، لا هي ولا تلك المخطوطة في الهندسة المحفوظة في جامعة اوبسالا والتي يقال انها من تصنيف هذا العالم الفيلسوف(28) ـ وهو موقف يضع مشكلة هذه القراءات موضع الشك بل موضع الرفض أيضا .

(9) ـ ومازال حديثنا عن قراءاته المتعددة ، فان ذلك يدفعنا أيضا الى الكلام على مؤلفاته وانتاجه الفلسفي والعلمي الذي شمل حقولا مختلفة من المعرفة الانسانية(29) ضمت المنطق والطبيعيات والرياضيات والميتافيزيقا والفلك والموسيقى والكيمياء والسياسة والاجتماع والطب والشعر والخطابة ، مع شروح وتلخيصات لكتب الاوائل ، ورغم هذا الانتاج الضخم لابي نصر فان قسما من مؤلفاته ذهب نهب الضياع والقسم الاخر بقي مخطوطا وبعضه نشر بطبعات خالية من التحقيق العلمي الدقيق، وبعضه الاخر ظهر بنشرات تحقيقية جيدة ، خاصة العمل الممتاز الذي قدمه طيب الذكر ريتشارد فالتزر في اخراجه لكتاب أهل المدينة الفاضلة، الذي يعد من أهم مصنفات الفارابي في حقل الفلسفة العامة والبناء السياسي والاجتماعي . وكذلك اعمال قسم من الباحثين العرب والغربيين سواء ما كان منه في حقل التحقيق أو الترجمة . فلقد نقلت مجموعة من كتب أبي نصر الى العديد من اللغات قديمها وحديثها ، الى العبرية(30) والتركية والفارسية والاسبانية والالمانية والانكليزية والروسية والفرنسية واللاتينية ، فقد بلغ عدد ما ترجم من مؤلفاته الى هذه اللغات حوالي ( 65 ) كتابا(31) ولم يسبق لفيلسوف عربي أن نقلت مؤلفاته الى هذه اللغات بهذا القدر الذي ذكرنا .

ونعتقد انه من المهم جدا ان تظهر مؤلفات أبي نصر بنشرات تحقيقية دقيقة يلتزم فيها الباحثون جانب الدراسة التاريخية والفيلولوجية لمرحلة تاليفها ، كي يمكن عندئذ ايجاد تصنيف زمني لمرحلة تدوينها مما سيساعد كثيرا على فهم فلسفته ، ويكشف لنا الغايات التي دفعته الى غلبة التكرار في بعض رسائله المتشابهة ، ويوضح لنا تطوره الفكري في بغداد وحران ودمشق ، ومن ثمة استكشاف المنهج المنطقي الذي وضعه صاحب المنطق وحوره الفارابي في تعليقاته وشروحه وتلخيصاته .

ومما يلفت النظر حقا ما وجدناه في برنامج الكتب الاصولية التي بحثت هذا الجانب من أسماء المؤلفين ومصنفاتهم ، كابن النديم (ت 385) وصاعد ( ت 462 ) والقفطي (ت 646) وابن أبي أصيبعة ( ت 668 هـ ، من تخلف وضنة عند الاول والثاني من هؤلاء ( أي ابن النديم وصاعدا ) عند ذكر مؤلفات الفارابي ، حيث أورد صاحب الفهرست سبعة منها ،

واورد صاحب طبقات الامم اربعة منها فحسب . بينما نجد عند الاخيرين منهم كالقفطي مثلا عددا يبلغ الاربعة والسبعين ، وعند ابن ابي أصيبعة مئة وثلاث عشرة كتابا ، مما يثير الدهشة لدينا في سبب احجام الاولين من ذكر كتبه ومصنفاته ــ ولا أجد مبررا مقنعا لهذا الموقف رغم ما يدعيه البعض من ان ابن النديم لم يطلع على مؤلفات ابي نصر ، لان الوقت لم يكن كافيا للكشف عنها لتعاصرهما في زمن واحد . .

ونحن نخالف هذا الرأي ، لان الحوادث التاريخية تقدم لنا صورة اخرى مباينة لهذه الدعاوة من حيث ان ابن النديم نفسه قد ابلغ كتب الكندي الفيلسوف ( ت 252 ) الى ( 242 ) مؤلفا . فان صح ان الزمن له أثره البالغ في هذا الكشف ، فكيف يبرر اطلاع ابن النديم على مؤلفات فيلسوف العرب ؟

قد يبرر هذا باشارة صغيرة عابرة وردت عند البيهقي التي يذكر فيها ان مؤلفات الفارابي تكثر في فارس دون العراق ، وانه رأى في خزانة نقيب النقباء في الري من تصانيفه ما لم يقرع سمعه من قبل ، واكثرها كانت بخطه وخط تلميذه ابي زكريا يحي بن عدي(32) .

ولكن هذا في رأينا لا يدعو ايضا الى ان تكون اشارة ابن النديم تقتصر على ذكر سبعة منها فقط ، مع العلم ان الفارابي اكتملت نشاته العلمية في بغداد ودون الكثير من كتبه فيها .

واخيرا يبقى مجال الكشف عن موقف ابن النديم موضع نظر للباحثين حاضرا ومستقبلا ، وقد يكون لصاعد بعض العذر بسبب بعد المغرب عن المشرق حيث لا يتيسر له الاطلاع عن مفكري المسلمين في الشرق العربي .

(10) لكن الذي يتطلب منا العناية أيضا بالاضافة الى مؤلفاته الفلسفية ما ينسب الى الفارابي من شعر قليل يمتاز ــ ان صحت النسبة ــ بالتزهد وطهارة النفس وتطلع الى الحياة الاخرى وترفع عن المادة وبهرجها(33) ، فهو اقرب الى الشعر الصوفي منه الى الشعر الادبي وللقارىء ان يطلع عليه ــ على نزرة هذا الشعر ــ في المصادر التي اشرنا اليها في التعليقات . ومما وجدته جديدا ان احد الاعلام الباحثين(34) يذكر لابي نصر ارجوزة صغيرة تختلف عما تعارف عليه دارسو شعره ، حيث يقول فيها الفارابي(35) :

اصبح في بلابلي وامسي

امسي كيومي وكيومي امسي

يا حبذا يوم حلول رمسي

مطلع سعدي ومغيب نحسي

من عرض يبقى بدار الحس

وجوهر يرقى لدار القدس

وكل جنس لاحق لجنس

وتبرز هنا ظاهرة التغني بالخمر ، بحيث يؤدي هذا الى اتهامه بمعاقرتها في فترة من حياته ( مع عدم ميلنا الى صحة نسبة هذا الشعر اليه ) ــ ينضاف اليها ما رواه ابن ابي أصيبعة من انه « كان يتغذى بماء قلوب الحملان مع الخمر الريحاني ! » ــ وقد اعتمد النقلة من بعده عبارته تلك دون تفهم لطريقة سردها .

وسبق لنا ان اظهرنا ما وقع فيه هؤلاء المؤرخة من اخطاء مع حرصهم الشديد على سلامة مسالك رواياتهم ، وأيا كان فعبارة ابن ابي أصيبعة لا تقود الى القبول والقناعة ، لاننا في مجال السبر التاريخي للمنحنى الشخصي للفارابي نجد ان حياته ــ منذ ان وعى العلم ومعارفه ــ غلب عليها الزهد والقناعة ودفع التخير او التندر فيما ياكل او يشرب ، خاصة وان الفيلسوف رضى من حياته العامة بما يسد به حاجاته الضرورية فحسب، سواء في بغداد او دمشق ، هذا ما عرف به ، ولم يعرف عنه سواه ، فمن أين له ان ياتي بقلوب الحملان ليعتصر ماءها ثم يخلطها مع خمر متخير ايضا وهو الريحاني ثم يتغذى عليهما ؟.

انه لخيال ، محض خيال ساقته اساطير الرواة وما اكثرها ، وانفرد بهذه الحكاية ابن ابي اصيبعة فحسب .

ثم يضاف الى هذا ايضا ان ذكر الخمر في الشعر العربي واعطائها صورة الاثر والمؤثر في نفس الاديب سبيل سلكه القدماء والمحدثون ، فليست هي بمؤشر يقود الى اتهامه بمعاقرتها وامامنا ــ على سبيل المثال ــ السيد سعيد الحبوبي وهو فقيه عالم وشاعر اديب وصف الخمر بما لم يصفها شاعر في عصره ، ولا يدفع ذلك الى الشك بمعاقرته اياها ، بل هو أبعد الناس عن هذه التهمة جملة وتفصيلا . .

ويذهب بعض الباحثين الى ان استعماله للخمر كان تداويا لا شهوة وتلهيا(36) ولست ارى ذلك أيضا ، لانني لست مقتنعا بصحة نسبة الشعر اليه من جهة ، ومن جهة أخرى ــ ان صحت النسبة ــ فوصفه اياها تصنع لا حقيقة ، مع العلم انها رواية بائرة ينفرد بها مؤرخ واحد عاش بعد الفارابي بعدة قرون !.

(11) ولنقف مع الفارابي عند موضوع آخر هو تلاميذه ، وفي تحقيق ذلك حكايات تفتقر الى التثبيت من كتب الاصول لقلة عدد طلبته ، ولعل من اشهرهم ابن السراج النحوي ويحي بن عدي ( ت 374 ) الفيلسوف الاخلاقي ومن نقلة الفكر اليوناني الى العربية ومن اشهر مؤلفاته (تهذيب الاخلاق) الذي نسب احيانا وبسبيل الخطا الى الحسن بن الهيثم كما في مخطوط كتابخانه مجلس في طهران وفي مخطوط الفاتيكان ــ ويعتبر عمل الاب بيريه صورة رائدة للدراسات الجيدة عن يحي بن عدي حيث نشر دراسته عنه عام 1920 في باريس ، وكانت مصدرا لكثير من الابحاث التي قامت من بعده ، رغم ان نشرة جرجس فيلوثاوس عوض لتهذيب الاخلاق في القاهرة كانت عام 1913 ، وسبقت محاولة الاب بيريه بعدة سنوات . .

(12) تلك هي الصورة الجديدة التي رأيناها للمنحنى الشخصي لابي نصر ، آملين ان يكون في موقفنا هذا تصحيح لما اعتاد عليه الباحثون من تخطيط لحياته ونسبه ومسارب فكره .

*

## الهوامش

(*) للكاتب دراسة منهجية عن الكندي والفارابي تحت عنوان ( فيلسوفان رائدان ) والبحث الذي تنشره المجلة حاليا هو جزء يخص المنحنى الشخصي لابي نصر الفارابي .

1 ــ انظر : مصطفى عبدالرازق ــ فيلسوف العرب والمعلم الثاني ، القاهرة 1945 ، ص 57 .

وقارن : خليل الله خليلي ، بحثه عن ( فاراب ) في كتاب :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفارابي والحضارة الانسانية ، بغداد ـ وزارة الاعلام 1976 ص 473 ـ 477 ، وكذلك بحث محمد جواد مشكور ـ الموسوم ( فاراب وفارابي ) المنشور في مجلة هنرومردوم الفارسية ، السنة الرابعة 1976 ، العدد 161 ص 15 ـ 20 .

2 ـ انظر : جريدة الجمهورية العراقية ـ العدد 2510 ، 1975 مقال مترجم عن مجلة ( عالم الكتب ) السوفيتية .

3 ـ انظر : المسعودي ـ التنبيه والاشراف ، ص 105 ـ 106 حيث يورد اسمه ونسبه على الشكل التالي : ابو نصر محمد بن محمد الفارابي .

4 ـ انظر : ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ 491/8 ط . بيروت .

5 ـ اشكر الاخ الدكتور ابراهيم الداقوقي على مساعدته في الرجوع الى كلمة ( طرخان ) في المعاجم التركية .

6 ـ انظر وصفا للمخطوط في كتابنا ( مؤلفات الفارابي ) الذي شاركنا فيه بلدينا الدكتور حسين علي محفوظ ، ص 208 .

7 ـ انظر : المصدر السابق ، ص 59 .

8 ـ انظر : غفوروف باباجان مدير معهد الاستشراق في موسكو ، بحثه المقدم الى مهرجان الفارابي في بغداد 1975 ، والموسوم ( وجهة نظر عالم سوفيتي ) ـ الترجمة العربية .

9 ـ الثعالبي ـ يتيمة الدهر 27/1 .

10ـ انظر : ابن الاثير ، المصدر السابق 284/6 ، للوقوف على وصف الحادثة .

11ـ انظر : ابن العبري ـ تاريخ مختصر الدول ، ص 295 ـ 296 .

12ـ انظر : رواية الذهبي في كتاب تاريخ الاسلام ، نقلا عن الكامل في التاريخ لابن الاثير 334/6 .

13ـ يقع ابن ابي اصيبعة في خطأ تاريخي آخر ، فيذهب الى ان وفاة الفارابي حدثت في خلافة الراضي ، بينا ابن الاثير يشير الى ان الراضي توفي عام 329 هـ لا 339 هـ !.

14ـ ممن ذهب الى هذا الراي الغريب ماجد فخري في كتابه : تاريخ الفلسفة الاسلامية ، بيروت 1974 ، ص 157 ثم اضاف خطأ آخر الى دراسته فاعتبر ان الفارابي تتلمذ على يد يوحنا بن خيلان في بغداد ، بينا هذه التلمذة تمت في حران ، ثم تكررت في بغداد عند هجرة الاخير اليها .

15ـ انظر بحث الكندي من دراستنا عنه ، هامش رقم 3 .

16ـ انظر نص الحكاية عند مصطفى عبدالرازق ، المصدر السابق ص 62 ـ 63 .

17ـ قارن القصة بحبكها الروائي عند اخوان الصفاء في رسائلهم ـ الرسالة الخامسة ، القسم الرياضي : في الموسيقى ، بيروت 1957 ص 185 .

18ـ انظر : دكتور توفيق الطويل ـ قصة النزاع بن الدين والفلسفة ، القاهرة 1958 ، ص 121 ـ 126 .

19ـ انظر بحثه الموسوم : التوفيق بين الدين والفلسفة عند الفارابي ( الترجمة العربية ) ـ منشورات وزارة الاعلام ، بغداد 1975 ص 5 ـ 19 .

20ـ انظر : د . عبدالرحمن بدوي ـ ارسطو عند العرب ، ص 122 .

21ـ انظر : مصطفى عبدالرازق ، المصدر السابق ، ص 89 وما بعدها .

22ـ انظر : الفارابي ـ عيون المسائل ، ص 18 .

23ـ انظر : مصطفى عبدالرازق ـ المصدر السابق ص 93 ـ 95 .

24ـ انظر : الفارابي ـ الجمع بين رايي الحكيمين ، ص 80 ، 82 .

25ـ انظر اشارتنا حول كتاب اثولوجيا بما اوضحناه في كتابنا : المدخل الى الفكر الفلسفي عند العرب ، وزارة الثقافة والفنون ، ص 80 ـ 82 ، بغداد 1978 .

26ـ قارن : فرانتز روزنتال ـ مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي ( الترجمة العربية ) بيروت 1961 ، ص 18 .

27ـ انظر : اليافعي 328/2 .

28ـ انظر : روزنتال ـ المصدر السابق ص 65 .

29ـ انظر كتابنا : مؤلفات الفارابي ( المذكور سابقا ) حيث ابلغنا ما ينسب الى الفارابي من مؤلفات الى ( 115 ) كتابا ، باستثناء ستة كتب رأينا انها غير صحيحة النسبة اليه .

30ـ يمكن القول ان العبرية ( وهي لهجة في الارامية وليست لغة مستقلة كالعربية ) كانت اكثر من غيرها معرفة بكتب الفارابي بالنسبة لغير اللغة العربية ، حيث ترجم اليها من مؤلفاته ( 25 ) كتابا بقلم فلاسفة يهود من امثال هلال بن صموئيل وليفي جرجشون ويوسف بن شنتوب وغيرهم .

31ـ انظر : كتاب مؤلفات الفارابي ـ سابق الذكر ـ ص 469 ـ 472 .

32ـ انظر : البيهقي ـ تتمة صوان الحكمة ، ص 18 .

33ـ انظر عن شعر الفارابي : صالح مهدي العزاوي ـ مجلة المورد ، العدد الخاص بمهرجان الفارابي ، المجلد 4 ، 3 ـ 1975 ص 141 ـ 146 . وكذلك بحث الدكتور محمد باقر علوان عن حياة وشعر الفارابي المنشور في موسوعة الفارابي والحضارة الانسانية ، بغداد 1976 ص 301 ـ 306 ، وكتاب مصطفى عبدالرازق ، سابق الذكر ص 66ـ77.

34ـ قارن رواية الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء في كتابه : الفردوس الاعلى ، ايران 1953 ص 227 ـ 228 .

35ـ اورد السيد صالح العزاوي الابيات على شكل آخر معتمدا في ذلك على كتاب الوافي بالوفيات ( 113/1 ) مؤكدا بانه لم يذكرها غيره ، فقال :

| | |
|---|---|
| ملت وايم الله نفسي نفسي | يا حبذا يوم حلول رمسي |
| اول سعدي وزوال نحسي | اذ كل جنس لاحق لجنس |

36ـ انظر : مصطفى عبدالرازق ـ المصدر السابق ص 64 .

# فاسيلي كاندينسكي

## 1866 – 1944

حسن ذو الفقار

- 1 -

### البداية

### من موسكو الى ميونيخ :

هناك علاقة ابدية بين شخصية الفنان وعمله، وهي تتجلى ايضا في حياة فاسيلي كاندنسكي . فقد تأثر عمله بنشئته وعواطفه والتواريخ البارزة التي مر بها ، وانعكس كل ذلك في نتاج خلقه الفني الذي تركه لنا عبر نصف قرن من تطوره كرسام . ان القوى التي اثرت في تكوينه الفني تعود الى فترة مبكرة في حياة هذا الفنان الذي ولد في الرابع من كانون الاول عام 1866 في مدينة موسكو . كانت تلك القوى ، وان بدت ربما اعتيادية ، تبشر بقدوم حدث غير مألوف . فمن حظنا وحظ كاندنسكي ان الوضع الاجتماعي والثقافي لوالديه ساعد على توفير تعليم جيد له ، وشجع فيه احساسه المبكر للنغم والكلمة واللون . اما اذا بحثنا عن التأثيرات التي تركتها قوميته ومعتقداته الدينية عليه ، فستلاقينا صعوبات لا يمكننا ايجاد ايضاحات محددة لها . لنكتفي بالذكر فقط، انه بقي طيلة حياته ملتزما في طريقة تفكيره بانتمائه الروسي وايمانه الديني بالكنيسة اليونانية الارثوذكسية ، واجتمعت في شخصيته تأثيرات عرقية عديدة .. انها تأثيرات نبعت من والدته المولودة في موسكو وجدته الالمانية من منطقة بحر البلطيق وابيه الذي ولد في قرية قريبة من الحدود المنغولية. ان بعض الاشاعات ، التي تبدو خيالية ، تقول انه سليل احدى الاميرات المنغوليات ، وهذا أمر ليس بالمستحيل .

كل هذه العوامل ساعدت منذ البداية على تطور اليقظة الفكرية لكاندنسكي ، واتاحت للفتى المرهف الحس محيطا مستقرا هادئا نسبيا . فلا نزوح الوالدين الى مدينة اوديسا ولا طلاقهما بعد ذلك سببا خطرا جديا على الانسجام في حياته منذ فترة دراسته الاولى حتى عودته الى موسكو حيث بدأ دراسة القانون والاقتصاد الوطني .

لم تكن موهبته الفنية المبكرة منحصرة في مجال فني واحد ، بل اتسمت بتعددها المدهش : احساس رقيق بايقاع الكلمات وتأثر عفوي بالموسيقى ، وقبل كل شيء شعور فطري بتأثير الالوان والاشكال . كان منذ طفولته « ملهما » بكل ما في هذه الكلمة من معنى . لهذا السبب تمكن كاندنسكي منذ البداية خلق نوع من التوافق بين قوى الخلق الفني : العقل والمشاعر .

رغم كل هذه الموهبة المبكرة لم يصبح الفن الشاغل الاساس لكاندنسكي الا بعد ان تجاوز الثلاثين من عمره . كانت الدراسة الجامعية قد اخذت جل وقته قبل هذا التاريخ . ان نجاحه الاكاديمي الممتاز دفع جامعة دوربات منحه كرسي الاستاذية ، ولكن بدل ان يسعد كاندنسكي بهذا الشرف الممنوح له ، ترك فجأة تدريس القانون والاقتصاد الوطني ، واهتم كلية بالفن ومشاكله . من المؤكد انه لم يتخذ هذا القرار الا بعد تفكير ناضج .

في عام 1896 ترك كاندنسكي بصحبة زوجته آنا تشيمياكين روسيا الى مدينة ميونيخ . لم تكن حياته الاولى في هذه المدينة سهلة من كثير من الوجوه . كانت دروس الفن التي يتلقاها تعذبه ولا تشبع رغبته ، يضاف الى ذلك ان الحياة الفنية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تكوين رقم 9 ، ( 1936 )

في ميونيخ انذاك لم تكن متأثرة بعد باحدث الاكتشافات في مجال الفن الحديث . ان الحنين الى وطنه روسيا والمشاكل التي اعترضت زيجته الفتية زادت حياته صعوبة، لكن عزيمته لم تتزعزع بل اخذ يعمل بدون كلل لتطوير موهبته الفنية والاستفادة قدر الامكان من المحاضرات الرتيبة لمدرسة الفنون . ان كل ما لدينا من اعمال فنية لكاندنسكي في هذه المرحلة لا تتجاوز بعض الدراسات التخطيطية على الورق . فهو لم يترك اية لوحة زيتية تعود تاريخها الى قبل عام 1901 ، ولم يؤمن بنفسه كرسام الى ان بلغ الخامسة والثلاثين من العمر .

ان الاعمال الانطباعية المبكرة لكاندنسكي جديرة بالتقدير وان كانت لا تتميز كلية باعلان بشائر شاملة . فلوحاته الصغيرة عن الطبيعة والبحر وحياة الموانيء والمدن والتي رسمها قبل عام 1908 تدل بالدرجة الاولى على عمل دؤوب ونستطيع ان نكتشف فيها البذور الاولية لاعماله الفنية الرائعة التي خلقها بعد ذلك . فحين يتحدث بالخطوط على الورق باشكال رمزية عن اساطير روسية – المانية ، لا يخلو عمله من الاصالة وحب المغامرة . وفي هذه المرحلة ايضا يحاول كاندنسكي لاول مرة تجربة الكرافيك باسلوب الطبع الذي لم يتركه بعد ذلك وتوصل فيه الى قمة الانجازات في هذا المجال .

اما اللوحات الزيتية لتلك الفترة فتتصف بالقلق والجفاف ، كما في لوحة « مدينة قديمة » التي رسمها عام 1902 . وهو لم يصل الى تكوين خاص به الا بعد عام 1907 حين رسم لوحة « حياة زاهية » . ففي عام 1906 كان لا يزال في صراع داخلي ناجم عن التناقض بين دراسته المحافظة في الفن وبين النظريات الفنية التي كانت تتوالى في تلك الفترة على الحياة الفكرية الاوربية .

لهذه السنوات اهمية كبرى في حياته : ففيها تعرف على رسامين طليعيين مثل يافكنسكي وباول كلي ، وكذلك على تلميذته جابريله مونتر التي اصبحت شريكة حياته في السنين التي سبقت الحرب العالمية الاولى . انها سنوات تتسم بعدم الاستقرار والبحث عن تحقيق ذاته ووجوده كفنان ، ويسيطر فيها التمزق النفسي والتوتر ، جراء بعده عن الوطن وتأثره بما اكتسبه من معلومات فنية في غربته . وبكلمة اخرى كان عليه ان يتخطى الفروق الفكرية والنفسية بين الشرق والغرب .

– 2 –

## الفارس الازرق

كان الرسم بالنسبة لكاندنسكي قضية فكرية قبل كل شيء .. يعني تجربة ، وفهما واحساسا يتجاوز الوصف وما هو ملموس منطقيا . ففي قرارة شعوره الروسي كان يحس بالغموض الكامن خلف العالم الخارجي، لذا كان للجوهر والرمز عنده اهمية اكبر من الحقائق المادية والظاهرية . فلكل الشعراء والفلاسفة قبله ، بحث هو ايضا عن سر « تماسك العالم الداخلي » ، وحاول رسم صور تعكس هذه الفكرة . فالموسيقى التي هي اكثر الفنون تجريدية ، اثرت بصورة غير محدودة في حياته حين توصل الى معرفة وجود علاقة بين جميع اشكال الفكر والابداع الانساني والمعرفة المباشرة . ولم يقتصر هذا الفهم على مختلف اشكال الانشطة الفنية فقط ، بل شمل ايضا الفلسفة وعلم النفس وعلم الطبيعة والعوالم العليا . ان الفكرة الاساس لتحرير الرسم من عالم الاشياء المدركة والدخول في مرحلة تقارن بالموسيقى، شغلت كاندنسكي قبل ان يتمكن التعبير عنها في عمل فني . لقد أتته هذه الفكرة قبل ان يترك روسيا ، وبالذات حين شاهد لاول مرة لوحة مونيه « كومة التبن » التي تبدو فيها الكتلة وكأنها ذابت في اللون والضوء . وبعد فترة طويلة من هذه الحادثة ، حين رأى في مرسمه نصف المظلم في ميونيخ احدى لوحاته معكوسة على الارض ، تأثر بقوة بذلك الغموض المتحرر من الموضوع . ان هذه الفكرة قادته بعد ذلك الى الايمان بان الشيء المادي يلعب دور العنصر السلبي في بحثه عن المسألة الروحية في الفن .

في عام 1910 كتب كاندنسكي بعد مرحلة من البحث المركز مقالته المطولة الشهيرة « حول الفكر في الفن » ، ومهد فيها طريقه الخاص لفن تجريدي متحرر من الموضوع المادي ، واعلن فيها ان « الضرورة الداخلية » تمكن العمل الفني على خلق رسم له اهمية مستقلة يسمو على العالم الموضوعي ويتحرر منه . صاغ هذه المقالة باسلوب اخلاقي يشبه اسلوب نيتشه في كتاباته الفلسفية . فرغم كل التناقضات التي لا يخلو منها ذلك البحث ، فهو يعكس تجربة مهمة تطرح للمناقشة الافكار والقيم التي كانت تنتظر الاعتراف بها في الاوساط المهتمة بالفن . ان هذا البحث الذي صدر مطبوعا في عام 1912 يعتبر من الوثائق التي تركت اكبر الاثر في الفن في القرن العشرين .

ان الافكار التي طورها كاندنسكي في هذه الوثيقة وفي غيرها من المقالات النظرية في الفن ، كانت الاساس في خططه التنظيمية التي قام بها بعد ذلك . انها افكار قادته الى تنظيم سلسلة من المعارض الفنية لجماعة « اتحاد الفنانين في ميونيخ » ، التي ترأسها منذ عام 1909 ، وسببت كذلك في نشوء خلافات فكرية وفنية عميقة لتلك الجماعة وادت الى حل الاتحاد . لكن كاندنسكي استمر مع بعض اعضاء الاتحاد المتفقين معه فكريا في العمل والرسم في اطار جماعة « الفارس الازرق » . كانت هذه الجماعة تضم رسامين ونحاتين ومؤلفين موسيقيين وكتابا اتحدوا اختياريا ومنقادين فكريا من قبل كاندنسكي وفرانس مارك ، واقاموا في عام 1911 و 1912 معرضين في ميونيخ اثارا ضجة كبرى في الاوساط الفنية . وفي شهر ايار عام 1912 اصدر كاندنسكي مع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تكوين رقم 10 ، ( 1939 )

حولية «الفارس الازرق» ، وفكرا باصدارها دوريا ، ولكن لم يصدر منها سوى ذلك العدد الوحيد الذي اعيد طبعه عام 1914 مرة اخرى .

ارتبط كاندنسكي في تلك الفترة بعلاقة فكرية متينة مع فرانس مارك وماكه وباول كلي ويافلنسكي وكذلك بجماعة من الفنانين والمؤلفين الموسيقيين الروس مثل توماس فون هارتمان وارنولد شوينبريج ، وجمع حوله في ميونيخ فئة من الطليميين . وكان الفضل ايضا يعود بالدرجة الاولى الى مبادرته في مناقشة القضايا الفنية الملتهبة واقامة اتصالات مع ممثلي الحركات الفنية الحديثة في باريس. بهذه الوسيلة استطاعوا دعوة فنانين فرنسيين من ممثلي الانطباعية وما بعد الانطباعية وكذلك التكعيبيين ورسامي المدرسة الوحشية مثل بيكاسو وماتيس الى المعارض وتقريبهم من جماعة « الفارس الازرق » ، لم تعد مدينة ميونيخ قرية فنية كما كانت حين وصل اليها كاندنسكي في اواخر القرن التاسع عشر .

في الاول من آب عام 1914 اعلنت الحرب العالمية الاولى ، وكان ذلك الحدث سببا اساسا لتفريق شمل جماعة « الفارس الازرق» الطليعية الى الابد .. تلك الجماعة التي بشرت بآمال عظيمة عند تأسيسها .

تميزت أعمال كاندنسكي في تلك المرحلة الانتقالية بملاحظة دقيقة للواقع واختزال الاشكال وتبسيط الالوان في نفس الوقت . ففي لوحته المتطورة « الجبل الازرق » ربط موضوعه المحبب الخيل والفارس مع عناصر الطبيعة ، حيث تتحدث الاجزاء نيابة عن الكل ، وتمهد فيها الالوان والخطوط للتكوين الفني القادم ولنشوء خطوة متقدمة على طريق الاستقلال الشكلي . ان لوحات هذه الفترة تعكس قرابة نوعية من الاعمال الاولى للمدرسة الوحشية في فرنسا ، لكنها رغم ذلك ليست اكثر قرابة من التاثيريين المعاصرين الالمان مثل كيرشنر وهيكل او اميل نولده ، الذين لم تكن تربطه بهم اية علاقة فكرية وفنية . وبابتداء السنين العشر الثانية لهذا القرن اصبح اسلوب كاندنسكي اكثر استقلالا وجراة . انه بقي حتى يومنا هذا أجرا الفنانين على طريق الرسم المتحرر من الاشياء المادية والمبشر بالتاثير البصري . لقد ترك العلاقة التقليدية بالاشياء لصالح عالم التعبير واكساب اللوحة اهمية اعمق .

ان هذا الانعطاف الفني يولد الالتباس عند عامة الهواة . انهم ربما لا يعلمون ان الالوان والاشكال لها لغة خاصة تتحدث بها كما هو الحال في الاصوات والايقاعات. وتبدو هذه الحقيقة جلية حينما يحاول المرء الاستيعاب بالنظر بنفس الطريقة التي يستمع فيها الى البناءات الموسيقية . كان كاندنسكي يعرف أن ترك العناصر الواصفة للاشياء المألوفة قد تولد عند المشاهد خطر رؤية اللوحة الفنية وكأنها تعبير زخرفي ، لهذا السبب تأخر في الرسم بهذا الاسلوب الذي وضع اسسه في نظرياته الفنية . كانت اعماله تنتقل لسنين عديدة بين « انطباعات » مرتبطة بالطبيعة وبين « تنويعات » حرة اشتقت اشكالها المستقلة منعناصر الملاحظة، « وتكوينات » تعتبر العناصر الشكلية المتطورة أجزاءا ثابتة في اطار التكوين التجريدي الكلي .

في هذه السنين المتميزة بالتجربة النقدية حاول كاندنسكي استبدال الاشياء المادية تدريجيا بعناصر لكي يسمع « اصواتها الداخلية » . ان كل لوحات هذه المرحلة هي تجارب جريئة عن الافكار النظرية في سبيل اعطاء الاشكال اكتفاءا ذاتيا ، وتوصل الرسم الى مرحلة لها قرابة مباشرة بالموسيقى . كانت النتيجة لوحات فنية رائعة في تاريخ الفن الحديث .

— 3 —

## الحرب والثورة

كان على كاندنسكي الروسي ان يترك المانيا عند اندلاع الحرب العالمية الاولى . وابتدأت بهذا الحدث خمس سنوات من السفر والحياة المتقلبة وارتباطات جديدة وتغيرات فكرية وفنية اساسية. انالتوترات التي حصلت في علاقته بجابريله مونتر لم يعد من الممكن ازالتها ، فافترقا نهائيا بعد لقاء قصير في ستوكهولم عام 1916 . بعد سنة من هذا التاريخ تزوج كاندنسكي، وكان قد بلغ الخمسين من عمره ، ابنة شابة لضابط قيصري هي نينا اندريفسكي . اما زيجته الاولى فقد انتهت في عام 1911 .

عاش مع زوجته الفتية في موسكو اللحظة التاريخية الحاسمة لثورة اكتوبر . وبعد مدة قصيرة منها اصبح كاندنسكي عضوا في لجنة الشعب للتربية والتعليم ، وقام بمهام وظيفته بكل جد ونكران ذات وذكاء طيلة الفترة التي لم تتعارض فيها واجباته مع نظرته السياسية والفنية . ان هذه الفترة هي الوحيدة في حياته الفنية التي استغرقت نصف قرن والتي لم ينتج في بعض سنواتها اية صورة . ان الاعمال الوحيدة التي تركها لنا من تلك المرحلة تلعب دورا تجريبيا مهما كظواهر انتقال تربط بين جمالية فنه قبل

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com

الحرب وبين الاتجاهات الجديدة التي وجدت لها التعبير النهائي في اعماله القادمة في فترة « باوهاوس » .

**— 4 —**

## الاستقرار
### فايمار :

ولد كاندنسكي في اكثر من ثقافة ، وكان عليه ان يلعب دور الوسيط بين اقطاب مختلفة ومتعارضة . كانت اعماله جسرا بين الشرق والغرب ، مثلما فعل الشاعر الالماني جوته في ديوانه « الديوان الشرقي الغربي » فقد جمع في شخصه المبادىء الخلقية والجمالية للشعوب السلافية والالمانية جنبا الى جنب ، حتى ايقظت الحرب العالمية الاولى في نفسه نوعا من التضاد . فلم يكن من السهل عليه ترك روسيا في عام 1921 بعد ان هدات نسبيا الاحداث التي نجمت في اعقاب ثورة اكتوبر ، ويقرر اختيار المانيا الدولة المقهورة في الحرب مكانا دائما لاقامته. مما لا شك فيه ان امورا كثيرة تجاوزت السياسة لعبت دورا مهما في حياته قبل ان يتخذ هذا القرار . فهو حين ترك روسيا كان استاذا للرسم في جامعة موسكو ، واسس هناك في عام 1921 اكاديمية علم الفن . يضاف الى ذلك انه لم يعد شابا يهوى المغامرة بمستقبله . كان يبحث عن ايجاد توافق بين ضرورة داخلية معينة ووضع فكري خارجي مكافىء لها : ان اختياره لالمانيا نبع من نداء داخلي ، لانه لم يكن يهتم بالسياسة الى درجة تجبره على ترك وطنه روسيا .

كانت برلين حين وصلها كاندنسكي مع زوجته الفتية نينا في عام 1921 مدينة صعبة ومخيبة لآماله الخاصة والعامة ، وبقي فيها معزولا رغم كل النشاط الذي بذله . فالى جانب هذا الوضع كانت هناك في الوقت نفسه مدينة فايمار التي تأسس فيها آنذاك معهد « باوهاوس » الذي ضم اصدقاءه من فترة قبل الحرب : باول كلي ، ليونيد فاينجر ، فالتر كروبيوس . وفي عام 1922 سافر كاندنسكي الى فايمار واخذ يعمل في المعهد مع اصدقائه الفنانين .

قام كاندنسكي في المعهد بمهمة تطوير طرق جديدة للخلق الفني وتدريس الطلبة نظريا وعمليا ، ليوحد فيهم مجالات الخبرة الشاملة في الفن . وكعضو في رئاسة المعهد شارك في تحمل مسئولية تعيين الاتجاه التربوي الفني للمعهد ، والقاء المحضرات وكتابة المقالات عن قضايا لها علاقة مباشرة بالفن . ومن المقالات المهمة التي نشرها في تلك الفترة بحثه النظري عن « النقطة والخط وعلاقتها بالمساحة » ، الذي سجل فيه اسس افكاره الجمالية ، كما فعل قبل الحرب في مقالته « حول الفكر في الفن » .

سارت اعماله في الرسم في اعوام اقامته في فايمار متوازية مع افكاره النظرية المتطورة التي دونها في بحثه « النقطة والخط وعلاقتها بالمساحة » . كان كاندنسكي يمثل جوهريا اسلوب باوهاوس سواءا من الناحية النظرية أو العملية . فقد تحول في نتاجه من التأثيرية المباشرة ورومانتيكية قبل الحرب الى مرحلة كلاسيكية ذات قاعدة ثابتة للتوصل الى بناء عقلاني . يجب القول في نفس الوقت ، ان جميع تلك العناصر المذكورة بقيت موجودة في كل مراحل خلقه الفني ، لان القضية الاساس لم تكن استبدال اتجاه بآخر . ففي رسالة كتبها كاندنسكي عام 1930 الى جرومان يبين فيها غرضه وهدفه في الفن ، يقول فيها : « اريد حقا ان يرى المرء اخيرا ماذا يكمن خلف رسمي ، لان هذه القضية لوحدها هي التي تهمني . من المؤلم ان التجريديين يعيرون اهمية كبرى لمسائل الشكل . يجب ان يفهم اخيرا ان الشكل كان بالنسبة لي فقط وسيلة لهدف ... لقد اسقطوا مرة كل الرومانتيكية ، وسعدت بذلك . في الطبعة الجديدة لبحثي « حول الفكر » احببت اضافة فصل عن الرومانتيكية ... لقد تبدلت مشاريعي الكتابية ، ومن المحتمل ان تمضي فترة طويلة الى ان اعود الى الرومانتيكية . لكن ما اعرفه هو الشوق اللاارادي للانسان الى الرومانتيكية . لقد رسمت في عام 1910 لوحة « طبيعية رومانتيكية » ولم تكن لها علاقة بالرومانتيكية السابقة انني ابغي مرة اخرى استخدام هذه التسمية . اسميت حتى الآن بعض صوري « مثلثات شاعرية ... الخ ، وكان علي ان اسمع شتائم لا تصدق . اين هي الحدود بين الشعر والرومانتيكية ؟ ... ان الرومانتيكية القادمة هي عميقة وذات محتوى ، وهي قطعة ثلج يشتعل فيها لهب . فحين يرى الافراد الثلج فقط ولا يشعرون باللهب فهذا من سوء حظهم . »

ان مرحلة « الفارس الازرق » وكذلك فترة باوهاوس لم تلغ كلية حماس كاندنسكي للقواعد الرئيسة في خلقه الفني . لكن اية مقارنة عابرة لاعماله تبين الفروق بين نوعي اسلوبه في الرسم .

ان لوحاته الزيتية والمائية من فترة « الفارس الازرق » تظهر بناءا فنيا يخلو من التوتر ، والوانا قوية تذوب فيها الاشكال غير المحدودة بعضها في بعض ، وتكملها غالبا خطوط وضعت عن دراية لتمسك بكل اجزاء اللوحة . يضاف الى كل ذلك اشارات قليلة او كثيرة الى اشكال مشتقة من الواقع ومن ملاحظة الطبيعة . وينعكس ذلك بالدرجة الاولى في الاعمال التي سبقت الحرب العالمية الاولى ، والتي تبين عظمة وقوة اكتشافاته الفنية . اما عمله في مرحلة باوهاوس فيتميز بلجم حدود الاشكال وتوضيح الالوان ، وخلق هندسة شكلية وايقاع في اللوحة باستخدام المثلث والاشكال الرباعية والدائرة، بدل الالوان الرمزية التي طالب بها في « حول الفكر في الفن » . ففي « النقطة والخط وعلاقتها بالمساحة » يقول : « ان التكوين يخضع لهذا المطلب الداخلي : اولا عناصر الاجزاء ، وثانيا التكوين وفق الهدف المحدد للرسم . هذا يعني : حين يجسم الايقاع الهدف الكلي للرسم ، يجب ان يكون الايقاع في هذه الحالة مكافئا للتكوين . هنا سيكون الايقاع تكوينا . »

لقد ابتغى خلق تناسق واستمرارية بين العناصر الشكلية . انه يبتعد عن « تجريد » الطبيعة ، ويترك في تكوين لوحاته التي رسمها بعد الحرب الموجودات المادية ، ولكن دون ان تفقد تلك الاعمال اهميتها التجسيمية . لقد جرت هذه التحولات على المستوى الفكري المتحرر من الاشياء ، ولتقديم العالم بواسطة الاشكال المجردة فقط .

**— 5 —**

## استمرار التطور
### دساو

في عام 1925 اصبحت دساو مقرا لمعهد باوهاوس ، ولم تطرا اية حركة جديدة او تغيرات اساسية في حياة كاندنسكي او توقف في تطوره الفني . مما يلفت النظر في هذه الفترة قلة العمل النظري ، والرسم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثلاث فرسان في اللون الاحمر والازرق والاسود 1911

عوالم صغيرة 1922

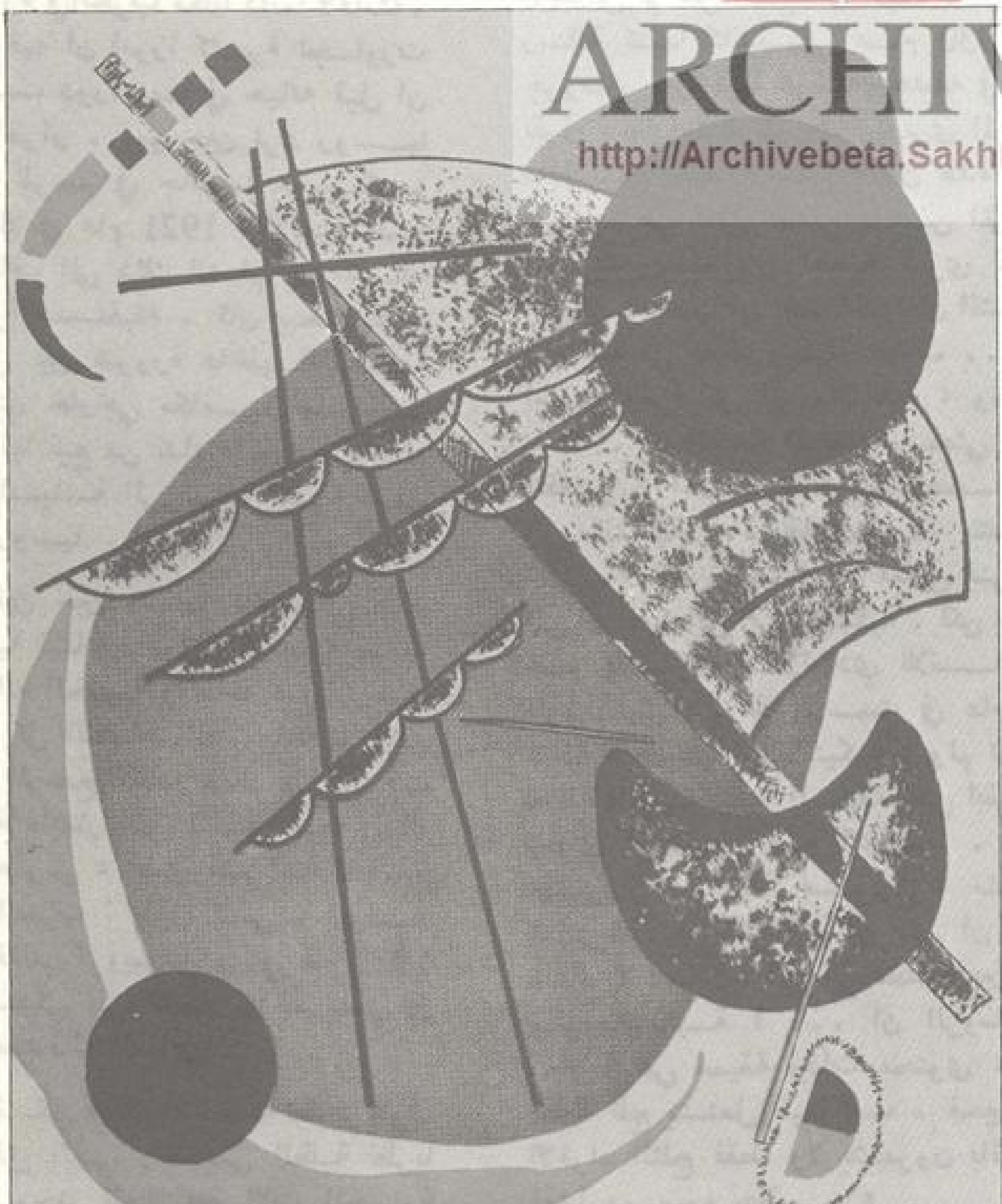

دون مشقة، كما كان الفنان يبغي الاستراحة بعد عمل شاق باقترابه الستين من العمر . ان اكثر العلامات البارزة من الناحية الشكلية في فنه لمرحلة دساو هي الدائرة . انها لا تظهر كشكل هندسي بين الاشكال الاخرى ، كما كانت في فترة فايمار ، بل تتحكم غالبا لوحدها بمجموعة من التكوينات الفنية وكانها تمثل خلق عالم جديد . وتبدو في تلك اللوحات قدرة كاندنسكي على « التركيب » وجمع اشكال متناقضة المساحة في وحدة شاملة . ان الدائرة في علاقتها مع المربع والمثلث اخذت تقوم بوظيفة خلق تعايش التناسق بين الفكر والخيال والعفوية وكذلك التوتر والحساب الدقيق . ففي بحثه « النقطة والخط وعلاقتها بالمساحة » يبين اهمية الدائرة في لوحاته لهذه الفترة ويكتب : « حين استخدم مثلا في السنين الاخيرة بكل حب وعاطفة الدائرة غالبا ، فالسبب او الاساس ليس الشكل الهندسي للدائرة . او صفاتها الهندسية، بل احساسي بالقوة الداخلية للدائرة عبر تنويعاتها العديدة . انني احب اليوم الدائرة ، كما احببت مثلا الخيل سابقا وربما اكثر ، لأنني اجد في الدائرة امكانيات داخلية اكثر ، وهذا هو السبب في انها احتلت مكان الخيل. اقول ان كل هذا لا يعني شيئا اثناء العمل : انني لا اختار الشكل اراديا ، فالشكل يختار نفسه في داخلي . »

ان علاقته الخاصة ومعرفته بالشعر والمسرح وبالدرجة الاولى بالموسيقى ، جعلته يؤمن بوحدة جذور كل الفنون ويجمعها تحت أسمى مبدأ وهدف للعمل الفني الا وهو « الفكر » . لم يؤمن كاندنسكي بوجود العمل الفني معزولا عن الانشطة الانسانية الاخرى، بل وقف على ارض فكرية ضمت تحت لوائها الفن والفكر وعلوم الطبيعة . ان هذا المبدأ الذي يثير الشك عن المفكرين السطحيين ، يكتسب الصدق في مثال كاندنسكي ، ليس فقط لانه برهن على هذا المبدأ طيلة حياته الخلاقة غير الاعتيادية ، بل ايضا لتجربته باستمرار نظرياته بوسائل مختلفة في عمله الشخصي بالذات. من بين الاعمال التي علينا تذكرها في هذا المجال لوحاته الجدارية وكذلك منجزاته الاخرى التي استخدم فيها اعمالا موسيقية جديدة او موجودة مسبقا في سبيل خلق عناصر بصرية ـ صوتية في « مجمل عمله الفني » . كان هذا المبدأ ذا فائدة للجميع ، وشاركه فيه اساتذه معهد

باوهاوس ، وان كانت نظرة الفنانين الآخرين عنه تتسم بالتحفظ . ان فناني باوهاوس آمنوا ايضا بالدرجة الاولى بضرورة توحيد مجالات الفن التطبيقي مع الرسم والنحت . هذه المجالات التي كانت منفصلة عن بعضها حتى تلك الفترة .

كان انتقال معهد باوهاوس في عام 1925 من فايمار الى مدينة دِساو كسبا للمعهد ولكاندنسكي الذي وضع مواهبه الفنية في خدمة المعهد . فالظروف المالية الجيدة والمساعدات التي قدمتها المدينة والدولة لرئاسة المعهد سهلت عمله وساعدته على بناء مبنى خاص به صممه جروبيوس ليكون رمزا لافكار المعهد. لقد ارتفع مجد كاندنسكي كرسام الى درجة دفعت المتاحف الالمانية والاجنبية لشراء لوحاته . ان المعارض الشاملة لاعماله في وطنه المختار المانيا وكذلك في فرنسا برهنت على ازدياد اهميته كشخصية بارزة بين الفنانين الحديثين . وفي عام 1928 حصل مع زوجته على الجنسية الالمانية ، واكدا بذلك على علاقتهما القوية بالبلد الذي قضى فيه كاندنسكي اكبر شطر من حياته .

من المؤسف ان الظروف لم تكن مواتية عند اتخاذ قرار التجنس : فنزوح معهد باوهاوس من فايمار جرى بسبب العداء السياسي من قبل السكان وبعض الاوساط المتنفذة في حكومة جمهورية فايمار . ومن المعروف ايضا ان النازية كاتجاه سياسي كان موجودا في المانيا قبل ان تصل كحركة الى الحكم . لم يكن لمعهد باوهاوس اية ميول سياسية ، ولكن بعض السكان وجدوا في افكار المعهد خطرا على مصالحهم البرجوازية الصغيرة وعلى افكارهم الرجعية . لقد نظروا الى المعهد كجسم غريب غير مرغوب فيه ، ولهذا السبب اضطر المعهد الى ترك فايمار والانتقال الى دساو . ولكن حتى في هذه المدينة الاخيرة كانت توجد صعوبات وعقبات . ففي نهاية العشرينات انتشرت موجة العداء للمثقفين من المراكز المحلية الى جميع انحاء المانيا ، وساعدت في عام 1933 مباشرة هتلر والحزب النازي في الاستيلاء على الحكم .

لم يتصرف كاندنسكي بسرعة كبقية اصدقائه الفنانين حيال ذلك التطور الكارثي. فبسبب طبعه الهادىء وارتباطه العميق بوطنه الاختياري وبالمعهد ، شارك في محاولة اخيرة يائسة لانقاذ المعهد وذلك بنقله في عام 1933 الى مدينة برلين. وفي نهاية هذه السنة ذهبت كل الآمال هباءا ، فاضطر كاندنسكي مع زوجته الى الهجرة مرة اخرى ، وحل في باريس لكي لا يرجع الى المانيا الى الابد .

**— 6 —**

## توحيد الاجزاء

### باريس :

لو تركنا جانبا السفرات والزيارات العديدة التي قام بها كاندنسكي ، نستطيع القول بانه قضى شبابه في روسيا وفترة نضوجه الفكري والفني في المانيا وشيخوخته في فرنسا . ان تلك الاقامات كانت مرتبطة في كل مرة بحق المواطنة المصدقة بحيازة الجنسية . كان كاندنسكي مواطنا روسيا ثم المانيا ، واصبح في الفترة الاخيرة من حياته فرنسي الجنسية . ورغم قابليته غير المألوفة للتكيف ، فان الهجرة الاخيرة تجاوزت في عواقبها كل طاقته تقريبا . ان هجرته الاختيارية الوحيدة هي التي قام بها من موسكو الى ميونيخ عندما كان في الثلاثين من عمره . ففي عام 1914 عندما اعلنت الحرب العالمية الاولى اضطر الى الهرب الفاجىء من ميونيخ خوفا من اعتقاله كمواطن روسي في المانيا. اما رجوعه الى المانيا في عام 1921 فتم بموافقة السلطة السوفيتية دون اي امل في رجوعه . ان اقسى تلك الامتحانات التي مر بها في حياته كانت فقدانه حقوق المواطنة الالمانية بعد استيلاء النازية على الحكم ، ليس فقط لجسامة الحدث ، بل ايضا لأن عمره كان يقترب من السبعين . من المدهش ان كاندنسكي استطاع التكيف مع الظروف الجديدة في باريس . لم يفقد كاندنسكي امله في الرجوع الى المانيا ، وخاصة حين احس بان الاوساط الفنية في فرنسا عاملته ببرود لعدم انتمائه الى المدرسة الباريسية في الرسم. ان صعوبة فهم لوحاته كانت عقبة امام بيعها في السوق الفنية في فرنسا . لكن هواة جمع الصور السويسريين والامريكيين ساعدوا بشرائهم لوحاته في تحسين وضعه المالي نسبيا .

استمر كاندنسكي في السنين الاحد عشرة الاخيرة من حياته في عمله الفني الذي اكتسب رقة واسلوبا مباشرا . ان الفرق بين فترة باريس ودساو هو فرق دقيق لكنه غير خفي. ففي باريس خلق لغة رسم اضفت عناصر عضوية جديدة على لغته الهندسية التي طورها سابقا . فالمثلثات والدوائر والاشكال الرباعية كانت قواعد لغته الفنية لمرحلة باوهاوس ، ولا تختفي كلية من اللوحة بل تصبح مجموعة متكاملة تبتعد من اللاشكل . اما لغة اشكاله الباريسية فتتميز بصور خيالية غير منتظمة تجري وفقها التغيرات الخيالية . انها تكتسب اكثر فاكثر حياتها الخاصة وتضفي على لوحاته الزيتية والمائية في اعوامه الاخيرة صفاتها المحددة . ان محوى الصور الجديدة المكونة من الوان واشكال غريبة يتخذ ابعاد الطبيعة ، لا يترك فيها كاندنسكي مسافة تفصله عن الاشياء المادية . والرموز التي يضيفها الى اعماله في هذه المرحلة تبدو وكانها مشتقة من عالم الحيوانات والنباتات التي يراها المرء تحت المجهر أو في قاع البحر حيث يصعب على البصر اختراقه : إنها اجزاء ملموسة من الطبيعة وان بدت للوهلة الاولى عديمة الوجود .. انها تعيش في عالم الصور الخاص بها ... في عالم شبيه خلقه الفنان ، لكنه غير مطابق لعالمنا . فالفن والطبيعة والفكر والمادة والايقاعات الشكلية من الشرق والغرب تذوب في الحضور القديم والجديد لكاندنسكي الى رمزية كونية ومبدأ عام للحقيقة على اللوحة الفنية .

اصبح كاندنسكي في هذه الفترة اقوى ايمانا باهدافه الخلاقة . فهو رغم تقدمه في العمر لم يترك الكتابة واعطاء الادلة القاطعة على مبدئه عن فن متحرر من الموجودات الاعتيادية ، واستمر يرفض التجريد كظل للواقع . بقي متمسكا برايه بان اشكاله وصوره ، سواء أكانت متحررة من الاشياء المألوفة او معبرة عن حقيقة ثابتة، فهي وليدة حياة خلقت بواسطة وسائل الفنان. واستنادا الى تعريفه النظري السابق لم يترك ايمانه بان على العمل الفني ان يتحدث من الضرورة الاجبارية الداخلية عن « السر بواسطة السر » . انه يأخذ من مرحلة باوهاوس الفكر في الفن من اجل قواعد خاصة بمقدورها اظهار الهندسة المخفية والحقيقة الصائرة الى فكر . ان هذه المبادىء ترتبط عضويا بماضيه وتعطي طبقات وعيه الخاص عمقا وهيئة متكاملة .

لقد اعترف العالم بعد الحرب العالمية الثانية بالدور الطليعي لكاندنسكي في الفن ، لكن اهميته كرسام ومفكر لم تحظ بكل التقدير اللائق بها حتى يومنا هذا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# الأدب والشعر في كتاب تحفة الزمن

## لمؤلفه الحسين بن عبد الرحمن الأهدل

• علي عقيل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كتاب « تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن » تاليف ابي عبدالرحمن الحسين بن عبدالرحمن بن محمدالاهدل الحسيني ، من الكتب التاريخية الهامة التي جمعت بين الاقتباس مما كتبه « الجنـدي » في كتابه « السلوك » وتاريخ اليافعي « مرآة الجنان » والتعليق والزيادة بسبب تاخـره في الزمن على حد تعبير الحرضي العامري في كتابه « غربال الزمان » الذي اختصر ذلك الكتاب . وقد اشار الى هذه الميزة « بروكلمان » كما تحدث عن الكتاب وصاحبه معظم المؤرخين كابن الديبع والسخاوي في « الضوء اللامع » وابن حجر العسقلاني والشوكاني وغيرهم .

ونحن برغم ما يحويه الكتاب من التراجم والمعلومات العلميـة والسياسية والجغرافية نرى المجال هنا مناسبا لان نعرض لاختياراته الخاصة في ايراده لاخبار الادب والشعر ، وان نكشف عن هدفـه الاخلاقي الذي لا يحول بينه وبين تطبيقه لاي اعتبار .

ويبدو ان ذلك يرجع الى تكوينه البيئي ، ونوع تحصيله ، فهو فقيه واصولي ومؤرخ ، ولهذا فليست له عناية كبرى بالادب ، وهو لم يرو عن نفسه انه نظم شعرا سوى قصيدة واحدة في مـدح العلم ، ولكنه لم ينشرها في الكتاب ، ونشر تسعة ابيات تذييلا لشعر علوان الجحدري في ( التوبة ) تبدو ركيكة وابياتا اخرى من نوعهـا في مدح الشيخ علي الاهدل(1) . ولذلك فاذا ترجم لشخص ووصفه بانه اديب او شاعر فقلما يستشهد بأمثلة من شعره او يخوض في الموضوعات الادبية او يناقش فيها مناقشته في شؤون التصوف او الرد على ابن عربي او على القرامطة حيث يبدو شـديد الخصومة لهم مستعرضا اقوى ما لديه من ادلة وحجج .

واول ما يوضح خلفية او مغزى اختياراته هذه ، هو ابتعاده كليا عن الشعر الذي يتعرض لمدح ذوي الجاه والسلطة بل المدح كله شعرا او نثرا ، فقد انتقد الامام عبدالله بن اسعد اليافعي(2) لمدحه الشيخ نور الدين علي بن عبدالله الطواشي(3) ، والذي اخـذ عنه اليافعي التصوف ، وذلك في قوله :

فشاهـدت من احوالـه وعلومـه
وانواره ما تحتـه كل تحفـة
تولى من المولى اجلّ ولايـة
به طربت بيض المعالي وغنتِ

فقال معقبا : « مع ابيات اخرى مدحا ، وبعضهـا اشعارات واطلاقات تطرق اليها انكار بعض الفقهاء في حياة اليافعي ، ولا شك ان الاطراء في المدح مكروه ، كما جاءت به الاحاديث الصحيحة ، ويقع صاحبه في أنواع من الاطلاقات والمجازفة ، فيتطرق اليه الانكار ، وما احسن الاعتدال(4) وكل من اليافعي والطواشي معروف فالاول علامة ومؤرخ ، والثاني تمكن في كثير من العلوم حتى علم الطب ، واذا كان هذا راي الاهدل في مدح العلماء للعلماء مما يعتبر من قبيل الانصاف والتقدير ، فما بالك برايه في مدح الشعراء ذوي الاطماع الخسيسة في الحكام الظلمة وذوي الجاه المستغلين امثال شعر المؤرخ الشاعـر الخزرجي في الملك الاشرف الرسولي التركماني(5) ؟

لم يورد الاهدل قصيدة واحدة في مدح الملوك او السلاطين من آل رسول ، السابقين منهم او المعاصرين له ، على الرغم مما تعج بـه مؤلفات المؤرخين من الشعر في مديحهم ، وان مما يؤكد اتخاذه في قرارة نفسه موقفا مبدئيا من هذا الموضوع نشره قصيدة طويلة ركيكة مديحا في سلطان ظفار محمد بن احمد الاكحل قالها التكريتي الشاعر ،ويرجع السبب في ذلك بعد البحث في تاريخ السلطان الاكحل انـه مشهور بالصلاح والعلم وامتلاك الخزائن العديدة من الكتب(6) .

ومطلع القصيـدة :

عج برسـم الدار فالطلل بالكثيب الفرد والاثـل

وعلى هذا النهج اورد قصيدة للحسن بن محمد بن ابي عقامـة وكان هذا الفقيه قد قتله جياش الحبشي حاكم تهامة عام 840 هـ ، فكانما اورد القصيدة انصافا وتقديرا للفقيه القتيل ظلما وعدوانا ، وحثا على التمسك بالمروءة :

اذا لم تسـد في ليـالي الشباب
فلا سـدت ما عشت من بعـد هنه
وان لم تحطم صـدور القنـا
ة فلا ترجونّ من الـزج طعنـة
وهل جل عمرك الا الشـباب
فخـذ منـه حظا ولا تهدرنـــه
تصلى وراني سـعاة الرجال
وتقصـر عمن وراني الاعنـــه
وعن قنن المجـد ذدت الرجال
فاجلوا وخيمت في كـل قنـــه الخ(7)

وفي سبيل خدمة مراميه ، ينشر قصيدة في مدح الشيخ الفقيه ابي الحسن علي بن احمد مؤلف كتاب « المعين » للفقيه الشاعر هارون مشيرا الى واقعة فتوى أمر بها الاشرف الرسولي فامضاها ابن الحكمي، ورفض الافتاء فيها أبو الحسن :

لمـا دعاه من الملوك معظـم
متغطـرس وجنوده امـواج
اذ قال للنفس انثني لا تجـزعي
لو ثـار من كـر عليك عجـاج
فلافتين بصحيـح ما صححتـه
لوسام ذا ما سـامه الحجاج
افخر به من راسـخ ومحقق
متتوج ورع ونعم التـــاج
لا يبتغي في الله لومـــة لائم
لا يلف امعـــة ولا لجـاج ؟(8)

وهو حتى اذ يذكر شعر احد مداحي آل رسول المشهورين ، فانه يذكر شعرا في موضوع آخر ، فعبد الله بن جعفر العفيف شاعر الدولة الرسولية في عهد المظفر والمؤيد انما يروي له قصيدة قالها شكرا لله ومدحا في الرسول على عافية ابنه من مرض كان قد اعيا الاطباء :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

امعملها وجناء كالسهم ترتمي
مضمرة يهوى بها ريش قشعم
اقم صدرها نحو الشام وجزبها
على مسجد فوق الجبيل مهدم
ولا تمهلنها في فلاة وحثها
الى ان ترى من يثرب خير معلم
وحط بها في روضة نبوية
وصل على ذاك النبي وسلم
وماذا يقول المدح فيه وما عسى
يقول لسان الناطق المتكلم .. الخ(9)

ويختار نموذجا آخر من شعر العفيف ليس في الفخر ولا الغزل ولكن في موضوع ( التوبة ) :

وقد كان ظني اللهو والغي انما
يكونان في عصر الشباب الفرائق
فلما اتاني الشيب وانقرض الصبا
نظرت وذاك الغي غير مرافق
فقلت : اما قد آن ان البس التقى
وانزع أثواب المعاصي لخالقي
فقال : سمعنا ما حلفت به لنا
وكم مثلها قد قلتها غير صادق
فقلت له : لا مرحبا بك بعدها
وانك مني طالق وابن طالق
فولى له مني ضجيجا ، فقلت لا
تضج وبادر نحو كل منافق(10)

ويظل المتصفح للكتاب يلاحظ اختياره الموجه للنماذج التي يوردها من الشعر ، فقد روى ان الفقيه ابا عبدالله محمد بن سالم العنسي المعروف « بابن البانة » دخل يوما على الاشرف ( الرسولي ) وعنده شيء من التحف ، فقال له : يا فقيه ليس مع الفقهاء شيء من هذا ، فقال : عندهم ما قاله الاول : وهو يحيى بن عمران بن وثاب :

شيئان احلى من عناق الخرد
والذ من شرب القراح الأسود
واجل من رتب الملوك عليهمو
وشي الحرير مطرزا بالعسجد
سود الدفاتر ان اكون نديمها
ابد الزمان وبرد ظل المسجد
فاذا هما اجتمعا لشخص فارغ
عن كل هم نال ابعد مقصد
وعلا المفاخر كلها مترفعا
وحوى المفاخر في الحياة وفي غد(11)

واورد للامام يحيى بن ابي الخير مؤلف « البيان » شعرا في هذا المنحى :

الى الله اشكو وحشتي من مجالس
اراجعه فيما يلذ له فهمي
لاني غريب بين « سير » واهلها
وان كان فيها اسرتي وبنو عمي
وليس اعتزالي عنهم بيد النوى
ولكن لما ابدوه من جفوة العلم

وفي خلال بعض استطراداته عن الملك المسعود ( آخر بني رسول ) يروي الاهدل حكمة عن كسرى انه قال : « ما عدل ملك خاب وزيره » وانشدوا فيه :

اذا ما المليك العدل وكل ظالما
بامر جميع الخلق عوقب بالذنب
ومن ربط الكلب العقور ببابه
فعقر جميع الناس من رابط الكلب(12)

وفي ترجمة خلف بن ابي طاهر ، يؤثر الاهدل ان يذكر الحادثة التالية عنه ويورد ما استشهد به شعرا : « كان خلف بن ابي طاهر هرب من جياش الحبشي الى الهند ، ثم لما عاد جياش واعادحكمه سماه « قسيم الملك » ولكنه لم يستوزره ، وهرب عن جياش ( ولعله لاسباب اخرى ) ، فكتب اليه يستعطفه فاجابه بقول الشافعي :

اذا لم تكن ارضي لعرضي معزة
فلست وان نادت اليّ اجيبها
ولو انها كانت كروضة جنة
من الطيب لم يحسن مع الذل طيبها
وسرت الى ارض سواها تعزني
وان كان لا يعوي من الجدب ذيبها(13)

ومن الشواهد الادبية ذات الاهمية التاريخية ما اورده من قصيدة ابن النساخ(14) التي بعث بها الى الخليفة العباسي ببغداد الناصرلدين الله احمد بن المستضيء (622ـ623هـ) يشكو فيها مظالم ابن مهدي الرعيني (15) مما حمل الخليفة على الكتابة الى صلاح الدين الايوبي يأمره بتجهيز الحملة الى اليمن ، وكان ذلك من بين الاسباب في استيلاء الايوبيين ( الغز ) على اليمن ، الى جانب استراتيجيتهم في الاستيلاء على اليمن والبحر الاحمر لمقاومة الصليبيين ومنعهم من الوصول الى الاراضي المقدسة في الحجاز بعد ان اعلنوا ذلك وهددوا بنبش قبر الرسول العربي بالمدينة المنورة ، بالتعاون مع الاحباش لو امكن الاتصال بهم . والحامل الى الحملة الايوبية على اليمن تظل اسبابها الحقيقية هي مجابهة الصليبيين رغم ما ذكرناه آنفا بالهامش .
اما القصيدة فمنها :

فيا عاديا نحو العراق محثحثا
رحيل زكاة والحياة نصاب
الم بابراج الخلافة لاثما
عراصا وما كل التراب تراب
ترى مسه العباس ثم رجاله
هو المسك والكافور طاب وطابوا
ونادى بني العباس كرسي ملكهم
فلله برج بالعراق وغاب
وهل في بني الدنيا حديثا وقادما
لمستنجد بالله قط يصاب
وقل لامام العصر يا ابن خلائف
همو حجج محجوجة وكعاب
غدت ملة الاسلام مقصومة العرى
و عامر دين الله وهو خراب
يذبح ابناء وتسبى عقائل
ضلال ترى في ارضنا وتباب
بنات رسول الله بين بيوتهم
سبايا من الستر الجميل سلاب
فدع عنك ارض الروم وانهض لمكة
فسيفك فيه مضرب وذباب
فما في قتال الروم فخر وهذه
باظهركم ما في المقال كذاب
يغير ريب الدهر دين محمد
وما راب اديان اليهود مراب الخ(16)

على ان تزمت اتجاهه في اختياره للشعر لا يمنعه احيانا ان يذكر بعض الطرف الشعرية ، فقد اورد في ذكر احمد بن محمد بن سالم انه كان « يقول الشعر فيه خفة ولذلك سمي ( المحادر ) وكان يرتحل الى اقيال اليمن ويمتدحهم وترك كتبه في « سير »(17) مع بعض مشائخ بني عمران فعبث بها الفار عبثا شديدا فقال في ذلك :

مديح الفار خير من هجاه
رجا شيئا فادرك ما رجاه
واعطى ما اراد وما تمنى
واحظى الخلق من يعطى مناه
بدار الشيخ اسعد حيث كانت
به كتبي وقد عظموا وتاهوا
وقالوا ليس فيه لنا معدّى
من المحراب فهو لنا بناه
اذا ما الهر وافى ذات يوم
اغاروا كلهم وجروا وراه
فاطبق وهو في وجل عظيم
ولم يفلت واعطاهم قفاه(18)

واورد في ترجمة الحسن بن ابي عباد امام النحاة في اليمن انه اذا تكلم بين العامة لا يتكلف الاعراب وعوتب في ذلك فقال شعرا :

لعمرك ما اللحن من شيمتي
ولا انا من خطإ الحن
ولكن عرفت لغاتِ الرجال
اخاطب كلا بما يحسن(19)

وهنالك من الشعر ما يذكره لشعراء فحول مشهورين مثل القاضي ابي العتيق ابي بكر بن عبدالله بن محمد بن ابراهيم اليافعي ناقلا عن الجندي ان له ديوانا في مجلدين ، ويستدرك على الجندي فيقول : « ومن محاسن شعره ، وقد فارق قريته « يفرس »(20) بالمعافر هذه الابيات وكان اختياره هذه المرة جيدا .

استودع الله الذي ودعا
ونحن للفرقة نبكي معا
اسبل من اجفانه ادمعا
لما رآني مسبلا ادمعا
وقال لي عند وداعي له
ما اعظم البين وما اوجعا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

**ما انت من بعـــد النوى صانع ؟**

**فقلت : لا اقـــدر ان اصنعـــــا !**

**ما يصنـــــع الصب المعنى اذا**

**فارق إلفـا غير ان يجزعـا**(21)

وفي بعض الاحيان يبلغ به التحري والانصاف في مناقشة الآخرين، والشعور بهم كسلوك حضاري الى ان يورد نصا يدل فعلا على تسامحه الديني فقد رد العلامة المحدث أحمد بن ابراهيم العسقلي (ت806هـ) على يهودي قدري من اهل الجبال من قرية « حيمة » فقال :

**الا ايهـــــا الذمي كف عن التي**

**سالت بهـــا بغيـــا ولم تتثبت**

**حملت الينـــا فاسـد القول واهما**

**بانك فيــــه لست بالمتعنت**

**وقلت اذا ما شـــاء كفري علمكم**

**ولم يرضه مني فما وجـه حيلتي**

**اذا شـــاء ربي الكفر مني وشئته**

**فهل انا عاص باتباع المشيئة**

**نعم انت عاص واحتجاجك بالذي**

**زعمت لعمـر الله ادحض حجة**

وهكذا فرغم ان القصيدة كما يقول الاهدل قدر تسعين بيت وقد سردت آراء قدرية لليهودي معارضة لوجهة نظره فانه اوردها ، وقال معلقا : « لقد رايت ابيات اليهودي في طبقات الفقهاء للتاج السبكي عليها جواب الامام القونوي »(22) .

هذه نماذج مما نشره الاهدل من الشعر في كتابـــه ( المخطوط ) تعرض فيها لعديد من الشعراء اليمنيين ودواوينهم في عهود مختلفة ، ولكن لسوء الحظ لا اثر لمعظم هذه الدواوين ، وذلك مما يؤلم مؤرخي التراث الثقافي والادبي في اليمن بل مؤرخي التراث العربي قاطبة ، وان فيما اوردناه ما يعطي فقط المؤشر الى اهمية الكتاب وسلوكية مؤلفه فيما اختاره من امثلة وشواهد تخدم اتجاهه الخلقي .

**الهوامش :**

1 ـ تحفة الزمن ، ورقة 431 .

2 ـ هو عبدالله بن اسعد بن علي بن سليمان اليافعي المكي ( ت 768 هـ ـ 1367 م الدرر الكامنة 2 : 247 ـ 249 .

3 ـ هو ابو الحسن نورالدين علي بن عبدالله اليمني الطواشي ترجم لـــه اليافعي في « مرآة الجنان » توفي 748 هـ ـ « مرآة الجنان » 4: 310 .

4 ـ التحفة ورقة 300 .

5 ـ هو الملك الاشرف اسماعيل بن العباس آل رسول ( ت 803هـ) احد سلاطين آل رسول الذين حكموا اليمن بعد الايوبيين حتى عهد الطاهريين وهو الذي لجوره اذ قدم عليه رسول الصين لم يقبل الارض بين يديه وقال له : سيدي صاحب الصين يسلم عليك ويوصيك بالعـــدل في رعيتك ـ ابن الديبع . قرة العيون . القسم الثاني ص 123 .

6 ـ علوي بن طاهر الحداد ـ عقود الالماس 2 : 76 .

7 ـ التحفة ورقة 82 .

8 ـ تحفة الزمن ورقة 112 .

9 ـ نفس المصدر ورقة 406 .

10ـ نفس المصدر ورقة 256 .

11ـ التحفة ، ورقة 225 .

12ـ نفس المصدر ، ورقة 563 .

13ـ نفس المصدر ، ورقة 552 .

14ـ ابن النساخ هو حسن بن محمد بن النساخ من« المطرفية » وهي فرقة من الزيدية حاربها الامام المنصور عبدالله بن حمزة وكفرها ، وعمل على تخريب ديارها فخرج ابن النساخ هذا الى بغداد الى الخليفة العباسي المستضيء بالله يستنجد به ـ الصليحيون والحركة الفاطمية ـ الهامش والمتن ص 287 .

15ـ ما نقله الاهدل من الجندي وما قاله ايضا الخزرجي « في العسجد المسبوك » من ان الشكوى كانت من ابن النساخ ضد الرعيني هو خطأ، لان رسالة ابن النساخ كانت سنة 611هـ ـ 1214م اي بعد اكثر من اربعين عاما من الغزو الايوبي ، والاصح ان الشكوى كانت ضد الامام عبدالله بن حمزة لمحاربة فرقة « المطرفية » المنشقة عن الزيدية والتي ينتمي اليها ابن النساخ وكانت الشكوى من بين اسباب حملة الملك المسعود بن الملك الكامل على اليمن سنة 612 هـ ـ 1215 م ـ الخزرجي ـ العسجد 175 ـ 176 ـ محمد زبارة . ائمة اليمن 1 : 132ـ136 .

16 ـ التحفة ، ورقة 557 .

17ـ « سير » بفتح السين المهملة وسكون المثناة ، بلدة من ناحية السبرة قرب « الجند » على بعد نصف مرحلة منها ـ فؤاد سيد . للحق « طبقات ابن سمرة » ص 318 .

18ـ التحفة ، ورقة 173 .

19ـ التحفة، ورقة 81 .

20ـ بلدة يفرس في المعافر في جبل ذخر ( جبل حبشي ) وبها ضريح الشيخ احمد بن علوان ، والمعافر تنسب الى معافر بن يعفر بن الحارث بن مرة بن اد بن الهميسع بن حجر، وتسمى الآن «الحجرية» ـ ابن الديبع قرة العيون 2 : 200 .

21ـ التحفة ورقة 108 .

22ـ التحفة ورقة 321 .

# حديث مع هاني الراهب عن: الرواية والزمن المتغير

■ الروائي هاني الراهب

■ حين اردت ان ابدا الحديث مع الروائي هاني الراهب، قال لي مؤكدا بان « الرواية لم تعد مجرد قصة تحكى .. انما هي اليوم سلاح فعال » ..

كان هذا أول ماأكده ونحن نستعرض رحلته الروائية .. وهو يرى ان الرواية العربية قفزت في السنوات الاخيرة قفزة نوعية كبيرة تجاوزت بها كل الشكليات القديمة ..

كان يتحدث عن الرواية العربية من خلال واقعها الحالي .. وكان مسكونا بهاجس فني، هو ماتحقق له في روايته الاخيرة: « الف ليلة وليلتان » .

فطموح هاني الراهب اليوم يلتقي مع طموحات روائية أخرى في ان تصل الروايةالعربية عن الانماط التقليدية التي سادت زمنا .. وان هذه الرواية بنفس الوقت الذي تتخذ فيه « موضوعا » جديدا، فانها تتخذ « أسلوبا » جديدا ..

ومابين « الواقع » و « الحلم » تعيش احداث شخصيات هاني الراهب الروائية. ان « الليلة والثانية بعد الالف » في « الف ليلة وليلتان » هي من قبيل الحلم ..

« ان الروائيين يخلقون أحلاما كبيرة يعيشونها، ولذا فان حياتهم الحلمية هي أعظم من أية حياة » . هذا مايقوله « بروست » .. ولعله هو ذاته ماينطلق منه هاني الراهب .

ولكن .. قبل استغوار « زمن الروائي » لنتأمل في « زمن الرواية » فعلى أي نحو يرى هاني الراهب واقع الرواية العربية اليوم ؟ في اي وضع هي ؟

انه يرى أن:

ـ الرواية العربية قفزت في السنوات الاخيرة قفزة نوعية . فبعد جمهرة روايات نجيب محفوظ ( التي اعتقد أنها قولبت ، بتأثيرها الكبير ، شكل الرواية العربية ومضمونها وتركتهما يتجهان اتجاها معينا لم يستوعب ابعاد الواقع العربي وما يضطرب في اعماقه وفي قواعده التحتية ) .. ظهر جيل جديد .. قد لايكون « جديدا » في السن .. انما هو جيل ظهر بعد جيل نجيب محفوظ فحقق قفزة نوعية في الرواية العربية . وكنموذج من هذا الجيل الذي اتحدث اذكر جبرا ابراهيم جبرا .. فبالرغم من ان جبرا يكتب منذ زمن غير قريب ، الا ان القاريء العربي اكتشفه ـ على صعيد الرواية ـ في السنوات القليلة الماضية .

❋ ولو اردنا ان نضعك ، انت ، في سياق هذا التطور الذي شهدته الرواية العربية ؟

ـ في روايتي الاخيرة « الف ليلة وليلتان » حاولت شيئا جديدا : هناك رؤية للمجتمع انصبت في رؤيا للفن . وهذا هو الانجاز المهم .

ليس في الرواية شكل تقليدي ، او معالجة تقليدية ، أو حدث تقليدي .. وانما هناك هذا المجتمع وقد صور في بنية روائية مختلفة تماما عما الفناه . وفي هذا العمل اعتبر نفسي قد قدمت اسهاما بسيطا. .ذلك ان لغيري ـ بطبيعة الحال ـ انجازات أهم ، مثل جبرا ، عبدالرحمن منيف ، الطاهر وطار ، جمال الغيطاني ، وصنع الله ابراهيم .. اعتقد أن هؤلاء قد قدموا اكثر مما قدمت أنا ..

❋ والذي يبدو ، من متابعة السياقالتاريخي للرواية العربية ، انها في تطور مستمر ..

ـ هذا صحيح .. واعتقد ان سببه هو أننا أمة تبحث عن ذاتها اثناء تكونها. .وفي هذا البحث رغبة قوية شمولية للواقع والتاريخ والمستقبل. . واظن ان هذه الرؤية يمكن لها ان تتجسدفي الرواية اكثر من امكانية تجسدها في الانواع الادبية الاخرى ..

نحن الان مهتمون بالكليات . نحن شعب مجزأ .. أمة مجزأة يجب ان تتحد وتصير «كلا» . هناك امكانيات مشتتة ، مبعثرة يجب أن تتوحد . الرواية ،بمعنى ما ،تشبه هذا التجميع للامكانيات وتنسيقها فيبنية صلبة قوية ،وعرضها ،والخروج منها بنتائج ايجابية . لذلك فانا متفائل غاية التفاؤل بمستقبل الرواية العربية ..

❋ وهناك الى جانبك في تفاؤلك هذا كثيرون .. حتى اننا نجد اليوم بيننا من يؤكد ، وبمزيد من الثقة ، ان الرواية هي فن المستقبل ، بالنسبة لنا ، عربيا ..

ـ هذا صحيح .. وبخاصة في بلادنا العربية ..

❋ أريد أن اسأله : أين تتمثل عندك هذه الاهمية ؟

ـ جواب سؤال كهذا يحتاج الى نوع من السبر الميداني لتبين ردود الافعال عند الناس .. ولكني ، بصورة نظرية ، استطيع القول : انا اطبع مجموعة قصص قصيرة تبقى في السوق فترة لاباس بها .. أما روايتي الاخيرة ـ وهي رواية متعبة جدا لقارئها ، وتقع في حوالي اربعمائة صفحة ـ فقد نفدت خلال عشرة أشهر . كذلك اجد روايات اخرى لروائيين اخرين تقرأ اكثر مما تقرأ أكثر دواوين الشعر او المسرحيات ..

أظن ان هناك جمهورا يتشوق الى الرواية بسبب مقدرتها على تقديم رؤيا كلية .. فالانسان يشعر ان هناك عالما كاملا امامه ، يعايشه ويتفاعل معه ..

❋ وربما لان الرواية توفر له خاصية الحوار مع هذا العالم الذي تبنيه .. الحوار بينه وبين هذا العالم ..

ـ انها تقيم حوارا داخليا بين القاريء ونفسه ، وبين القاريء وشخصيات الرواية ..

❋ أود هنا لو ننظر الى هذا التطور من خلالك أنت كروائي ، بدءا من روايتك

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الاولـــى : « المهزومون » وانتهــاء ب « الف ليلة وليلتان » : مــن حيــث الهاجس ، ومن حيــث الهــم الفكري والسياسي ، ومن حيث الفن الروائــي ايضا ..

ـ هذه سيرة تكاد تكون طويلة .. فمنــذ « المهزومون » حتى الان مضى مايقرب من ثمانية عشر عاما ..

« المهزومون » كانت محاولة بسيطة .. بل وحتى ساذجة ، كتبتها في ثلاثين يوما ..

✻ ولكنها ، مع ماتقوله عنها ، فازت بجائزة « الآداب » للرواية .

ـ وهذا مادهشني ، واخافني أيضا : شاب في الحادية والعشرين من عمره يكتب اول أعماله، ويفوز عليه بجائزة . لقد اخافني هذا حقا مــن ان اقع في مطب الغرور . لذلك أمضيت في كتابــة الرواية الثانية « شرخ في تاريخ طويل » حوالــي سبع سنوات . في هذه الرواية أتقنت « اللغــة الروائية » ( ولكنها ، مع ذلك ، كانــت سيئــة الحظ .. فبسبب من بعض العوامل السياسيــة تأخر نشرها مايقرب مــن ثلاث سنوات ) .. ولكنني أتقنت فيها « اللغة الروائية » ، لان اللغة العربية ـ كما ارى ـ غير مطواعة لكتابة فن حديث مثل الرواية .. ويحتاج الانسان الى دربــة ومراس صعب ليتوصل الى كتابة رواية بلغــة عربية سليمة ..

كانت الهموم في « شرخ في تاريخ طويــل » هموم جيل يبحث عن ذاته .. وكانت الرؤيــة أقرب ماتكون الى الوجوديــة .. ( تذكر تأثــير الترجمات : ترجمات سارتر التي كانت قد طغــت على السوق الادبية في البلاد العربية ، حتى صارت الوجودية هي الامة الدارج ) .. مع الاسف كانت « وجودية » انعكست على واقع مريض فاورثتــه مواقف سلبية ، واحيانا مرضية ..

في هذه المعركة الشرسة التــي يخوضهــا الانسان مع ذاته ، ومع ظروفه نحــن لاننتصــر دائما .. انما النصر هو أن نتقدم خطوة الــى الامام ، بينما يكون المطلوب هو ان نتقدم عشــر خطوات . لذلك كان ترك السلبية هو المحصلة .

هذا الجيل ، اذا ، رصد في هذه الرواية . وفي هذه الرواية ليست هناك اية شخصية تنجح في تحقيق شيء ما . هناك انهيار ، وتهافــت ، وفشل ، وانتحار . وان كانت تبقى جذوة أمــل عند واحد أو اثنين من شخصياتها ..

في « الف ليلة وليلتان » يمكن القول انني عثرت على ذاتي كروائي .. وقد اضنتنــي هــذه التجربة الروائية فعلا . كنت اريد ان أقول اشياء كثيرة عــن هذا الوطــن المجروح والمهزوم في 5 حزيران .. وبحثت عن « الشكل الروائــي » الملائم لهذا الواقع الذي نعيشه « نبتت في ذهنــي فكرة ، هي : أن « شكل » المجتمع العربي هــو الذي يجب أن يعطي الرواية « شكلها » ..وبنيته بنيتها ، فالمجتمع العربي ـ كما تعلم ـ مجتمــع ممزق ، سديمي .. ليست عندنا ، حتى الان ، هوية طبقية واضحة .. وليست عندنا سياسات على مستوى شعب منظم يقود عملية الحضــارة والتقدم . ينهض حكم وطني في قطرما ، فتتكالب عليه القوى الامبريالية لتسحقه .. وبالتالي فانه مجتمع أقرب مايكون الى الهلام .. مايزال يعيش بحالم « الف ليلة وليلة » .. وهذه هي موضوعتي الرئيسية ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عناصر الهزيمة موجودة مــن الف سنــة وسنة . وتأتي 5 حزيران لتكشف .. لتتوج هذه الهزيمة . انا لااعتبر 5 حزيران « عام الفيــل » العربي ..انها مجرد كشف عن هزيمة كامنة فينا منذ الف سنة .

اما في الرواية ، كفن ، فقد خرجت نتيجة : انها رواية بدون حبكة : كل الروايات التي قرأتها فيها حبكة .. الاحداث متواصلة مع بعضها .. اما في روايتي هذه فلا توجد حبكة . كل الروايات فيها « شخصية مركزية » تستقطب حولها بقيــة الشخصيات .. اما انا فليس في روايتي شخصية مركزية .. هناك حوالي سبع عشرة شخصية . كذلك ليس في الواقع العربي حدث ، بمعنــى الحدث الفعلي التاريخــي الذي ينمو ويتكاثــر وينتصر .. الخ .. ايضا تأتي الرواية خاليــة من الحدث .

اذا ، تستطيع القول انني في هذه الروايــة بدأت بتدمير ثلاث من الاركان الرئيسية للرواية، والتي هي : الحبكة ، والحدث ، والشخصية .

✻ لتخرج بشكل روائي غير تقليدي ؟

ـ نعم .. هذا ماحدث فعلا . وانا اجرؤ على قول هذا الكلام عن روايتي هذه لان النقاد ، هنا ، قد اكدوه ..

طبعا .. الليلة الثانية بعد الالف هي هــذا الوعي الانبعاثي . ماذا كانت استجابة الناس ل 5 حزيران ؟ ماذا كانت استجابتهم لاكتشافهم انهم شعب مهزوم سلفا ؟

✻ وهنا ـ على مايبدو ـ كانت نقطــة انتقال بين « شرخ في تاريخ طويل » و « الف ليلة وليلتان » ؟

ـ كانت نقطة الانتقال الكبيرة هي انه ليس هناك افراد ـ كما تصور الرواية الغربية ذلك ـ انما هناك مجتمع متكون من فئات معينة ، وهــذه الشخصيات تنتمي الى هذه الفئات ..

اذا ، الشخصيات اجزاء تتحرك في بنيةكبرى هي المجتمع ..وهي ليست اكبر من المجتمع ـ كما تبدو في الرواية الغربية .والرد على هذه النزعة ـ حيث الليلة الثانية بعد الالف ـ هو الرد الصحي الذي تكتشفه الجماهير بعفويتها . ولكن معظــم ماحدث ـ كساحة سياسية في البلاد العربيــة ـ كان يحاول الخروج باقل حجم من الهزيمة ،وليس الرد عليها . ونلمس ذلــك الان .. فهزيمة 5 حزيران وصلــت ببعض الزعماء العرب الــى الاستسلام « لاسرائيل » .. والاخرون مايزالون يجهدون للتغلب على هذه الهزيمة . اما الليلــة الثانية بعد الالف ـ هذا الرد الفعل التاريخــي ، فما تزال مكوناته مجرد ليلة بالقياس الــى الف ليلة وليلة .

✻ يبدو لي ان الهموم الروائية عنــد الجيل الذي تنتمي اليه هموم متقاربة. فنحــن اذا أخذنا « شرخ في تاريــخ طويل » الى جانب« رجال في الشمس » لغسان كنفانــي .. الــى جانــب « الاشجار .. واغتيال مرزوق » لعبد الرحمــن منيــف .. الــى جانــب « السفينــة » لجبرا .. ســنجد أن الاشكالات التي تطرحها هذه الروايات ـ وهي ليست أكثر من عينات منمساحة روائية كبيرة تنتمي الى ذات المرحلــة والاتجاه ـ تكاد تكون متقاربة ، ان لم تكن متكاملة في وحدتها الاخيرة ..

ـ هذا صحيح .. لاننا امة تعيش مشــاكل واضحة ،وهي مشاكل عميقة جدا أيضا ،وتاريخية جدا . مشاكلنا مع الامبريالية .. مشاكلنا مــع التخلف .. لايستطيع الانسان الا ان يهتم بهــذه المشاكل ..

طبعا لكل رؤيته .. ولكل فنه .. ولكننــا نلتقي في المآل : باننا نحمل هم هذا الشعب بقدر

مانستطيع ، ونحاول أن نعمل شيئا للتخفيف منه ..

ان الانسان لايستطيع ان يقود نضالا ما قبل أن يعرف ذاته .. قبل أن يعرف امكانياته ، ويعرف ماذا يريده أعتقد ان تلمس الامكانيات ، ومعرفة ماذا نريد هو رسالة ، وواجب تاريخي .

✻ حين تشرع بكتابة عمل روائي ، ايهما تجده أقوى تأثيرا عليك وفعلا في نفسك : المسببات الفنية ، ام الدوافع الفكرية والاجتماعية والسياسية ؟

ـ كتابة الرواية شبيهة بحرق المعادن في الاتون لاستخلاص شيء منها. الناحية الفنية عندما تنفصل عن الهموم الفكرية والقومية تخرج ، مع الكاتب ، برواية ينفصل فيها الشكل عن المضمون. البحث عن الشكل يجب ان يتجه الى المصدر نفسه الذي تبحث فيه عن الخلاص ، وهو الشعب. هموم الشعب هي « المضمون » .. تكوين هذا الشعب .. حياته يجب أن تكون هي « الشكل ». وهكذا يتحد الشكل بالمضمون . نحن بحاجة الى الوحدة على جميع المستويات ، ليس فقط الوحدة السياسية . حتى في العمل الفني يجب أن يتحد هذا الامر .

اذا ، انا أكون أمام مؤثرات ، هي هذه المؤثرات التي ذكرت ، كلها تدخل في عملية الكتابة وتوجهها . وعملي هو ان اقيم توازنا بين هذه المؤثرات ، فلا انصرف الى تحسين « اللغة » مثلا ، او الى ابتكار « شكل » باهر دون ان يكون له « مضمون » .. او بالعكس : أن لاتطغى « الفكرة » أو « الموضوع » ، او جودة الموضوع. انا لا اقبل بهذا . عندما يكون موضوع ما جيدا ، اي يمس مصلحة الشعب ، لاابرر لنفسي ان اخرجه بشكل فني ضعيف . لذلك لاابرر لنفسي ان يكون الشكل متقنا ولايحوي الا الشعارات الطنانة .

ان الكتابة عندي هي نوع من تكوين الذات. انا ، وجيلي متكون بطريقة خاطئة : بعاداته ، بفكره ، بعلاقاته ، بموروثاته ، وبمكتسباته . هناك الكثير من الاخطاء ..

لنقل الكلمة بمنحى سياسي : لماذا ننادي بالبعث ؟ نحن فعلا بحاجة الى بعث من هذه النواحي .. ليس بالمدلول السياسي ، بل بالمدلول الحضاري . فعملية الكتابة هي جزء من التكوين.. فتتضح الرؤية في نفسي . تتضح امامي آفاق كثيرة .. أصير أكثر قدرة على التعبير عن ذاتي بدقة اكبر . وهذا هو الشيء المهم جدا .

✻ وما الذي تريد أن تقوله لقارئك ؟

ـ انا في حياتي اليومية اكتشف اشياء ، فارى ان علي أن أناقش هذه الاشياء مع أكبر عدد من الناس .. لذلك أكتب رواية .. ليس بمعنى انني مبشر ، وانما محاور .. وانا في محاورتي أميل الى ازعاج القاريء .. الى اقلاقه ، لان من جملة ماورثناه ورثنا الكسل ، وضعف الحس بقيمة الزمن ، واشياء كثيرة اخرى . فهدفي هو ليس أن اقول اشياء للقاريء ، وانما اشعره بان حياته التي يعيشها الان لاتكفي للنهوض به الى مستوى الكائن الانساني ، ولاتكفي لان يكون هو عضوا في امة لها مكانها تحت الشمس . انا دؤوب على اقلاق القاريء .. على تعكير راحته وصفوه. انا لااقدم له عملا يقراه وهو جالس في المقهى او في السرير قبل أن ينام .. اقدم له عملا يزعجه ، يقول له « انت مقصر » او « يجب ان تنتبه .. » .. « انا أرى الامور على هذا النحو .. فكيف تراها انت ؟ » ..

انها نوع من المحاورة المقلقة . وهذا ماأريد انأتوصل به مع القاريء . بهذا القلق الذي احدثه في نفسه آمل أن يدفعه الى مزيد من الحس بالزمن .. الى مزيد من الموقف الثوري .. الى مزيد من الوعي والانتاج . وأنا لا افعل هذا لوحدي ، انما هناك كثير من الروائيين قبلي أحدثوا قفزة نوعية في الرواية .. هذه القفزة النوعية هي في تحريك القاريء .

✻ حين تقارن هذا التوجه في الاعمال التي ذكرت عند الجيل الذي سبق جيلك .. كيف تجدها ؟

ـ في المرحلة السابقة كانت الروايات التي تقدم روايات عريضة .. بمعنى أنها تقدم عرضا للمشاكل . ثلاثية نجيب محفوظ ، مثلا ، معيارها ، في نظري ، هو : هل استطاعت ان تخلق وعيا أكثر ، وموقفا ؟ ( طبعا مع كلمة موقف تاتي كلمات اخرى : موقف تقدمي ، مناهض ، فعال .. ) . انا ارى أن روايات من هذا النوع قد عرضت لواقع ما بروح اقرب ماتكون الى رؤية البرجوازية الصغيرة التي يتركز همها في مصالح معينة . فهي تفتقر الى الرؤية التاريخية ، والى الالتصاق النضالي بالواقع ..

أما الرواية التي تلت روايات هذا الجيل فهي رواية تحريضية ، لاتكتفي بالعرض ، وانما ، كما قال أبو ذر الغفاري : « عجبت لمن لايجد القوت في بيته كيف لايخرج على الناس شاهرا سيفه ». هذا هو الغرض : أن نحمل السيف ..

✻ ربما تشكل هذا المنظور عند جيلك بحكم كونه « جيل انتماء » الى قضية.. الى أمة بحاضرها المستلب ، ومستقبلها الذي يسعى الى تحقيقه على نحو جديد ..

ـ نعم .. وهذا الانتماء لاخيار لنا فيه .. بمعنى اننا اذا لم ننتم نمت .. يجب أن تنتمي والا مت . وانا أرى أن المأساة بلغت ذروة مرعبة حاليا ، ويجب على كل من يستطيع ان يفعل شيئا لوقف هذه المأساة أن لايتاخر فيه ولا ثانية..

طبعا لااعني بالانتماء هنا الانتماء التعسفي ، أو الانتماء الذي يحاول أن يكون دواء لداء نفسي.. لا .. انما الانتماء الواعي ، الصحي .. انتماء نضالي وايجابي يكون قادرا على دفع الانسان لان يدفع أي ثمن مقابل ان يقول شيئا ، أو يفعل شيئا ، أو يحتك بجمهور معين .

✻ وهل يختلف عندك هذا التوجه في الرواية عنه في القصة القصيرة التي تكتبها ؟

ـ قصصي القصيرة هي ، في الغالب ، روايات مكثفة ، لان رؤيتي ، في الاساس ، رؤية روائية.. ابدا بفكرة بسيطة جدا ، لاتلبث ان تكبر وتتسع وتتشعب ، لذلك فان ماأريد ان أقوله في الرواية هو ، الى حدما ، ماأريد ان أقوله في القصة .. ولكن أحيانا تاتي الفكرة ضاغطة بقوة .. لااستطيع تحملها ، فتخرج في شكل قصة قصيرة .

هذا ماكان قبل مجموعتي الاخيرة « جرائم دون كيشوت » . اما في قصص هذه المجموعة فقد تبينت القصة لأكتب قصة جيدة فعلا .. يجب ان اكتب وانا اشعر باني أكتب قصة جيدة .. فكتبت عددا من القصص بهدفين : هدف تحويل القصة الى خبر .. وأخذت قصصا من تاريخنا القديم والمعاصر ، ورويت الخبر وعلقت عليه .. كان التعليق جزءا من بنية القصة ..

أما الهدف الثاني فهو تقديم رؤية شمولية من خلال عرض شيء بسيط على طريقة « الجزء يفضي الى الكل ، والكل يفضي الى الجزء » . وبطبيعة الحال فان هذه محاولات لاأعرف مدى نصيبها من النجاح . ؟

■ ماجد السامرائي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# معارض

## رسم على الورق

■ لمدة اسبوعين اقيم معرض رسوم على الورق في احدى القاعات التابعة لجمعية صيانة مدينة تونس القديمة . اشرف على تنظيم المعرض والتهيئة له الفنان رشيد القريشي ، بينما كانت جمعية صيانة المدينة المسؤولة عن التمويل والتسهيلات الرسمية .

في مساء يوم الافتتاح عقدت ندوة صحفية كان الغرض منها مناقشة الفنانين المشاركين الى جانب التحدث عن قيمة المعرض وقضايا فنية اخرى ، ومنذ البداية كان النقاش حادا وكان هناك العديد من الاسئلة التي تحاول استكشاف اشياء كان بعضها خارج الفعالية الفنية نفسها .

ماذا وراء هذه التظاهرة ؟. لماذا هناك علامات بربرية ضمن بطاقة المعرض وغلاف الدليل .؟ هل هناك علاقة حقيقية بين السكان المحليين للمدينة القديمة وبين الجمعية التي دعت لهذا المعرض بحجة الدفاع عن مدينتهم ؟

كانت التساؤلات كثيرة ، ولم تكن هناك اجابات تبعد النقاش عن طريقه المسدود . اكتفت جمعية صيانة المدينة بوجود الفنان رشيد القريشي وفضلت من خلال رئيسها ان توزع التصريحات للصحافة في اليوم التالي معتبرة المعرض بداية « لنشاطها » ضد عملية التهديم التى تمارس من قبل اجهزة الدولة ضد المدينة القديمة .

لقد كان واضحا منذ البداية بأن هناك فجوة ما بين الجمعية والوسط الثقافي التونسي، الى جانب ما شعر به العديد من الفنانين المشاركين من كونهم ادوات سلبية للاحتجاج ضد مشكلة وطنية مهمة لا تهمهم وحدهم وانما تهم قطاعات واسعة من المثقفين والفنانين وذوي الاختصاصات الاخرى .

ترى هل كانت الجمعية مصيبة في اختيار نوع النشاط كوسيلة للاحتجاج .؟ وهل يمكن لمشاركة واسعة من الفنانين التشكيليين ان تحقق هدفها في شد الانتباه للحفاظ على التراث؟ ان الواقع يضع الجمعية في موقع صعب ، اقل مافيه انها لم تدرس افكارها بامعان ولم تحاول ضمن أول نشاط لها ان تستقطب الضرورات الثقافية والفنية التي يوفر لاحتجاجها الثقافي وقع ايجابي وفعال .. والا كيف يمكن لمعرض فنى حديث بدون برنامج ثقافي ان يأخذ حضوره ، وكيف يمكن للمتفرج ان يعاين اعمال فنية حديثة لكى يدرك ان هذه الأعمال هى في الواقع

■ رشيد القريشي – الجزائر

قضية فنية تحاول الدفاع عن التراث الوطنى .

ان تحقيق الهدف الاساس للجمعية كان يشترط تمعنا اكثر في كيفية تقدم العمل الفنى ضمن صياغة معينة تقود الى خلق حوار حقيقي مع المتفرج سواء كان من ابناء المدينة القديمة نفسها او من الوافدين اليها من مدينة تونس .

خارج اشكالات الغرض الذي نظم من اجله المعرض والتداخلات الاخرى ، تشكل مجموعة الاعمال نموذج فني متماسك اشترك فيه ثمانية واربعون فنانا من الوطن العربي وخمسة فنانين من ايران وتركيا .

تعكس مجموعة الاعمال المعروضة تنوع الاساليب والافكار الشائعة في الحركة الفنية العربية ، ويمكننا ان نعتبر الحرف العربي ابرز توجه موجود في المعرض اذ شارك اكثر من خمسة عشر فنانا باعمال تعالج الحرف العربي بتصورات مختلفة بعضها كان يرتبط بتكوين اللوحة كعنصر فني جمالي بينما كان في اعمال أخرى يأخذ شكل صياغات مقرؤة ترتبط بالموضوع الاساس، وقد كان الشعر العربي ، الحديث منه والقديم مصدرا لاكثر من عمل فني .

لعل كتاب ( الذكر ) لايتل عدنان ( لبنان ) كان من ابرز الاعمال التى تمثلت الحرف بتكوينات ذات خيالات غير متقصدة وحرية لونية تشد المتفرج الى متابعة اشكاله على الرغم من طول مخطوطة الكتاب التي تتجاوز الخمسة امتار طولا عند فتحها كاملة . ان الرحلة في هذه المخطوطة الزاهية تجعلنا امام صور حديثة تعتمد تكرارات لكلمة الله مع اسقاطات حروفية ملونة واشكال رمزية مستنبطة من تجريدية شكل بعض الحروف . بنفس طراوة المخيلة تسهم سيمون فتال من لبنان باعمال يكون فيها الحرف وسيلة للتذكر ، هنا تكوّن الحروف عند تجمعها كلمات شعرية لا تنفصل عن براءة مايحيط بها من اشكال مرسومة . ان مخيلتها الملونة هى جسر لعالم الطفولة المفقودة وخيالاته الباهرة . مقابل هذه العفوية نجد صراحة الاشكال الحروفية عند كمال بلاطة من فلسطين، فهو يعتمد الحرف الكوفي ضمن سياقات هندسية يلعب فيها اللون دورا اساسيا ، حيث يحاول بلاطة خلق تباينات بصرية وخاصة عندما يعتمد الوان ذات طابع متناقض .

على الطرف الآخر من التجربة الحروفية هناك الفنانين الجزائريين ، رشيد القريشي يعتمد الحرف العربي كنص مضمونى يسقط عليه اشكال انسانية او اجزاء حروفية معينة . في مطبوعاته مقاصد سياسية واضحه وبشكل خاص فلسطين . ولعله من الفنانين القلائل الذي حاول انتاج اعمال مشتركة مع صديقه الفنان الجزائري الساسي . وعلى الرغم من التفاوت بينهما في التصورات ، حاولا صياغة عناصر مشتركة تقود بهما الى مضامين سياسية واضحة . فالساسي مولع اكثر من القريشي في الصياغة الدقيقة لشخوصه بينما القريشي يفضل معاينة انسانه بعيدا عن التفصيلات . هذا الفاصل في الرؤية هو الذي يعطي لاعمالهم متعة المتابعة . دنس مارتينز من الجزائر أيضا قدم اعمالا يتداخل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

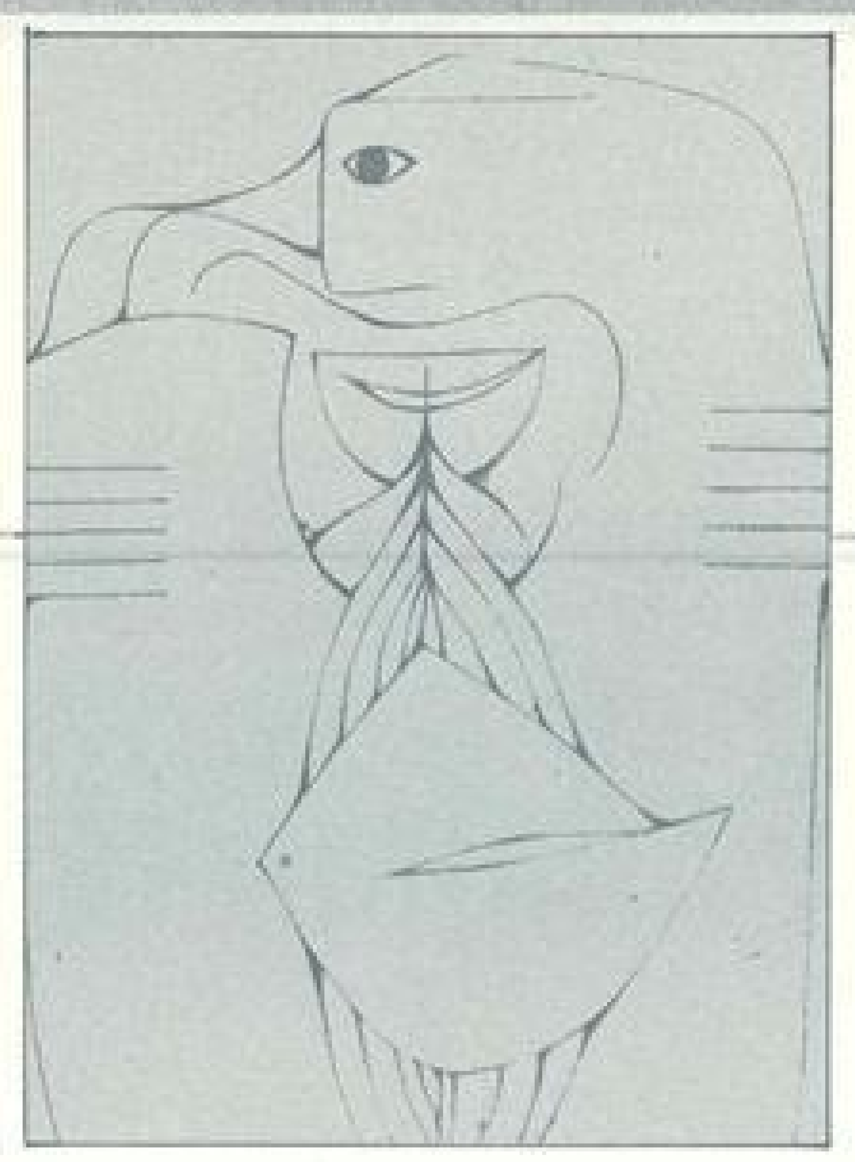

■ مارتينيز – الجزائر

■ منى السعودي – فلسطين

■ علاء حسين بشير – العراق

فيها الحرف وتكراراته مع اشكال انسانية تفصح عن التمرد ، واذ كانت تخطيطاته هذه بحاجة الى نوع من الموازنة بين عناصرها فانه لاشك يوحي بقدرة متميزة ضمن الفنانين الجزائريين. من نفس المجموعة كانت محاولة سلامةصالح واسامة عبدالدائم في توظيفالحرف العربى كعنصر جمالي ضمن مساحة العملالفنى. الاول انتبه للكلمة اكثر من الحرف فحاولها ان تدخل ضمن تكوين المخطوطة ، بينما اعتمدالثانى على تفاصيل الحرف وبشكل خاص الخط الكوفي . لعل بن بله محجوب قد تميز عنالآخرين فيما خلقه من مساحات واسعة مملوءة بحروف وكتابات مبهمة .. هل هي ذاكرة تعممشاهداتها البعيدة .. أم انها مجرد مساحة تعتمد اقتناص جمالية التداخلات العفوية للحروفوالكلمات؟ من سوريا كانت اعمال صخر فرزات تعكس محاولة اخرى في اخضاع الحرف الى تكوينات جمالية . ان اعماله قد لا تعطي نفسها ضمن ابحاث الحرف العربى بسهولة ، فهى تعتمد عناصر زخرفية صغيرة تتجمع ضمن مساحة معينة لتخلق عالم زخرفي متوازن وجميل.

ان التمعن فيه يدلنا الى ان فرزات قد جعل من اجزاء بعض الحروف مدخلا للكشف عن جماليات بصرية غير مالوفة .

ضمن المجموعة التونسية كانت هناك تباينات واضحة في المستوى والافكار . فالمهداوي الذي اصطلح لنفسه عالم متميز ضمن تجربة الحرف العربى ، ينقلنا بسهولة الى مناخات ممتعة ذات حرفية تمتاز بالدقة . يشير المهداوي الى انه غير معني بالكلمة المقروءة . ان متعته هى في خلق تمرينات بصرية مصدرها الحرف . لعل في ذلك نوع من القناعة التي يشترك فيها فنانين آخرين من مجموعةتونس. مثل التريكى ، في اعماله انطباع بأن تكويناته هى محض الصدفة . اي انه يجرب شكل الحرف وخلال التجريب يحاول تاكيد ماهو قابل للتطوير . غير ان التفحص الدقيق في اشكاله وحروفياته تجعلنا عند جهد متميز وشاق . ففى هذه الأعمال نشاهد نوع من الحرية التى لم نعرفها في اعماله السابقة وبنفس الوقت نجد قدرته على اخضاع كلاسيكية الحرف الى نوع من العفوية التى تتداخل مع العناصرالاخرى التى تكوّن اعماله . اما الهادي التركي فقد كانت مشاركته بعملين حاول فيهما ان يحقق نوعمن الحرية في تصور الموديل المرسوم . على الضد نجد بلخامه يعطي لنفسه حرية ايجاد تصورات خيالية فيها بعض المباشرة .

اما الفهري فقد حاولايجاد تباينات فيالشكل عبر استخدامه سطوح مختلفة في العمل الواحد ، وهى تجربة فيها حس قريب من فن الديكور . ان المجموعة التونسية على ارغم من عدم وجود وحدة فنية تجمعها الا انها افضل من المشاركة الجزائرية بشكل عام الا ان هذا لا يلغي امكانية ايجاد تمثيل افضل لكلا القطرين .

في المشاركات الاخرى كانت هناك اساليب مختلفة . منيرة القاضي لا زالت تعالج في مطبوعاتها قرى خيالية مزينة بالاشكالالهندسية الصغيرة . وكذا عصام السعيد الذي شارك باعمال فيها موضوعاته المحببة ، نساء مزينات ضمن تكوينات زخرفية ذات الوان جميلة . من المغرب لم يكن هناك عمل متميز غير ما قدمه فريد بلكهيه . فالمليحي شارك باعمال قديمة وكذا الهاشمي مرزوق . في لوحة بلكهية المنفذة من مواد مختلفة تقع في الواقع خارج تعريف المعرض من حيث التقنية ، نشاهد الكف الانساني قد اصبحعنصره الاساسي في التعبير . يبدأ بالكف المزين بزخارف ورسوم مستمدة من الوشم ثم ينتقل الى صيغة اخرى للكف بمادة النحاس وخلال هذا التدرج يتحول الكف الى مجرد اشارة يومية خالية من اي معنى . في هذا العمل المتعدد الاجزاء يتوصل بلكهية الى عناصر تطورية بالنسبة لبحثه السابق ولربما ستقوده العلاقة بين الكف كشكل واضح والاشارة كرمز الى نوع ممتع من التعبير واللغة البصرية .

مالك المالكي ، موسى الخميسي ، بهاءالدين احمد ، علي فنجان ، ازاد احمد ، وخمستهم من العراق ، يسهمون لاول مرة في معرض عربى كبير باعمال كرافيكية . كانت مطبوعات المالكى المنفذة بالسلك سكرين اكثرهم قدرة فيالافصاح والتكوين الفنى . اعتمد الشكل الانسانىكعنصر اساسي وحاول ان يوظفه ضمن تكوينات مختلفة . ان تقنيته العالية وتميز تصوراته تشير الى ما يمكن ان يقدمه هذا الفنان في المستقبل من اعمال جيدة . اما علي فنجان فقد كانت مطبوعاته على الرغم من تعبيرية الموضوع الذي اختاره تشير الى نوع من العجالة في التنفيذ والى ضعف واضح في تركيبة عناصر المطبوعة . الثلاثة الآخرون حاولوا ان يسهموا باعمال احادية اللون . الخميسي قدم عملين اعتمد فيهما على التناقض بين عناصر احادية اللون ( الاسود وتدرجه ) وبين عناصر بارزة . ان شخوصه لا زالت تحتاج الى نوع من الدراسة التيبجعلها قادرة على التعبير بحرية اكثر عن مقاصده .

اما ازاد احمد وبهاء الدين احمد فقد كانت اعمالهما ذات مضامين تعبر عن الارهاب ويبدو انهما معنيين بالموضوع اكثر من اسلوب التعبير ، اذ لا زالت مطبوعاتهما تفتقد الامكانيات الواسعة لفن الحفر . من العراق ايضا ساهم علاء حسين بشير لاول مرة باعمال تخطيطية وهو وان ظل عند ارتباطه بموضوعاته الزيتية فانه حاول ان يذهب ابعد في معالجة عناصرهحيث ابدى اهتماما واضحا في مساحة المخطوطة وحاول ان يستخدم الخط بعنف لم نعرفه في اللوحة .

في العمل الوحيد الذي شاركت به منى السعودي من الاردن كان يعكس اهتمامها بالتعبير النحتي . ففي عملها الوحيد كثير من الاقتصاد في الخط مع التاكيدعلى الكتلة اكثر منالمساحة.

لصالح الجميمي وهاشم سمرجي من العراق اعمالا كرافيكية متميزة . في اعمال الاول موازنة دقيقة لعناصر المطبوعة مع التاكيد على استنباط الوان فيها نوع من الجدة . اما الثانى فعلى الرغم من مشاركته باعمال قديمة فهي لا زالت تتمتع بنموذجيتها كمحفورات بما تتميز به من قدرة واضحة على اخضاع وحدة اللون ( الاسود بشكل غالب ) الى التعبير عن موضوعا تمختلفة .

من مصر كانت اعمال فاروق شحاتة تمثل موضوعات تعبيرية فيها الكثير من الحس المباشر بحيث يجعلها في بعض الحالات اقرب الىروحية فن الكاركتير الاجتماعى . اما المجموعة التركية فقد كانت محفورةاردال النتار من ابرزالاعمال. وكذا في المجموعة الايرانية حيث ساهم داود امداديان بعملين مطبوعين بالسلك سكرين فيهما رصد جميل لموضوعات ذات علاقة بالطبيعة.

نخلص من هذا المعرض الى كونه تجربة متميزة تمكنت ان تخلق تآلفات واضحة بين مشاركين متنوعين ، هي في الحاصل نماذج لابحاث تسيطر على عقلية الفنانين العرب .

**ضياء العزاوي**

**تونس**

◆

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# سينما

اعده : كامران قرهداغي
( مندوب المجلة الى المهرجان )

## ملف عن مهرجان موسكو السينمائي الحادي عشر 14 ـ 28 آب 1979

### النتائج والافاق

■ اختتم مهرجان موسكو السينمائي العالمي اعماله في يوم 28 آب بعد ان استمر طيلةاسبوعين متتالين . يعتبر هذا المهرجان اضخم المهرجانات العالمية للسينما التقدمية . خلال ايام المهرجان تم عرض حوالي 500 فلما داخل وخارج المسابقة من 104 بلدا ضمت افلاما روائية طويلة وقصيرة وللاطفال .

ابتدأ المهرجان عمله ب « ضربة معلم » كما يقال . ففي اليوم الاول وبعد حفلة الافتتاح مباشرة عرض ولاول مرة فلم « تحيا المكسيك » الذي صوره قبل أكثر من خمسين عاما المخرج الروسي العظيم سيرغيه ايزنشتين . لقد بقيت اشرطة هذا الفلم محفوظة في متحف الفن الحديث بنيويورك طيلة نصف قرن تقريبا ، وكانت تخرج منه الى مختلف انحاء العالم حيث يستغلها مصورون ومخرجون في افلام تجارية دون ادنى شعور بالمسؤولية او تقدير لقيمة تلك الاشرطة التي كانت في الواقع قد صودرت من ايزنشتين على الحدود المكسيكية ـ الامريكية من قبل السلطات الامريكية . وفي العام الماضي وبعد جهود بذلتها هيئة السينما السوفيتية طيلة عقود من الزمن سلمت السلطات الامريكية الى الاتحاد السوفييتي معظم الاشرطة التي كان قد صورها ايزنشتين في حينه بهدف اخراج فلم عن المكسيك، وكان قد ساعده في عمله المصور السوفييتي المبدع الراحل ادوارد تيسيه والمخرج غريغوري الكساندروف فنان الشعب حاليا . قام بعملية مونتاج اشرطة ايزنشتين الخام الكساندروف نفسه محاولا التصرف حسب خطة ايزنشتين معتمدا في ذلك على ذاكرته ويومياته واجتهاده بطبيعة الحال .

من المدهش ان فلم « تحيا المكسيك »ينسجم تماما مع شعار مهرجان موسكو من أجل انسانية الفن . والفلم يجسد احد أهم مبادىء السينما السوفيتية الفتية ايضا ، حول اظهار الشعب بصفته البطل الاول للسينما مادام ذلك هو دوره في الحياة الواقعية . وقد أظهر ايزنشتين شعب المكسيك الثائر المنتفض على الظلم والعبودية .

ولقد كانت التفاته رائعة من قبل المشرفين على المهرجان ولجان التحكيم بمنح هذا الفلم جائزة الشرف الذهبية .

ان مصير اشرطة « تحيا المكسيك » يعكس

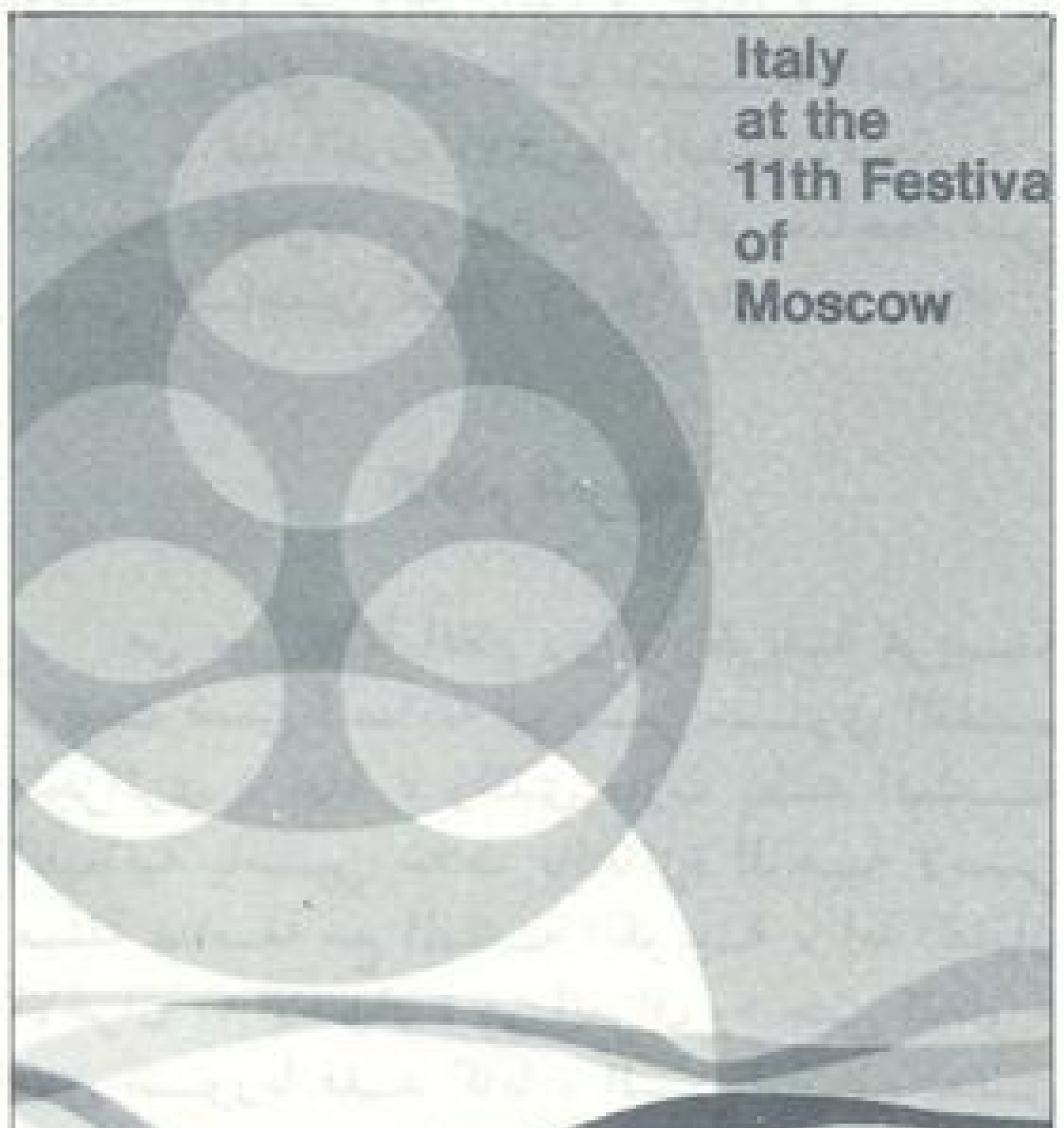


■ تحيا المكسيك
■ خوان بارديم
■ من منشورات المهرجان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أيضا جانبا اخر من شخصية وضمير ايزنشتين الذي حاولت السلطات الامريكية في حينه ان تشتريه وتحمله على تصوير فلم عن المكسيك على الطريقة الامريكية . ورغم ان هوليود قد تصرفت بصورة لا اخلاقية مع المخرج وفلمه ، الا ان عمل ايزنشتين كان اقوى من التجار وظل عملا خالدا .

على اية حال ، فان روح التجارة مازالت تسود عالم السينما الراسمالية . فبالرغم من ان مهرجان ( كان ) السينمائي الثاني والثلاثين الذي افتتح قبل ثلاثة اشهر من مهرجان موسكو استطاع تقديم برنامج شيق للافلام الا ان قوانين التجارة فرضت شروطها عليه . وليس من باب الصدف أن حصة الاسد في برنامج المهرجان المذكور كانت لافلام الولايات المتحدة الامريكية وايطاليا وفرنسا . في عشية افتتاح مهرجان ( كان ) كتب الممثل الامريكي المعروف پيتر أوستينوف مقالا في جريدة « الفيغارو » الفرنسية بعنوان « الفن والبازار » بداه بالقول انه كلما راى في متحف او كتاب اللوحة الفنية المشهورة « المسيح يطرد التجار من المعبد » تذكر بصورة لاارادية مهرجان الافلام في ( كان ) .

قد تقال أمور كثيرة عن مهرجان موسكو السينمائي غير ان من الصعوبة على اي أحد نفي الصفة الانسانية الفن عنه ، فهو يجسد بالفعل شعاره القائل : « من أجل انسانية الفن السينمائي ، من أجل السلام والصداقة بين الشعوب » .

### نضال الشعوب على الشاشة

على الرغم من جميع الصعوبات التي تجابهها السينما التقدمية في الغرب ، فانها تنجح مع ذلك في فرض نفسها واثبات قدراتها الفنية بجدارة . ويمكن التدليل على هذا بمثال المخرج الاسباني خوان انطونيو بارديم الذي تعكس أعماله السينمائية آلام وعذابات الانسان في العالم الراسمالي ونضال الشعب من أجل الديمقراطية والعدالة الاجتماعية . فلمه الجديد « سبعة أيام في كانون الثاني » الذي شارك به في المسابقة يعكس نضال الوطنيين والديمقراطيين الاسبان في لحظة تداعي بالنسبة لتاريخ اسبانيا جاءت بعد ذهاب فرانكو واشتداد الصراع بين القوى الديمقراطية انتهى الى انتصار الاولى وتثبيت اركان الديمقراطية . وقد منح هذا الفلم جائزة المهرجان الذهبية .

الفلم الجزائري نهلة ■

منحت الجائزة الذهبية كذلك الى فلم سياسي اخر هو « المسيح يتوقف في ايبولي » للمخرج الايطالي المعروف فرانسيسكو روزي. الفلم يقوم على اساس كتاب الكاتب الايطالي المعروف، الطبيب والفنان كارلو ليڤي ويتحدث فيه عن سنوات النفي الذي تعرض اليه في الثلاثينات وعاش خلالها في احدى قرى منطقة لوكانيا الجنوبية النائية. استطاع روزي ان يبين بصورة مدهشة تلك الهوة التي كانت تفصل بين الشعب في ايطاليا والدكتاتورية الديماغوغية لموسوليني. والفلم الى جانب ذلك يعطي صورة واضحة لما يجري في ايطاليا البورجوازية المعاصرة حيث هناك في واقع الامر بلدان او عالمان اجتماعيان.

### افلام الدول الاشتراكية

كانت مشاركة الدول الاشتراكية متميزة فعلا من خلال مجموعة افلام ممتازة حظت بجوائز المهرجان. نذكر منها « السينمائي الهاوي » لكشيشتوف كيسليوڤسكي ( پولونيا ) و « بورتريه تيريزا » لپاستور ڤيغا ( كوبا ) و « الحاجز » لخريستو خريستوف ( بلغاريا ) و « اللحظة » لستولي بانكوڤيتش (يوغوسلوڤيا) و « انطوان الساحر » لغونتر رايش ( المانيا الديمقراطية ). و « التحليق » لساڤا كوليتش ( الاتحاد السوڤييتي ).

الفلم الپولوني « السينمائي الهاوي » قضية اجتماعية حادة تتعلق بمسؤولية الفنان في المجتمع المعاصر بكل تعقيدات وتناقضات هذا المجتمع الذي لاتنكشف فيه حقيقة الوجود والعلاقات الاجتماعية دفعة واحدة، وانما تتطلب من الفنان تقويما شاملا وموقفا جدليا. نجح المخرج الپولوني كيسليوڤسكي في نقل كل هذه الجوانب الى لغة سينمائية شيقة تماما، ويعود فضل كبير في ذلك الى بطل الفلم الممثل المبدع ييجي شتور الذي كوفىء بمنحه الجائزة الذهبية لافضل دور رجالي.

لقد كان قرار لجنة التحكيم عادلا تماما حين منحت الجائزة الذهبية لافضل دور رجالي ايضا الى بطلي الفلم اليوغوسلافي ڤيليمير جيڤوينوڤيتش والالماني الديمقراطي أولريخ تاين، فيما اعطت الجائزة الذهبية لافضل دور نسائي مناصفة بين بطلتي الفلم الكوبي ديزي غرانادوس والجزائري ياسمين خلاط ( فلم « نهلة » ).

شيد المخرج البلغاري خريستو خريستوف فلمه « الحاجز » على اساس من اسلوب شاعري فنطازي حتمته رواية الكاتب المعروف پاڤل ڤيجنيوف التي قام عليها الفلم. وقد ساعد بطلا الفلم: الممثلة البلغارية الشابة ڤانيا تسڤيتكوڤا والسوڤيتي اينوكينتي سموكتونوڤسكي كثيرا على انجاح الفلم الذي منح الجائزة الفضية. هذا وقد حصل على الجائزة الفضية ايضا كل من الفلم السوڤييتي « التحليق » والهندي « پاراشورام ». لعب الدور الرئيسي في الفلم السوڤييتي الشاعر يفتوشينكو، وهو دور العالم الروسي تسيولكوڤسكي الذي يعتبر ابو علم الفضاء المعاصر. وتدور احداث الفلم الهندي « پاراشورام » للمخرج المعروف مرينال سين عن أعماق المجتمع الهندي، مجتمع البؤس والفقر.

هذا بالنسبة للافلام الروائية الطويلة الداخلة في المسابقة. ولاشك انه حديث ناقص مادام لايتطرق الى الافلام القصيرة وافلام الاطفال المشتركة في المسابقة.

لقد عكست شاشة الافلام القصيرة امام انظار المشاهدين صورة شمولية لكرتنا الارضية المناضلة والمعذبة و البانية وهي تسعى من اجل غد ومستقبل ملايين البشر. ولم تكن أفلام الاطفال باقل من ذلك تأثيرا في نقلها صورة العالم المعاصر والذي يشهد حاليا السنة الدولية للطفل. لقد أثارت الاشرطة الطيبة والحكيمة، البهيجة والمحزنة .. اثارت مشاعر متأججة في نفوس المشاهدين اطفالا وكبارا على حد سواء.

### الافلام العربية

من بين ثلاثة افلام روائية طويلة عربية عرضت ضمن المسابقة لم يتميز سوى الفلم الجزائري « نهلة » والذي فازت بطلته الممثلة اللبنانية ياسمين خلاط بالجائزة الذهبية لاحسن ممثلة مناصفة مع الممثلة الكوبية. أما الفلمان الاخران: « الاسوار » من العراق و« حبّي الحلو » من سوريا فقد كانا، الى جانب بعض أفلام أخرى مثل « الكفاح من اجل الحرية » النايجيري و « اللعنة على من يبكي » الايراني، من أضعف الافلام الروائية المشتركة في المسابقة. غير ان حظ بعض الافلام العربية القصيرة كان أفضل بكثير، اذ فاز فلم « ومع ذلك فهي تدور » من اليمن الديمقراطية بالجائزة الفضية، في حين نالت افلام قصيرة من العراق وسوريا وفلسطين وفلم الاطفال العراقي « اللعبة » جوائز ودبلومات تقديرية من الهيئات والمنظمات الاجتماعية. وتجدر الاشارة الى ان فلم « يوم اخر » العراقي عرض في احدى دور السينما بموسكو في اكثر من حفلة، ثم انتقل بعد ذلك الى مدينة يالطا في القرم حيث رافقه مخرج الفلم ليعرض هناك ايضا.

وكانت هناك افلام عربية اخرى عرضت في سوق المهرجان التجاري وهي من مصر والجزائر وتونس وسوريا، ويبدو ان معظمها كان ذات طابع تجاري، ولعل ابرز تلك الافلام فلم يوسف شاهين « اسكندرية ليه ».

ولابد في هذا الاستعراض من القول ان مهرجان موسكو السينمائي العالمي الحادي عشر تصادف هذا العام مع حلول الذكرى الستين لتاسيس السينما السوڤيتية التي لايمكن اليوم انكار دورها وفضلها على الحركة السينمائية العالمية بما جاءت به من مبادىء انسانية وتقدمية وفنية. وبمناسبة هذه الذكرى فقد منح اتحاد السينمائيين السوڤييت جوائز تقديرية خاصة لعدد من كبار السينمائيين في العالم ممن كان لهم دور رائد في تطوير الحركة السينمائية، وهؤلاء هم: جيزاري دزاڤاتيني ( ايطاليا ) ورينيه كلير ( فرنسا ) وكينغ ڤيدور ( الولايات المتحدة الامريكية ) وييجي كاڤاليروڤيتش ( پولونيا ) ولويس بونيل ( اسبانيا ) وانطونين بروسيل ( جيكوسلوڤاكيا ) وزولتان فابري ( المجر ) و الاخوين اندريه وآنيلي تورندايك ( المانيا الديمقراطية ) واكيرو كوروساوا ( اليابان ) وساتياجيت راي ( الهند ) وسيمبين عثمان ( السنغال ).

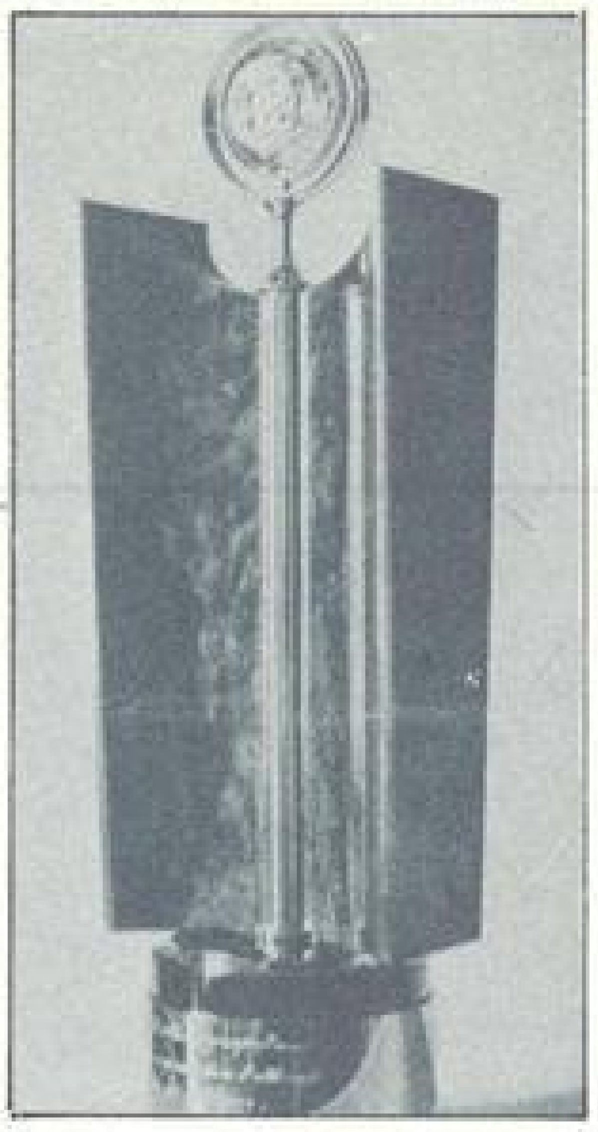

# جوائز المهرجان

### الافلام الروائية الطويلة

■ جائزة الشرف الذهبية : « تحيا المكسيك » ( الاتحاد السوفيتي ) للمخرج سيرغيه ايزنشتين .

■ الجائزة الذهبية :

ـ « سبعة أيام من كانون الثاني » (اسبانيا) للمخرج خوان انطونيو بارديم .

ـ « المسيح يتوقف في ايبولي » ( ايطاليا ) للمخرج فرانسيسكو روزي

ـ « السينمائي الهاوي » ( بولونيا ) للمخرج كشيشتوف كيشليوفسكي

■ الجائزة الفضية :

ـ « الحاجز » ( بلغاريا ) للمخرج خريستو خريستوف

ـ « باراشورام » ( الهند ) مرينال سين

ـ « التحليق » (الاتحاد السوفيتي )للمخرج سافا كوليش

■ جائزة افضل دور نسائي :

ـ ياسمين خلاط في الفلم الجزائري « نهلة »

ـ ديزي غرانادوس فيالفلم الكوبي « بورتريه تيريزا »

■ جائزة افضل دور رجالي :

ـ أولريخ تان في الفلم الالماني الديمقراطي « أنطوان الساحر »

ـ ڤليمير جيڤوينوڤيتش فيالفلم اليوغ لافي « اللحظة »

■ دبلوم خاص من هيئة التحكيم للفلم ال تنامي « دائما الى الامام »

### افلام الاطفال

■ الجائزة الذهبية :

ـ « كلب مشى على البيانو » ( الاتحاد السوفيتي ) للمخرج ڤلاديمير غراماتيكوڤ

■ الجائزة الفضية :

ـ « تارو ابن التنين » ( اليابان ) للمخرج كيريو اورايام

ـ « القفزة الاخيرة » ( يوغوسلاڤيا ) للمخرج رايوڤان رانتشيش

ـ « لحظة في علبة كبريت » ( بلغاريا ) للمخرجة ماريانا يفستاتييڤا

### الافلام القصيرة

■ الجائزة الذهبية :

ـ « نيكاراغوا : الحرية أو الموت » ( كوستاريكا )

ـ « ليس هناك شر يستمر مائة سنة » ( كولومبيا )

■ الجائزة الفضية :

ـ « الاهداء الذي لايقهر » ( جيكوسلوڤاكيا)

ـ مناصفة بين فلمي « ومع ذلك فهي تدور » ( اليمن الديمقراطية ) و « ميشيل بلوك » ( كندا )

ـ الفلسطينيون « الحق في الحياة » ( الاتحاد السوفيتي ) .

كما قررت لجنة تحكيم الافلام القصيرة تثمين فلم « الحرب الوطنية العظمى »للمخرجالسوفييتي الوثائقي الراحل رومان كارمن .

### جوائز ودبلومات المنظمات الاجتماعية السوفيتية

### اتحاد السينمائيين :

■ الجوائز :

ـ الفلم الروائي « دائما الى الامام »(ڤيتنام)

ـ الفلم الوثائقي « لاتحني راسك أبدا » ( المانيا الاتحادية )

ـ فلم الاطفال « مغامرات البارون ميونهاوزن العجيبة » ( فرنسا ) .

■ الدبلومات :

ـ الفلم القصير « كريت في عيون الشعراء » ( اليونان )

### اتحاد الموسيقيين :

■ الجوائز :

ـ عن موسيقى الفلم الروائي « الحاجز » ( بلغاريا ) للموسيقار كيريل تسيبولكا

■ الدبلومات :

ـ عن موسيقى فلم الاطفال « كلب مشى على البيانو » ( الاتحاد السوفيتي )للموسيقار الكسي ريبنيكوف .

### اتحاد الفنانين

■ الجوائز

ـ الفلم الروائي « الشاعر والوحي » ( فنلندة ) للمخرج ماتي مارتيلا .

ـ للفنان داغمار دوبكوفوي رسام فلم الدمى « جد من الكعك » (جيكوسلوفاكيا) .

### اتحاد الصحفيين

■ الجوائز

ـ الفلم القصير « مائرة صحفي » ( اليابان )

### اتحاد جمعيات الصداقة

■ الجوائز :

ـ الفلم الروائي « الرجل الشاب والحوت الابيض » ( جيكوسلوفاكيا )

### هيئة التربية الرياضية التابعة للدولة :

■ الجوائز :

ـ الفلم الروائي « قصة دون فريزر » ( استراليا )

ـ فلم الاطفال «القفزة الاخيرة» (يوغسلافيا)

### وزارة التربية :

■ الجوائز :

ـ فلم الاطفال « اختطاف جواد » ( الاتحاد السوفيتي )

ـ فلم الاطفال « النافذة » ( رومانيا )

### لجنة منظمات الشباب :

■ الجوائز :

ـ الفلم الروائي « الراية الممزقة »(المكسيك)

ـ فلم « أبناء سانجيز » (الولايات المتحدة)

ـ الفلم القصير « نيكاراغوا : الحرية او الموت » ( كوستاريكا )

### لجنة الدفاع عن السلام

■ الجوائز
الفلم الروائي « سبعة ايام في كانون الثاني »

ـ الفلم الروائي « الهندي الملقب صقر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

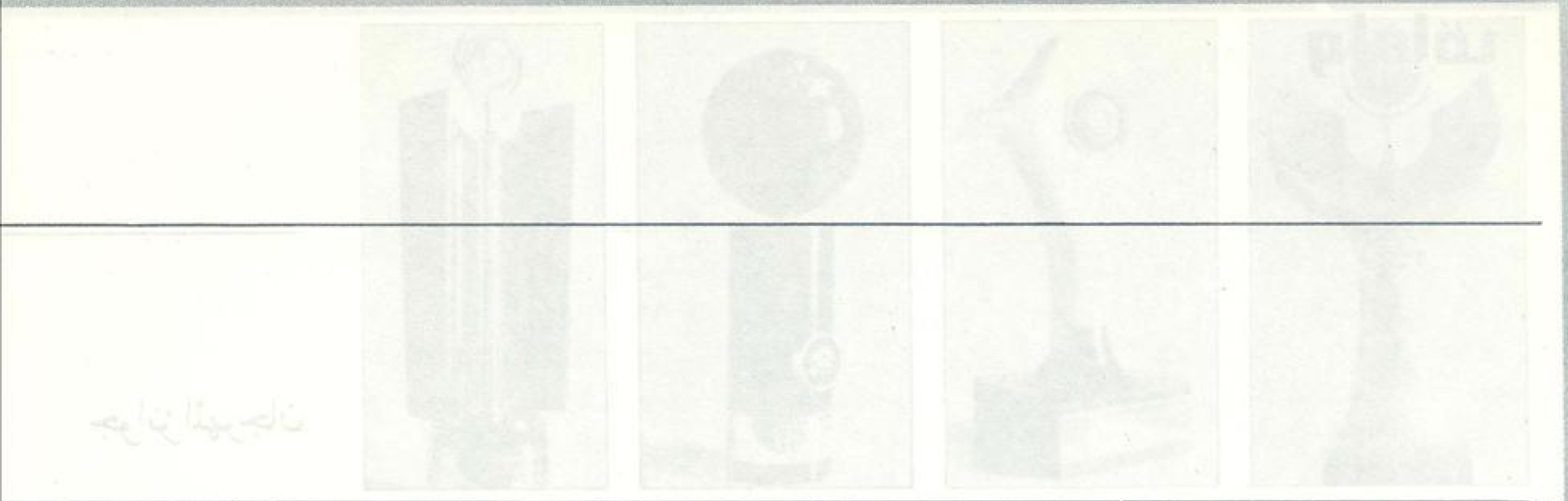

( كندا )

ـ مجموعة « الافلام الفيتنامية القصيرة » ( الفيتنام )

ـ فلم الاطفال « اللعبة » ( العراق )

ـ فلم الاطفال « تقرير عن الوضع في لبنان » ( العراق )

■ الدبلومات :

الفلم الروائي « سبعة ايام في كانون الثاني »

ـ الفلم الروائي « الكفاح من اجل الحرية » ( نايجيريا )

ـ الفلم الروائي « الطبق الطائر » ( سري لانكا )

ـ الفلم الروائي « العمل » ( مالي )

ـ الفلم القصير « الهلال الاحمر الفلسطيني » ( منظمة التحرير الفلسطينية )

ـ مجموعة الافلام الوثائقية (المانيا الاتحادية)

ـ الفلم القصير « تقرير نووي » ( هيئة الامم )

ـ الفلم القصير « الصغار جدا » ( كولومبيا )

ـ فلم الاطفال « الزهرة غير المرئية » ( بنغلاديش )

لجنة التضامن الافرو ـ آسيوي :

■ الجوائز :

ـ مجموعة الافلام الوثائقية ( اليمن الديمقراطية )

ـ الفلم القصير « سنة واحدة ويوم واحد » ( افغانستان )

ـ الفلم القصير « النضال ـ النصر ، النصر ـ النضال » ( اثيوبيا )

لجنة النساء :

■ الجوائز :

ـ الفلم الروائي « بورتريه تيريزا » (كوبا)

مجلة « الشاشة السوفيتية » :

■ الجوائز :

ـ الفلم القصير « نجوم السينما الذين لايراهم المشاهد » ( كندا )

■ الدبلومات :

ـ الفلم الروائي « السماء تصبح صافية » ( منغوليا )

مجلة « فن السينما » :

■ الجوائز :

ـ الفلم الروائي « ستشرق الشمس » ( بنغلاديش )

لجنة الامن والتعاون الاوروبي :

■ الجوائز :

ـ الفلم الروائي « القلعة » ( المجر )

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الافلام الروائية الداخلة في المسابقة

■ استراليا

ـ قصة دون فريزر : المخرج كين كيهام

■ النمسا

ـ البومة العمياء : المخرج منصور مداوي

■ الجزائر

ـ نهلة : المخرج فاروق بلوفة

■ بنغلاديش

ـ ستشرق الشمس : المخرج عبدالصمد

■ بلجيكا

ـ ميراي في حياة الاخرين : المخرج جان ماري بوشيه

■ بلغاريا

ـ الحاجز : المخرج خريستو خريستوف

■ بريطانيا

ـ لن ياتي الغد ابدا :المخرج بيتر كولينسون

■ المجر

ـ القلعة : المخرج ميكلوش سينيتار

■ فنزويلا

ـ رفيق الطريق : المخرج كليمنت ديلاسيردا

■ فيتنام

ـ دائما الى الامام : المخرج لونغ ڤان

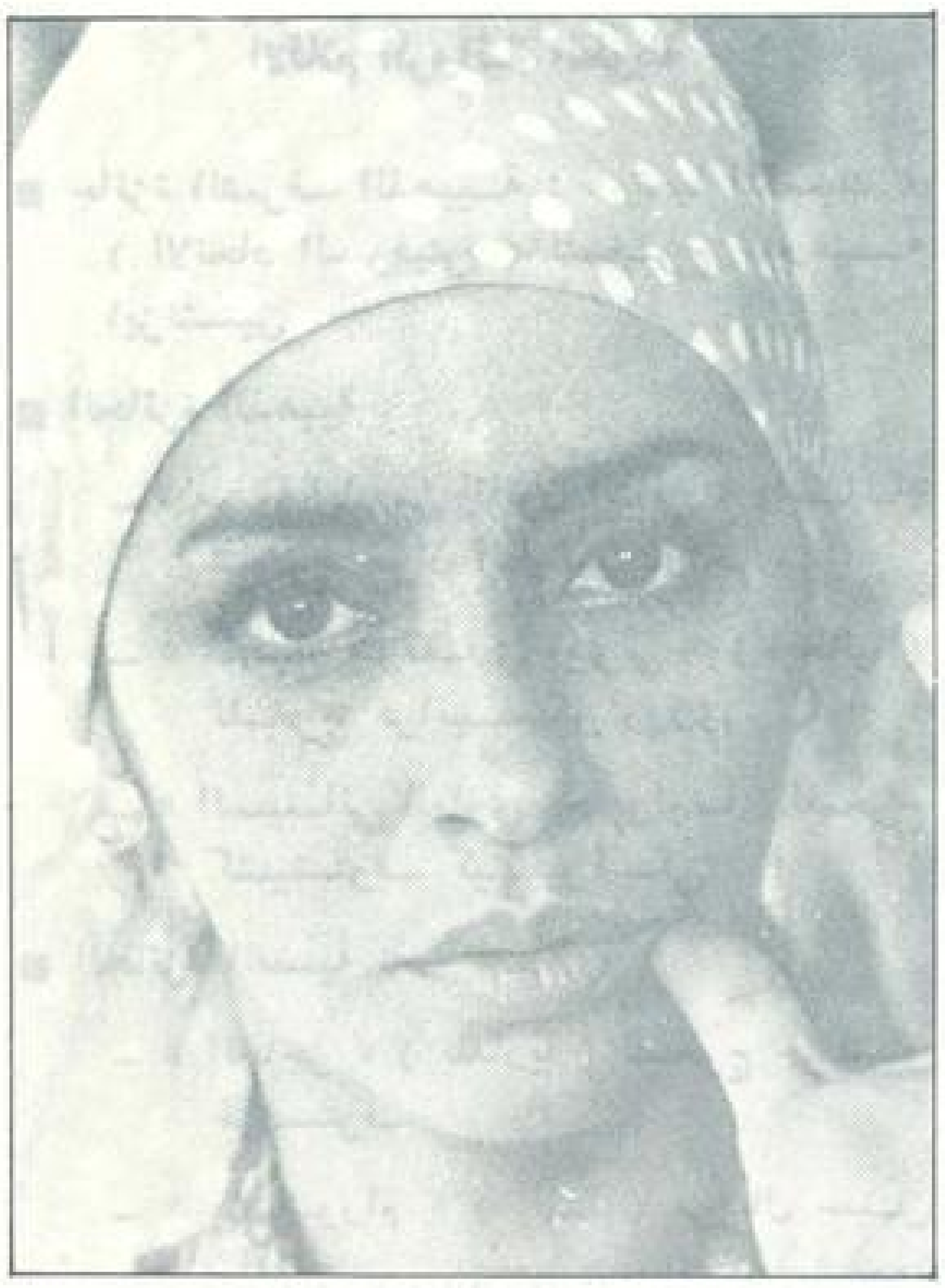

■ بورتريت كيريزا ـ كوبا

■ غانا

ـ الوجود : المخرج توم ريبيرو

■ المانيا الديمقراطية

ـ انطوان الساحر : المخرج غونترايش

■ الدانمارك

ـ من حياتي : المخرج بيلي اوغست

■ الهند

ـ باراشورام : المخرج مرينال سين

■ العراق

ـ الاسوار : المخرج محمد شكري جميل

■ ايران

ـ اللعنة على من يبكي : المخرج محمد علي نجفي

■ اسبانيا

ـ سبعة ايام من كانون الثاني : المخرج خوان

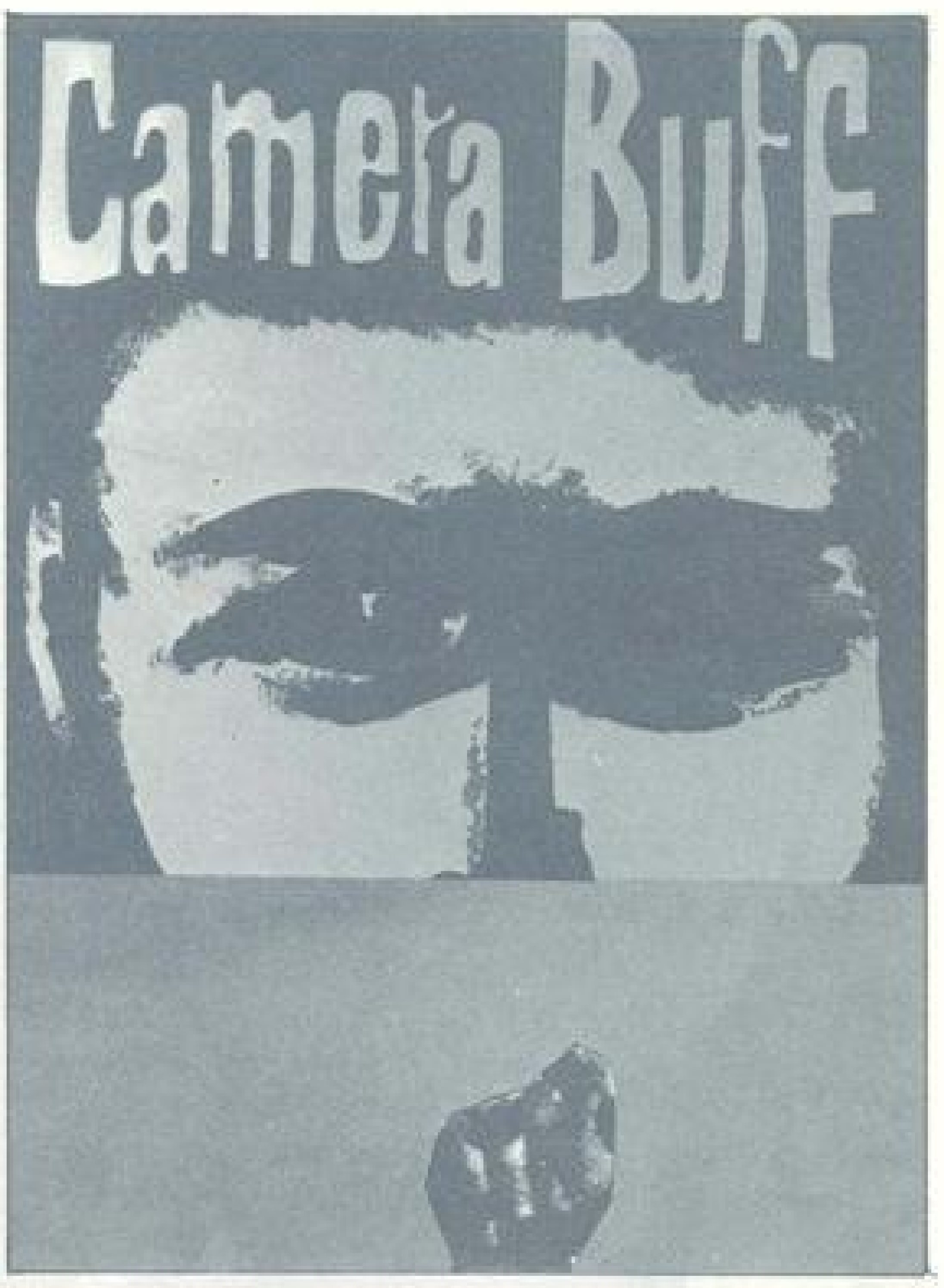


■ السينمائي الهادي ـ بولونيا

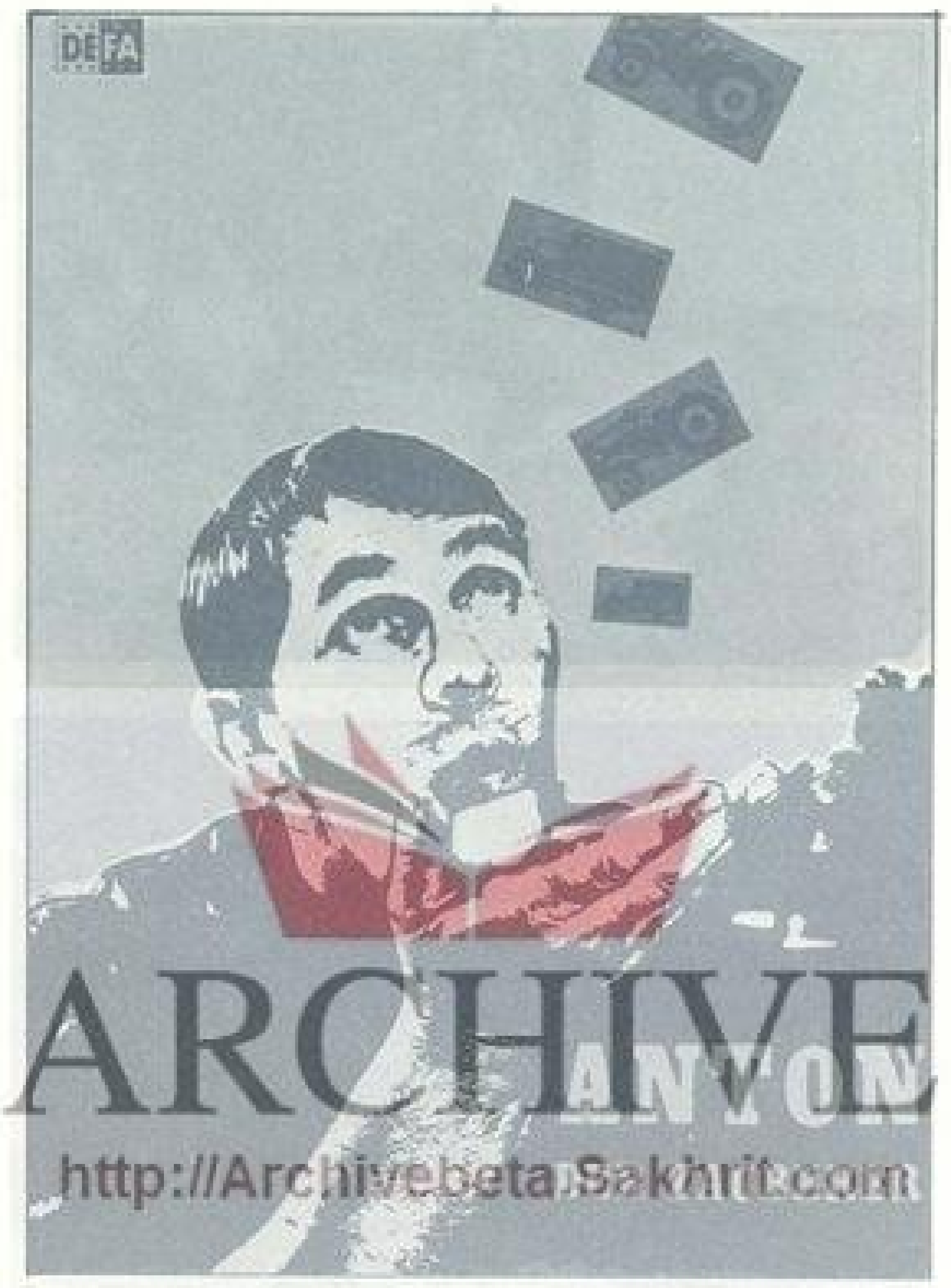


■ انطون الساحر ـ المانيا الديمقراطية

■ تارو ابن التنين ـ اليابان

باردیم

■ ايطاليا

ـ المسيح يتوقف في ايبولي : المخرج فرانسيسكو روزي

■ كندا

ـ الهندي الملقب صقر : المخرج دونالد شبيب

■ كوبا

ـ بورتريه تيريزا : المخرج پاستور ڤيڤا

■ المكسيك

ـ الراية الممزقة : المخرج غابريل ريتيس

■ منغوليا

ـ السماء تصبح صافية : المخرج دورجبالام

■ نايجيريا

ـ الكفاح من أجل الحرية : المخرج اولا بالوغون

■ پولونيا

ـ السينمائي الهاوي : المخرج كريشتوف كيشليوفسكي

■ رومانيا

ـ اللحظة : المخرج غيورغي ڤيتانيديس

■ سوريا

ـ حبي الحلو : المخرج مروان حداد

■ الاتحاد السوفييتي

ـ التحليق : المخرج ساڤاكوليش

■ الولايات المتحدة الامريكية

ـ أبناء سانجيز : المخرج هول بارتليت

■ تركيا

ـ القناة : المخرج آرلن كيرال

■ فنلندة

ـ الشاعر والوحي : المخرج ياكو باكاسفيرتا

■ فرنسا

ـ الكلاب : المخرج آلن جيسوا

■ ألمانيا الاتحادية

ـ خياط اولم : المخرج اونمار ريتز

■ جيكوسلوڤاكيا

ـ الرجل الشاب والحوت الابيض : المخرج ياروميل ايريش

■ السويد

ـ جدران الحرية : المخرجة ماريانا ارنيه

■ يوغوسلاڤيا

ـ اللحظة : المخرج ستوليه يانكوڤيتش

■ اليابان

ـ القضية : المخرج يوسيتارو نومورا



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# عرض لبعض الافلام الروائية في المسابقة

■ **الحاجز ( بلغاريا )**

**اخراج : خريستو خريستوف**

**تمثيل : اينوكينتي سموكتونوفسكي وڤانيا تسڤيتكوڤا**

**الفلم مقتبس عن قصة الكاتب البلغاري باڤل ڤاجينوڤ .**

يعيش الناس على جانبي حاجز رمزي : على احد الجانبين هناك ناس « عاديون » ، بينما يعيش على الجانب الثاني ناس يستطيعون « التحليق » . الرمز الاول يشير الى اصحاب النفوس المغلقة الضيقة ، والرمز الثاني يشير الى اولئك الذين يمتلكون رغبة حقيقية في التحليق كالطيور ( بمساعدة قوة المخيلة والقدرة على دمج الحلم باليقظة ) . على اية حال هذا هو عالم بطلة القصة دوروثيا الفتاة « غريبة الاطوار » التي تمتلك الطاقة على التحليق .

تنمو علاقة غريبة من نوعها بين الموسيقار انطوني مانيف ( سموكتونوڤسكي ) و « غريبة الاطوار » دوروتيا وهي علاقة يصعب اطلاق صفة الحب عليها . انطوني رجل في متوسط العمر خبير بالحياة ومطلق . تاتي دوروتيا لتدخل حياته بكل عفويتها وطفوليتها وصدقها فتدهشه وتربكه حد الحيرة والحرج . يكون الفارق الاخلاقي شاسعا بين دوروتيا وانطوني الذي يعجز عن فهم وتحمل نقاوة وعفوية الفتاة فتنتهي حياتها بصورة محزنة ( الموت ) وهي نهاية منطقية تماما وتكشف عن جانب ماساوي اخر ينعكس في اعتراف انطوني بانه سبب موتها وبانه لن يستطيع أبدا تجاوز الحاجز .

حصل الفلم على الجائزة الفضية .

■ **الكلاب ( فرنسا ) :**

**المخرج : الن جيسوا**

**تمثيل : جيرار ديپاردي وفكتور لانو ونيكول كالفان .**

مدينة فرنسية صغيرة حديثة ، حيث قدم الطبيب الشاب هنري فيري للعمل ، تعج بالمجرمين والكلاب . يقتني الناس الكلاب دفاعا عن انفسهم ، وهكذا يصبح الناس ضحايا اما للمجرمين او للكلاب التي تنهشهم . ويجد الطبيب نفسه منغمسا في خضم صراع داخل مجتمع المدينة . يتحول الناس بالتدريج الى قساة مستعدين لاطلاق كلابهم لتنهش «المجرمين»، بينما يشن «المجرمون» وهم من شباب المدارس، حربا ضارية ضد الكلاب واصحابها وعلى الاخص ضد مدرب الكلاب في المدينة والطامح الى منصب رئيس بلديتها موريل . ويظهر من الاحداث ان موريل كان وراء حادث قيام احد الكلاب بنهش رئيس البلدية السابق . المدرسة الشابة اليزابيث تصبح ضحية اغتصاب فتقتني هي الاخرى كلبا للدفاع عن نفسها فتنغمر بالتدريج في تدريبه ( في مدرسة موريل لتدريب الكلاب ) وتصبح هي ايضا احدى « نصيرات » الكلاب .

فكرة الفلم انسانية تنتقد مجتمعات العنف المريضة : العنف يولد العنف .

**التحليق ( الاتحاد السوفييتي ) :**

**اخراج : ساڤا كوليش**

**تمثيل : يڤغيني يڤتوشينكو**

هذا الفلم عن عالم الفضاء الروسي كونستنتين تسيولكوڤسكي الذي يعتبر ابو علم الفضاء والصواريخ . اثار الفلم الكثير من الضجيج ربما بسبب اسناد الدور الرئيسي فيه الى الشاعر المعروف يڤتوشينكو الذي كان ممثلا متواضعا ادى الدور المرسوم له بصورة جيدة . ولكن كان يمكن لاي ممثل محترف ان يفعل ذلك، بل ربما بصورة أفضل بكثير سيما وان المخرج لم يصنع فلما يتحدث عن سيرة حياة تسولكوڤسكي قدرما عمد الى كشف الجانب الفلسفي ـ الاخلاقي في حياة هذا العالم الكبير حقا .

ربما كان افضل مافي الفلم هو المصور فلاديمير كليموڤ الذي نجح في تقديم فن رفيع ساهم مع التكنيك المتقدم المستخدم في الاخراج على انجاز فلم ضخم ( ثلاث ساعات ) ، علما ان الانبهار بتكنيك هذا الفلم انحسر كثيرا بعد التكنيك المدهش لفلم كوپولا « ابوكاليپيس » نال الفلم الجائزة الفضية .

■ **سبعة أيام من كانون الثاني ( اسپانيا )**

**المخرج : خوان انطونيو بارديم**

**تمثيل : مانويل مارتيريس وفرناندو پولاك**

كانون الثاني عام 1977 في اسبانيا حيث شهدت البلاد اعنف صراع تمخض عن تخلي اسبانيا نهائيا عن الفرانكوية وتحولها الى النظام الديمقراطي . وقد لعبت الدور الاساسي في حسم هذا الصراع القوى الديمقراطية والنقابية

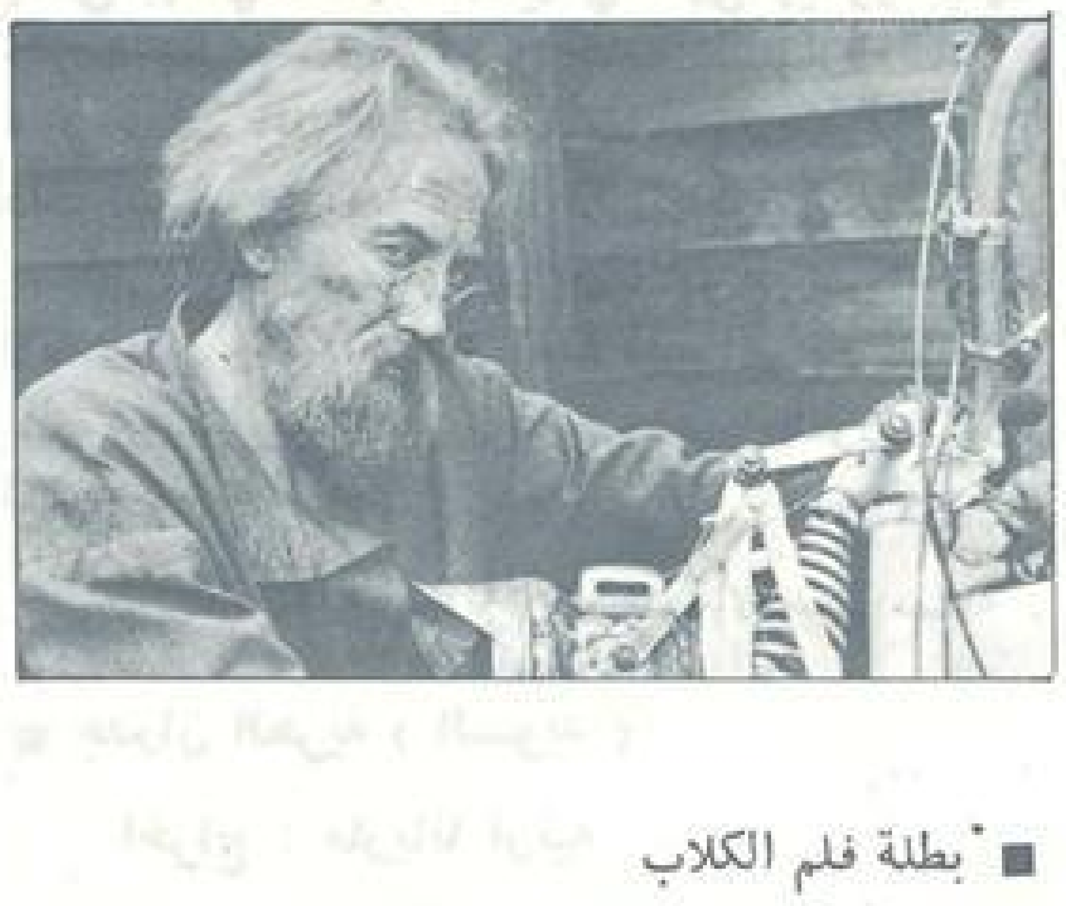

■ بطلة فلم الكلاب

■ المخرج كوپولا الولايات المتحدة

■ بطل فلم التحليق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتدخل أوسع الجماهير في الصراع .

الفلم يقوم على اساس احداث حقيقية من اغتيال واختطاف شخصيات نقابية وحكومية وعسكرية الغرض منها استفزاز العسكر وحملهم على القيام بانقلاب يميني .

منح هذا الفلم جائزة المهرجان الذهبية .

■ **انطون الساحر ( المانيا الديمقراطية )**

**اخراج : غونتررايش**

**تمثيل : اولريخ تاين وآنا ديمنا**

يروي الفلم قصة عامل ماهر ( انطون ) متمكن من الصنعة بحيث سمي بالساحر . يبدأ الفلم بمشهد دفن البطل الذي أحب الحياة وتمكن من فن التمتع بها .

وبالرغم من ان قصة انطون تروى هنا بصورة كوميدية رائعة الا انها تعكس مسالة هامة جدا هي علاقة الفرد بالمجتمع . يعود انطون من الحرب ويقرر ان يتمتع بالحياة المرفهة والجميلة الى اقصى حد . انه يحب الميكانيك والمكائن وبفضل مهارته يعيد الحياة الى عشرات المكائن ( السكراب ) ويبيعها جامعا ثروة كبيرة ( مليون مارك ) يودعها باسم عشيقته في احد بنوك المانيا الغربية . تقترح عليه العشيقة الانتقال الى الجانب الاخر لكن حب انطون العارم للمكائن ورغبته في جمع المزيد من الاموال تجعله يقرر البقاء فيما تسافر العشيقة وابنتها الى سويسرا . وسرعان مايفتضح امر انطون فيحاكم ويسجن . في السجن يجد انطوان العزاء في ورشة السجن فينغمر في هوايته الميكانيكية من جديد حتى يخرج من السجن اخيرا وقد تغيرت شخصيته تماما . ينغمر انطون مجددا في هوايته حيث يعمل في مصنع كبير ولكنه الان شخص بعيد عن العمل الفردي الاناني .

نال الممثل اولريخ تاين الجائزة الذهبية لافضل دور رجالي لتمثيله دور انطون الساحر .

■ **پورتريه تيريزا ( كوبا )**

**اخراج : پاستور فيغا**

**تمثيل : ديزي غرانادوس وادولف لپاوراد**و

الفلم مكرس لموضوع مساواة المراة بالرجل . تيريزا ورامون متزوجان منذ احد عشر عاما وانجبا ثلاثة اولاد أشقياء ككل الاطفال في العالم . تعمل تيريزا في مصنع للنسيج وتدرس في الوقت نفسه ، كما تنظم فرقة الهواة الفنية في المصنع . اما رامون فهو تكنيكي ماهر وخبير في هندسة التلفزيون ، حياة تيريزا رتيبة في ايقاعها : تستيقظ في الصباح الباكر ، تطعم زوجها واطفالها قبل مغادرتهم البيت الى العمل والروضة والمدرسة .

وقد استطاعت الممثلة ديزي غرانا دوس اداء دورها هذا بمهارة كبيرة . ان ديزي اذ تلقي نظرة سريعة على المراة قبل مغادرتها الى العمل فترى تجاعيدا على وجهها انما تجعل المشاهد يتحسس حالتها النفسية على الفور . رتابة الحياة الزوجية ، رغم الوئام بين الزوجين وحب رامون لها وللاطفال ، تجعل تيريزا تتمسك بعملها وتتقدم كعاملة نسيج وكمساهمة نشيطة في حياة المصنع الاجتماعية حيث تتمتع بحب واحترام وثقة جميع زملائها وزميلاتها . ينشأ التعقيد في علاقتها بزوجها بسبب انشغالها لوقت طويل في عمل فرقة الهواة . الزوج يثور وهي تحاول التوفيق بين رغبة رامون ورغبتها الشديدة في البقاء مع الفرقة التي يعطيها العمل فيها الكثير من السعادة والاحساس بانها عضو نافع ومرغوب في المجتمع . تتوتر العلاقة بين الزوجين ويترك رامون البيت ليعيش مع أمه ويتعرف أثناء ذلك على فتاة شابة لعوب يتخذها عشيقة له .

في هذه الاثناء تكون تيريزا مشغولة في اعداد الفرقة للاشتراك في مهرجان عالمي لفرق الهواة الفنية وتنصرف كليا للمصنع ولاطفالها . ورغم التعب الشديد الا انها تحس بولادة جديدة وتبدو كما لو انها اصبحت اكثر شبابا . تعلم تيريزا بعلاقة رامون مع عشيقته ، ولكنه سرعان مايشعر بالحب العميق الكامن فيه تجاه تيريزا فيحاول مصالحتها والاعتراف بحقها في الحياة الاجتماعية . يلتقي بها في المشهد الاخير في مقهى ويدور بينهما حديث تطرح خلاله تيريزا عليه السؤال التالي : « لو فعلت أنا ايضا مثلما فعلت انت ، فهل كان ذلك سيبدو طبيعيا ؟ » . لكن رامون يتصرف بمنطق الرجال ويعلن لها ان الامر ليس سيان لانه رجل وهي امراة . هذا الجواب يحسم الامر بالنسبة لتيريزا التي ترفض منطق رامون وتغادر المقهى .

نالت الممثلة الجائزة الذهبية لافضل ممثلة .

■ **جدران الحرية ( السويد )**

**اخراج : ماريانا آرنيه**

**تمثيل : رينتسو كاسالي وآنيكا كرونبرغ**

هذا فلم عن الحياة « الخصوصية » للسويديين كما تشاهدها عينا اجنبي ، مواطن ارجنتيني يحاول اتخاذ السويد مكان اقامته . بطل الفلم ممثل ارجنتيني يترك وطنه ويأتي الى السويد حيث يتصورها « هادئة وحميمة » .

صاحبة البيت التي يستاجر لديها غرفة تحذره بصعوبة ايجاد عمل ولاسيما في المسرح . ورغم ذلك فان سيرخيو ( بطل الفلم ) يعتبر انه قد وجد الجنة حيث الحياة الهادئة المثالية . يجد سيرخيو عملا بسرعة ( ليس في مسرح وانما في مطعم حيث يشتغل نادلا ) ، ويقع في غرام سيدة جميلة لديها طفلة وتبادله هي وطفلتها الحب . ولكنه سرعان مايكتشف ان بقاءه في السويد غير معقول فيقرر مغادرتها الى بلد اخر . خلال وجوده في السويد يسعى سيرخيو الى اقامة علاقات انسانية بسيطة مع الناس ، وخاصة مع اولئك الذين يعيش بينهم . غير انه يصطدم دائما بجدران الغربة . تبدأ صعوبات التقارب مع الاخرين من جهل سيرخيو للغة السويدية ، ولكنه يتعلمها بسرعة فائقة ولكن ذلك لايحل مشكلة التكيف : « انني هنا منذ ثلاثة اشهر ولم أتعرف على أي انسان » .. يصرخ سيرخيو ذات يوم بوجه صاحبة البيت كارين وهي اديبة تعيش

■ مخرج الفلم البولوني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وحيدة وتشكو له دائما بانها لاتستطيع العثور على موضوع للكتابة عنه . « انهم يدفعون لك عن كل سطر تكتبينه ، اليس كذلك ؟ تحدثي معي وسادفع لك عن كل كلمة تتفوهين بها » . ورغم علاقة صاحبة البيت الحسنة معه وحب انيتا وطفلتها له الا انه يشعر بغربة قاتلة ويظل حتى النهاية عاجزا عن فهم طبيعة العلاقات الاجتماعية في هذا البلد : لماذا يجب دعوة الاصدقاء قبل ثلاثة اسابيع اذا كنت ترغب في رؤيتهم الان ؟ لماذا ترسل الام طفلتها الى جدتها في القرية ضد ارادة الطفلة ؟

يرفض سيرخيو تقبل مثل هذا العالم فيغادره .

■ **السينمائي الهاوي ، بولونيا**

**اخراج ، كشيشتوف كيشليوفسكي**

**تمثيل : ييجي شتوف وايفا پوكاس**

بدا كل شيء بحدث صغير . الزوج الشاب يصبح ابا لطفلة جميلة فيقرر شراء كامرةسينمائية ليصور مراحل نموها على الشريط . وهكذا يصبح فيليب موش الموظف البسيط في معمل بمدينة صغيرة مصورا سينمائيا . في البدء يصور كل شيء في البيت : ابنته ،زوجته واحيانا مايجري في الشارع من نافذة المنزل . يجري التحول عندما يطلب اليه مدير المعمل ذات يوم تصوير احتفال ذكرى تأسيس المعمل الذي سيحضره بعض المسؤولين ايضا .

ورغم ان الفلم لم يحظ باعجاب المدير الا انه حظي باعجاب مسؤولي جمعية هواة التصوير فيشركوه في مسابقة ويفوز بالجائزة الاولى . هكذا تتفتح أمام فيليب آفاق جديدة .

وكلما ازداد تعلق فيليب بهوايته كلما ازدادت حياته في المعمل والبيت تعقيدا . المدير يثور عليه ذات مرة لانه صور فلما عن حياة عمال المعمل تظهر فيه مشاهد لاتسر عن بعض أوجه احوالهم السكنية . وفي البيت يصل الامر الى ان تهجره زوجته التي لاتفهم هواية زوجها وترى في الكامرة غريمة لها . يحدث ذلك كله ولكن يزداد تعلقا وتمسكا بهوايته التي ربما يكون قد وجد فيها نفسه ورسالته الاجتماعية في الحياة .

يؤدي كشيشتوف كيشليوفسكي دوره بكل حدية ولكنها لاتستطيع اخفاء الروح الكوميدية التي تطغي على الفلم باسره وهو ما اراده المخرج

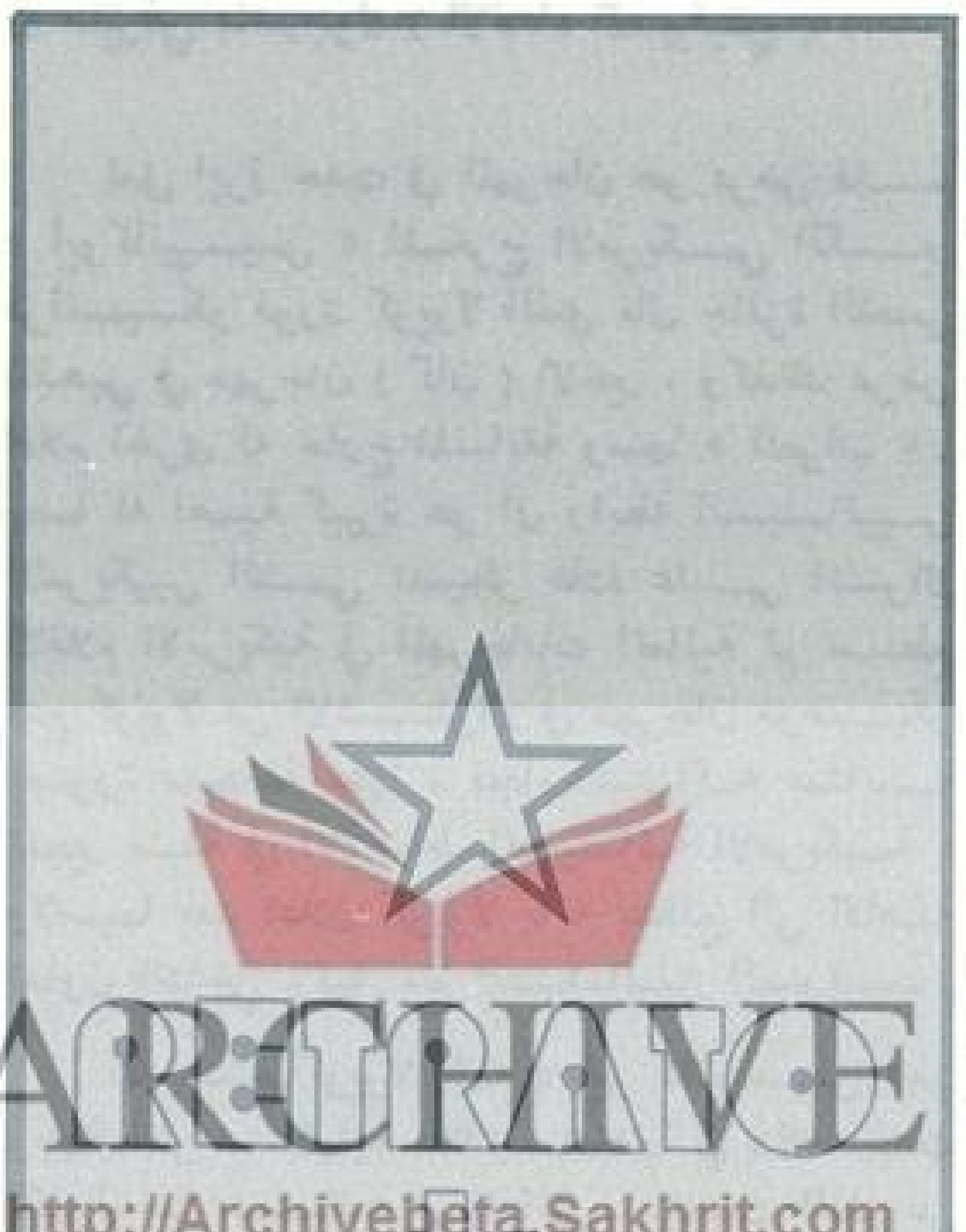


■ من منشورات المهرجان

الذي ابدع في صنعه لهذا الفلم الرائع فاستحق عليه جائزة المهرجان الذهبية .

■ **نهلة ( الجزائر )**

**اخراج : فاروق بلوفه**

**تمثيل : ياسمين خلاط ولينا طباره ويوسف صايح .**

عم تدور احداث هذا الفلم ؟ في البداية نتصور انه عن حياة مغنية لبنانية شابة ( نهلة ) ذات الصوت العذب والوجه الجميل والحياة المرحة . نهلة لا خبرة لها في الحياة ولذلك تترك الامر بيد خبراء الدعاية والاعلان الذين يحاولون عمل كل شيء من أجل خلق أوسع جمهور للنجمة الساطعة . لنهلة صديقة حميمة هي مها التي تعمل سكرتيرة تحرير احدى الصحف ،ومن خلالها يجعلنا المخرج نعيش حياة الوسط الصحفي اللبناني او مجموعة الصحفيين في جريدة مها والتي ينضم اليها المراسل الجزائري الشاب العربي الذي يتعلق بنهلة ويحبها .

تجري هذه الاحداث في بيروت بداية عام 1975 حيث تتطور الاحداث السياسية بسرعة لتعصف بحياة لبنان ، بل والمنطقة باسرها . تقع معركة كفر شوبا المعروفة في كانون الثاني فتبدا المأساة اللبنانية . اغاني نهلة العذبة الرقيقة تقطعها بين الحين والاخر اخبار الاحداث وخطب الزعماء السياسيين ،ويجد العربي الجزائري نفسه في خضم الاحداث . تتجلى براعة المخرج في ذلك الدمج القوي بين الحيوات الشخصية للناس والتي تبدو احيانا بعيدة جدا عن السياسة بمجريات الاحداث السياسية التي تلقي بثقلها على مجمل الحياة اللبنانية . يصور فاروق بلوفة التطور الذي تتعرض له المجموعة الصحفية المثقفة من خلال تقبلها للاحداث السياسية في لبنان .

اما نهلة فانها تتاثر ايضا بالاحداث . في البداية تتعرض الى صدمة قوية حين تفقد صوتها فجاة . ثم تبدأ تفهم بالتدريج بان الاغنية المقطوعة عن المجتمع هي اغنية لامستقبل لها .. ولكن حياتها تكون‌قد تسممت فتخاف تغييرها وتشاهدها في مطعم فخم بصحبة احد الاغنياء الي تغادر معه لبنان الى الخارج . وهكذا لايعد احد بمعزل عن الازمة في لبنان .

لقد نجح المخرج في نقله لفكرته الرئيسيةالى الشاشة وبصورة مقنعة :ينبغي على الجميع اتخاذ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# سينمائيو العالم في المهرجان

موقف من الاحداث الجسيمة التي تتهدد حياة الامة .

منحت ياسمين خلاط ( نهلة ) الجائزة الذهبية عن افضل دور نسائي .

**■ المسيح يتوقف في ايبولي ( ايطاليا )**

**اخراج : فرانسيسكو روزي**

**تمثيل : جان ماريا فولونتي وايرين پاپاس**

في عام 1935 نفي الكاتب الايطالي التقدمي كارلو ليفي الى ايبولي في جنوب ايطاليا ، وكان ذلك ابان استيلاء موسوليني على السلطة . وقد جمع ليفي كل مادونه في يومياته ومقالاته عن ايبولي في تلك الفترة ، وهي مادة وثائقية بحته ، في كتاب اسماه « المسيح يتوقف في ايبولي » . المنسية الواقعة خلف قمم الجبال والتي يقطنها فلاحو الجنوب الايطالي البائسون الذين نسيهم حتى المسيح حين توقف عند ايبولي ولم يدخلها ، كما يقول سكان المنطقة .

كارلو ليفي الفنان والطبيب المنفي الى قرية غاليانو في ايبولي يرى في وجوه سكانها وجوه اهالي روما القديمة . في هذا المكان النائي المنسي لازال السكان يمارسون طقوسا وعادات قديمة ، ولازالوا يعيشون وسط الاساطير والغيبية .

يقع شيء جديد في حياة هذا المجتمع القديم اذ تنعكس عليه عملية سيطرة الفاشية الايطالية على الحكم . الفنان المنفي ينغمر في حياة القرية التي يحبها بكل جوارحه . يحب طبيعتها وسكانها البسطاء الذين يعيشون بعقلية القرون الغابرة . يضعنا فرانسيسكو روزي في قلب حياة هذه القرية فيطلعنا على تقاليدها وتاريخها ومشاعر اهلها فنعشقها نحن ايضا مع الفنان المنفي كارلو ليفي . هذه الحياة العفوية تثير قلق الفنان ، ذلك لان الجهل هو ارضية خصبة للفاشية . يبدأ الفلم وينتهي بعرض لوحات كارلو ليفي عن القرية . الجانب الرابع في هذا الفلم هو أن روزي يضفي صبغة معاصرة على مشاكل الجنوب الايطالي الاجتماعية دون ان ينحرف عن محتوى كتاب كارلو ليفي الذي كتبه في عام 1945 .

انها براعة مضاعفة للمخرج : أن يبقى أمينا للنص ويقدم في الوقت نفسه عملا ابداعيا أصيلا لاشك فيه .

حصل فرانسيسكو روزي على جائزةالمهرجان الذهبية لفلمه هذا .

**■ سيرغي بندرجوك ( الاتحاد السوفيتي ) :**

لعل ابرز حدث في المهرجان هو عرض فلم « أبوكاليبسيس » للمخرج الامريكي الكبير فرانسيسكو فورد كوپولا الذي نال جائزة الغصن الذهبي في مهرجان ( كان ) الاخير ، وكذلك عرض افلام اخرى له خارج المسابقة ومنها « العراب » . ومما له اهمية كبيرة هو ان رابطة السينمائيين الامريكيين التي تسيطر عادة على اشتراك الافلام الامريكية في المهرجانات العالمية لم تستطع منع كوپولا من الاشتراك في مهرجان موسكو بصورة مستقلة عنها ، فجاء اشتراكه بمثابة تفجير قنبلة في الاوساط السينمائية الامريكية ، ولاسيما بعد اعلان كوپولا بانه يتطلع الى اقامة تعاون انتاجي وثيق مع السينمائيين السوفييت.

لقد صنع كوپولا فلمه « ابو كاليبسيس » من وجهة نظر مستقبلية حقا مستخدما في ذلك أحدث تكنولوجيا سينمائية في العالم ، يتحدث الفلم عن دور أمريكا المخزي في حرب الفيتنام ، وقد نجح في فضح هذا الدور من وجهة نظر انسانية عميقة . ولهذا الفلم قصة طويلة تعود الى عام 1969 عندما بدأ الجنود الامريكان يعودون الى الوطن من حرب الفيتنام . كانت احاديثهم عن الحرب فظيعة واقرب الى الخيال . هكذا ولد سيناريو الفلم الذي سعى الى توحيد تلك الاحاديث .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

راى كوپولا ان من الضروري تذكير الامريكان بما لايريدون ان يتذكرونه . وكان أهم ما يشغله هو مسالة الاختيار الاخلاقي الذي يتم خلال الحرب عند الحد بين الموت والحياة . يتحول أحد أبطال الفلم ، العقيد كورتس ، الذي لايعرف اية مثل اخلاقية في الحياة ، الى مجنون متوحش وابليس جهنمي حقيقي . ومن هنا تسمية الفلم « ابوكاليپسيس اليوم » ، ومن هنا ايضا رد الفعل العنيف الذي صدر عن الپنتاغون .

تحتل « السينما السياسية » مكانة بارزة دائما في مهرجان موسكو . وفي هذه المرة كانت هذه السينما متنوعة جدا . فالفلم الاسباني « سبعة أيام من كانون الثاني » للمخرج خوان بارديم كان صارما في تناوله التسلسلي للاحداث، بينما كان فلم « المسيح يتوقف في ايبولي » للمخرج الايطالي فرانسيسكو روزي عميقا في محتواه النفسي والاجتماعي . أما الفلم الهندي « پاراشورام » للمخرج ميرال سين فقد كان عرضا فلسفيا للاحداث ، في حين تناول فلم « القلعة » المجري للمخرج سينيتار الاحداث من جانب سياسي ـ فنطازي ساخر . وطرحت المخرجة السويدية الشابة آرنيه في فلمها « جدران الحرية» الحدث السياسي باسلوب دراماتيكي ، بينما فضل المخرج المكسيكي الشاب ريتيس اللجوء الى الجدل السياسي في فلمه « الراية الممزقة » .

ولكن بودي التوقف بشكل خاص عند فلم « الحاجز » للمخرج البلغاري المعروف خريستو خريستوف . ان من الصعب ان نعكس في بضع كلمات الغنى الشاعري والاخلاقي لمحتوى هذا الفلم ( ماخوذ عن قصة الكاتب البلغاري باڤل ڤيجينوف ) . لقد أبدع في هذا الفلم كل من المخرج والمصور والممثلة الشابة ڤانيا تسفيتكوڤا والممثل( السوفييتي )اينوكينتي سموكتونوڤسكي على حد سواء .

**■ فرانسيسكو روزي ( ايطاليا )**

هناك اشياء كثيرة أنا واثق منها حتى النهاية ، ولكن شيئا واحدا اظل شديد القناعة به : لكي يفعل الفنان شيئا ما في الفن لابد له ان يحافظ على اصالته وامانته لنفسه دائما . فهو في هذه الحالة فقط يستطيع الدخول الى اهم ما في الانسان ويفهم معنى وجوده على الارض . وفي هذا الحالة فقط يصبح عمله ذات اهمية بالنسبة للمجتمع . لئن حققت شيئا ما في الفن فان ذلك حدث لانني سرت بطريقي الخاص وسعيت دائما الى التفكير المستقل في العملية الابداعية .

ولكن مهما حاول الفنان الاحتفاظ باستقلاليته فانه لايستطيع منع نفسه من عدم التاثر باعمال زملائه المبدعة ولايستطيع ، بل لايجب ،انيتجاهل ما يحققونه من اكتشافات ، انني بعيد عن الرغبة في التنظير ، ولكنني اظن ان تطور السينما يعتمد كثيرا على التاثير المتبادل للتيارات السينمائية والفنية المختلفة . ومن المعروف مثلا ان السينما السوڤيتية في العشرينات والثلاثينات اثرت على السينما الواقعية في كل العالم .

**■ غابرييل غارسيا ماركيز ( كولومبيا )**

انني لست سينمائيا محترفا ، ولكن فن السينما كان يجتذبني دائما . ان هذا الفن هو وسيلة لا نظير لها للاتصال بين الناس . لقد

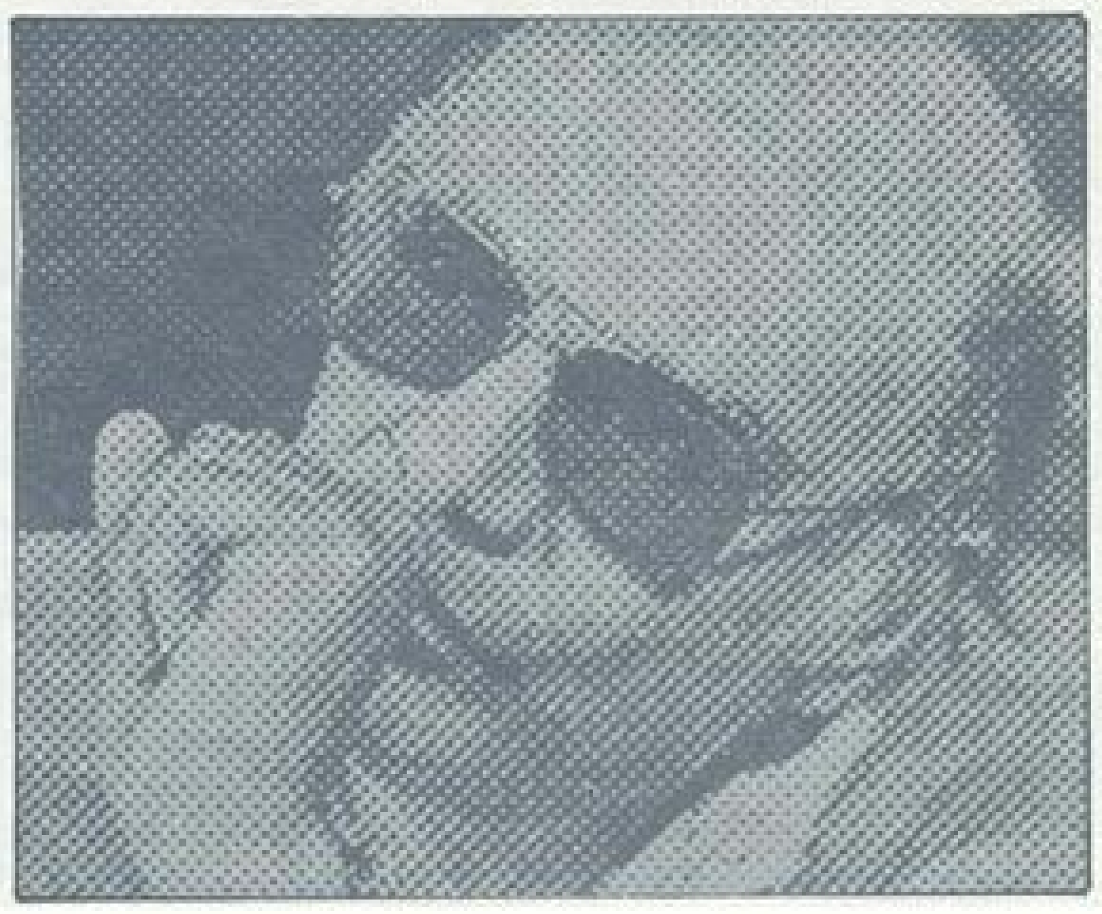

■ أميليو فرنانديس ــ المكسيك
■ بول روبرتس ــ الولايات المتحدة الامريكية
■ فرانسيسكو روزي ــ ايطاليا
■ غابرييل غارسيا ماركيز ــ كولومبيا

اصبحت السينما بمثابة أكاديمية للحياة وفي ذلك يكمن دوره الكبير في حياة المجتمع . انني أرى أن وظيفة السينما الاجتماعية هي في خدمة التفاهم المتبادل اي خدمة الصداقة والانسانية . وانني لمنجذب كثيرا للتوافق بين شعار مهرجان موسكو وبين المبدأ المذكور .

■ ول روبرتس ( الولايات المتحدة الامريكية )

قررت الاشتراك في مهرجان موسكو بعد أن شاهدت في التلفزيون الامريكي سلسلة « الحرب الوطنية العظمى » ( للمخرج السوفييتي الوثائقي المعروف كارمين والذي أعده للتلفزيون الامريكي ــ ك . ق ) . كنت اجلس مشدوها امام شاشة التلفزيون ليلة بعد ليلة وأنا اشاهد هذه الوثيقة ذات القوة الهائلة .

... انني اعتبر فلمي « بين الرجال » اسهامتي الشخصية في قضية النضال من أجل السلام . لم أكن أريد أن أقدم وعظا من الشاشة وحاولت قدر المستطاع ان اتحدث باسمي قليلا ، فقد اعطيت المجال لمختلف الناس ان يتحدثوا : للام التي فقدت ابنها في الحرب وللاولاد الذين يحلمون بان يصبحوا جنودا وللقيادات العسكرية التي تحدثت عن تربية روح التفوق في نفوس الجنود الامريكان ...

كما ضمنت الفلم مقابلات مع الجنود المشتركين في حروب مختلفة ، والتي أهمها حسبما أظن تلك التي اجريتها مع أحد رواد الحرب الفيتنامية . ان أفظع ما في حديثه هو مفهوم « نزع الانسانية » عن العدو . فلكي يستطيع الجنود ممارسة القتل باعصاب هادئة أوحي لهم بان الفيتناميين ليسوا بشرا وانما كائنات تجريدية . انها عملية مرعبة ووحشية وهمجية ، ذلك لانك حين تنزع الانسانية عن الانسان انما تنزعها عن نفسك بالذات .

انني والمخرجين لاري كلارك ومايكل شولتز المشتركين في هذا المهرجان ننتمي الى جماعة « المستقلين » في السينما الامريكية . اننا نجابه صعوبات كثيرة ، لكنني واثق بان فلمي سيجد مع الوقت جمهوره الامريكي . هكذا كان الامر بالنسبة لفلمي السابق الذي اشتهر واصبح رائجا بعد ثلاث سنوات من العرض في أمريكا ، وبعد ذلك فتحت أمامي أبواب هوليود ، لكنني فضلت العودة الى موطني أوهايو للعمل في السينما الوثائقية .

■ اميليو فرنانديس ( المكسيك )

( ... ) في عام 1926 هربت من السجن حيث دخلته قبل ذلك بثلاث سنين لاسباب سياسية ، وهاجرت الى الولايات المتحدة الامريكية . جربت العمل في هوليود تلك الكعبة السينمائية التي سمعت عنها الكثير . كان من الممتع رؤية أساتذة هوليود وهم يصنعون افلامهم. ولقد رايت ذلك . رايت كيف انهم يستطيعون تحويل كاوبوي متهور الى بطل وجعل كل أفراد قبيلة للهنود الحمر عصابة من قطاع الطرق . وكنت اتالم لذلك وأنا هندي الاصل . لم أكن اعلم آنذاك كيف يجب ان تكون السينما الحقيقية.

وذات يوم دعاني صديق لمشاهدة فلم مكسيكي سرا . كان ذلك أمرا عجيبا ، فمن أين جاء فلم مكسيكي الى هوليود ؟ ولكن صديقي قال بان ذلك ليس فلما بالمعنى المعروف ، بل مشاهد تصويرية غير ممنتجة ، وقد قام بتصويرها ثلاث فنانين روس : سيرغيه ايزنشتاين وغريغوري الكساندروف وادواردتيس .

وفي قاعة مظلمة صغيرة بهوليود رايت المكسيك فجاة . رايتها كما اعرفها واحبها والتي لم اشاهدها في اي فلم اخر .

لقد اكتشف ايزنشتاين المكسيك للعالم .. وللمكسيكيين . وقد فهمت آنذاك باننا نستطيع ويجب ان نؤسس سينما قومية خاصة بنا . عندما عدت الى المكسيك انصرفت الى السينما كليا . انني اعتبر ايزنشتاين استاذي وانني لمدين له في كل مافعلت .

اننا ، كسينمائيين ، نتحمل مسؤولية اخلاقية كبرى . فنحن نؤثر على تكوين وعي جيل كامل من الناس . وبين ايدينا سلاح فعال ذو حدين . من الممكن أن نستخدمه لتدمير المثل وتهديم الروح الانسانية . كما يمكن استخدامه لخلق مشاعر الحب والخير عند الانسان . ومازالت السينما بيد التجار فان افلام العنف والخلاعة ستغرقنا . ان من الصعب مجابهة ذلك ولكنه امر ضروري . قبل كل عمل جديد يجب أن نسال انفسنا : لاجل أي شيء نفعل ذلك ؟ اذ لايجوز العمل هكذا بدون هدف . شئنا أم أبينا فان افلامنا تخدم اما الخير أو الشر .

◆

# الماء... الاخطار والافاق

« وجعلنا من الماء كل شيء حي » ( سورة الانبياء )

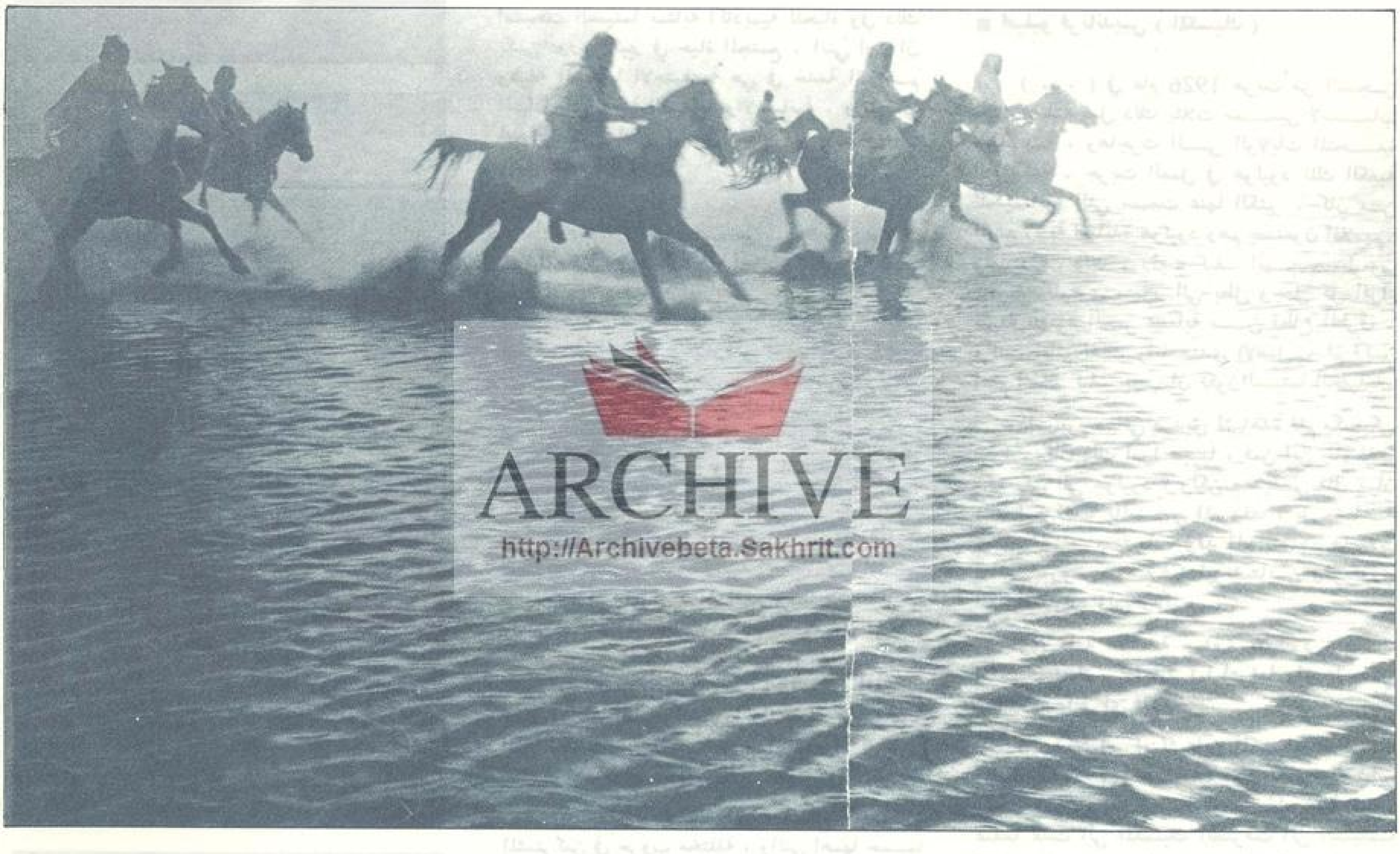

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

## مؤتمر الامم المتحدة للمياه

■ عقدت الامم المتحدة مؤتمرا للمياه بمدينة ماردبل ( الارجنتين ) من 14 الى 25 اذار 1977 وشهده 1500 مندوب من 116 دولة . وكان الهدف منه هو ايجاد الطرق والوسائل الكفيلة بسد حاجة العالم من الماء وقد واجه المندوبون مهمة رهيبة ، اذ كان الامر يقتضي استثمار نحو 100 بليون دولار في 1980 لتزويد المناطق الحضرية والريفية بالعالم بالكميات الكافية من الماء كما ان الري يتطلب استثمار 100 بليون دولار اخرى في سنة 1990 .

وقد اقر المؤتمر خطة عمل تشمل طائفة من التوصيات والقرارات الهامة تغطي الجوانب الرئيسية للمشكلة ومنها : تقدير المواد المائية وبخاصة ماء الشرب ، وترشيد استخدام الماء في الزراعة ، ومكافحة تبديد الماء والتلوث ومصايد الاسماك ، والقوة المائية الكهربائية ، والملاحة الداخلية والجوائح الطبيعية (الفيضان والجفاف) والاعلام العام ، والتعليم الفني بين البلاد النامية.

هذا والاجهزة المتخصصة التابعة للامم المتحدة ـ اليونسكو ، ومنظمة الاغذية والزراعة ومنظمة الصحة العالمية ، وصندوق اعانة الاطفال ( اليونسيف ) وهيئة الارصاد العالمية ، وبرنامج الامم المتحدة للتنمية ـ تبذل جهدا مشتركا لوضع برامج لتنمية الموارد المائية في العالم في ضوء مقررات المؤتمر .

وقد اوصى المؤتمر بان يطلق على السنوات العشر من 1980 الى 1990 اسم ، العقد الدولي لمياه الشرب والعناية بالصحة ، وان يخصص هذا العقد لوضع وتنفيذ الخطط القومية للموارد المائية بما يتفق مع الاحتياجات الاجتماعية والاقتصادية والصحية لكل دولة .

### تعريف :

.. الماء .. هذا « الجسم الرقيق المائع » كما يقول المعجميون العرب(1) الذي يشكل حوالي 80 بالمئة من حجيرات الجسم البشري والذي تاتي اهميته بعد الهواء مباشرة ، يتعرض لاكبر عملية هدر وتلويث شهدتها الارض حتى وقتنا الحاضر، انطلاقا من القول المأثور « يعمل الجاهل بنفسه ما يعمل العدو بعدوه » وهذا شأن الانسان الذي شرع منذ فترة طويلة ، وخاصة منذ بداية هذا القرن باستنزاف موارد ارضه استنزافا لا عقلانيا قائما على اساس حاجاته الانية العاجلة والمتزايدة دون التفكير في حاجاته المستقبلة ودون النظر الى مسؤوليته ازاء الاجيال القادمة ، خلافا لما ورد في القول المأثور من حكمة مؤداها « اعمل لدنياك كانك تعيش ابدا » .

**دون الماء تفشل جميع الجهود**

الجهود التي تبذل على مختلف الاصعدة وخاصة في اروقة الامم المتحدة ومحافلها في سبيل أسس وطيدة للاقتصاد العالمي ومشاريع التنمية ومقررات المؤتمرات الكبرى التي عقدت خلال هذا العقد، ستكون كلها كصرخة في واد لو لم تصاحبها مشايع كبرى لصيانة المياه والحفاظ على نقاوتها والبحث عن مصادر اخرى للماء العذب في العالم. خاصة وقد تضاعف استعمال الماء منذ بداية هذا القرن حوالي سبع مرات في حين تضاعف سكان العالم اكثر من مرتين فقط (2).

وفي هذا السياق فان مؤتمر الامم للمياه الذي عقد سنة 1977 قد ارسى قواعد متينة للسياسة المائية في العالم للمستقبل القريب والبعيد. وقرر اعتبار العقد القادم 1980 ـ 1990 عقدا دوليا لمياه الشرب والعناية بالصحة. (انظر الملحق رقم 2).

**الري المنظم منذ 6000 سنة**

وكانت هذه المنطقة (الهلال الخصيب والشرق الاوسط) منذ فجر التاريخ منطقة غنية بمياهها وخصوبة ارضها فنشأت عليها حضارات عريقة استخدمت، قبل حوالي 6000 سنة، وربما لاول مرة في التاريخ، وسائل ري متقدمة، وذلك حين نشأت في وادي الرافدين، مدن تحيط بها حقول يانعة، كان لزاما ان تستعمل في اروائها وسائل متطورة. وفي نفس هذه الفترة بدأ ري الحياض بمياه الفيضان في وادي النيل. ويقول هنري فرانكفورت «ان المساحة الممتدة من شاطيء افريقيا الغربي الى جبال بلاد فارس كانت كلها منطقة متصلة من الحدائق والاراضي المعشبة» وذلك منذ العصر الحجري الاول (3).

**هل الماء جوهر احد ام مركب ..؟**

وفي الفلسفة والعلم بقي الماء يحتل مركز الصدارة الى فترة طويلة، وخاصة في الفكر اليوناني الذي يعتبر «طاليس» (4) من رواده الاوائل، حيث جعل الماء اصل الاشياء باعتباره جوهر احادي التركيب يتكون منه كل مايوجد على الارض. واحتفظ الماء بهذه المكانة مع مااضافه له كل من افلاطون وارسطو من عناصر جوهرية اخرى اعتبرها مكونات اساسية للعالم وهي: التراب والهواء والنار. حتى اواخر القرن الثامن عشر حين اثبت بعض العلماء وعلى راسهم العالم الفرنسي لافوازييه ان الماء ليس جوهر احادي التركيب بل يمكن تجزئته الى اوكسجين وهيدروجين بنسبة 1 الى 2 ورمز له ب

**خصوصية الماء**

وبالاضافة الى مايحمله الماء من ابعاد اقتصادية واجتماعية وانسانية، فان للماء خصوصيته الكيميائية التي كانت ومازال تحير العلماء. منها ان المواد تنكمش بصورة عامة بانخفاض درجة حرارتها. وهي بهذا الحال تكون اكثر كثافة في الحالة الصلبة منها في الحالة السائلة. اما الماء فانه ينكمش فعلا عندما تنخفض درجة حرارته حتى تصل الى اربع درجات مئوية. ولكنه يبدأ بالتمدد بعد ذلك حتى يتحول الى ثلج في درجة حرارة الصفر المئوي في الظروف الاعتيادية. لذا فان الثلج يطفو بمقدار مازاد من حجمه وهو حوالي 10 بالمئة. فالجبال الجليدية الهائلة التي تطفو على سطح الماء لايبدو منها الا جزءا من عشرة اجزاء حجمها وتبقى 90 بالمئة من كتلتها غارقة في البحر (7). (انظر الجزء الاخير من الموضوع استثمار جبال الجليد).

في هذا الجزء من الموضوع ساستعرض أبعاد مشكلة الماء وتفسير الاسباب التي ادت بالمعنيين من علماء بيئة ومسؤولين اقتصاديين الى تحذير العالم من مواجهة كارثة مائية وشيكة. ثم استعراض بعض المشروعات المائية الكبرى الهادفة الى التغلب على مشكلة نقص الماء في العالم وخاصة مشاريع نقل جبال الجليد. وأرجو أن اوفق في مناسبات اخرى لبحث مسالة الزحف الصحراوي وتلوث مياه البحار، كل على حدة لغرض استكمال جوانب الموضوع.

**مشكلة الماء العذب:**

يقدر حجم الماء على الارض ب 386ر1 بليون كيلو متر مكعب وجل هذه الكميات الهائلة من المياه مالحة، (97 98 بالمئة) والباقي (2 ـ 3 بالمئة) ماء عذب. انما لا يمكن الاستفادة من هذا الباقي الا في حدود واحد بالمئة فقط، ذلك لان اكثر هذه الكمية من الماء الصالح للاستعمال متجمدة (حوالي 75٪) والغالبية الباقية تجرى في ممرات جوفية او مخزونة في أحواض في باطن الارض. اما أقل الاقل من الماء العذب الذي يجرى في الانهار او يخزن في البحيرات فان حجمه لا يتجاوز 000ر95 كم3 وهذا يمثل 26ر0 بالمائة من الماء العذب في العالم او 007ر0 بالمئة من جميع الاحتياطي العالمي من المياه. وقد شرعنا منذ فترة طويلة بتبديد هذه الكمية الباقية من الماء العذب وتلويثها واستعمالها على نحو لاعقلاني كلما امعنا في التقدم الفني واصلحنا من ذوات انفسنا بالعلاج ومقاومة الامراض، فزاد عدد النفوس بل وتضاعف خلال الخمسين سنة الاخيرة، نتيجة هذا التقدم الذي لم يصاحبه ويوازيه تخطيط اجتماعي أو عائلي.

فمن ناحية زادت احتياجات الصناعة من الماء. اذ تستخدم البلدان المتقدمة كميات متزايدة من المياه للاغراض الصناعة. فعشرة امتار مكعبة من الماء مثلا لازمة لانتاج طن واحد من زيت الوقود، ومحطة القوى الحرارية تشرب ما بين 2ر1 و 6ر1 بليون متر مكعب من الماء كل عام.

وفي بداية هذا القرن كان حجم الماء المستخدم في الصناعة لايزيد عن ثلاثين كيلو متر مكعب في السنة فاصبح حوالي 650 كيلو متر مكعب سنويا في سنة 1979 (7). اي ان هذه الكمية قد تضاعفت اكثر من عشرين مرة خلال الثمانين سنة الاخيرة. وفي نفس الفترة تقريبا ازداد استهلاك الماء في الزراعة ست مرات فقط اي من 350 كم3 الى 2100 كم3 سنويا، حتى سنة 1975. ويقدر الخبراء ان الصناعة ستستنزف في سنة 2015 مايقرب من 2750 كم3 من الماء والزراعة حوالي 4700 كم3 سنويا كما ان الاستهلاك سيرتفع الى 630 كم3. وسيكون مجموع مايستهلكه العالم من الماء حوالي 8500 كم3 من الماء العذب. فاذا قدرنا حجم الماء الجاري سنويا فوق سطح الارض ب 45000 كم3 فان الاستهلاك التقديري السنوي يمثل 19 بالمئة من حجم الماء الجاري باسره. وحتى هذا الحد لاتبدو هناك اية مشكلة لان هذا الرقم (19 بالمئة من الماء الجاري) يمثل اقل من خمس الكمية المتوفرة.. فما هو وجه الاشكال اذن..؟:

1 ـ ان الجزء الذي يمكن استثماره فعلا من الماء الجاري لايتجاوز ال 25 بالمئة اي حوالي 12 كيلومتر مكعب في الوقت الحاضر. لان ليس بالامكان استنزاف القسم الاكبر من المياه التي تجري في الانهار خاصة وان مياه الانهار تختلف

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اختلافا كبيرا من عام الى اخر وتختلف حسب فصول السنة .

2 ـ ان مياه الانهار ليست موزعة بصورة عادلة فاوربا مثلا التي يعيش فيها 20 بالمئة من سكان العالم لاتحصل الا على سبعة بالمئة من موارده العذبة . كما ان اسيا التي يعيش فيها 60 بالمئة من سكان العالم لاتزيد نسبة المياه التي تملكها عن 31 بالمئة من الماء العذب في العالم . مع اختلافات كبيرة بين منطقة واخرى الامر الذي يؤدي الى وجود مناطق جافة ومناطق غنية بمياهها العذبة لايستفاد الا من جزء يسير جدا منها . ويقول بعض الخبراء ان خمس سكان مدن العالم وثلاثة ارباع سكان الريف لاتتوفر لهم المياه العذبة بالكميات المطلوبة .

3 ـ فالمسالة تبدو اذن في الوقت الحاضر على الاقل وكانها مسالة توزيع منظم أو عادل للمياه خاصة في بعض البلدان النامية . فهناك حوالي الف مليون انسان في البلدان النامية لايمكنهم استعمال المياه الصالحة بالكمية المطلوبة . ففي الهند وبنغلاديش واندونيسيا وتايلاند وسيريلانكا ومنغوليا تدل الاحصاءات المتوفرة حتى سنة 1970 بان 88 بالمئة من السكان في الريف و 30 بالمئة من سكان المدن ليس باستطاعتهم الاستقاء من مصدر ماء عام واحد . ويقدر متوسط استهلاك الفرد في بعض مناطق افريقيا بخمسة لترات من الماء يوميا ، في حين يستهلك الفرد الامريكي 630 لترا ومن هنا يبدو ان المسالة ترتبط أيضا بالحضارة والتقدم الذي يزيد من متطلبات الفرد من ناحية ويتيح له وسائل عيش افضل من ناحية اخرى . فالمدن الامريكية مثلا استهلكت ما يقدر بألف متر مكعب من الماء في كل ثانية سنة 1965 ، وسيرتفع هذا الرقم الى 1500 متر مكعب في الثانية سنة 2020 وتعادل هذه الكمية مياه الانهار الكبرى .

4 ـ ومن المهم جدا أن نلاحظ فضلا عما تقدم ان هناك كمية معينة من المياه العذبة قابلة للتجديد سنويا وهذه الكمية لا تتجاوز 12500 كم3 وهذا الرقم لايزيد كثيرا عن الرقم التقديري للاستهلاك العالمي سنة 2015 .

5 ـ ولعل المشكلة الاساسية التي سيواجهها العالم ليس قلة المياه وحسب بل جودة المياه العذبة . ذلك لان نوعية مياه الانهار ودرجة نقاوتها تقل تدريجيا نتيجة للتلوث المستمر . فماء المطر مثلا الذي كان يسرب عادة الى داخل التربة اصبح يتجمع في المدن الكبرى في مجار مائية خاصة ليصب في النهر . ومعلوم أن ماء المطر يغسل المدينة ويطهرها ، ولكن الاوساخ ستترسب في نهر او تذوب في مياهه أو تعلق فيها . فمدينة مثل فيلادلفيا ، في الولايات المتحدة ، تقذف حوالي 2900 طن من المواد الملوثة كل يوم . كما يجرف ماء المطر معه تاكل الارصفة والشوارع والمباني التي يبلغ عددها في تلك المدينة 650000 منبى تتراكم عليها مخلفات الدخان والاتربة فضلا عن تاكل اكثر من اربعة ملايين من الاحذية واكثر من مليونين من اطارات السيارات ومخلفات الحيوانات الاليفة كالكلاب والقطط . وفي ستوكهولم يزال سنويا حوالي 850000 متر مكعب من الثلج من الشوارع ليلقى في بحيرة ملارين . ويقول الخبراء ان هذه الكميات تحتوي على 30 الف كيلو من الرصاص و 6000 كيلو من الزيت و 130000 كيلو من الملح .

6 ـ تقدر بعض المصادر الاخرى ان كمية الماء الذي يتم تفريغه في المجاري والخزانات في ارجاء العالم وفي الوقت الحاضر ، بـ 700 كم3 سنويا وسوف تزيد الكمية السنوية للمياه المتخلفة ، بما فيها الماء المتخلف عن الري على 2000 كم3 . وحتى اذا اردنا تنقية الماء المستعمل بالوسائل التكنولوجية الحديثة . فينبغي ان يمزج مع عشرة أمثال حجمه من الماء النقي على الاقل حتى يصبح جاهزا للاستعمال اما المياه المتخلفة عن بعض الصناعات الكيماوية فيجب مزجها بعد تنقيتها بنحو من 100 الى 200 مرة من حجمها من الماء النقي لتصبح صالحة للاستعمال . وفي سنة 2015 سوف يلزم لهذه العملية ما يقارب 20000 كم3 اي حوالي ضعف الكميات المتاحة من المياه أو التي يمكن استعمالها فعلا .

7 ـ من هذا يبدو ان دورة الماء في الطبيعة قد اختل توازنها بسبب استنزاف الانسان للموارد الطبيعية وتدخله غير العقلاني وغير المقصود أحيانا في بعض حلقات هذه الدورة .

### مشاريع الماء الكبرى

ربما تنبه العالم الى مشكلة الماء الصالح للاستعمال في وقت كان يعتبر فيه على شفا الهاوية . فقبل مؤتمر الامم المتحدة الذي انعقد في آذار 1977 حصلت عدة محاولات لوضع برامج متكاملة منها دراسات فريق العمل الذي انشأته

اليونسكو ومنظمة الامم المتحدة للاغذية والزراعة سنة 1971 كما وافق المجلس الدولي للبرنامج المائي الدولي التابع لليونسكو على خمس مشروعات تهدف الى تفهم افضل لمشكلات الماء في المدن وتضمنت بحث المناطق التي تتجمع فيها مياه الامطار وتلوث المياه الجوفية وأثر العوامل الاقتصادية والاجتماعية والبيئية على مياه المدن.

وتجري في العالم المتقدم في الوقت الحاضر مشاريع مهمة لتزويد المدن بالماء النقي وتطهير الانهار والبحيرات من ملوثاتها . نذكر منها على سبيل المثال المصانع التي اقامها الاتحاد السوفييتي بالقرب من موسكو لمعالجة مايقارب مليونين ونصف مليون متر مكعب يوميا من مياه نهر موسكو ، لتنظيف ماء هذا النهر بحيث أصبح بامكان السكان السباحة فيه في أيام فصل الصيف احيانا . ولحماية نهر الروهر ، الذي يجري في منطقة من أعظم المناطق الصناعية في العالم ، شرع بالقاء فضلات المصانع في رافد اخر من روافد نهر الراين ( نهر امشر ) الذي يمر بدوره بمصانع خاصة لتنقية مياهه من الملوثات .

وتزود بعض المدن في البلدان المتقدمة بالمياه العذبة من مسافات بعيدة تقدر بمئات الكيلومترات . فهناك شبكة أنابيب طولها حوالي 300 كم تزود مدينة شتوتغارت بالمياه العذبة . كما يوجد في السويد خط انابيب بهذا الطول لتزويد مقاطعة مالمو . وقد انشأت قناة مائية طولها 1100 كم وحجم تصريفها 167 متر مكعب في الثانية لسد حاجات مدينة كاليفورنيا من المياه العذبة . كما أقيمت في العراق مشاريع مائية كبرى مهمة منها سدي دوكان ودربندخان ومشروع الثرثار وسد حمرين وهناك سدود ومشاريع ري أخرى فيسبيلها الى التنفيذ ويحتاج بحثها الى موضوع نتركه للمتخصصين .

قلنا في بداية هذا الموضوع ان حوالي 75 بالمئة من المياه العذبة توجد على هذا الكوكب بحالة صلبة اي متجمدة . لذا فقد اتجهت الانظار الى امكانيات الاستفادة من هذه الكتل الجليدية الضخمة التي تحتوي على مياه غاية في النقاوة وغالبا ماتكون خصائصها مقاربة للماء المقطر .

وقد قدرت كتل الثلوج العائمة التي تنفصل سنويا عن اصولها لتطفو وتضيع على سطح ماء المحيط ، بحوالي 10000 بليون متر مكعب . ويقال ان هذا التقدير هو اقل بكثير من الواقع لان مساحة بعض الكتل الثلجية الكبرى قد تصل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الواحدة منها الى 350 كيلومتر طولا و 90 متر عرضا و 250 متر سمكا ، أي ان مساحتها تقارب مساحة بلجيكا ، ويحتوي مثل هذا الجبل على 8000 مليون متر مكعب من الثلج . ويقدر العلماء ان جبلا تبلغ قياساته 74 كم طولا و 40 كم عرضا و 230 الى 345 متر سمكا يمكن ان يغطي احتياجات كالفورنيا من الماء العذب لقرون من الزمان .

ومشاريع استغلال جبال الجليد هذه كانت وماتزال مشاريع اسطورية قد يصبح تحقيقها أمرا واقعيا في خلال العشر سنوات القادمة . وقد بدأت الفكرة تتبلور حينما طرح الامير محمد الفيصل على العالم الفرنسي المعروف ببحوثه القطبية ، بول اميل فكتور منذ أيلول 1975 سؤالا يتعلق بامكانية سحب أحد جبال الجليد من القطب الجنوبي الى احد الموانىء السعودية . ويقول هذا العالم الذي نشر مقالا حول الجبال العائمة في رسالة اليونسكو ، « ان منطقة ميناء جدة الواقع على البحر الاحمر التي لاتتجاوز كمية الامطار التي تسقط عليها بضع سنتمترات في السنة يمكن ان تسقط عليها امطار معدلها 2 متر في السنة اذا احيطت بحزام اخضر عرضه 20 كيلومترا ، وبذلك تصبح المنطقة واحة خصبة خلال بضع سنين » .

وقد شكلت لجنة علمية دولية قوامها عشرة علماء متخصصين انبثقت عن مؤتمر « أيوا » الذي عقد لهذا الغرض لدراسة هذا الموضوع وتقديم نتائج ابحاثها فيه خاصة لان الحاجة ماسة الى مزيد من المعلومات حول جبال الجليد العائمة وضغوطها الداخلية وفرجانها وتشققاتها ونقاط ضعفها الاخرى .

## مواصفات خاصة لجبل الجليد الذي يزن 100 مليون طن

ان الحجم الاقتصادي المناسب لجبل الجليد ينبغي ان يكون في حدود 100 مليون طن وذلك من أجل ان يعطي الكمية المناسبة من الماء حين وصوله الى نهاية المطاف . وهناك بالاضافة الى هذا مواصفات خاصة اخرى .وتوجد هذه الانواع من الجبال الثلجية في القطب الجنوبي في القطاع الباسفيكي والقطاع الاطلنطي والقطاع الهندي . ويمكن اكتشافها عن طريق تحليل الصور التي تلتقطها الاقمار الصناعية .

ومن المشاكل الرئيسية التي تواجه العلماء هي تحاشي ذوبان الجزء الاكبر من هذه الكتلة الثلجية الهائلة او محاولة الحفاظ على اكبر كتلة ممكنة من الثلج لاطول فترة ومسافة ممكنة . ولا يخفي ان كتلة طافية من هذا النوع تتعرض للذوبان لعدة اسباب منها : اشعة الشمس والتحات الذي تسببه الامواج المتراطمة على جوانب الكتلة الثلجية ، وماء البحر ذاته الذي تختلف درجة حرارته عن درجة الثلج ، وترتفع كلما توغلنا نحو الشمال وتحات الريح والتيارات البحرية وحركة الجبل ذاته .

وقد اقترحت عدة حلول لهذه المشاكل تنصب جميعها تقريبا على تغطية الجبل بمختلف المواد العازلة والعاكسة للضوء وبلفائف تغطي حتى الجزء الغاطس منه عن طريق تثبيتها بعوامات مملؤة بالهواء ، اي تغليف الجبل من جميع جوانبه .

وتبقى بعد ذلك أكثر المسائل تشويقا وأثارة وهي كيفية تسيير جبل الثلج الهائل وتوجيهه الوجهة المطلوبة . فهناك عدة اقتراحات نظرية ماتزال تخضع للدراسة والبحث . فهناك اولا طريقة تقليدية معروفة بسحب الجبل العائم بالبواخر ذات القدرة الحصانية العالية . وقد قدرت المحركات المطلوبة لسحب جبل جليد وزنه 100 طن بحوالي خمسة الى ستة محركات من اقوى مايوجد في العالم اي بقوة 125 طن لكل محرك . وهناك عدة مقترحات مثيرة اخرى ،منها على سبيل المثال وضع محركات تثبت في احدى جهات الكتلة ، تعمل بالطاقة الكهربائية المستمدة من محركات تبنى فوق سطح الجبل أو فوق سفن مرافقة . كما ان هناك مقترحات اخرى للاستفادة من الطاقة الشمسية التي تسقط على سطح الجبل الجليدي .

وبعد ان تصل الرحلة الى نهايتها ، بعد مرور 8 ـ 9 اشهر وبسرعة كيلو مترين في الساعة ( تقدر المسافة احيانا ب 6000 ميل بحري ) ، يبقى جبل الجليد بعيدا عن الساحل تبعا لعمق الجرف القاري يمكن بعدها سحب الماء الذائب الى الشاطيء بواسطة الانابيب بعد ان تنشأ على اليابسة خزانات ماء ضخمة وشبكات تموين . وهنا لابد من التعجيل في ذوبان الثلج لان أشعة الشمس سوف لاتكون كافية لسرعة الذوبان المطلوبة . وتنشأ في مثل هذه الاحوال احواض على سطح الجبل تزود بوسائل تذويب حرارية اضافية .

ان هذه العملية على ضخامة تكاليفها تعتبر عملية اقتصادية بالنسبة للتكلفة الباهظة لاستخلاص الماء العذب من ماء البحر المالح . اذ تنخفض الكلفة بنسبة مابين 30 الى 50 بالمئة . ويقول الاستاذ اميل فكتور « ان انتاج الماء العذب عن طريق نقل الجبال الجليدية العائمة هو عمل من الاعمال البالغة الابداع والمثيرة جدا في زماننا » .

## الهوامش

1 ـ يعود اصل كلمة ماء الى « موه » قلبت الواو الفا لتحركها بعد الفتحة ثم ابدلت الهاء همزة ، وتصغيره مويه ، والنسبة اليه مائي وماوى ، جمعه مياه وامواه وربما قالوا امواء بالهمزة . ويقال موه الموضوع تمويها صار ذا ماء ، والقدر اكثر ماءها . وموه الخبر على فلان اخبره بخلاف ماساله وزوره عليه ولبسه لكانه جعل له ماء ونضارة حتى تبدو ... ، وماهت السماء اسالت ماء كثيرا واماهت الارض نزت ( محيط المحيط ، مادة م و هـ ) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وفي اللغة اللاتينية جاء الماء بصيغة AQUA حيث اخذت منها الكلمة الاسبانية AGUA والايطالية ACQUA والفرنسية EAU . وفي اللغة الجرمانية القديمة التي هي اصل اللغات الانكلوسكسونية ، جاء بصيغة WAZZAR ثم اصبحت بالالمانية WASSER وفي السويدية WATTEN وفي الدانماركية VAND . اما في الروسية ـ واصلها سلافية ـ فصيغة الكلمة VODA وربما تكون مقتبسة عن الجرمانية القديمة هي الاخرى .

وقد وردت في بعض المعاجم الاجنبية القديمة والحديثة عدة تعاريف للماء نذكر منها على سبيل المثال التعريف الذي اورده قاموس « ويبستر » الدولي الموسع الصادر سنة 1935 ان الماء « هو السائل الذي ينزل من السحاب كمطر والذي يشكل الانهار والبحيرات والبحار » اما التعاريف التي توردها المصادر الاخرى كدائرة المعارف البريطانية وموسوعة لاروس فانها تنصب على تعريف الجانب العلمي فتقول موسوعة لاروس الكبرى مثلا « ان الماء مادة ليس لها لون ولا طعم ، ولا رائحة ، سائل في درجات الحرارة الاعتيادية ، يتكون من الاوكسجين والهيدروجين » وتعرفه دائرة المعارف البريطانية فتقول ، في بداية شرحها المفصل للماء ، بانه « مركب كيمياوي يحتوي على ذرتين من الهيدروجين وذرة واحدة من الاوكسجين $H_2O$ وهو واحد من اوسعها انتشارا. ويوجد في الطبيعة على ثلاثة اشكال : صلب وسائل وغاز » .

2 ـ يقدر سكان العالم سنة 1900 بحوالي 1670 مليون نسمة وقد اصبح الان 4000 مليون وسيقفز الى 7000 او 8000 مليون سنة 2015 . وفي حين قدر اجمالي استهلاك العالم من الماء العذب في بداية هذا القرن بحوالي 400 كيلومتر مكعب فقد اصبح 2800 كيلومتر مكعب الان وقد يقفز الى حوالي 8500 كيلومتر مكعب سنة 2015 .

3 ـ هنري فرانكفورت ـ فجر الحضارة في الشرق الادنى ، االطبعة العربية ترجمة ميخائيل خوري ص 36 .

4 ـ من بين علماء اليونان الاقدمين ، الذين نظروا الى الطبيعة نظرة علمية موضوعية ، يبرز « طاليس » ( 624 ـ 546 قبل المسيح ) . كواحد من الحكماء السبعة ، الذين يقال ان لكل حكمة . وحكمة طاليس « ان افضل الاشياء هو الماء » باعتباره اصل لكل الموجودات او العنصر الاصلي الذي تتكون منه سائر العناصر الاخرى . واضاف بانالارض مرتكزة على الماء . ويقول برتراند رسل ان قول طاليس ان كل شيء مصنوع من الماء يمكن اعتباره فرضا علميا وليس هو بالقول الهراء . خاصة وان هناك راى ساد في فترة معينة ( في العشرينات ) بان الهيدروجين هو العنصر الذي تتالف منها كل الاشياء وان الهيدروجين يؤلف ثلثي الماء . ويذكر ان طاليس كان قد تأثر الى حد بعيد بافكار العلم البابلي والمصري لذا فقد استطاع ان يتنبأ بالكسوف على اساس الجداول البابلية ( يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانيه ـ الطبعة الخامسة ـ ص 12 . وبرتراند رسل ، تاريخ الفلسفه الغربية ، ترجمة نجيب محمود واحمد زكي ، ص 57 وما بعدها .

5 ـ لاحظ العالم الفرنسي جوزيف ماكيه ، سنة 1775 ، بان هناك قطرات من الماء تتكون عند اشتعال االهيدروجين . وفي انكلترة اوضح « هنري كيفندش سنه 1781 ان الماء يتكون من اتحاد الهيدروجين الذي اسماه » الهواء القابل للاشتعال بالاوكسجين الذي اسماه « الهواء الحيوي » . وقد استطاع لافوازيه في سنة 1883 ان يقوم بتحضير الماء صناعيا من اوكسجين وهيدروجين ثم أجرى عملية لتحليل الماء الى هذين العنصرين فاثبت بذلك كون الماء يتكون منهما بنسبة ذرتين هيدروجين وذرة اوكسجين ($H_2O$) ( رسالة اليونسكو العدد201 ، ص 15 ـ 16 )

6 ـ ان كثافة الماء في درجة حرارة 4 مئوية ، عندما يكون بمستوى سطح البحر ، واحد . اما كثافة الثلج في نفس الظروف فتبلغ 0٫917 ( دائرة المعارف البريطانية تحت مادة ICE ) .

7 ـ الارقام مستلة من رسالة اليونسكو ، عدد 201 .

# مؤتمر الأمم المتحدة للعلم والتكنولوجيا من اجل التنمية

■ لقد عرضنا في مقال سابق بعضاً من وجهات نظر علماء وكتاب من العالم الثالث وفي هذ المقال سنذكر بعض وجهات نظر علماء وكتاب مجموعة من الدول الغربية ومن متابعة وجهات النظر هذه يبدوا بان هنالك خلافا كبيرا مابين المجموعتين .

لقد قامت الكثير من الدول الغربية باقامة مجموعة كبيرة من اللجان التحضيرية والمؤتمرات لمناقشة النقاط والقضايا التي ستثار في مؤتمر الامم المتحدة كما شكلت لجان متابعة تعمل من أجل متابعة المقررات التي ستصدر عن مؤتمر الامم المتحدة .

لقد تمثلت اراء كتاب وعلماء الدول المتقدمة بعدم الانسجام والاختلاف في علاقة العلم والتكنولوجيا بالتنمية في العالم الثالث ففي حين صدرت بعض الاراء من بعض هؤلاء الكتاب متميزة بجهد واضح وجدي لمعالجة مشاكل الدول النامية فان الاراء الاخرى قد مثلت الرؤية التي تطرحها الحكومات الغربية والشركات المتعددة الجنسية لمعالجة مشاكل التنمية في الدول النامية ودور العلم والتكنولوجيا في حل هذه المشاكل لقد ركز كتاب المجموعة الاولى على اهمية الاعتماد على النفس وعلى تنمية القدرات الذاتية للدول النامية باعتبارها الاساس الذي يمكن ان تقوم عليه اية تنمية جدية واعتبروا الدول النامية متخلفة بصورة واضحة في هذا المجال ولقد قدم كل كاتب وجهة نظره في الطرق المؤدية الى تنمية القدرات الذاتية في مجال العلم والتكنولوجيا واهمها تنمية جماهيرية علمية لدى اكبر مجموعة من السكان وخلق وعي تكنولوجي في المراحل الاولية من الدراسة وتنمية الكوادر الوسطية والفنية واقامة معاهد علمية تهدف حل المشاكل التي تعترض التنمية . أما كتاب المجموعة الثانية فقد قدموا مجموعة كبيرة من الاراء فقد ركز بعض الكتاب ومنهم ياري شرمان على الدور الذي يمكن ان تلعبه الصناعات الالكترونية في تنمية العالم الثالث وفي تمكينه من اللحاق بالدول المتقدمة لان هذه الصناعات بامكانها ، كما يعتقد الكاتب تنمية القدرات الذاتية للعالم الثالث وفي دفعه لتصدير المنتجات الالكترونية باسعار ملائمة الى الدول المتقدمة ، ويضرب المؤلف مثلا على ذلك تجربة هونك كونك وبورما وكوريا الجنوبية هذه الدول التي سمحت للشركات متعددة الجنسية بانشاء الصناعات الالكترونية الى جانب صناعات اخرى مستغله رخص الايدي العاملة فيها ثم قامت بتصدير منتجاتها الى

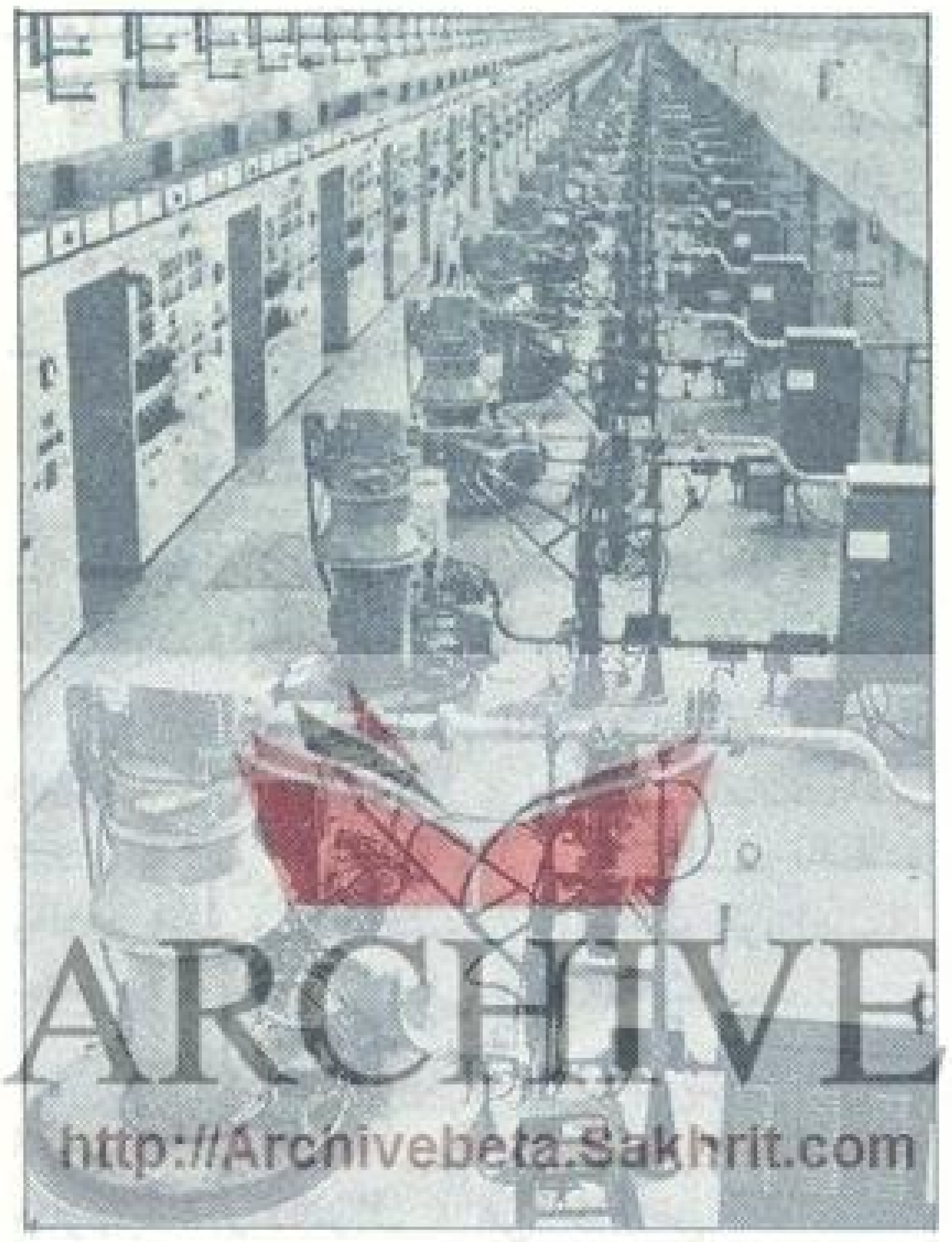

أسواق الدول المتقدمة وبذلك وفرت عملا لمجموعة كبيرة من الافراد ، في نفس الوقت الذي وفرت فيه موادا كانت تحتاجها لاستيراد هذه البضائع وبذلك فانها قوت اقتصادها . لقد مضت الكاتبة دوري دوريورن بنفس الاتجاه فذكرت بان الدول النامية تحتاج الى تنمية سريعة هذه التنمية التي يجب ان تعتمد على العناصر التالية :

1 ـ رأس المال .

2 ـ التكنولوجيا .

3 ـ المعرفة العلمية والتقنية .

4 ـ الارادة السياسية .

5 ـ الظروف الملائمة .

6 ـ ارادة الشعب للتقدم .

وتذكر المؤلفة أن بامكان الشركات متعددة الجنسية توفير العناصر الثلاث وهي رأس المال والتكنولوجيا والمعرفة في حين أن على الدول النامية توفير العناصر الباقية . وتذكر المؤلفة بان السبب في عدم نجاح الدول النامية في تحقيق أية تنمية هو عدم ثقتها بالشركات المتعددة الجنسية وتذكر بان هذه الشركات تلعب دورا أساسيا في عمليات نقل التكنولوجيا الا ان الدول النامية تتناسى هذه الحقيقة . أما جون كريون فهو يرى بان سبب تخلف الدول النامية في مجال التنمية هو افتقارها للدافع الذاتي والاستراتيجية واضحة في مجال التنمية مما يخلق هوة في توزيع الثروة والانتاج داخل الدول النامية نفسها وبالتالي فان هذا الوضع ينعكس على مجمل العلاقات مابين الدول النامية والمتقدمة ويذكر الكاتب بان الدول النامية لم تستفد لحد الان من امكانياتها وخاصة الزراعية بل بالعكس فانها تعتمد على الدول المتقدمة في توفير الغذاء لذلك نجد بان هنالك 70 مليون نسمة على شفا الموت في العالم الثالث والسبب هو ان الدول النامية بدأت تعتمد على الزراعة ذات الراسمال الكثيف وتركت اتباع الوسائل التكنولوجية التقليدية ، هذه الوسائل التي تطورت في بيئة ملائمة وخلال تجربة اجيال عديدة . ان اعتماد الدول النامية على التكنولوجيا الحديثة قد ادى الى خلق بطالة كبيرة في صفوف الفلاحين مما ادى بدوره الى تخلف اقتصاديات الدول النامية لا الى تقدمها .

لقد تخوف الكثير من الكتاب الغربيين من أن يركز المؤتمر على مسالة نقل التكنولوجيا . هذا الموضوع الذي أصبح يثير الكثير من المشاكل مابين الشمال والجنوب خاصة في مؤتمرات الانكتاد لان الدول الغربية تعتقد بان استعمال العلم والتكنولوجيا لخدمة التنمية يحتاج الى اقامة معاهد علمية ومؤسسات وبان أفضل طريقة لنقل التكنولوجيا هي عن طريق الشركات المتعددة الجنسية في حين تعتقد الدول النامية بان من واجب الدول المتقدمة رفع الحواجز أمام انتقال التكنولوجيا من الدول المتقدمة الى النامية وان عدم مساهمة العلم والتكنولوجيا في تنمية الدول النامية ياتي بسبب احتكار الدول المتقدمة للتكنولوجيا التي تحتاجها الدول النامية .

بات من الواضح بان مؤتمر العلم والتكنولوجيا من اجل التنمية سيعكس كثير من الخلافات التي اثيرت في المنظمات التابعة للامم المتحدة ، هذه الخلافات التي تعكس في الحقيقة ، وجود دول مستغلة تحتكر التكنولوجيا ودول نامية تحتاج للتكنولوجيا ولا تحصل الا على التكنولوجيا التي لاتخدم بالنتيجة النهائية التنمية فيها بل بالعكس لتسهم في زيادة الصراع الاجتماعي والاقتصادي داخل الدول النامية وغياب الاستقرار اللازم لاحداث التغيرات الاقتصادية في الاتجاه الصحيح .

◆ د . سلمان رشيد سلمان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# فنون

## ماهي حصيلتنا في عالم الفنون التشكيلية

■ في السنوات العشر الاخيرة اجتاحت العواصم المغربية ، موجة من المعارض الفنية ـ للهواة والمحترفين ـ تختلف اتجاهاتها ، ومدارسها ، واساليبها ، باختلاف المستويات الفكريــــة والثقافية لاصحابها .

فالمتتبع لحركة الفن والادب بالمغرب ، يدرك بسرعة ان فن الرسم والصباغة طغى على مختلف الفنون الاخرى ، بل ان بعض الادباء والنقاد قد تخلوا عن الحرف والكلمة ليعـــانقوا الالوان ، والصبائغ ، باحتراف كبير ـ كما حدث للفاطمي ، محمد الفاطمي ، وكمال الزبـــدي ـ ليخوضوا معركة الظل واللون والخط بكل ما فيهـــا من مغامرة ، من هذه الزاوية اجدني اتساءل بــكل حسن نية :

(1)

ان الاجابة على هذا السؤال ستكون حتما صعبة ، وغير خاضعة للمقياس ، اذ ان النقد الذي كان في استطاعته مواكبة هذه الحركـــة وتوجيهها ، والدخول في اغوارها ، واعماقهـــا والذي كان في استطاعته اعطاءنا اجابة صحيحة على هذا السؤال ، كان غائبا طوال هذه السنوات ، ونتيجة لفقرنا ، لم نتبين لحـــد الآن اتجاهات الرسامين ولا ملامح مدارسهم او اهمية اعمالهم ، لذلك فان الحديث عن حصيلتنا في عالم التشكيل سيكون حديثا تقريبيا وقابلا للنقاش والمراجعة.

بنظرة سريعة على الاسماء التى ظهرت اعمالها خلال هذه السنوات يتبين لنا ان صور النشاط التى عكستها هذه المعارض المتتابعـــة ، والتى ما زال سيلها لم ينقطع غيرت المعالم التي يمكن استخلاصها ، وهى ان اغلب الانتاجات قـــد خرجت عن الاسلوب الاكاديمى وعن بريـــق الانطباعية الذي كان من سمات الستينات .

ففي الوقت الذي نرى فيه الكثير من الفنانين الشبان يحاولون الانتاج بشتى السبل لتنظيم معارضهم ، دون محاولة الانتماء او اتخاذ موقف ، او التاطر في مدرسة نجد ان معالم الغضب المعبرة عن الصراع ، والصرخات المكتومة ، قد سيطرت على بعض الاعمال الفنية ، في حين ان لوحات « الصالون » بمضمونها الدارج التقليدي قـــد اختفت تماما بينما حلت محلها الموجـــة التجريدية التي وصلت الى مداها وسادت اعمال اغلبية الفنانين الجدد والقدماء ..

اذا كانت هذه هي السمات الحقيقية فان اسئلة اخرى تطرح نفسها علينا بالحاح :

ـ ما هي الوضعية التي يوجد عليها فن التشكيل في المغرب في الوقت الراهن ؟

ـ ما هي مكانة الرسام المغربي من تاريخ الفن الاسلامى الذي عرفه المغرب في الماضي ؟

ـ ما موقف الفنان المغربى من القضايا المطروحة على مغرب اليوم ، هل يتمتع الفنان المغربى بوعي للاحداث ؟

ـ هل يفي الرسام المغربي بمتطلبات المرحلـــة والمكان والجمهور ؟

اعتقد ان الازدحام الذي عرفتــه قاعات المعارض ورواد المدارس ، والاتجـــاهات التي تتضارب بين الواقعية والرمزية والســريالية ، والتجريدية ، والوحشية والفوضوية و(الهيبية) جدير به ان يجيبنا على هذه الاسئلة ..

فالى عهد قريب كان المغرب يتوفر على فن الزخرفة الاسلامية ، وكانت القصور والمساجد والزوايا ، والاسواق ، هي المعارض الدائمة لهذا الفن الذي يتوفر على اشكال هندسية رائعة ، وعلى ضروب من الجمال والابداع ، وكانت هذه الزخارف والتزاويق تعبر بجلاء عن الذهنيـــة المغربية التى تميل نحو الدقة والابداع .

ولقد كانت الفنون الاسلامية مصدر الهام للتجريد التعبيري لكثير من الفنانين العالميين ، في حين ان فنانينا الذين عرضوا في السنوات السابقة لم يلتفتوا نحو هذه الزاوية ، باستثناء الفنان محمد بنانى ، الذي حاول بناء شخصية وطنية على اسس الخط العربى ، والزخرفـة الاسلامية في معرضيه لسنة 1966 ، 1967 ..

فلا ادري ، هل يريد الفنانون المغاربة قطع الصلة بالماضي ام انهم غـــير مدركين لخطورة موقفهم من هذه الناحية ..

(2)

ان مفاهيم المجتمع الحديث تدعونـــا الى تعميق مفهوم التراث وتوسيع نطاقه . فالمغرب الذي يقف بين قارتين ـ افريقيا واوربا ـ يدعونا الى ان نتعمق الفنون الاسلامية والزنجية وكذا حضارة اوربا الحالية لنقدم للعالم اروع درس في التزاوج بين روحانية الفن وصدق تعبيره ، والمواءمة بين الموضوع واساليب التعبـــير الحديث .

ان عدم ادراك المغربى لهذه الحقيقة جعله ـ مرغما ـ يتعثر بين التقليد والتجديـد ، فهو نتيجة عدم ادراكه لم يصل الى مستوى النضوج الفكري ، والابداع الفني ، في حين انه قطـــع العلاقة بينه وبين الماضي ، ليصبح انسانا بـلا وجه ، وبلا جنسية ثم انه لم يصل الى مستوى الحاضر ليعيش عالمه ، وعصره وواقعه .. وليسمح لي الاخوة الرسامون ، لاؤكد لمعظمهم ، اننا اذا القينا نظرة تفقدية واجمالية على المواسم السابقة ، سينتابنا الاستغراب لتضارب الاتجاهات ، فالكثير من الرسامين لا يركزون جهودهم من اجل وضع معالم محددة للرسم في حدود المغرب ، طبيعته ، وامكانياته وقضاياه في حين يعملون باخـــلاص من اجل الذوبان في شخوص واتجاهات اجنبية تنمو في اوربا وامريكا لا صلة لها بواقعنا ولا بعالمنا ، وبثقافتنا ، واذواقنا وحضارتنا ..

ان ( القاسمي ) ، و (بورقبة ) ، و ( مغارة ) ، و ( المليحى ) ، و ( ابن الشفاج ) ، و ( اليعقوبى ) ، كفنانين اولا ، ومثقفين ثانيا ، كان عليهم ، ان ينتبهوا ، الى هذا الوضع منذ البداية ، وكان من حقهم كرواد ان يسهموا في بناء الشخصيـــة الوطنية ، والانسانية لفن الرسم في المغرب ، ولكن غربتهم المستمرة وانفتاحهم المطلق على الآفاق الاخرى جعلهم يعملون لا شعوريا على تعميـــق الغربة ، عوض ان يعملوا على وضع معـــالم محددة لفن التشكيل في حدود المغرب وامكانياته الثقافية والحضارية ، اني هنا لا اشطب على ملامح الابداع الفنى ، والاجتهاد عنـــد هؤلاء الفنانين ، فهم من حيث النزعة العالمية المشتركة ، ومن حيث الاسلوب الجديد ، فنانون كبار ، ولكنهم ، على المستوى الوطنى ومن حيث عدم ملاءمتهم لعالمهم ( الاصلي ) ، يعتبرون غـــرباء مهاجرين في عالم مضبب .

ارجو ان لا يفهم ايضا من كلامي هذا انى ادعو الى اقليمية في الفن .. بل على الفن ان يكون انسانيا ، ولكن انسانيته يجب ان تكون منبثقة من ارض وتاريخ وثقافة المغرب .

(3)

يقول الاستاذ محمد شبعة في هـــذا الموضوع :

« اننا لا يمكن ان نكون اصليين باتجاهنـــا اتجاها تمثيليا في اللوحة ، وكيف يجدر بنا ذلك في الوقت الذي تتجه الابحاث التشكيلية في المغرب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الى الرمزية والتجريد بعد ان تخلت عن تقاليدها الكلاسيكية ، محاولة الاستفادة في بحثها الجديد من ذهنيتنا نحن للوصول الى تجديد ، ورمزية وفن ينسجم معها قد يكون اساسا لفن المستقبل. وهذا الخطأ في فهم الفنون التشكيلية قد دفع هؤلاء المثقفين الى الخلط بين اللغة التشكيلية ، واللغة الادبية ، وبالتالي الى عدم فهم الوظيفة الحقيقية للوحة : اذ يطلبون من اللوحة ان تحكي لهم حكايات ، ان تصور لهم احداثا ، كما لو كانت ، ربورتاجا او سجلا قصصيا ، وهم يطلبون بذلك ان تقوم اللوحة بنفس المهمة التي تقوم بها الجريدة او الكتاب او الصور الفوتوغرافية ، وفي هذا خلط خطير لخصائص اللغات وماهيتها ، فاذا كنت اطلب من اللوحة ان تسجل لي حدثا فقط فانه الاجدر بي ان اقرأ روبرتاجا في جريدة فلربما كان اوضح واوفى » .

ان اللغة التشكيلية لا تخضع لمقتضيات اللغة اللفظية او الادبية ، فكل منهما قائمة بذاتها لها خصائصها وقوانينها ، ولا تحتاج اية واحدة منهما الى الاخرى لتقوم بمهمتها كاملة ، غير انهما تشتركان مع اللغات الاخرى — الرياضيات ، الموسيقى ، المسرح .. الخ في تجسيم العقلية الانسانية وحضارتها .

## ( 4 )

ان بعث ثقافة قومية حية ، جذورها التراث ، وآفاقها التقنية الحديثة ، اصبحت محل عناية كبيرة في البلدان المتحررة حديثا فالثقافة القومية للشعوب العربية والافريقية قد اضطهدها النظام الاستعماري من قبل محاولا ايجاد قطيعة بين الشعوب المستعمرة وبين حضارتها العريقة ، فمن اعنف الحملات التى وجهت ضد الثقافة المغربية ، وضد ثقافة الشعوب الافريقية الاخرى ، هي تلك الحملات المتمثلة في الشعارات واللافتات التى رفعت على رؤوسنا ، وقد كتب عليها ، انها « شعوب غير رشيدة » ليست لها فن أو ثقافة وكل المظاهر الحضارية الموجودة في المجتمع الافريقي هي محاولات صبيانية .. الخ » فاذا كان استقلال الشعوب الافريقية قد مزق تلك الشعارات ، فعلى هذا الاستقلال ايضا ان يبعث من التراث كأرضية وعن التقنية كآفاق ، ثقافة جديدة متميزة في موضوعها واطارها .

من هنا فان الضرورة تفرض على الرسامين المغاربة ، بناء شخصية وطنية لفن التشكيل

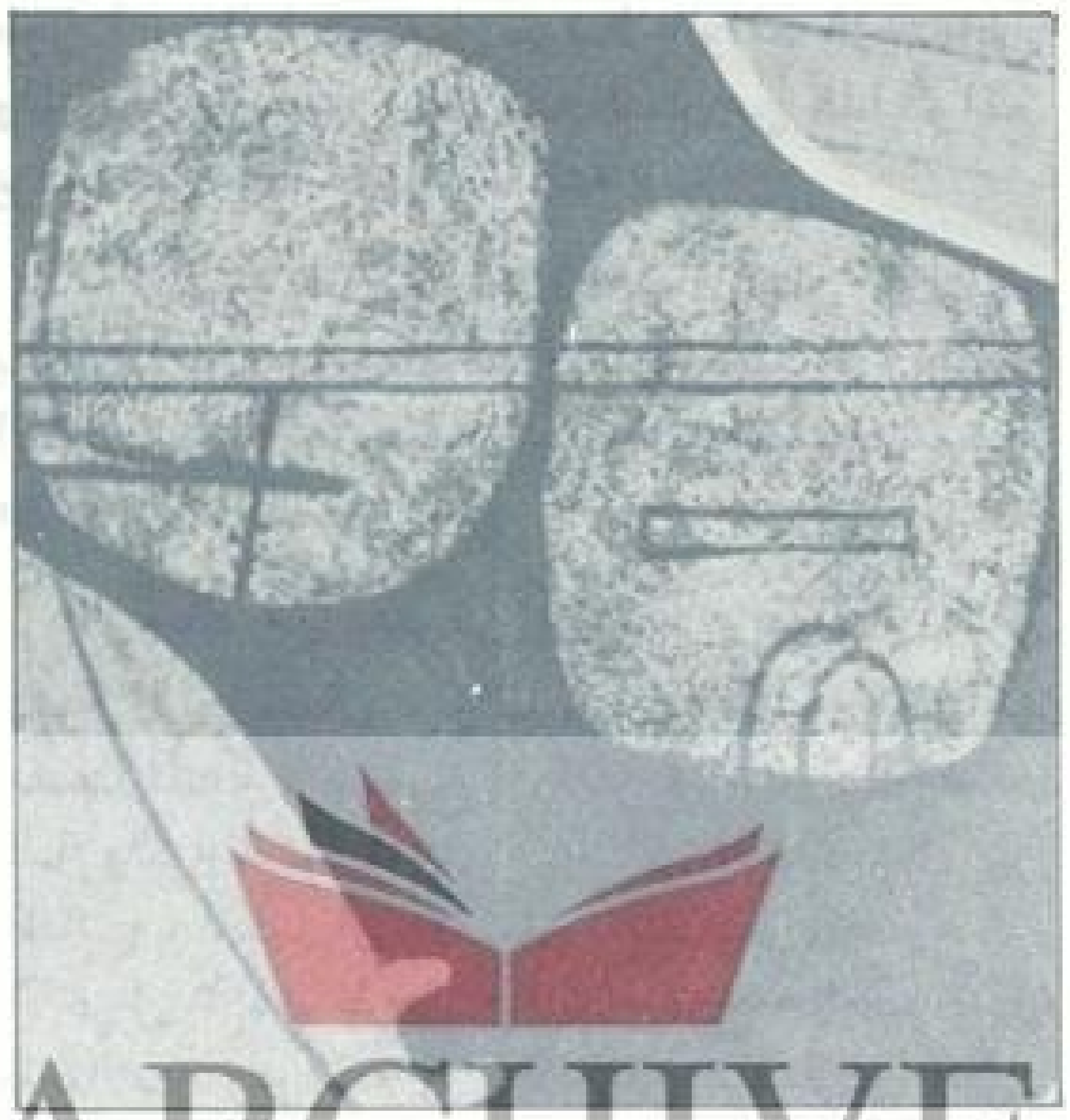

■ القاسمي

■ المليحى

بالمغرب ، وذلك باستغلال الامكانيات التى تنطوي عليها ارض المغرب وثقافته وكذا الخصائص التاريخية ، لفنونه وحضارته ، فنريد ان نكتشف من العمل الفني — لوحة او نحتا او قطعة حفر— مغربيته ، حتى لا يكون العمل مجانبا او مضببا او سابحا في آفاق غير محددة .

ان الفنان المغربي — في المرحلة الحالية — أصبح مدعوا ليشارك في تطوير الحركة الحضارية والثقافية ، مدعوا لتطوير شكل التعاطف الانساني وتطوير الذوق والمشاركة في محو الشعارات التى اطلقها في الماضي القريب ، جهابذة الاستعمار على حضارتنا وثقافتنا ، واذواقنا ، وفنوننا ..

فمهمة الفنان — كمهمة الاديب والشاعر والكاتب — لم تعد هي تزيين الجدران بأشكال والوان يرتاح اليها البصر ، ولكن مهمته هي تحطيم جدار الصمت بينه وبين جمهوره .. بينه وبين العالم .. فاللوحة كالقطعة المنحوتة ، لم تعد « سنو بيزم » ولكنها اصبحت اداة فنية للتعبير السياسي والاجتماعي .

## ( 5 )

ترى هل استطاع احد فنانينا ان يحطم بلوحاته جدار الصمت بينه وبين جمهوره ، ترى هل استطاعت قطعة فنية واحدة ان تكون اداة للتعبير الاجتماعي او السياسي ؟

مرة اخرى ليسمح الاخوة الفنانون لاجيبهم بالنفي .

ان الفنان عندما يعتنق اتجاها غير نابع من ذاته ، واسلوبا غير نابع من نفسه ينبض بالصدق ، وباتساع الحياة التى يتسم بها العمل الفنى الممتاز يكون قد حمل سمات التقليد ، السطحى الذي يطيح بالعمل ككل ، والذي يقتل الحوار الضروري بين الفنان والجمهور .

ما زالت قضية اخرى ..

يتضح من خلال هذه الحركة الدائبة من المعارض ، ان هناك انفصالا مؤكدا بين الفن والتراث عند بعض الفنانين ، وهناك تعثر الفنانون بين التجديد والتقليد .

وهذا الانفصال والتعثر يطرحان علينا سؤالا آخر :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هل على الرسام ان يلتزم فكرة او قضية او عليه ان يرسم وكفى ؟

هل بامكاننا ان نقرا في اللوحة تعبيرا محددا وموقفا معينا من قضية سياسية او اجتماعية؟

لا اريد ان اطرح مع هذه الاسئلة قضيــة ( الفن للفن ) او قضية ( الفن للحياة ) ان الموضوع قد سحق بحثا ولا نريد الرجوع اليه ما دام الفن في جملته فلسفة الفن ، حبكته ونوعيته ، ان فلسفة الفن ، وحبكته ، ونوعيته تفرض عليه ان يكون فنا ملتزما ، حاضرا ومشاركا في القضايا المطروحة .

اننا لا ننتظر من الفنانين المغاربة ان يدخلوا في مناقشة القضايا المطروحة على بلادهم ، وهي قضايا كثيرة ومتنوعة ، فيها السياسي البحت ، وفيها الاجتماعي البحت ولكننا ننتظر منهم ابراز وعيهم بها على الاقل ..

(6)

واننا عندما نطالب بالتزام الفن ، لا يعني مطلبنا هذا اننا نقيد الفنان او نضعه في سجن من المفاهيم ، بعيدا عن حريته ، وانطلاقــه ، وشاعريته ، فالفنان كما يفهم الكثير من الناس ، يجب ان يبقى حرا ، يختار موضوعاته كما يشاء .. ويتجه بافكاره الى اي وجه شاء .. ويجب ان لا نطالبه بغير الصدق في التعبير الذي هو آية الفن الصحيح وجوهره ، فما دام الفنان صادقا في التعبير عن الحياة ، فهو يخدمها في نظرهم ، الا ان العنصر الناقص في هذه القضية هو موقف الفنان نفسه من الحياة ، ونظرته اليها ، ومعاييره في تقويمها .

وهذه النظرة ، وهذه المعايير تختلف بين فنان وفنان وتختلف بين مجتمع وآخر .

- ان المجتمع الديني قد عبر عنه فنـانوه بصدق .

- والمجتمع البرجوازي قد عبر عنه فنانوه بصدق ايضا في كل انتاجاتهم .

- والمجتمع الاشتراكي ، له فنه ، وفنانوه الذين يتأثرون بنظرته الى الحياة ، ويعبرون بصدق عن مجتمعهم كما يرون هذا المجتمع بأعينهم الاشتراكية .

فالتعبير الصادق عن الحياة ليس شيئا مجردا ، وانما هو عمل مرتبط بالواقع الاجتماعي والمثل الاجتماعية ، وموقف الفنان من هذا الواقع يرتبط من جهة ثانية باصالته .

فالعبرة اذن عندما نطالب الفنان بالالتزام بالوعي ، بالانفتاح بمعانقة قضايا جمهوره ، نطالبه ايضا بالصدق ، صدق موقفه ، وصدق تعبيره عن هذا الموقف .

هناك من يعترض علينا ، ويقول ان الفن دعوة الى الجمال ، واللذة ، لا نطالبه باكثر من منحنا المتعة ، صحيح ان الفن في شموليته مصدر لذة ولكنه ايضا احدى وسائل الاتصــال بين الناس ، فكما ان الانسان ينقــل افكاره الى الآخرين ، عن طريق ( الكلام ) فانه ايضا ينقل انفعالاته وعواطفه الى الآخرين عن طريق الفن .

ومعنى هذا ان الفن لا يخرج عن كونه اداة تواصل بين الافراد ، يتحقق عن طريقها ضرب من الاتحاد العاطفي والتلاحم الوجداني .

والعمل الفنى الحقيقي ، في نظر الكثير من ائمة الادب والفن ، ومنهم تولستوي ، هو ذلك الانتاج الصادق الذي يمحو كل فاصل بين صاحبه من جهة ، وبين الانسان الذي يوجه اليه من جهة اخرى ، ثم هو ذلك الانتاج المليء بالعاطفــة المشحون بالصدق الذي يكون من شانه ان يوحد بين قلوب من يوجه اليهم ، ويحقق ضربا من الاتحاد الحقيقى بين الجمهور والفنان .

ومعنى هذا ان للفن اسلوبا خاصا في نقل المعاناة والتجربة الشخصية الى الآخرين بما في ذلك الادراك السياسي او الاديولوجى والميول ، والعادات ، والمفاهيم الاجتماعية ، وكل ما يندمج تحت مفهوم ( التراث الحضاري ) .

( 7 )

فمن المسلم به ، ان القيود في جميع اشكالها تكون مضرة بالفن اذا فرضت من الخارج ، ولكن منهج الابـداع الفني يحـدد في نفس الوقت برنامجا سياسيا وجماليا والا فانه سيكف عن ان يكون منهجا مميزا .

ومنهج الواقعية ، الذي يرتبط الى حد بعيد بالالتزام ، والوضوح والصدق لا يمكن ان يكون مفروضا من فوق ، ولا متخيلا ، انه يدخل في احد التقاليد الفنية الكلاسيكية .

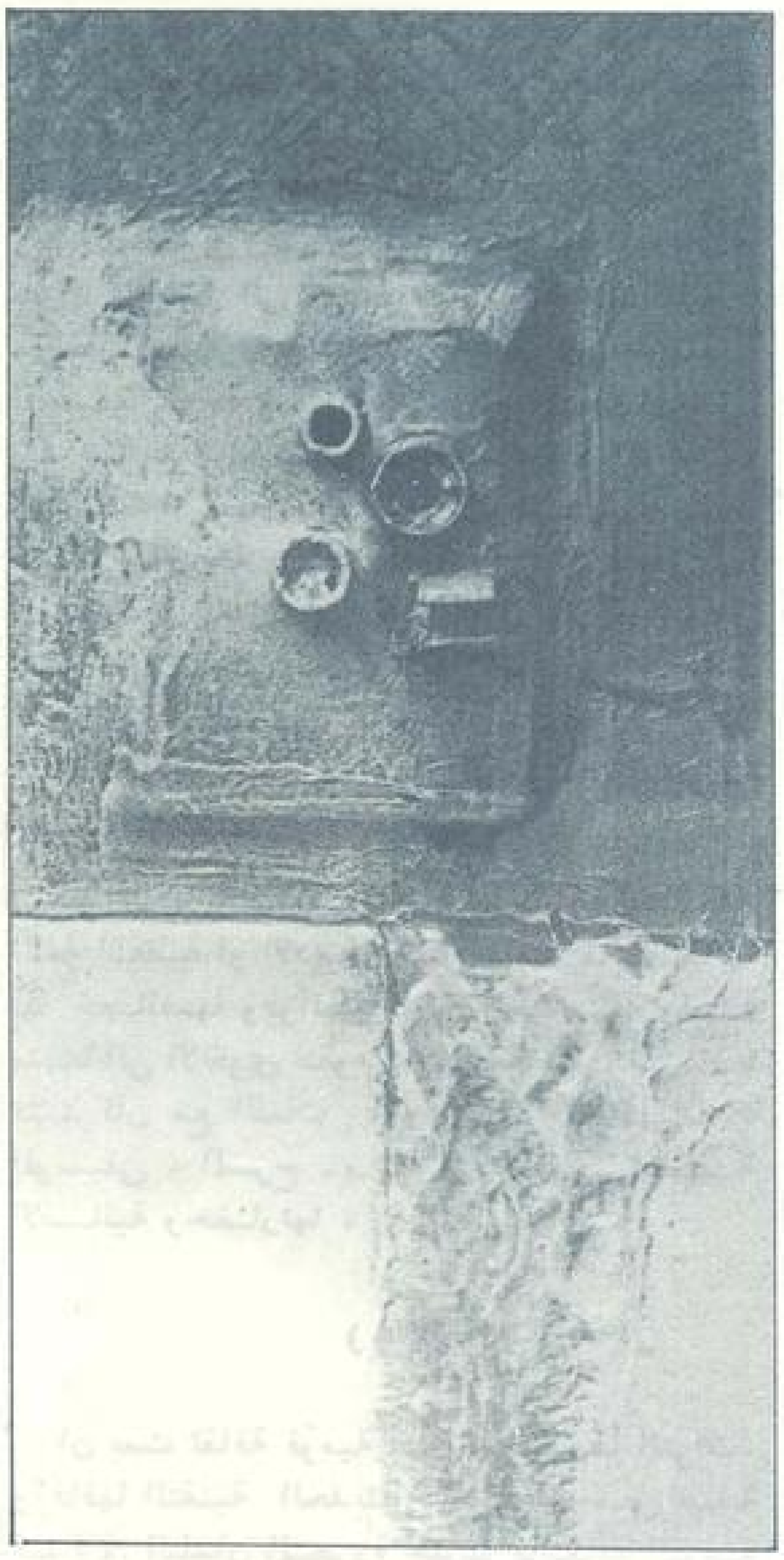

■ مفارة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبخاصة الاتجاه الاساسي المتمثـل في الواقعية النقدية ، ان منهج الواقعية قد قوي خلال القرن الماضي ، فكان يعبر عن موقف الفنانين في اوربا من اوضاعهم الاجتماعية والسياسية ، ولذلك ان الكشف العميق عن مختلف مظاهـر الحياة كان يتم على اساس نقد تلك الاوضـاع التي كانت تحول بين الناس ،وبين اكتشافهم للثروات التي تزخر بها اعماقهم .

ان الواقعية باعتبارها منهجا ومدرسة لم تظهر فجأة في يوم واحد ، او في سنة واحدة ، بل شقت طريقها من خلال المناقشات والمجادلات، وقد اكتملت وتبلورت عندما اصبح واضحا ان الواجب الاول المنوط بهذه الواقعية كفن ، هو ان تكون وتخلق فنا شعبيا قادرا على التجاوب مع الجمهور ويساعد على بناء عالم جديد ، ويكافح ضد كل من يعوق هذا المجتمع عن التقـدم والازدهار .

ونحن في مرحلتنا الحالية ، حيث ينفصل الفنان عن الماضي ـ التراث ـ وعن الحاضـر القضايا الجماهيرية ، ويعيش تمزقا ، وشرودا، وتعثرا ، بين التجديد والتقليد . هل تفرض علينا المرحلة معانقة الواقعية كحل جذري ،ام تفرض علينا خلق واقعية جديدة ملائمة لمعطياتنا الحضارية والثقافية والاجتماعية ؟

سيتبادر الى الذهن اننا بالبحث عن هذه الواقعية ، سنؤطر ـ الفن ونحصره في القاعدة ، ولكن .. هل تنحصر رسالة الفن في محاكاة الواقع ووصف الحقيقة المعيشة ؟

الحقيقة ان رسالة الفن تتعدى تلك الحدود الى افق ابعد ، ولذلك ان الفن لا يرضى حاجيات الانسان الجمالية والروحية فقط ، ولكنه يساعده على معرفة العالم عن طريق الصور التي تعكس مظاهر الحياة وترسم معالم الطبيعة ايضا .

ان الفن في واقعيته وصدقه ووعيه ، يصبح غذاء روحيا ، وينمي معارف الانسان ويغمره بجمال الطبيعة ، كما انه يحدوه على معرفـة وسائل تنمية الحياة الاجتماعية التي يعيشها .

من هنا تبرز حاجتنا في هـذه المرحلة الى واقعية في الفن ، واقعية واعية ، من شأنهـا تنمية معارف انساننا المنعزل ، وغمره بالجمال والحقيقة ، واقعية تتلاءم ومعطياتنا التاريخية والحضارية ، وتنسجم ومرحلتنا الحالية .

فالانتاج الفني في هذه المرحلة ، من تاريخنا المليء بالمتناقضات على المستوى الثقافي والسياسي، والاجتماعي ، سوف لا تكون له اية قيمـة الا حينما يعكس صورة حقيقية للحياة ، فالرسام الذي يلتقط صوره ، واحداثه ، ارتجالا ، او الذي يختار طريقته ، بمحض الصدفة ويحلو له ان يعكس الضباب في الشـكل ، والغموض في الموضوع رسام فاشل بالنسبة لمرحلتنا التاريخية الراهنة .

( 8 )

ان الكثير من فنانينـا يؤمنون بأن الفن لا يعكس الحياة ، وان التزام الحقيقة في التعبير الفني يفسد الصفات الجمالية للفن ، وان الفن لا يمكن ان يعبر الا عن العالم الداخلي اللامرئي ، وانا كمجتمع متخلف يجب ان نقنع في الثقافة والفن والفكر بما يتناسب وهذا التخلف ، واننا تبعا لهذا يجب ان [illegible] الحضاري ، لنعانق معطيات العالم الحديثة .

ان الاقتناع بالموجود ، او بما يتناسب والتخلف ورفضنا للتراث الحضاري ومعانقتنا للمعطيات الحالية الجاهزة ، هي دعوة لاعـدام الطموح ودعوة من هذا النوع لا يمكن ان تكون صادرة الا عن التخلف الحقيقي ، لاجل ذلك ارى من واجبنا كنقاد وكفنانين ، ومثقفين ، خسف هذه الدعوة من الاساس .

وان الكثير من الفنانين ، يدعون الى مزج الفن بالفلكلور باعتبار ان هذا المزج هو وحده المعبر عن مرحلتنا الحالية ، وهذا منطق خاطىء لان ( عجن ) الفلكلور الماضي ، بفلكلور الحاضر ، دون تطوير مفهومه الجمالي واخضاعه لمقاييس الفن المعاصرة سينتج عنه خلق فلكلور آخـر لا يسعنا الا ان نسميه بفلكلور مشوه ، ومعنى هذا اننا مطالبون بالاستفادة من التراثين الماضي والحاضر، وبخلق نهج جديد ينسجم مع متطلباتنا الاجتماعيـة والفكرية ، نهج ثالث مبني على التجربة والمخاطرة ، والاستفادة ، ويقوم على اسس منها .

ـ معرفة ناضجة لتجربتنـا التاريخية في كل مظاهرها الفنية .

ـ معرفة واعية لتجربتنا الحالية اديولوجيا واجتماعيا وحضاريا .

ـ معرفة صحيحة واكيدة لمعطيـات الثقافة الحديثة .

ولكي يكون هذا الاطار قائمـا على اسس متينة لابد ان يكون ملتزما بقضايانا الوطنية والجماهيرية ومعبرا عن مطامحنا بواقعيـة صحيحة .

بقي الآن ان نطرح السؤال :

ما معنى التزام الحقيقة في الفن ؟

الواقع ان كل فنان مهما كانت مدرسته ، يترجم العالم كما يراه ، الا ان قيمة انتاجه تكمن في الدقة التي يصور بها الحقيقة .

فالفنان ليس مجرد ناقل لا يحفل بشيء ، ولكنه ، انسان يملك عواطف مشحونة ويملك حاسة تصور الحياة ، والصورة التي يخلقهـا ليست وليدة خبراته الفنية ، والثقافية فحسب، ولكن تقديره العاطفي والاديولوجي ، هو الذي يشكل روعة تلك الصورة .

هنا تبرز المشكلة .

( 9 )

ـ هل يتوفر المغرب في الوقت الراهن على خبرات ثقافية وفنية تؤهله لمعايشة المرحلـة وبلورتها ؟

ان الاجابة على هذا السؤال ليست سهلة، ولا يمكن ان تكون كذلك ، الا ان نظرة خاطفـة للمواسم الماضية تعطينا الكثير من الخبرات الفنية ، بل ان بعض المثقفين دخلوا حلبة الالوان والمعارض التي تزخر بها فنوننا التشكيلية ، الا ان الانفصال الشكلي لهؤلاء الفنانين عن مجتمعهم وقضاياهم ، هو الذي يبرز اكثر المشكلة ..

ان الانتاج الفني لا يمكنه ان يكون ذامستوى جماهيري ولا يمكنه ان يتجاوب مع الاخرين ، الا حينما يستوعب الفنان الحياة الشعبية بما فيها من ثقافة ، وحضارة وعادات ، ويستشف القوى التي من شأنها ان تحرك المجتمع وتدفعـه الى التقدم والرقي والعدالة .

**محمد اديب السلاوي ـ الدار البيضاء**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# في المكتبة

## دور الجيش العراقي في حكومة الدفاع الوطني والحرب مع بريطانيا سنة 1941

**تاليف : الدكتور فاضل البراك**

■ **ليس كتاب الدكتور فاضل البراك عن « دور الجيش العراقي في حكومة الدفاع الوطني والحرب مع بريطانية سنة 1941 » مجرد كتاب اخر عن ثورة العراق التحررية التي تعددت عنها الكتب والدراسات ، وانما هو اضافة جديدة الى الدراسات التاريخية عن تلك الثورة : جديدة في منهجها ، وفي نوعيتها ، وقيمتها الفكرية .**

وقد صدرت حتى الان دراسات متعددة عن تلك « الحركة » ـ كما سماها بعض من كتبوا عنها ـ او « الثورة » ـ كما وضعها اخرون ـ او « الحرب » ـ كما نعتها غيرهم ـ ولعلها في الواقع كانت كل هذه جميعا . فمنذ كتاب عثمان كمال حداد المعنون « حركة رشيد عالي الكيلاني » توالت الدراسات في هذا الموضوع باللغتين العربية والانكليزية ، ومن وجهات نظر شتى . ومع ذلك ، فان معظم ماكتب في هذا الموضوع ـ وخاصة باللغة العربية ـ كان عبارة عن سرد للاحداث ، وتغطية لوقائع تلك الفترة الدقيقة والمهمة من تاريخ العراق الحديث . وعلى الرغم من غزارة المواد التي احتوتها تلك الدراسات ـ او بعضها ـ فان مكان هذا الكتاب الجديد كان ، بلاشك ، خاليا .

يتناول الكتاب دور الجيش العراقي في حكومة الدفاع الوطني التي الفها السيد رشيد عالي الكيلاني في سنة 1941 ،معتمدا منهج التحليل الاجتماعي ، والتفسير التاريخي ، وهو يتضمن دراسة لأسبابها وجذورها ،وتحيلا للعوامل الاجتماعية والاقتصادية التي تكمن وراءها .

وقد ربط مؤلفه الفاضل الاحداث بمسبباتها ، واستخلص منها النتائج، واصدر عليها احكاما لانجدها في أي كتاب اخر ، عربي او أجنبي .

وهو لم ينظر الى تاليف حكومة الدفاع الوطني في سنة 1941 كحدث مستقل ، قائم بذاته ،او ازمة سياسية مرت بها البلاد ، واجتازتها ، دون ان يربطها برابط باحداث البلاد الماضية ، أو يكون لها اثر يمتد الى احداثها التالية . بل يظهر في تسلسل منطقي ، وأسلوب واضح ودقيق ، ان تلك الحكومة ، وقيامها في الوقت الذي قامت فيه ، وبالشكل الذي اتخذته ، وانتهاءها الى النهاية التي انتهت اليها ، انما كانت نتيجة تاريخية ومنطقية لظروف العراق السياسية والاجتماعية والاقتصادية منذ قيامه كدولة مستقلة شكليا بعد الحرب العالمية الاولى ، تلك الظروف التي يستعرضها المؤلف ضمن منهج علمي ، وفي منظور قومي معا ، وينظر المؤلف الى ثورة العشرين ، وانقلاب بكر صدقي ـ حكمت سليمان ، وما اختلف على العراق بينهما من احداث ، كمقدمات منطقية ، ومراحل طبيعية كان لابد لها ان تؤدي الى ثورة العراق سنة 1941 ، ويربط بين هذه الاحداث ربطا محكما يجمع بين دقة الباحث ،وانصاف المؤرخ ـ وفي كثير من الحالات ـ روح الوطني الثائر الذي يحاول ان يكبح جماح مشاعره القومية الوثابة ، واخضاعها لقواعد البحث العلمي ، فتنصاع له أحيانا ، ولكنها لاتختفي تماما . وهي حين تظهر لاتشوه اتساق البحث العلمي ، ولاتخل بموضوعيته ، لان المؤلف لايلبث ان يعزز هذه المشاعر بأسبابها المنطقية ، وأسانيدها التاريخية ، ومبرراتها « العقلانية » .

وذلك مايجعل الكتاب أكثر امتاعا للقاريء العادي،دون ان يثير اعتراض الباحث المتخصص .

والكتاب في الاصل اطروحة دكتوراه اعدها المؤلف باللغة الروسية في معهد الاستشراق التابع لاكاديمية العلوم السوفيتية في موسكو . وقد حذفت بعض فصولها لاسباب معينة كانت قائمة حينذاك ،واضيفت اليها ـ في طبعتها العربية ـ معلومات اضافية، وحقائق جديدة توافرت بعد ذلك .

وقد أعد الكتاب في هذه الطبعة ليكون كتابا يقرؤه ويفيد منه الباحث المتخصص والقاريء العادي على السواء ، ولذلك رفعت منه كثير من الهوامش والمصادر التي تثقل كواهل الاطروحات الجامعية عادة ، فتزيد من حجمها دون أن تزيد من جوهرها كثيرا .

ويمتاز هذا الكتاب ، بالاضافة الى ماتقدم ، بانه اول كتاب في موضوعه يعتمد مؤلفه في اعداده على المصادر الروسية ، الى جانب العربية والانكليزية .

ولعل من اهم ابواب الكتاب فصل يتضمن دراسة تحليلية واستراتيجية ونقدية مقارنة عن « الجيش والسياسة » ، وهو موضوع ـ كما ذكر المؤلف صادقا ـ تعاني المكتبة العربية من نقص بارز فيه . وقد احتوى هذا الفصل على دراسة قيمة « للجيش العقائدي » تناول فيه المؤلف الجيش العقائدي في العصر الاسلامي ، والجيش العقائدي السوفيتي ، والجيش العقائدي الصيني ، ثم الجيش العقائدي العربي البعثي في القطر العراقي ، وعقد مقارنات جيدة بين هذه الجيوش مبينا الظروف التاريخية والسياسية التي ادت الى تاسيسها .

وفي الكتاب ملاحظة جديرة بالاهتمام فقد ذكر المؤلف ان« دخول الانكليز الى بغداد في سنة 1941 بعد سقوط حكومة الدفاع الوطني كان نصرا شخصيا أحرزه الوصي وليس نوري السعيد » ( ص 149 )، وهذه ملاحظة صائبة جدا لم يفطن اليها معظم الباحثين ، او اخطاوا فيها . ومما يؤيد صحتها البرقية التي ارسلها كورنواليس ـ السفير البريطاني في بغداد ـ الى القدس قبيل عودة الوصي الى بغداد ،يطلب فيها عدم عودة نوري السعيد مع من سيعود في حاشية الوصي بعد انهيار الحركة ،لان عودته مع الوصي ستترك اثرا سيئا لدى الرأي العام العراقي ، وستسيء الى الوصي نفسه .

وفي الوقت الذي يدفع فيه المؤلف تهمة « النازية » او «موالاة الالمان » عن رشيد عالي والضباط الذين تزعموا الحركة ، بادلة قاطعة، فانه لايتحرج في تقييم سياسة رشيد عالي والقول بانها على الرغم من الزخم الكبير الذي نالته ، والتاييد الواسع الذي كسبته « لم تأت بجديد » .

وقد جاء تحليل المؤلف لاسباب فشل الحركة موفقا للغاية ، وهو تحليل احتوى على اراء صريحة وجريئة . فقد اخذ على « المعارضة العسكرية»عدم ايمانها بأهمية التنظيم الدقيق والدور الفعلي للحركة الجماهيرية العادية للاستعمار . كما أن السياسيين العراقيين الوطنيين كانوا « يحاولون أن يحققوا اهدافهم عن طريق المناورات السياسية الفوقية والاستفادة من الصراعات بين المعسكرين الدولتين المتحاربتين آنذاك » .

ويضيف المؤلف قائلا :

« في الوقت الذي قام سكان بغداد وسكان المدن الاخرى وكذا سكان القرى والارياف بمظاهرات وطنية مطالبين باشتراكهم في الحرب التحررية ، دعاهم زعماء الحركة للخلود الى الهدوء والسكينة .ولعل السبب في ذلك يعود الى اقتناع هؤلاء الزعماء بأن تدخل الجماهير سيؤدي الى افلات الزمام من ايديهم وخروج الحركة عن حدود وضوابط التصورات المرتسمة في اذهانهم . يضاف الى ذلك ان رئيس الحركة والانتفاضة رشيد عالي الكيلاني الذي خضع لقيادته السياسية زعماء الحركة العسكريون لم يؤمن بالحسم العسكري ، بل اراد من الجيش ان يحرز بعض الانتصارات التي قد تساعده على تحقيق الحل السياسي الذي كان قد توخاه في معالجة الموقف ..»

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كما يقول : « .. ان قادة الحركة نفسهم لم يكونوا متفقين على ضرورة القيام بالحرب ، وان الارتباك قد سيطر على نظرتهم للموقف السياسي .. »

( ص 242 — 243 )

ويخلص المؤلف الى ان انهيار الحركة وفشلها انما يعود الى الاسباب الاساسية الاتية :

« التنازل عن زمام المبادأة الى العدو ، واتخاذ موقف الدفاع مسبقا ، وفقدان الوحدة بين القيادتين السياسية والعسكرية ، وغياب التصور الاستراتيجي الواضح والدقيق والكامل للوضع في المنطقة والعالم حينذاك » .

( ص 243 )

ولا تفوته الاشارة الى ظاهرة اخرى ، معينة ومهمة ، وهي « ظاهرة الفراغ التنظيمي والغموض الايديولوجي وغياب الحزب الجماهيري القائد القادر على تنظيم الجماهير وتوجيهها وتعبئتها وقيادتها الى النصر » كما أنه يلاحظ ان الدور الذي قام به قادة الحركة منذ تسلمهم زمام السلطة الى حين اضطرارهم للتخلي عنها قد اتصف بطابع الغموض . وهكذا نراهم تارة يعربون عن استعدادهم للمقاومة ، وتارة اخرى يعربون عن ميلهم الى المفاوضة . ويعلنون يوما عن تمسكهم بالحقوق الوطنية ، ثم يعودون في يوم اخر الى التاكيد على رغبتهم في المساومة وحرصهم على التفاوض مجددا . وقد استفحل هذا الوضع الشاذ ، حتى انعكست تلك المواقف الحائرة المتذبذبة للقيادة السياسية على الخطط والقرارات التي اتخذتها القيادة العسكرية » .

( ص 247 )

وبالاضافة الى التحليل الدقيق لاسباب فشل الحركة — وهو اول تحليل من نوعه يكتب عنها — يصف المؤلف « حركة الدفاع الوطني » في سنة 1941 في القطر العراقي بأنها

« كومونة » الثورة العربية القومية الاشتراكية المعاصرة وهي فكرة لم يسبق اليها أحد ، قائلا ان نظرة الشيوعية العالمية الى « كومونة باريس في سنة 1871 » هي نفسها نظرة الثورة القومية الاشتراكية العربية الى حكومة الدفاع الوطني من حيث الخصائص العامة ، وان كان القياس مع الفارق في التفاصيل والجزيئات . ثم يعقد مقارنة دقيقة وطريفة بين التجربتين يخرج منها الى ان سحق « كومونة باريس » لم يؤد الى القضاء على مبادئها ،وكذلك « فان سقوط حكومة الدفاع الوطني سقوط حكومة الدفاع الوطني في سنة 1941 لم يؤد الا الى تأجيل الانتصار العربي بعضا من الوقت ، لان مباديء الثورة العربية لايمكن القضاء عليها . ومالم يتحقق في 2 ايار سنة 1941 قد تحقق في 14 تموز 1958 و 14 رمضان 1963 و 17 — 30 تموز 1968 وأصبح واقعا شامخا مضيئا للامة العربية جمعاء »

( ص 262 )

ان مساهمة الدكتور فاضل البراك بكتابة هذا مساهمة فريدة ومهمة في دراسة تاريخنا المعاصر .

واذا كان من الصعوبة بمكان أن ناتي بجديد في موضوع غير مطروق ، فانه لاصعب كثيرا ان ناتي بجديد في موضوع كتب عنه كثيرا . ولعل ذلك من أبرز ما امتاز به هذا الكتاب القيم.

◆ نجلة فتحي صفوة

# جوزيف كونراد السيرة الباقية

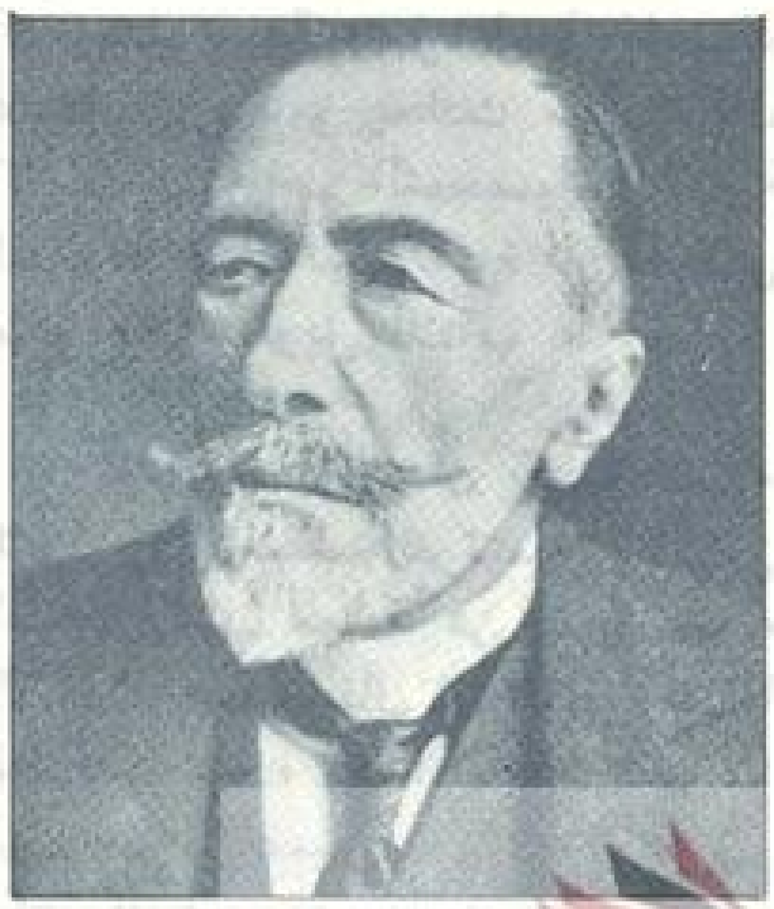

■ ربما كانت حياة جوزيف كونراد ومارافقها من انعطافات احد العوامل الكبيرة في شهرة ذلك الملاح البولوني الذي يفكر في عقلية فرنسية ويكتب باللغة الانكليزية التي أتقنها بطريقته الخاصة التي جعلت منه أفضل من كتب في لغة غير لغته الام . ذلك ان كونراد استطاع أن يفجر مخزون اللغة الانكليزية في وصف البحر بحيث انه أغنى التراث اللغوي الانكليزي بشكل متفرد يشهد له بسعة اطلاعه وثاقب بصيرته .

عاصر كونراد « هنري جيمس » و « اج جي ويلز » ولكنه لما يزل يحتفظ بايحائه الخاص ولم يفقد بريقه بل ان رواياته عن البحر اصبحت مادة خصبة لكل الباحثين عن هذا المجال حتى وصف بانه « اديب البحار » وتلك مقولة لايختلف فيها اثنان اذ ان كونراد متفرد في وصف البحار وربما لايدانيه في ذلك غير « هرمان ملفل » وهو كاتب امريكي توفر على الكتابة عن قصص البحار وابدع في ذلك ايما ابداع ولاسيما في روايته الرائعة « موبي دك » التي نقلها الى العربية الدكتور احسان عباس بلغة دقيقة ورشيقة .

بدأ « كونراد » بالكتابة في التسعينات بعد أن قضى عشرين عاما ملاحا ومغامرا فكتب عن الهند ، اندونيسيا ، الملايا وأفريقيا وسائر المناطق النائية الوعرة . وقد شهد تعاظم قوة الامبراطورية البريطانية ونمو الامبريالية وسجل ذلك بصدق الفنان المبدع على عكس « رديارد كبلنج » الذي تغنى بمجد الانسان الابيض والامبراطورية التي لاتغرب الشمس عن مستعمراتها . بل اننا نجد كونراد في روايته « قلب الظلام » يقول :

« هناك جرثومة الموت وطعم الفناء في الاكاذيب — وهذا ما أبغضه وأمقته في هذا العالم » . وليس غريبا اذن أن نجد جوزيف يمجد في رواياته الابطال القوميين وربما كان لظروف النفي والتشريد التي عانتها اسرته ووالده اثر في ذلك كبير .

فهو ينحدر من اسرة منفية لاسباب سياسية وتعاني بسبب انتمائها القومي ، كما أننا نرى ان خيط التشاؤم الذي ينتظم رواياته قد اكتسب لونه المأساوي من هذه المسيرة الصعبة وذلك الاضطهاد السياسي والقومي وهذا مايفسر دعوة كونراد للوحدة والتضامن والتعاطف ناهيك عن ان العديد من رواياته تتركز حول رد فعل الانسان ازاء الضغوط الخارجية والظروف الصعبة .

واذا كان كونراد قد تاثر كثيرا بالادب الفرنسي واتقن التكنيك الفني الذي عرف به الواقعيون الفرنسيون ، فاننا الى جانب ذلك نتلمس في كتاباته معرفة شاملة بالتراث الانكلوسكسوني وقد وجد وهو طفل يافع ترجمات لمسرحيات شكسبير بقلم والده الذي كان من عشاق شكسبير ونقل اكثر مؤلفاته الى اللغة البولونية ذلك أن جوزيف لم يكن يتكلم الانكليزية الى ان بلغ الحادية والعشرين والى ان توفي كان يتكلم الانكليزية بلهجة واضحة الا ان هذه اللكنة ليس لها أن تذهب ببريق أسلوبه وواسع معرفته بمفردات اللغة الانكليزية التي يعد افضل من كتب بها من غير

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الانكليز الى حد انه في الوصف كان لايدانيه احد في عالم الادب .

اخر الدراسات التي صدرت عن هذا الكاتب الكبير هي سيرة ذاتيه كتبها الاستاذ فردريك كارل وهو ناقد معروف في مجال الرواية الانكليزية وتقع دراسته هذه في 1008 صفحات تتبع فيها المراحل الثلاث الاساسية من حياة هذا الملاح الخالد .

يقول الاستاذ كارل :

« حتى لو ان كونراد لم يكن قد كتب عدة روايات عظيمة حقا ، فان حياته الاولى في بولونيا ثم في فرنسا وفي انكلترا من بعد ذلك كقائد لسفينة تجارية بريطانية ، وكفقير بائس انتهى به المطاف الى ان يصبح مؤلفا مشهورا ، هذه الحياة لاشك في انها مصدر متعة رغم ماساويتها . ويقول الاستاذ يونك الذي عرض هذه السيرة في جريدة « الديلي تلغراف » بان الاستاذ فردريك كارل قد أمضى عشرين من السنوات في كتابة سيرته الذاتية معتمدا في ذلك على اكثر من 1500 مادة من مراسلاته غير المطبوعة .

ويرى يونك ان هذه السيرة قد ذهبت بالقاريء الى اعماق بعيدة لم يعهدها من قبل في الدراسات التي بحثت في حياة كونراد وادبه ، الا انه ينعى على الاستاذ كارل كثرة استعماله لالفاظ شاعت في الكتابات المعاصرة مثل on-going بدلا من continuing وتلك عادة سيئة الا ان ذلك كله يمكن اغتفاره لان البروفسور كارل على عكس العديد من الاكاديميين ، يمتلك رؤية أصيلة ازاء العملية الابداعية ولذلك فان يونك يرى ان هذا الكتاب سيصبح الانموذج الفريد في الدراسات التي صدرت عن الروائي الكبير جوزيف كونراد .

**عبد الستار جواد**

# كامو والفرنسيون

■ منذ تسعة عشر عاما خلت عندما قتل كامو بحادث سيارة كان كاتبنا من اهم الشخصيات الادبية المعروفة اذ لم تمض فترة طويلة حتى منح جائزة نوبل للاداب .

لقد كان يؤمل ان يكتب عنه كثيرا في الاساط الفرنسية وبالتالي اصدار كتاب معتمد عن سيرة حياته الا ان اعجب مايقال ان القليل جدا قد كتب عنه ، وهذا الكتاب الذي هو أول سرد تفصيلي لسيرة حياته لم يكن كاتبه سوى صحفي امريكي يبدو انه لم يكن متخصصا بالادب الفرنسي .

لقد احيط مقتل كامو بنوع من اللامبالاة أو بالاحرى بنوع من الكتمان الغريب الذي لايمكن ان يفسر على ما أظن الا بالاستبداد الاستثنائي للنمط الفكري للكتاب الفرنسيين في باريس .

وبعد ان كان كامو فتى الادب الفرنسي اللامع بعد التحرير ، وهمفري بوكرت لفلسفة اللامعقول والقديس العلماني لهذا العالم الملحد، عانى كامو من اخفاق كبير جعله يتحول كليا للادب فالف كتابه المعروف ب (السقوط ) La Chute وذلك قبل انتقاله المفاجيء الى اللامعقول .

ان هذا الاخفاق حصل تقريبا في ثلاثة مراحل اولها ، في الوقت الذي كان فيه سارتر واكثرية المفكرين اليساريين مازالوا موالين للسوفييت فالف في تلك الفترة كتابه المسمى ب ( الانسان المتمرد ) L'homme Revolté الذي كان بالاساس نقدا ديمقراطيا اجتماعيا للآيديولوجيات العقائدية .

لقد كان كامو ـ بحكم ولادته ونشاته في شمال افريقيا ـ مواليا للجزائر وداعية للاخاء الفرنسي الجزائري .

واخيرا ظل كامو مصرا على التمسك بمباديء الفضيلة والاخلاق الى الحد الذي اكتشف فيه نوعا من الخطيئة الاصلية الدنيوية في وقت اعتبرت فيه الرواية الجديدة New Novl ومن ثم البناء Structuralism مسفهة لفكرة كون ادراك الانسان هو محور القيم الاخلاقية .

ولم يحاول اي فرنسي في تلك الفترة اسناد وانتشال كامو من فشله ، واتذكر مرة وانا في مادبة غداء خاصة بالادباء في باريس قبل بضعة سنوات ، ان فوجئت بصيحات الاستهجان عندما حاولت ان اشير بانه قد تكون لقصة الطاعون La Peste اهمية اكثر من المغزى البسيط للكشاف Scout - boy

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لم يبد لوتمان اي راي بشان الاعمال التي قام بها كاموا ، وانما اسدى لنا خدمة كبيرة بالقائه الضوء الساطع على حياته من خلال جمعه في سبعمائة صفحة مطبوعة باحكام كافة الحقائق التي تمكن من جمعها والتقاطها بصفته محققا صحفيا استقصى حياة كامو .

ان اول ماتطرق الى ذكره لوتمان في هذا الكتاب هو نسب كامو ثم تغطيته لكل فتره من الفترات التي مر بها كاتبنا منذ مولده سنة 1912 في احدى ضواحي الجزائر « كابيض فقير » من اصل فرنسي اسباني حتى يوم وفاته عام 1960 بحادث سيارة كان يقودها ميشيل كاليمار التي انحرفت عن الشارع الرئيسي واصطدمت بشجرة ولم تتضح اسباب الحادث في تلك الفترة .

ليس ثمة شيء مثير فيما كشف عن حياة كامو وذلك ، كما يقول السيد لوتمان ، فقط لكونه كان يستعمل مرارا وتكرارا اكثر المعلومات الاساسية في كتاباته فلم يعد فيها اي عنصر للاثارة والتشويق.

قيد الحياة وكن صديقات حميمات لدون جوان اللامعقول وقد سر جدا للمقابلة التي اجراها مع السيدة كامو ، التي اطلع من خلالها على كثير من القضايا الخاصة بزوجها الا انه لم يتطرق بالذكر الا الى بعض الملابسات المختلفة دون الدخول في تفاصيلها وكذلك ذكر بعض المقتبسات من المراسلات الكثيرة بينه وبين عشيقاته وكانت لهذه الرسائل الاثر الكبير لشهرته في هذا المضمار.

كان للماساة التي مرت بحياة كامو وخصوصا في الفترة الاخيرة وقعها الجديد على نفسي . من الواضح جدا ان مؤلف كتاب « الغريب » LÉtvanger قل ولد بروح وثنية محبة للغموض وللجمال الماساوي للوجود ، وتعاظم هذا الشعور بسبب نشاته الفقيرة في شمال افريقيا واصابته بالسل وهو في سن السابعة عشرة . لم تتحسن الامور فيما بعد اذ ان زوجته الاولى كانت مدمنة على تعاطي المخدرات ولكنه تزوجها بالرغم من معرفته بحالها ، ولا يعرف ماهو السر الذي جعله يرتبط بها في حين لايوجد مايؤيد او يثبت كونه مغرما بها . لقد اقترنت مسيرته بالمآسي السياسية منذ كان يافعا ، كالحرب واحتلال الالمان لفرنسا والتصفيه التي حدثت في شرق اوربا واخيرا قيام الحرب الجزائرية التي لم يعيش ليشهد نهايتها .

نستطيع ان نقول انه بالرغم من اصابة كامو بالسل فقد كان محظوظا فيما بعد اذ لم يعد عاجزا فقيرا وانما اخذه عمه ليربيه فبالرغم من كون عمه قصابا ميسورا فقد كان مقتدرا على جذب كلا الجنسين اليه ، فله شخصية قوية ورجولة تعجب الرجال وتسحر النساء فيقعن في شباكه .

لقد لوحظت مهارة كامو الادبية

في سن مبكرة من قبل مدرسة جان كرنيه ومما زاد في تطلعاته الادبية ، صداقاته التي كونها وهو لم يزل في سن العشرين مع بعض الادباء الفرنسيين المشهورين مثل جيد Gide وروجر مارتن دوكارد .

كذلك مكوثه في قلعة كاليمارد لمدة من الزمن زادت من تطلعاته ايضا وكان يرى بانه يستطيع ان يقوم باي عمل يعهد اليه كاي كاتب الا انه ماكان ليحتاج الى التفكير بذلك لانه اصبح قبل ان يتكهن بمقدرته الادبية ، من أبرز الشخصيات العالمية وهو لم يزل في مقتبل العمر .

لقد واتاه الحظ بسرعة الا انه لم يستطع الفرار من بعض المنغصات كاصله القروي مثلا وعقليته التي لم تكن تنسجم او لم تكن لتتحمل النمط الفكري السائد في باريس كذلك اضطراب حياته الخاصة التي لم تكن لتنسجم ايضا وشهرته الواسعة كبطل أدبي . وقد ظهر هذا بجلاء في كتابه « السقوط » الذي كان يتسم بالسخرية المحببة التي لاقت استحسان الجميع .

لو كان كامو مواكبا للتيار الفكري في ذلك الوقت لجلب لنفسه بعض العزاء حتى ولو كان عزاء كاذبا .

ترجمة : بولين سكويرا

◆

## مايحتاج اليه الصانع

■ ليس ثمة من يجادل في اهمية الدور الذي قام به العلماء العرب في جمال العلوم العلمية في العصر الوسيط . ذلك ان الدولة العربية كانت في امس الحاجة الى علوم الطب والرياضيات والفلك والكيمياء لترسيخ قاعدتها العلمية . وانطلاقا من هذه الاهمية نجد الرشيد يبث رسله في بلدان العالم يتصيدون نفائس الكتب من اجل ترجمتها الى العربية وكانت حصيلة ذلك ان حفظ العرب التراث اليوناني وقدموه الى العالم منقحا مزيدا بعد ان اضافوا اليه من عندياتهم وابداعاتهم مايشهد لهم بطول الباع وسعة الاطلاع .

ولعل ابا الوفاء البوزجاني يقف في طليعة العلماء العرب الذين ابدعوا في جمال الرياضيات ولاسيما التفاضل والتكامل الى الحد الذي تدرس فيه نظرياته الهندسية في أمهات جامعات العالم . من هنا نجد الدكتور صالح احمد العلي يتوفر على تحقيق كتاب « مايحتاج اليه الصانع من علم الهندسة » للبوزجاني باعتباره دليلا عمليا للمهندسين والضاع يسد لهم حاجتهم الى هذا العلم التطبيقي . وقد جاء هذا الكتاب سهل العبارة جلي الاسلوب خلوا من التعقيدات والمعاضلات وكأن البوزجاني اراد ان يتجنب الخوض في العلل والاسباب ويلجا الى النتائج بحيث يكون كتابه سهل التناول عميم الفائدة . ان نظرة عجلى على كتاب البوزجاني تدلنا على مقدار الشوط الذي قطعه ابو الوفاء في علوم الرياضيات ، ومقدار ماوصلت اليه الثقافة العربية الاسلامية من تقدم في شتى صنوف المعرفة ◆

## ضوء الشمعة السوداء

**للروائي الالماني ولفجانج هيلد**

■ ضمن مجموعة مؤلفاته الروائية، التي تطغي عليها سمات رواية المغامرة والخيال المستقاة من واقع الحياة اليومية ، ومنها رواية « فيزا الى اوكانتروس » و « سمك القرش الاصفر » صدرت للاديب الالماني ولفجانج هيلد روايته الحديثة « ضوء الشمعه السوداء » .

لقد استمد الكاتب موضوع روايته الخيالية ـ الواقعية من الاحداث التي جرت في الصحراء الغربية الافريقية قبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية ـ لقد اختار واحة وهمية اطلق عليها اسم البرايسو ـ . فهي ليست جنة في وسط الصحراء ، كما يتوقع المرء ، بل الجحيم بناته . انها سجن لرجال كتب عليهم الموت البطيء . فمن يصلها لايسعه التفكير بالعودة الى عالم الحرية .

شخص واحد فقط استطاع الهرب من هذا السجن يدعى فريد لورنتس . لقد حكمت عليه محاكم فرانكو الفاشية بالنفي حتى الموت الى هذا السجن الاسباني لمشاركته في الحرب الاهلية الاسبانية . انه يزحف على رمال الصحراء من وطاة المرض ، ويكاد يصاب بالجنون من العطش . فهو يعرف ان كلاب فرانكو في اثره ، ومع ذلك عليه ان يصل الى ساحل البحر الابيض المتوسط ، لانه قد اكتشف اسرار عسكرية رهيبة تهدد البشرية بالفناء . ◆

بدأ الروائي ولفجانج هيلد حياته الادبية كصحفي في عام1955. وهو يعتبر ممارسة مهنة الصحافة جامعة عملاقة في مجرى الحياة اليومية ، تمهد الطريق نحو آفاق التطور الادبي ، ومهماته الاساسية في ترجمة قابليات ومواهب الفرد الى عمل ابداعي فنيجماليا وتربويا. فالعمل الصحفي بالنسبة له ، رحلة مغامرة لاكتشاف خفايا جوانب عديدة من الحياة . ومن باكورة اعماله الروائية « وجبة عمل ليلية » و « يدفع ثمن الموت بالليرات الذهبية » . ◆

## في كل شئ وطن

**للشاعرة زهور دكسن**

■ زهور دكسن واحدة من شواعر العراق اللواتي لمعت اسماؤهن في الاوساط الادبية في السنوات الاخيرة . وقد اكدت حضورها الشعري في عدة قصائد كتبتها بمناسبات وطنية كان لها وقعها الجيد في نفوس الادباء .

وديوانها الجديد « في كل شيء وطن » الذي صدر عن وزارة الثقافة والاعلام يعطي هذه الدلالة ويرسخ في الاذهان هذا التشخيص. وقد برزت في هذا الديوان ملامح شعرية ذات اصالة وقدرة فنية يمكن اعتبارها ملمحا ومؤشرا على مسارها الشعري المتقدم .

وقد قسمت ديوانها الى اربعة اقسام : القسم الاول اسمته بـ « النوء » وهو يحتوي على تسع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

# النزعة الوطنية في (أنت الرياض)

عشرة قصيدة لعل من ابرزها قصيدتان ، هما « في كل شيء وطن وثلاثية الحد » لما فيهما من احاسيس ومشاعر ذاتية مفعمة بحب الوطن والارض وكل ما هو جميل ورائع في زمن الثورة والعطاء . اما القسم الثاني فقد اسمته بـ : « الاسماء » ويحتوي على تسع قصائد تبرز منها قصيدة « الحلم » بدقة تصويرها الانبعاثات النفس واختلاجاتها وتدفق الذكريات . ويأتي القسم الثالث الذي اطلقت عليه تسمية « الهواجس » وهو يحتوي على ست قصائد وهي على التوالي « الانتظار ، اي العناقيد ، عشة للكناري ، العصافير ملء الشجر ، ليلة العشب ، اصير انا موسما » اما القسم الرابع فهو يحمل اسم « انعكاسات » ويحتوي على احدى عشرة قصيدة . ولعل قصيدة « ليل القيروان » اجمل مافي هذا القسم حيث تلتحم الخواطر في نفس الشاعرة التحاما صميميا بادق الاشياء واكثرها توهجا في التراث . حيث تبدا :

**اذا ..**

**ها هو الليل في القيروان**

**هو البحر ، مطردا بات**

**مضفورة كفه**

**ـ يوم كنا ..**

**اتذكر في باحة الريح يوم افترقنا..**

**وفي آخر العشب نافذة مستضيئة ؟**

**شجي هو الليل ياقيروان ..**

**وتلك الوجوه التي ..**

**ما الفت انتهاءاتها**

في كل شيء وطن : ديوان شعر يحمل صوتا شعريا له خصوصيته ومؤشره البارز .

◆

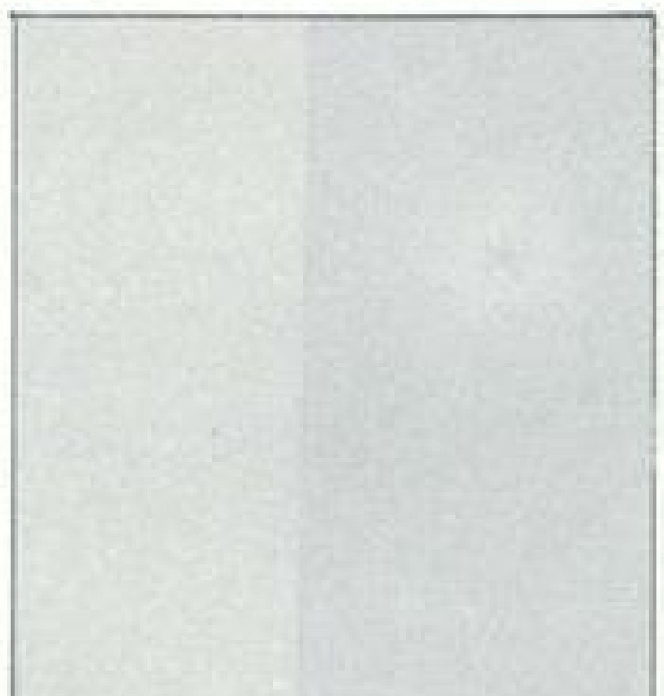

■ لقد لاحظنا في قصيدة ( أنت الرياض ) ان المراة والوطن يتلاحمان في نظر الشاعر ويصبحان كائنا واحدا متماسكا لايقبل الانفصام ، ففي عيني المراة يتبدى الوطن بروائحه الساحرة ومرابعة البديعية ، وفي سماء الوطن يتالق وجه الحبيبة بين النجوم !! ..

في مرابع الوطن يتالق طيف الحبيبة وفتونها وسحرها ، وفي وجه الحبيبة تتبدى ملامح الوطن وفتونه وسحره !! .. وهذه النظرة تكشف مدى حب القصيبي لوطنه، بل تكشف انصهاره فيه ، وتكشف ان حب الوطن يملأ قلبه وفكره وعالمه ، فهو لاينساه لحظة واحدة ، ولو كان في الامكان نسيانه لنسيه في مواطن الحب بخاصة ، ولكن صاحب القضية .. صاحب العقيدة الذي جرت العقيدة مجرى الدم في جسده لايغفل عن أداء رسالته لحظة واحدة ، ويكرس امكانياته وقواه وحياته كلها في سبيل اداء الرسالة، ولايستطيع ان يدير ظهره لها في أي موقف كان واينما حل وحيثما ارتحل !! ..

ان القصيبي شاعر قضية اذن ، ولذلك فلاعجب اذا هزته الفواجع التي حلت بالفدائيين الفلسطينيين والمجازر الوحشية التي نصبت لذبحهم وابادتهم ، وهي تاتي في طليعة مآسي الامة الراهنة ، وقد صورها في قصيدته ( حكاية النجم المذبوح ) حيث يقول :

**كان لنا نجم ضئيل ضئيل**

**هاجر من حيفا**

**وجرب الخوفا**

**وفر في الآفاق**

ـ حكاية النجم المذبوح : ص 13 ـ

فهو يروي قصة ذلك الفلسطيني الذي تضافرت قوى الاجرام والجشع على انتزاع ارضه وأملاكه ، ومدت الوحشية والبطش واللؤم مخالبها اليه ، ففر من فلسطين هائما على وجهه في الآفاق ، وبفرار هذا النجم وغيابه غرقنا في ظلام دامس خانق ، وعشنا في شوق الى تألقه ليمزق حجاب الظلام المطبقة على آفاقنا :

**ونحن في الليل الحزين الطويل**

**نرقب ان يلمع**

**نرقب ان يطلع**

**في الوطن المشتاق**

ـ ص 14 ـ

فبتنا من استحكام الشوق بنا نكتب القصائد الجميلة نبثه فيها اشواقنا ونعرب عن لهفتنا الى التكحل بمرآه :

**قلنا له الشعر الجميل الجميل**

**عن سحر عينيه**

**وجمر خديه**

**وقلبنا الخفاق**

ـ ص 15 ـ

وابتهلنا اليه كثيرا لكي ينزل الينا ويبرز ثانية في مرابعنا لنرعاه ونشد ازره ، فهو سيكون في ارضه بين اهله واصحابه ، وسنغمره بحبنا ، وسنعاهده على المضي معه حتى النصر أو الموت !! ..

ولكن ماذا صنعنا به بعدما استجاب لدعوتنا وتضرعاتنا وسطع في آفاقنا المظلمة ؟

**واعجبا .. هذا اليتيم النبيل**

**كيف عشقناه**

**ثم ذبحناه**

**بحرقة العشاق**

ـ ص 17 ـ

لقد قتلناه بأيدينا ، فكيف هذا ونحن الذين امضينا السنوات الطوال نترقب سطوع نوره وتالق اشعته ؟ لقد امضينا ربع قرن تقريبا ونحن نترقب اشتداد ساعده .. نترقب زحفه نحو الحدود ليخوض ملحمة الثار والتحرير ضد القوى الغاشمة المجرمة ؟! ..فكيف صنعنا هذا ؟!.

ومن الطبيعي ان يكون (حزيران) هو الجرح الدامي في فؤاد الشاعر وفي افئدة الشبيبة العربية المسلمة، لأنه في الواقع يوم اسود لايشبهه الا موقفان في صفحات تاريخنا السوداء: انهيار بغداد أمام الغزو المغولي ، والمجازر التي نصبها المغول وعملاؤهم للمسلمين ، وانهيار الحكم العربي في الاندلس وخروج عبدالله الصغير منها بعد أن تمزق شمل المسلمين واستعانوا بالصليبيين على اخوانهم، فحطموا أماراتهم الوحدة تلو الاخرى، وكان عبدالله الصغير صاحب آخر أمارة يجهزون عليها ، فخرج وارسل آخر نظرة دامعة الى ربوع الوطن الساحر ، فصرخت به أمه :

**لاتبك كالنساء ملكا مضاعا**

**لم تحافظ عليه مثل الرجال**

وان الاسبان يطلقون الان على ذلك المكان اسم ( دمعة العربي )!!.

ويبدو أن جفن العربي لن يجف وان سيل دموعه لن ينقطع فما زالت النكبات تقصم ظهره واحدة بعد اخرى ، فبعد أن طحننا حزيران انطلقت مواكب الفدائيين لتعيد الينا الثقة والامل ، ولكن القوى الاستعمارية والعميلة لم تمهلها حتى يشتد ساعدها وانما أهوت عليها تطحنها طحن الرحى بثفالها فحطمت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

سواعدها الفضة ومزقت افئدتها ونثرت أشلاءها للوحوش والطيور :

**ذلك النجم الذي ارقنا والليل**

**مات .. فاسكب ايها العود**

**اغانيك الرتيبه**

**وتغزل بعيون الشهداء**

– حزيران الايثم :ص 100 –

لقد انطفات أشعة الامل بعد مصرع النجم المتالق .. مصرع الفدائيين العرب ، بقية السيوف العربية المجاهدة ، وهم وحدهم الذين كنا نعقد عليهم الآمال ،فكيف نحلم بالنصر واستعادة فلسطين وقد ذبح حملة السلاح ، وطليعة الفداء ، وسقط ( تل الزعتر ) المجاهد في أيدي العملاء ؟! ..

يحق للشاعر اذن أن يداخله بعض اليأس لن يستاذن في اجتياح قلبه والتغلغل في دمائه ، وسيداهمه وسيدخل عنوة الى فؤاده شاء الشاعر أم ابى !! ..

وهكذا ينطلق مرددا هذه العبارات الشجية المرة :

**ياحزيران اللي جاء**

**ومازال يجيء**

**سنغني لحروب لا تجيء**

**وسلام لايجيء**

**سنغني موتنا**

**ماأجمل الموت البطيء !! ..**

– ص 101 –

ماعلى الشاعر اذن وجيوش اليأس تغزو فؤاده المزق الا أن يطلب من العرب ان ينتظروا الموت ، فالكوارث مستمرة ، والهزائم مستمرة !! ..

ولقد ندت مثل هذه الصرخة عن ميخائيل نعيمة بعد ان جندته الحلفاء في الحرب العالمية الثانية وساقوه الى حرب لاناقة فيها ولا جمل ، ولما عاد كان الالم يعتصر قلبه بعنف ، فقال مما قال يخاطب العربي اليائس التعيس الضعيف :

**فهات الرفش واتبعني**

**لنحفر خندقا آخر**

**نواري فيه احيانا**

وأمام مثل هذه المآسي الدامية، والهزائم المنكرة ، ومشاهد الظلم التي يشهدها العرب ، والمجازر التي تعد لثوارهم وشرفائهم ، والصراع الذي يدور على الارض العربية بين قوى النور وقوى الظلام ، بين الاحرار وبين العملاء ، وذلك الاستغلال الديني والاحتكار والرشوة والفساد والتحلل من القيم الرفيعة والانحطاط الى درك الحيوانات في شبقها المسعور لارواء شهواتها..

امام هذا كله يقف الشاعر المقدام الشريف محتارا !! .. هل يساند قوى الظلام والكفر فيحظى بالمناصب والجاه والاموال ؟! أم يتحدى تلك القوى الغاشمة ويواجه أعاصيرها الهوج مستهينا بالموت في سبيل الله مضحيا بحياته الدنيوية الزائلة وزخرفها الخادع وشهواتها الرخيصة في سبيل رضوان الله تعالى وجنة عرضها السماوات والارض أعدت للمجاهدين يحيون فيها خالدين مخلدين ( لاخوف عليهم ولا هم يحزنون ) ؟! ..

انه خيار صعب يوضع أمام الشاعر الشريف المقدام ، وعليه أن يقرر !! ..

وبما انه شريف فممالأة قوى الظلام والانصياع لجبروتها مرفوض رفضا قاطعا لأنه لايستطيع ان يحمل نفسه على ذلك !! ..

واذا كان الشاعر لايجرؤ على الادانة وهتك البراقع فليلذ بالسكوت فذلك أفضل ،

**حين يخاف الشاعر المقدام ان يموت**

**يصبح احلى شعره السكوت**

– السكوت : ص 73 –

وهو يدين الشعراء والادباء العرب قاطبة اذ يقول :

**ميتة حروفنا**

**مثل ضمائر الطغاه**

**ماأغتسلت في بركة الحياه**

**ولا درت مارعشة المخاض**

**ما الم الجراح**

**ما روعة السير على الرماح**

– السكوت : ص 71 –

انها ادانة صارخة لتلك الاقلام الميتة التي لم تعرف معنى الحياة الرفيعة الشريفة الكريمة ، ولاتعرف كيف تساهم في صنع تلك الحياة أو كيف تسعى اليها ، ولم تعرف كيف تولد البدايات وكيف يكون المخاض، ولم تذق طعم الجراح ، فقد ركنت الى حياة الهون والضعة متجنبة المصاعب والمخاطر مؤثرة الحياة الذليلة مع السلامة على الحياة الحرة الكريمة مع الخطر ، ولذلك لم تشهر سيفا في وجه قوة جائرة أو كافرة ، ولم تستشعر اللذة البالغة التي يحسها الثائرون وهم يفجرون شظايا ثورتهم ويصارعون قوى البغي والفساد ، فالحياة العزيزة هي في السعي لبناء الامجاد مع الاستهانة بالمخاطر ، اما الحياة الذليلة فلا هناءة فيها ولا لذة ،وما الهناءة واللذة التي تحسها الفئران الجبانة وهي تحيا مختفية في جحورها الخانقة القذرة ؟! ..

**تعبث اسرائيل في مساجدي**

**تنتف ذقن والدي**

**واختفي**

**كالفار في قصائدي**

وهؤلاء الجبناء الخاضعون المذعنون يعيشون ضائعين في متاهات الاحلام :

**نحلم ان عالما بلا قيود**

**ينبت من اقلامنا المشلوله**

**نحلم ان موسما من الورود**

**يزهر في صدورنا المسلوله**

– السكوت : ص 72 –

وهم يظنون أن اقلامهم المشلولة قادرة على أن تصنع الحياة العزيزة الكريمة الهانئة ، وكأنما لايدرون أن العقم قد أصابهم وأن الامراض قد نخرت صدورهم ، فهيهات أن تتحقق الحياة العزيزة بمهادنة البغي ودون كفاح دام .

**وللحرية الحمراء باب**

**بكل يد مضرجة يدق**

والشاعر يرى أن المصائب العظيمة والكوارث الفادحة التي تهوي على راس هذه الامة تردها ردا جميلا الى الدين الحنيف :

**كلما ظلل المصاب نهانا**

**ردنا من ضلالنا الايمان**

فكلما تعاظمت الكوارث وادلهمت دنيانا بالخطوب ازداد ايمان هذا الشعب بأن النصر لن يكون الا مع الايمان بالله والانضواء تحت لواء الاسلام ،

**كلما خر فارس في ثرانا**

**رفع البند بعده فرسان**

**منجم للرجال ارض بلاد**

**في ثراها تنزل القرآن**

**شع منها الهدى فاشرقت الارض**

**حبورا ومادت الاوثان**

**واطل الصباح يزهق كفر**

**في دجاه ويولد الايمان**

– فارس القدس : ص 63 –

وان فلسطين السليبة .. وان مسرى محمد صلى الله عليه وسلم– ينتظر ويترقب كتائب محمد لتحرره من ارجاس الصهاينة :

**القدس رجاء**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ينطوي ليل الارهاب الى ليـل الاسراء

يتحسس رايات محمد

وكتائبه عبر الصحراء
القدس دعاء

القدس يرتل في محنة آي القرآن

يتشبث بالحلم الغضبان

فغدا ينفد صبر البركان

ويعود العاشر من رمضان

ويثور نفير

ويضج المسجد بالتكبير

وتضيء منارته البيضاء

ـ عودة رمضان : ص 109 ـ

نعم ان تلك الكتائب التي مرغت كبرياء روما في الوحـول وحسـرت ظلها البغيض عن الوطن العربـي ، ومسحت امبراطورية الفرس الوثنية من الوجود ، وخاضت سنابك خيلها المحيط الاطلسي غربا ، يردد قائدها بقوة : والله لو اعلم أن يابسة وراء هذا البحر لخضته مجاهدا في سبيل الله !! ..

واجتاحت حدود الصين والهند شرقا ، وقال امبراطور الصين في رده على استغاثة كسرى فارس الذي طلب منه ان يضما جيشيهما لمواجهة تلك الكتائب لأن خطرها سيمتد الى الصين بعد هزيمة الفرس ، فقال امبراطور الصين : من ايـن لـي أن احارب اقواما لو ارادوا دك الجبال لدكوها ؟! ..

ان تلك الكتائب لقادرة علـى استعادة القدس ورفع لواء الحريـة فوق مآذنه واستعادة عزتها وكرامتها وسيادتها .

محمد فهمي الحمدان

بزاعة ـ حلب

سوريا

◆

# «الف ليلة وليلة» ثروة الفولكلور العربي

■ المستعرب ساليه يؤكد ان «الف ليلة وليلة» هي : «قصص عربية الاصل والتاليف واللغة» .

＊ ＊

تحتـل قصص « الف ليلـة وليلة » العربية مكانة هامة في التراث الادبي والشعبي في العالم اجمـع ، ولاغـرو ان وضعهـا الباحثـون والمصنفون ضمن شوامخ ابداعات البشرية قاطبة . ومنذ أن ظهـرت ، بل وحتى قبل أن تدون ، أثارت وتثير للآن جدلا واسعا حول « اصل » هذه القصص ، وما اذا كانـت عربيـة الاصل أم فارسية او هندية والخ ..

وبدأ العالم يتعرف عليها عبر العصور من خلال ترجمة قصص منها او بكاملها الى مختلف لغات العالم. وفي مضمار مسيرتها التـي تجاوزت الالف عام بقرون ، اثرت « الف ليلة وليلـة » علـى ابداعات الادباء والشعراء العرب بخاصة ، وعلـى غيرهم من شعوب الشرق الادنـى ولذلك ، حاول الكثيرون النسج على منوالها ، فاصدروا قصصا بعناوين مشابهة ، مثل « الف يوم ويـوم » و « مائة يوم ويوم » ، وهلمجرا ..

غير ان كل تلك التاليف لم ترق الى مصف قمة الادب الشعبي العربي ـ « الف ليلة وليلة » .

فمنذ أن قام « كالان » بترجمة « الليالي » الى الفرنسية في القرن السابع عشر ، أثارت موجة اعجـاب شعبي منقطع النظير ، ليس عامـة القراء الاوربيين وحسـب ، بـل وطليعة المفكريـن والادباء ايضا . حتى ان فولتير أعلن ذات مرة انه لم يبدأ الكتابة الا بعد أن قرأ عدة مرات قصص « الف ليلة وليلة » .

وكتبت عن « الليالي » مئـات الدراسـات والابحاث والاطروحات ، واستلهم من قصصها الموسيقاريـون والروائيون والمسرحيون والرسامون والسينمائيون والنحاتـون والشعراء في كثير من تآليفهم وانتاجاتهم الفنية والابداعية . وكم مرة ادخلت مادة « الف ليلة وليلة » ضمن فقرات المؤتمرات الدولية العلميـة والفنيـة والندوات العربيـة التـي تناولت فولكلور الشعوب والتراث الشعبـي العربي بالذات . وما ادراج « أثـر كتاب الف ليلـة وليلـة فـي الادب العربي » مثلا ، ضمن مواد المؤتمـر العربي للفولكلور الذي عقد ببغداد قبل مدة ، الا دليل على عظمة هـذا الاثر الادبي الخالد ، وعلى تأثيرهـا المعروف في الثقافة العالمية الاوربية بخاصة .

ومن اشـهر الترجمات العالميـة لقصص «الف ليلة وليلة» ، مباشرة من لغتها العربية الاصيلة ، هي تلك الترجمة التي صدرت باشراف العالم الاكاديمـي المستعرب اغناطيوس كراتشكوفسكي ،وقد نشرت بثمانية مجلـدات بالروسية في موسـكو وصدرت تباعا بين سنوات 1929 و 1938 ـ وقام بترجمتها من العربية الى الروسية مباشـرة المستعـرب الروسي « ساليه » ، وقد اشتهرت في الاوساط العلمية بأسم « الطبعة الاكاديمية » لانهـا صدرت ضمـن مطبوعات دار النشر « أكاديميـا » التابعة لاكاديمية العلوم السوفييتية وفور صدورها اصبحت طبعة نادرة.

وفي سنة 1956 اصدر المستعرب ( ساليه ) مختارات من الف ليلـة وليلة . وضمن هذه الطبعة 12 قصة اختارها ( ساليه ) ، لانها على حـد تعبيره : « افضـل ما في الكتـاب باعتبارها نشات في اوساط الشعب، وهي ثمرة الابـداع الشعبي التـي تعكس آمـال وتطلعات الجماهـير الكادحة ومثلها في الحياة » ـ كمـا يقول في مقدمته للكتاب . والقصص المختارة على التوالي ، هي :

1 ـ الملك شهريار وشقيقه .
2 ـ التاجر والجني .
3 ـ الصياد .
4 ـ الثلاث تفاحات .
5 ـ الاحدب .
6 ـ علاء الدين ابو الشماتة .
7 ـ العاشق والمعشوق .
8 ـ الجواد الابنوسي .
9 ـ السندباد البحري .
10 ـ دليلة وعلى الزيبق القاهري .
11ـ ابو قير وأبو صير .
12ـ معروف الاسكافي .

ويقول ( ساليه ) في مقدمتـه للكتاب ان قصص الف ليلة وليلـة هي « قصص عربية الاصل والتاليف واللغـة » وهي « ثـروة الفولكلور العربي » .

وبالنظر لاهمية آراء المستعرب ( ساليه ) في القصص ، وبتجربتـه الهامة في ترجمتها من اللغة العربيـة مباشرة الى الروسية وتحليله العلمي لمضمونها ولنشأتها وتطورها عبـر العصور ، رأيت من الضروري اطلاع القاريء والباحث العربي عليها ،لذلك قمت بترجمة البحث الذي نشـره ( ساليه ) سنة 1956 في مقدمـة مختاراته من « الليالي » . وهـذه الترجمـة هي باختصـار بسيط والعنوان من وضعي .

**المستعرب ( ساليه ) يؤكد ان «الف**

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ليلة وليلة » هي : « قصص عربية الاصل والتاليف واللغة »

يقول( ساليه ) في بحثه :

« انصرم اكثر من 200 عام منذ أن تعرف الاوربيون لاول مرة على حكايات « ألف ليلة وليلة » ، والتي مازالت تحتفظ حتى الان بعطرها ورونقها . ونجد في الادب العالمي عددا قليلا جدا من الكتب محبوبة للقراء مثل حكايات شهرزاد المشهورة . ومنذ طفولتنا نتذكر ابطالها ، علاء الدين الفكه الظريف والسندباد الجريء المتعطش للمعرفة ودليله الخبيثة المحتالة ، وتسحرنا في عمرنا الاكثر نضجا شخصية عزيزة المحبة الولهانة ، والتي حافظت حتى الموت على اخلاصها وعواطفها ، كما وتضحكنا شخصية الحلاق « الصامت » .

ومن الصعب القول ، ماالذي يجذبنا اكثر من غيره في افضل قصص « الف ليلة وليلة » ؟ أهو موضوعها وحبكتها الطريفة وتظافر الواقعي والخيالي العجيب ، والصور الحية للحياة المدينية للشرق العربي في القرون الوسطي ، ووصف البلدان الغريبة والعجيبة ؟ ام الذي يجذبنا فيها تلك الحيوية والسطوع في خلجات وانفعالات الاشخاص من أبطال القصص ؟ ام تلك المواقف المبررة سيكولوجيا ؟ أم ذلك المغزى الاخلاقي الواضح والمحدد فيها ؟

ان لغة الحكايات عظيمة ـ ساطعة معبرة واخاذة ، اما المواربة والكتمان فهما غريبان عنها . وما حوار ابطال افضل الحكايات فيها ان هو الا كلام متميز وساطع ، ولكل منهم نمطه ومفرداته التي يتميز بها محيطه الاجتماعي الذي انحدر منه.

تعكس أثمن القصص فيها والمولودة في الاوساط الشعبية ، كاي ثمرة من نتاج الابداع الشعبي، آمال الجماهير الكادحة وتطلعاتها ومثلها في الحياة .

لقد ضمن تظافر كل هذه الخصال في « الف ليلة وليلة » مجدها الخالد وحدد تاثيرها على ابداعات الكثيرين من الكتاب والشعراء ، فوجدت لها معجبون ومقلدون عديدون في اوربا الغربية وفي روسيا ايضا . فقيم شاعرها الخالد بوشكلين تقييما عاليا هذه الحكايات العربية .

**فما هي « الف ليلة وليلة »؟ ومتى ظهرت ؟**

« الف ليلة وليلة » ـ هي مجموعة حكايات باللغة العربية ، ضمن اطار واحد ، توحدها كلها قصة قسوة الملك شهريار ، الذي كان يتزوج كل يوم زوجة جديدة وفي صباح اليوم التالي يقتلها . وعندما لم تبق في مملكة شهريار [illegible] عدا شهرزاد ابنة وزيره ، فقد حلت ساعتها للمثول أمام الملك كزوجة تالية . فما كان منها لانقاذ رقبتها من الموت المحتم الا أن تبدأ تقص على الملك حكاية ومع الصباح تقطعها في اطرف مقطع منها . ورغبة من شهريار الاستماع الى خاتمة تلك الحكاية ، فقد أجل قتل شهرزاد . وفي المساء ، حالما تكمل شهرزاد الحكاية الاولى تبدأ فورا بسرد قصة جديدة ، ولكنها تتوقف ثانية حالما تطل تباشير الصباح والحكاية لما تزل في وسطها . واستمرت على هذه الحال الف ليلة وليلة ، كانت شهرزاد خلالها قد حملت ووضعت للملك ثلاثة اولاد ، وهنا قرر شهريار عدم قتلها .

هذه هي الحكاية ـ الاطار التي تبدأ وتختم مجموعة قصص الف ليلة وليلة ، وبالشكل الذي وصلنا. اما أوائل المعلومات المدونة عن كتاب الحكايات ، التي توحدها قصة شهريار وشهرزاد فنجدها في التصنيف العربي من القرن العاشر للميلاد ـ « الفهرست » لابن النديم ، والذي يتحدث عنها باعتبارها ابداعا قديما ومعروفاجدا.

وفي تلك الازمان ، كان ظهور مجموعة الحكايات هذه باللغةالعربية قد أصبح نسيا منسيا ، ولذلك اعتبرت آنذاك وكانها مترجمة عن الفارسية. غير ان مكونات ومحتويات المجموعة التي يتحدث عنها صاحب « الفهرست » المذكور والتي عنونها « الف ليلة » معروفة لنا ، كما ان الحكاية التي تؤطرها ( قصةشهريار وشهرزاد ) موجودة ضمنها .

وفيما بعد ، واصلت المجموعة تطورها . فوضعت ضمن اطارها المريح وفي مختلف الاوقات حكايات جديدة وجديدة تحوي عنوان « الف ليلة وليلة » اعداد كبيرة جدا من مجاميع القصص والحكايات ،وتجار الكتب من بعدهم .

أما الشكل النهائي لمجموعة الحكايات هذه فقد اكتمل في مصر خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر للميلاد ، وكما يبدو فان التنقيحات الادبية عليها تعود الى زمن متاخر بكثير . ولهذا فأن كل المحاولات للتحديد الدقيق لزمان ومكان ظهور هذه الحكاية او تلك وبشكلها الاصلي ظهرت فيه لاول مرة ، قد باءت بالفشل .

وعلى هذا الاساس ، نقول ان « الف ليلة وليلة » ليست ابداعا من تاليف او وضع شخص واحد . ان مبدعها هو الشعب . وموضوعات الحكايات ذاتها مشهورة ومعروفة منذ ازمان سحيقة ، فاصبحت منذ القدم ثروة الفولكلور العربي .

وخلال قيامنا بابحاث تتناول « الف ليلة وليلة » نضطر في البداية الى دراسة كل حكاية على حدة ، وذلك لان محتوى الحكايات غير مترابط بعضه بالبعض الاخر . الا انه يمكن ملاحظة ملامح عامة في بعض الحكايات ، مما يساعدنا ، الى حدما ، على توحيدها مجازا في مجاميع معينة ، سواء من ناحية زمن تكوينها او الوسط الاجتماعي الذي اوجدها .

وهكذا ، يمكن تصنيف أقدم الحكايات الواردة في كتاب « الف ليلة وليلة » . وهي يبرز فيها بسطوع عنصر الخيال الفنتازي ويكون ابطالها عادة كائنات خيالية تشارك الناس اعمالهم بكل حيوية وفاعلية . ومنها مثلا ،حكاية الصياد والجني وحكاية الجواد الانبوسي . وهاتان الحكايتان كانتا على مايبدو، ضمن أوائل قائمة قصص الف ليلة وليلة ، والتي تنقلت من مجموعة الى اخرى وخاضعة لمختلف التنقيحات الادبية في مظهرها عبر ذلك الترحال المتواصل . والدليل على ذلك هو لغة مجموعة الحكايات هذه ، والتي تمتاز بظرافتها المعروفة وغزارة الاستطرادات الشعرية ، والتي هي بلا جدال ، اضافات النساخ الى نص الحكاية الاصلي .

اما الحكايات التالية لها من حيث المنشأ ، فهي المجموعة التي تعكس حياة ومعيشة المدنية التجارية العربية في القرون الوسطى . وتقع عادة في صلب هذه الحكايات واحدة من قصص الحب والغرام الغامضة والتي تتعقد اكثر فاكثر بمختلف انواع المغامرات . وغالبية الشخصيات التي تكون أبطالها تعود الى وجهاء التجار والحرفيين .

وتكون لغة واسلوب هذه المجموعة من الحكايات أبسط في خياليتها من سابقتها بكثير . ولكنها تحوي عددا كبيرا من الاستطرادات الشعرية ، التي تمتاز غالبيتها بمضمونها « الشهواني » .

ومن افضل نماذج هذه القصص المدينية حكاية العاشق والمعشوق وحكاية الثلاث تفاحات المتضمنة قصة نورالدين وشمس الدين .

وأخيرا ، فان احداث الحكايات من ناحية زمن نشأتها ،والتي يضمها كتاب « الف ليلة وليلة » ـ هي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تلك التي تتناول قصص الشطار ، والتي اضيفت الى الكتاب في مصر أثناء التعديلات والتنقيحات الاخيرة عليه . وهذه القصص تكونت في وسط سكان المدينة ،لذا فهي تعكس حياة الحرفيين الصغار والمياومة من العمال الاجراء والفقراء الذين يحصلون على قوتهم من اي عمل يصادفهم .

فنجد في هذه الحكايات تعبيرا صارخا عن احتجاج الفئات المسحوقة في مدن الشرق الاقطاعي . ومن مزايا قصص الشطار هذه التهكم اللاذع وتصوير ممثلي السلطة المدنية و « الروحانية » في اوضاع غير مستحبة لهم . وموضوع اغلبية هذه القصص هو الحيلة المعقدة التي لاتستهدف السرقة لذاتها بقدر ما تبغي التهكم والسخرية بالطرف الخاسر .

واسطع نموذج لحكايات الشطار قصة دليلة المحتالة وعلى الزيبق القاهري ، المليئة بالمغامرات العجيبة والمعقدة ، وكذلك قصة علاءالدين أبو الشماتة ، وحكاية أبو صير وأبو قير ، وخاصة حكاية معروف الاسكافي .

دخلت القصص من هذا النوع في النسخ المدونة للكتاب « الف ليلة وليلة » مباشرة من أفواه القصاصين ، فخضعت لتعدبلات غير جوهرية بأقلام الذين دونوها . وخير دليل على هذا هو بناؤها اللفظي ، قبل كل شيء ، والغزير بمختلف اللهجات والعبارات الدارجة وكثرة النصوص الحوارية الحية والدينامية ، وكأنها مسموعة ومأخوذة مباشرة من ساحة المدينة.

وتمثل حكايات المغامرات ، من ناحيتي المضمون والاسلوب ، واحدة من اثمن أقسام حكايات « الف ليلة وليلة » .

والقصص ذات الاصل الادبي ، غالبا ماتكون كبيرة نسبيا ، لايمكن ادراجها ضمن أية واحدة من المجاميع التي أوردناها اعلاه ، فهي بذاتها تمثل طرازا اخر من الحكايات . واحسن نماذجها هي حكاية السندباد البحري .

لقد ولدت حكايات هذه المجموعة او تلك في وسط اجتماعي معين ، وهي لذلك كانت أكثر انتشارا منه. وبالمناسبة ، يشهد على ذلك هامش لأحد النساخ في احدى صفحات مخطوطات « الف ليلة وليلة » ، يقول فيه :

« على القصاص أن يحكي القصة وفقا لأولئك الذين يستمعون اليها. فاذا كانوا اناسا عاديين ، دعه يروي لهم حكايات الناس البسطاء ـ وهذه القصص موجودة في بداية الكتاب » ( ويعني بذلك [illegible] يتلو قصص الشطار ـ ساليه ) ، « اما اذا كان الناس يعودون الى الحكام ، فعليه برواية قصص الملوك والمعارك بين الصناديد ـ وهذه الحكايات موجودة في اخر الكتاب » .

ان الوسط الاجتماعي ، الذي تكونت فيه الحكاية والموجهة اليه بالذات ، لايحدد مواضيعها وحسب، بل واسلوبها والصياغة اللفظية للعرض القصصي فيها أيضا . اما روايات الفرسان الطويلة جدا والحكايات الخيالية الفنتازية ،والتي يمكن الاستماع اليها اياما متواصلة في خيام الحكام والوجهاء والمستجيبة لأذواق أمثال هؤلاء المستمعين ، فتتضمن نبرة باذخة متعالية ،طافحة بالاستطرادات الكبيرة والمقاطع الشعرية العديدة ، ويحوي القسم الاعظم منها مضمونا وعظيا .

ويوجد كذلك ، عدد غير قليل من الاستطرادات الشعرية في الحكايات المدينية ، وهي التي حظيت بنجاح كبير فياوساط التجار والحرفيين الاغنياء ، ولو أن طابعها يختلف نوعاما ، اذ تطغى عليه « الشهوانية » أكثر من « الوعظية»، بل وليس غريبا على هذه الحكايات حتى الجانب«اللامحتشم»، والذي تفتقده عادة مجموعة القصص الاولى .

وتختلف روحية مجموعة حكايات الشطار عن ذلك تماما . فبدلا من التزامن الطويل « للحب والغرام » في الحكايات المدينية ،يحل في قصص الشطار الحوار المكثف اللاذع ، كما لاتوجد فيها تقريبا استشهادات شعرية ، والذي يبدو انها لاتتجاوب مع أذواق المستمعين الفقراء والمعدمين المتكدسين في المقاهي الرخيصة والاسواق ،وهؤلاء يحبون بخاصة حكايات المسرح والمشاكسة .

وهذه هي تقريبا المجموعات الاساسية للحكايات التي تتكون منها قصص « الف ليلة وليلة » .

وجدت قصص شهرزاد اصداء وعلاقات متباينة بين مختلف الفئات الاجتماعية . ففي الوقت الذي كانت ولازالت تحظى فيه على الحب الكبير واعتزاز الشعب وأوساط المثقفين التقدميين ، نجد أوساط السلفيين والمتزمتين تظهر نحوها علاقة سلبية .

وفي القرن العاشر للميلاد قال ابن النديم صاحب « الفهرست » عنها ، بأن حكايات «ألف ليلة وليلة» مدونة بشكل « مائع وممل » . واعتبرها المتاخرون له ، لااخلاقية ومضرة ، بل وأنذر بعضهم كل من يقراها او يحكيها بمختلف انواع التعاسة . ومع كل ذلك ، فأن ذلك المنع لم يجعل هذه الحكايات العربية اقل شهرة على النطاق العالمي .

وابتداء من القرن السابع عشر للميلاد ترجمت « ألف ليلة وليلة » مرات عديدة الى مختلف لغات العالم، وهي تلقى باستمرار المزيد والمزيد من النجاح والاقبال لدى القراء في كل مكان .

اما أول ترجمة روسية كاملة عن الاصل العربي مباشرة لحكايات شهرزاد هذه فقد انجزت بعد ثورة اوكتوبر . وبين سنوات 1929 ـ 1938 صدرت كاملة بثمانية مجلدات ، وهي التي قام بها كاتب هذه السطور تحت اشراف ومراجعة الاكاديمي اغناطيوس كراتشكوفسكي، واستلمت على كل النص الوارد في « الليالي » . وبالقدر الذي استطاعاه ، حاول المترجم والمراجع المشرف المحافظة على مطابقة الترجمة للاصل العربي ، ليس بتكامل المضمون وحسب ، بل والمحافظة على اسلوبها كذلك . وفي العبارات التي لايمكن مطابقتها ، بأي حال من الاحوال ، مع اصول اللغة الادبية الروسية ، اضطررنا الى التراجع عن الدقة الكاملة في الترجمة .وهكذا الحال مع ترجمة الاشعار ، والتي اضطرتنا الى التخلي عن ضرورة الوزن وفق ما تقتضيه قواعد الشعر العربي ، والذي كان من المفروض فيه أن يكون وزنا واحدا في كامل القطعة الشعرية الواردة في الكتاب ، لذا حافظنا على الشكل الخارجي والقافية في القصيد .

فاخترنا أفضل الحكايات من الترجمة الكاملة في المجلدات الثمانية لنشرها في المجموعة المختارة الحالية، وتغلب عليها الحكايات المدينية وقصص الشطار . ولكن اعدنا النظر مجددا بالترجمة اثناء اعداد هذه الحكايات للنشر . فسعى المترجم ، من دون تغيير في الوضعية الاساسية للحكاية ، الى تخفيف ثقل اللغة وتحريرها من الترجمة الحرفية غير الضرورية ومن العبارات والاصطلاحات « الخصوصية » وغير المفهومة للقارىء » .

**اعداد وترجمة : عزيز حداد**

◆

ARCHIVE
Archivebeta.Sakhrit.com

# في سطور

## طبع الأعمال الأدبية لنجيب سرور في بغداد

■ قررت وزارة الثقافة والاعلام طبع الاعمال الادبية للشاعر والكاتب والفنان المصري الراحل نجيب سرور على نفقتها . ويأتي قرار الوزارة عشية الذكرى الاولى لوفاة سرور ( 24 تشرين الاول ) ، وقد استضافت بهذه المناسبة في الشهر الماضي ارملته الروسية السيدة الكسندرا وولده الاصغر فريد .

نشير الى انه قد تشكلت في الوزارة لجنة للاشراف على طبع أعمال نجيب سرور يترأسها السيد موفق خضر ، وستقوم الناقدة المصرية السيدة صافي ناز كاظم بكتابة المقدمة .

وفي حوار مسهب سننشره في العدد القادم من ( اضواء وآفاق ) قالت السيدة الكسندرا ان زوجها الراحل انجز سلسلة مقالات نقدية انتهى من كتابة آخرها قبل ساعات من موته ، وفيها يتجادل مع الشاعر أدونيس حول كتابه ( الثابت والمتحول ) .هذا وقد تحدثت السيدة الكسندرا ايضا عن محنة نجيب سرور وأيامه المأساوية الاخيرة والظروف التي قادته الى الانهيار النفسي والعصبي والجسدي .

## معرض العمالقة

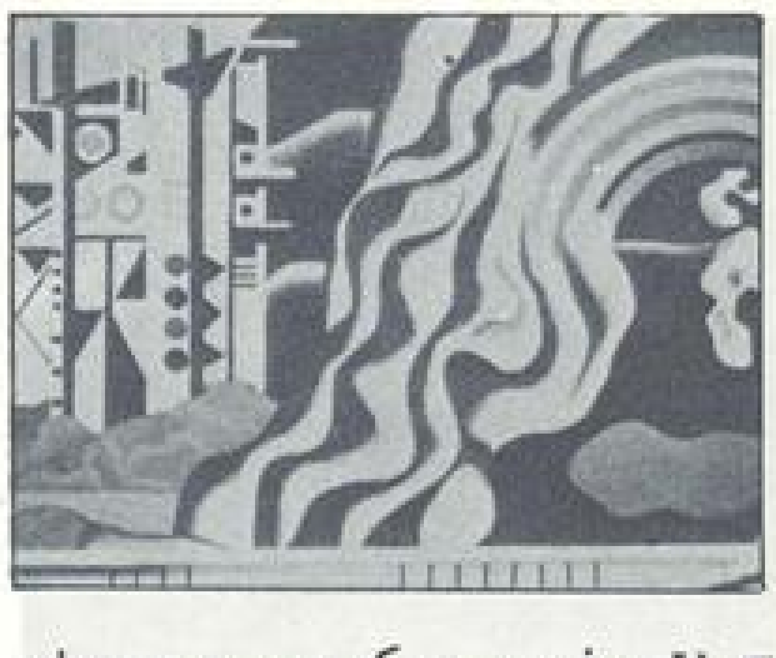

■ اقيم في بهو مركز جورج بومبيدو وحتى نهاية الشهر الماضي ، معرض فني فريد من نوعه ضم الاعمال الضخمة للفنانين ( فرناند ليجي ) ، و(بيروسونيادولوناين ) ، (سورفاج) ( هيربان ) و ( مترنجر ) .

ويذكر ان هذه الاعمال العملاقة سبق وان طلبت خصيصا لتعرض في المعرض الدولي للفنون والصناعات التقنية الذي اقيم في باريس عام 1937 .

وبعد انتهاء المعرض طويت اللوحات الضخمة واودعت دهاليز (الموبيليي ناسيونال ) لتظهر من جديد هذه الايام في بهو مركز جورج بومبيدو ، وهو المكان الوحيد الذي باستطاعته استقبال مثل هذه الاعمال ( تقدر مساحة احدى لوحات دولوناي « الهواء ، والماء ، والنار » على سبيل المثال لا الحصر بـ 15 × 10 امتار ) .

ان هذه الوثيقة حول معرض 1937 تتيح لنا ان نضع هذه الاعمال ، مرة اخرى ، في سياقها . فالعمارات التي اقامها المهندسون بكل ازدهاء في منطقة تروكاديرو لم تحض برضا الجميع . فقد شجب احد الصحافيين : « الفظاعات النحتية التي تزين هذه البنايات » .

صحيح ان الوضع السياسي لم تكن له علاقة تذكر بمظاهر العري الباهتة تلك ، فمنذ ازمة عام 1929 الكبرى ، تعطل كل شيء او كاد . فقد انهكت الحرب الاسبانية والبطالة فرنسا .

وكرد فعل على هذا الوضع السيء ، كانت ظاهرة التفاؤل التى تبنتها السلطات رسميا ، تشيد بالتكنولوجيا وتمجدها . وهكذا جاءت فكرة اقامة معرض 1937 ( كعنصر من عناصر خطة النهوض الاقتصادي ومحاربة البطالة ) .

لقد اهتم الفنانون المفكرون اعلاه بكل مظاهر التقنية ، واخذوا بما افرزته التكنولوجيا الحديثة ، محاولين تجسيدها ما استطاعوا الى ذلك سبيلا .

ولان التعبير عن ظاهرة كهذه لابد وان يتطلب مساحات شاسعة فقد استخدمت الجدران لهذا الغرض حتى ان بعضهم كتب ما معناه :

« ان الفن الجداري هو الفن الاجتماعي الوحيد بحق » .

وقد عبرت معظم اعمال تلك الفترة عن الامل المعقود على تقدم الآلة وتطورها .

غير ان شاعرا كبيرا هو لويس اراغون ، قد نصح هؤلاء الفنانين بالتخلي عن زخارفهم التي لا تستسيغها الا النخبة المثقفة وان يعودوا الى الواقعية الاشتراكية الفرنسية .

وفي اسبانيا ، خلال الفترة ذاتها ، كان « ميرو » يعمل على انهاء جداريته المعنونة ( الحصاد ) و ( كالدر ) قد انتهى من صنع حنفيةكان الزئبق يجري فيها مجرى الدم .

اما بيكاسو ، فكان يقوم هو الآخر بنصب رائعته «الغيرنيكا» ،وقد كتب ميشيل ليريس وهو يعيش هذه التحولات : « ان بيكاسو يبعث لنا برسالة الحداد . فكل ما نحبه في طريقه الى الزوال » .

## طقوس الموت

■ هواة الرواية البوليسية يعرفون انه من الصعب اخفاء جثة ، وان الوسائل لتحقيق ذلك تظل محدودة.

ولكن ، وعلى العكس من ذلك ، تبدو الاحتفالات الجنائزية من الكثرة بحيث يصعب حصرها ، اضافة الى كونها معقدة .

وقد اقام متحف الانسان في باريس، وبمساعدة عدد من الباحثين من المركز الوطني للابحاث العلمية معرضا يستمر حتى الصيف القادم تحت عنوان « طقوس الموت » حيث يعرض اربعون بلدا يمثلون القارات الخمس طقوسهم والاشياء التي يعبدونها او سبق وان عبدوها .

والامر هنا لا يتعلق ، لا من بعيد ولا من قريب بالاهرامات والنصب التذكارية للموتى ولكن بمعالجة الميت وكيفية تقبل غيابه الى الابد، ذلك ان نفس الخوف المقدس يسيطر على كل الشعوب . ولم يستطع اي من المجتمعات تفسير اختفاء احد اعضائه تفسيرا عقلانيا .

وتلجأ هذه الطقوس جميعها الى التيمية والاحيائية والطوطمية : فالميت يظل ، بشكل او بآخر«حيا» في الذاكرة او في موضع آخر غير محدد ، يقاسم اهله واقاربه الطعام ويحتل مكانه في البيت او قرب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الكنيسة او في الجبانة .

ولقد اقام زرادشتيو ايران في القرن السابع عشر ابنية دائرية اسموها « بابراج الصمت » كانت توضع فيها الجثث لتكون لقمة سائغة للنسور . اما العظام فالشمس كفيلة فيما بعد بتجفيفها وتحويلها الى غبار ينتهي به المطاف الى معمل الجير الرئيس . ويغسل المطر البقايا التي تذهب الى قنوات اربع تقوم بتصفيتها .

وفي النهاية لا يخرج من ابراج الموتى الا الماء الصافي .

وفي الوقت الذي غالبا ما تنتهي فيه حياة الانسان في اوربا الى الارض ، فان العديد من الاقوام من غير الاوربيين يفضلون التوحد بالهواء . ففي سيبيريا ولدى هنود سهول امريكا الشمالية توضع الجثة فوق اعمدة او على منصة .

اما قبائل السيبك في غينيا الجديدة فانها تضع الجثة في التابوت المعد لها ثم تعلقها في شجرة تختارها لهذا الغرض .

اما العظام ، والجمجمة منها على وجه الخصوص ، فتصبح من الاشياء المعبودة . وفي الغابون والكونغو تجمع هذه العظام في صندوق مصنوع خصيصا لها ، يعلوه نحت يمثل الجد الاول .

اما في جزر سالومون ، فان الجمجمة يعاد تشكيلها بواسطة عجين نباتي ثم توضع عيون من الصدف في الحدقات الفارغة لتعيد اليها الحياة .

واذا كانت البوذية توصي بحرق الجثة ، فان المناطق الآسيوية المتأثرة بالحضارة الصينية تقوم بدفنها . ولكن هذه العملية لا تعدو كونها وسيلة للتخلص من الجسد فقط . اذ ان الروح تبقى في البيت وتحتل مكانا بين افراد العائلة وذلك على شكل لوحة يحفر عليها اسم الميت .

واذا كانت الحفلات تختلف من حيث الطول ، فان الهدف يظل دائما هو تقوية الروابط بين الاحياء وتأكيد التقاليد والعلاقات الاجتماعية - الاقتصادية .

وفي اوربا لا يقل عدد الاكفان والصور الدينية عن لوازم الحداد الاخرى .

ففي هنغاريا ( المجر ) تغطى المرايا بغطاء معد خصيصا لهذا الغرض وذلك لمنع روح الميت من ان تنعكس على المرآة .

وفي اسبانيا يرتدي الناس القبعة السوداء ذاتها خلال الاعياد وخلال مراسيم الدفن . وتقام ولائم الموتى عادة بعد اتمام الدفن واحيانا فوق القبر الذي يعمد الى تغطيته بسماط معين .

اما في قشطيليا والاراغون فان الناس يتناولون ، يوم عيد الموتى ، عظاما مصنوعة من عجين اللوز ومحشوة بدهن اصفر يرمز به الى المخ .

وفي اماكن عديدة اخرى يعمد الاحياء الى اشعال الشموع وتقديم قرابين من الطين والزهور والحبوب.

وفي المكسيك تأخذ فكرة الموت اشكالا مبالغا فيها حيث يمتزج الدين بالسخرية في الوان براقة .

ويرافق النذور والمشاهد الدينية بناء هياكل عظمية مصنوعة من السكر . كما تصنع دمى جنائزية بالمناسبة ذاتها ..

ان محتويات المعرض المختارة بعناية ترينا كيف ان البشر ، وهم يواجهون النهاية ( او الحياة بالنسبة للبعض ) يحاولون ، بأساليب شتى تحاشي مالابد منه والاستئناس به .

ترجمة : محمد خالدي

◆

## ناجي العلي يستعد لأقامة معرض جوال

■ يستعد الفنان الكاريكتوري ناجي لاقامة معرض جوال يطوف به عددا من الاقطار العربية ، ويضم أعماله الاخيرة التي خص اغلبها للتعبير عن موقفه النفسي من قضايا وطنه العربي وعلى رأسها قضية الانسان الفلسطيني التي عاشها منذ طفولته وتعرف اليها في ملاجيء الفلسطينين حيث شب ونما ونمت معه رغبته في البحث عن ذاته فيها « عن مبرر لوجودي وعن وسيلة اعبر بها عن معاناتي الحقيقية . عشت كلاجيء في مخيم فلسطيني يخيم على سكانه الاحساس بالكبت والحرمان والظلم والتصميم على استرجاع حق نكره عليه الجميع « طالما أردت ان أصرخ في وجه العالم وان اطلق مشاعري الداخلية المكبوته فاستخدمت موهبتي العفوية في الرسم لاخدم قضية شعبي واتصدى قدر امكاناتي المحدودة لمحاولات النيل منه » .

وهكذا وعبر عدد من الرموز التي استكملت معناها من خلال التأكيد عليها منذ بدايته الاولى عام 1973 استطاع هذا الفنان ان يجترح لنفسه فرادة وخصوصية لم تتوفر لغيره من فناني هذا الفن ، والتي بوأته لان يكون الفائز بالمكان الاول في المسابقة الاخيرة بين فناني الكاريكتور في الوطن العربي .

ويتميز اسلوبه بتلك القدرة المدهشة على التبسيط وسرعة الايصال المتأتية من امكانيته على فهم الظرف النفسي للانسان العربي

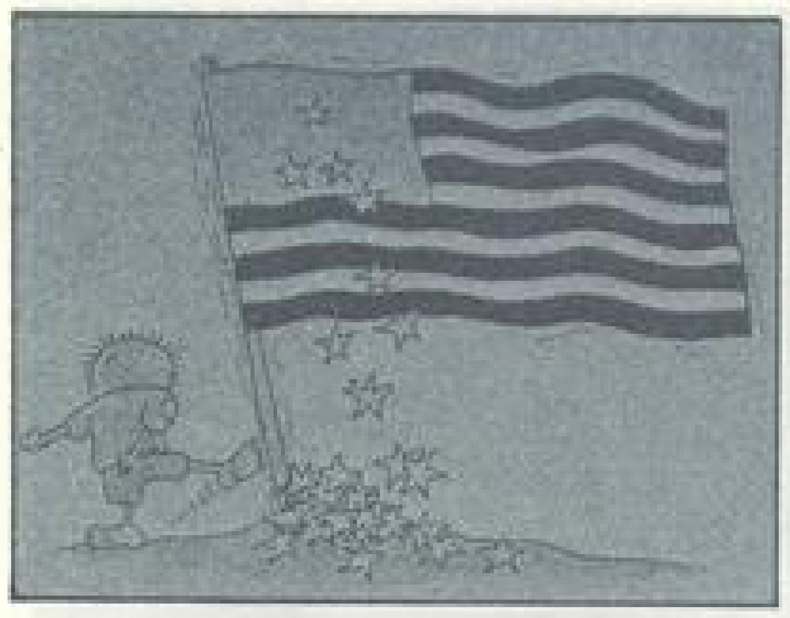

في هذه المرحلة ، وفرج الضحكة بالدمعة ليجعل « الناس يضحكون من واقعهم بمرارة » وبذلك يعمق من احساسهم بواقعهم ويعزز من تصميمهم على رفضهم كل مايشين هذا الواقع ، ويكشف عن الوجوه والايدي التي تتآمر على قضيته وتساوم بها وتتاجر بحقه في الحياة الكريمة .

ان في اسلوب ناجي العلي الكثير من مميزات عبقرية شارلي شابلن من حيث خصوصية الرموز وثباتها واتساع مداها لاستيعاب تعبيريته المكثفة بالمشاعر العميقة ، ومن حيث قدرته على الاختزال وتاكيد التباين في جزئيات العمل الفني بما يخدم المضمون الرئيسي له بشكل جلي وواضح .

◆

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com